

ISSN 2307-1583

العدد 50 - أيار/ مايو 2021
ISSUE 50 - MAY 2021

سياسات عربية

SIYASAT ARABIYA

A Bimonthly Peer Reviewed Journal of Political Science and International Relations

دورية محكمة تُعنى بالعلوم السياسية والعلاقات الدولية



ملف

العلاقات الدولية والجائحة

Academic Advisory Committee الهيئة الاستشارية

Ibrahim Fraihat	إبراهيم فريحات
Burhan Ghalioun	برهان غليون
Than'a Fouad Abdulla	ثناء فؤاد عبد الله
Gilbert Ashcar	جلبير الأشقر
Hamadi Redissi	حمادي الرديسي
Hayder Ibrahim Ali	حيدر إبراهيم علي
Sultan Barakat	سلطان بركات
Seif Al-Din Abdul Fattah	سيف الدين عبد الفتاح
Shafeeq Nazim al-Ghabra	شفيق ناظم الغبرا
Tareq Ismael	طارق إسماعيل
Tarek Mitri	طارق متري
Abdullah Baabood	عبد الله باعبود
Larbi Sidiki	العربي صديقي
Ghanim Al-Najjar	غانم النجار
Ghassan Elezzi	غسان العزي
Kadhim Hashim Niama	كازم هاشم نعمة
Mohamed Olwan	محمد علوان
Mohammed Madani	محمد مدني
Mahmoud Muhareb	محمود محارب
Mustafa Hamarneh	مصطفى الحمارة
Mustafa Kamel Al Sayyed	مصطفى كامل السيد
Nizam Assaf	نظام عساف

Editor-in-Chief رئيس التحرير

Haider Saeed حيدر سعيد

Managing Editor مدير التحرير

Ahmed Qasem Hussein أحمد قاسم حسين

Editorial Secretary سكرتيرا التحرير

Ihab Maharmeh إيهاب محارمة

Hamzeh Almoustafa حمزة المصطفى

Editorial Board هيئة التحرير

Adham Saouli أدهم صولي

Osama Abu Irshaid أسامة أبو ارشيد

Khalil Al Anani خليل العناني

Dana El Kurd دانا الكرد

Radwan Ziadeh رضوان زيادة

Suahim Al Thani سحيم بن محمد آل ثاني

Abdel-Fattah Mady عبد الفتاح ماضي

Abdelwahab El-Affendi عبد الوهاب الأفندي

Emad Y. Kaddorah عماد قدورة

Omar Ashour عمر عاشور

Lulwah Rashid Al Khater لولوة راشد الخاطر

Luai Ali لؤي علي

Mohammed Al-Musfer محمد المسفر

Mohammad Almasri محمد المصري

Mohammed Hemchi محمد حمشي

Marwan Kabalan مروان قبلان

Design and Layout تصميم وإخراج

Ahmad Helmy أحمد حلمي

Souhail Jellaoui سهيل جلاوي

The Designated Licensee

The General Director of the Arab Center for
Research and Policy Studies

صاحب الامتياز

المدير العام للمركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات

صورة الغلاف

سفين حميد أحمد (العراق)

مصور صحفي كردي عراقي من مواليد بغداد.
يعمل مصورًا صحفيًا في وكالة الصحافة
الفرنسية منذ عام 2003، وهو المؤسس
المشارك لمدرسة Framing Photojournalism
School، وهي مركز للمصورين المحليين
والدوليين. وفاز في المهرجان الدولي الأول
للفنون البصرية في طهران عام 2012.

جميع المراسلات باسم

رئيس التحرير على العناوين التالية

المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات

صندوق بريد: 10277

منطقة 70 شارع الطرف، الدوحة، قطر

هاتف 00974 4035 6888

Arab Center For Research & Policy Studies

PO Box: 10277

Al Tarfa Street, Doha, Qatar

Phon: 00974 4035 6888

أو على البريد الإلكتروني للمجلة
siyasat.arabia@dohainstitute.org

العدد 50 - أيار/ مايو 2021
Issue 50 - May 2021

سياسات عربية

SIYASAT ARABIYA

A Bimonthly Peer Reviewed Journal of Political Science and International Relations

دورية محكمة تُعنى بالعلوم السياسية والعلاقات الدولية

DOHA INSTITUTE
FOR GRADUATE STUDIES



المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات
Arab Center for Research & Policy Studies



جميع الحقوق محفوظة لمعهد الدوحة للدراسات العليا
والمركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات

Special Issue	ملف
International Relations and the Pandemic	العلاقات الدولية والجائحة
Mohammed Hemchi Introduction International Relations and the Pandemic: A Short Story and Four Articles	محمد حمشي تقديم العلاقات الدولية وجائحة كورونا: قصة قصيرة وأربع مقالات
Mohammed Hemchi International Relations Theories and the Pandemic: Old Wines in New Bottles and an Aging Wine	محمد حمشي نظريات العلاقات الدولية وجائحة كورونا: أنبذة معتقة في قنان جديدة ونبيذ لَمَّا يَعْتَق
Ahmed Qasem Hussein The International System and the Covid-19 Pandemic: The Debate over the Effects of Epidemics on International Relations	أحمد قاسم حسين النظام الدولي وجائحة كورونا: سجل تأثير الأوبئة في العلاقات الدولية
Chahrazed Khier The International Political Economy and the Covid-19 Pandemic: Theoretical Reflections	شهرزاد خيّر الاقتصاد السياسي الدولي وجائحة كورونا: تأملات نظرية ومسائل مبدئية
Abdelkarim Amengay Populists in Government and the Covid-19 Pandemic: Between the Normality of Measures and the Singularity of Discourse - The Case of the Trump Administration	عبد الكريم أمناكي شعبويو السلطة وجائحة كورونا بين اعتيادية التدابير وخصوصية الخطاب: حالة الولايات المتحدة تحت إدارة دونالد ترامب
Translation	دراسة مترجمة
David P. Fidler Translated by Sara Ismael Disease and Globalized Anarchy: Theoretical Perspectives on the Pursuit of Global Health	ديفيد ب. فيدلر ترجمة سارة إسماعيل الأمراض والفضى المعولمة: مقاربات نظرية للصحة العالمية

Arab Opinion Index	125	المؤشر العربي
Public Opinion Polling Unit Arab Public Opinion and Government Performance in Providing Basic Services	127	وحدة استطلاع الرأي العام الرأي العام العربي والأداء الحكومي في مجال الخدمات الأساسية
Documentation	135	التوثيق
Milestones in Democratic Transition in the Arab World 1/3 - 30/4/2021	137	محطات التحول الديمقراطي في الوطن العربي في المدة 3/1 - 2021/4/30
The Project of Democratic Transformation and Transition Phases in the Arab Countries		مشروع التحول الديمقراطي ومراحل الانتقال في البلدان العربية
Documents of Democratic Transition in the Arab World	144	وثائق التحول الديمقراطي في الوطن العربي
Palestine Over Two Months 1/3 - 30/4/2021	156	الوقائع الفلسطينية في المدة 3/1 - 2021/4/30
Book Reviews	167	مراجعات وعروض كتب
Lourdes Habash "Covid-19 and World Order: The Future of Conflict, Competition, and Cooperation" edited by Hal Brands & Francis J. Gavin	169	لورد حبش "فيروس كورونا والنظام العالمي: مستقبل الصراع والتنافس والتعاون" تحرير هال براندز وفرانسيس غافين

The Arab Center for Research and Policy Studies is an independent social sciences and humanities institute that conducts applied and theoretical research seeking to foster communication between Arab intellectuals and specialists and global and regional intellectual hubs. The ACRPS achieves this objective through consistent research, developing criticism and tools to advance knowledge, while establishing fruitful links with both Arab and international research centers.

The Center encourages a resurgence of intellectualism in Arab societies, committed to strengthening the Arab nation. It works towards the advancement of the latter based on the understanding that development cannot contradict a people's culture and identity, and that the development of any society remains impossible if pursued without an awareness of its historical and cultural context, reflecting its language(s) and its interactions with other cultures.

The Center works therefore to promote systematic and rational, scientific research-based approaches to understanding issues of society and state, through the analysis of social, economic, and cultural policies. In line with this vision, the Center conducts various academic activities to achieve fundamental goals. In addition to producing research papers, studies and reports, the center conducts specialized programs and convenes conferences, workshops, training sessions, and seminars oriented to specialists as well as to Arab public opinion. It publishes peer-reviewed books and journals and many publications are available in both Arabic and English to reach a wider audience.

The Arab Center, established in Doha in autumn 2010 with a publishing office in Beirut, has since opened three additional branches in Tunis, Washington and Paris, and founded both the Doha Historical Dictionary of Arabic and the Doha Institute for Graduate Studies. The ACRPS employs resident researchers and administrative staff in addition to hosting visiting researchers, and offering sabbaticals to pursue full time academic research. Additionally, it appoints external researchers to conduct research projects.

Through these endeavours the Center contributes to directing the regional research agenda towards the main concerns and challenges facing the Arab nation and citizen today.

المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات مؤسسة بحثية فكرية مستقلة، مختصة بالعلوم الاجتماعية والإنسانية، في جوانبها النظرية والتطبيقية، تسعى، عبر نشاطها العلمي والبحثي، إلى خلق تواصل في ما بين المثقفين والمتخصصين العرب في هذه العلوم، وبينهم وقضايا مجتمعاتهم، وكذلك بينهم وبين المراكز الفكرية والبحثية العربية والعالمية، في عملية تواصل مستمرة، من البحث، والنقد، وتطوير الأدوات المعرفية.

يتبنى المركز رؤية نهضوية للمجتمعات العربية، ملتزمة بقضايا الأمة العربية، والعمل على رقيها وتطورها، انطلاقاً من فهم أنّ التطور لا يتناقض مع الثقافة والهوية، بل إنّ تطوّر مجتمعٍ بعينه، بفئاته جميعها، غير ممكنٍ إلا في ظروفه التاريخية، وفي سياق ثقافته، وبلغته، ومن خلال تفاعله مع الثقافات الأخرى.

ومن ثمّ، يعمل المركز على تعزيز البحث العلمي المنهجي والعقلانية في فهم قضايا المجتمع والدولة، بتحليل السياسات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية في الوطن العربي. ويتجاوز ذلك إلى دراسة علاقات الوطن العربي ومجتمعاته بمحيطه المباشر، وبالسياسات العالمية المؤثرة فيه، بجميع أوجهها.

وفي ضوء هذه الرؤية، يعمل المركز على تحقيق أهدافه العلمية الأساسية، عن طريق نشاطاته الأكاديمية المختلفة، فهو ينتج أبحاثاً ودراسات وتقارير، ويصدر كتباً محكمةً ودوريات علميةً، ويبادر إلى مشاريع بحثية، ويدير عدة برامج مختصة، ويعقد مؤتمرات، وورش عمل وتدريب، وندوات أكاديمية، في مواضيع متعلقة بالعلوم الاجتماعية والإنسانية، وموجهة إلى المختصين، والرأي العام العربي أياً، ويساهم، عبر كل ذلك، في توجيه الأجندة البحثية نحو القضايا والتحديات الرئيسية التي تواجه الوطن والمواطن العربي. وينشر المركز جميع إصداراته باللغتين العربية والإنكليزية.

تأسس المركز في الدوحة في خريف 2010، وله فرع يعنى بإصداراته في بيروت، وافتتح ثلاثة فروع إضافية، في تونس وواشنطن وباريس. ويشرف على المركز مجلس إدارة بالتعاون مع مديره العام المؤسس.

أسس المركز مشروع المعجم التاريخي للغة العربية، وما زال يشرف عليه بالتعاون مع مجلسه العلمي، كما أسس معهد الدوحة للدراسات العليا، وهو معهد جامعي تشرف عليه إدارة أكاديمية ومجلس أمناء مستقل يرأسه المدير العام للمركز.

يعمل في المركز باحثون مقيمون، وطاقم إداري. ويستضيف باحثين زائرين للإقامة فيه فترات محددة من أجل التفرغ العلمي، ويكلف باحثين من خارجه للقيام بمشاريع بحثية، ضمن أهدافه ومجالات اهتمامه.



ملف
العلاقات الدولية والجائحة

Special Issue

International Relations and the Pandemic

محمد حمشي | Mohammed Hemchi*

العلاقات الدولية وجائحة كورونا: قصة قصيرة وأربع مقالات

International Relations and the Pandemic: A Short Story and Four Articles

نُشر فيضٌ من الأدبيات التي تتناول جائحة كورونا من منظورات متباينة للغاية، من السياسة والسياسات، إلى الاقتصاد والتجارة، إلى الأسرة والمجتمع، مروراً بالسفر والتنقل، فالبيئة والعمران، ووصولاً إلى العمل والتعليم، واللائحة تطول. في سياق كهذا، يناقش هذا العدد الخاص من دورية سياسات عربية جملة من الإشكاليات التي يثيرها تفشي الجائحة من منظور حقل العلاقات الدولية، وهو ينطلق من ادعاء أساسي مفاده أن الجائحة مسألة سياسية في المقام الأول، وأن في القلب من كل ما يتعلق بها تقريباً، تكمن الدولة والعلاقات بين الدول. يتضمن هذا العدد الخاص أربع دراسات؛ أولها عن نظريات العلاقات الدولية والجائحة، وثانيها عن النظام الدولي والجائحة، وثالثها عن الاقتصاد السياسي الدولي والجائحة، أما رابعها فهي عن الشعبوية والجائحة، إضافة إلى ترجمة لدراسة نظرية عن الصحة العامة والصحة العالمية، ومراجعة نقدية لكتاب عن مستقبل الصراع والتنافس والتعاون الدولي بعد الجائحة.

كلمات مفتاحية: العلاقات الدولية، جائحة كورونا، نظريات العلاقات الدولية، النظام الدولي، الاقتصاد السياسي الدولي، الشعبوية، التعاون الدولي، الصحة العامة العالمية.

A considerable amount of literature dealing with the Covid-19 pandemic has been published from very different perspectives, from politics and policies, economy and trade, family and society, travel and transportation, environment and urbanization, work and education, and so forth. In such a context, this special issue of Siyasat Arabiya claims that pandemic is a political issue at its core, and that state and interstate/international relations lie at the heart of almost everything related to it. This special issue includes four articles; these look at the relationship of the pandemic to theories of International Relations, the international system, the Political Economy and Populism respectively; in addition to a theoretical article on public and global health translated into Arabic, and a critical review of an edited book on the future of conflict, competition and international cooperation after the pandemic.

Keywords: International Relations, Covid-19, Pandemic, International Relations Theories, International System, International Political Economy, Populism, International Cooperation, Global Public Health.

* باحث، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، وأستاذ مساعد، برنامج العلوم السياسية والعلاقات الدولية، معهد الدوحة للدراسات العليا.
Researcher at the Arab Center for Research and Policy Studies and Assistant Professor, Political Science and International Relations, Doha Institute.

أولاً: القصة القصيرة

ماذا لو اندلع حريقٌ داخل مبنى مخرجٍ واحدٍ لا غير؛ حيث لا خيار أمام قاطنيه إلا التدافع نحو المخرج الوحيد لينجو كلٌ بحياته؟ إنها قصة كلاسيكية يستحضرها مدرسو العلاقات الدولية ليشروحوا للطلاب دور البنية (وَلتُكُنْ بنية النظام الدولي) في تقييد سلوك الفاعلين (وَلتُكُنْ الدول)⁽¹⁾؛ فالمبنى مخرج واحد، وهو مكتظٌ بأشخاص أنانيين، ولا أحد يشرف على عملية إخلائهم من المبنى، تجدهم يتدافعون بكل ما أوتوا من قوةٍ وحيلةٍ للنجاة من الموت، ولن تسمع حينها سوى هجيج النار وضجيج الناس، نفسي نفسي! ولكي نكون أشد دقة، تقدم هذه القصة تصورًا يجعل البنية لا تقيّد سلوك الفاعلين فحسب، بل تحدده أيضًا، وتجعله خطيًا قابلاً للتنبؤ، بل ثابتًا لا يعتد بأي تباينٍ في السياقات.

في مقابل ذلك، هنالك من يحتج على حبكة هذه القصة الفجّة، ويعدّها اختزالًا لفاعلية Agency الأشخاص قاطني المبنى بوصفهم فاعلين Agents، واختزالًا أيضًا لطبيعة البنية التي يتفاعلون فيها بوصفها ليست ماديةً فحسب، بل هي اجتماعيةٌ أيضًا. فمن لا ينظر في المعايير التي تشكل وتعيد باستمرار تشكيل سلوك هؤلاء الأشخاص، ويكتفي بالنظر في تصميم المبنى، وفي غياب سلطةٍ "تحتكر العنف" لتشرف على تنظيم عملية الإخلاء، لن يكون أمامه غير الافتراض مسبقًا أن الجميع سيتدافعون نحو المخرج سعيًا لنجاة كلٌ بحياته. إنه لن يتصور سوى أولئك الذين سيصابون من جراء التدافع أكثر من الذين سيتعرضون للحريق نفسه. وتنطلق حجة هؤلاء المحتجين على حبكة القصة من سؤال فحواه: ماذا عن معايير هؤلاء الأشخاص وقيمهم التي نُشئوا عليها اجتماعيًا؟ ماذا عن أفكارهم التي يتشاركونها - بما هم عليه بوصفهم جماعةً - أفكارهم عن أنفسهم وأفكارهم بعضهم عن بعض؟ وماذا عن تاريخهم المشترك؟ ماذا لو خبروا في الماضي تجربةً مماثلةً لإخلاء مبنى يتعرض لحريق، وصار بإمكانهم أن يتعلموا من تلك التجربة؟

بدلًا من افتراض وجود مخرجٍ واحد، وغياب سلطةٍ من شكلٍ ما تنظّم عملية الإخلاء - وهو ما سيجعل الجميع يسارعون نحو المخرج للنجاة، بأذنين كل ما في وسعهم ليتخطى بعضهم رقاب بعض نحو الخارج - علينا أن نتساءل عما إذا كانت لدى هؤلاء معاييرٍ معينةٍ تحدد لهم، أو لجهلهم، أو حتى لبعضهم، من سيخرج أولًا؟ العصبية أولو الشدة مثلًا، أم السّفام خائرو القوة؟ ألن يُلْتَمَت إلى الغيد من النساء والقُصّر من الأطفال والعُجّز من المُسنين؟ أم أن الاندفاع

الجنوني العارم وحده سيسود عند المخرج؟ أم أن ما سيحدث هو شيءٌ من هذا وشيءٌ من ذاك؟

إن مشكلة الحبكة الأولى تكمن في أنها تنكر أي حاجةٍ إلى فهم ثقافة الفاعلين بوصفهم فاعلين، وفهم معايير سلوكهم وقواعدهم وهم يتفاعلون ضمن الجماعة؛ فتلك المعايير والقواعد ليست موضوعيةً Objective البتة، ولا هي ذاتية Subjective خالصة، لكنها بينذاتية Intersubjective تنشأ وتتطور باستمرار في سياق التفاعل المطرد بين فاعلين لا تشكل البنية سلوكهم فحسب، بل إنّ سلوكهم يشكّل البنية ويعيد تشكيلها باستمرار؛ لذلك واستنادًا إلى تقليدٍ من النقاشات التي خاضها أنصار البنائية الاجتماعية لنقد أقرانهم من أنصار الفلسفة الوضعية بمختلف تياراتهم النظرية النافذة في حقل العلاقات الدولية، صار في متناول المرء ما يكفي من الحجج لدحض فكرة أن البنية ماديةٌ بالمطلق، وأنها معطى مسبقٌ يمكنها أن تحدد يقينًا الكيفية التي سيكون عليها سلوك أي فاعلٍ يوجد في البنية نفسها.

يبدو جليًا أن الحكيتين السابقتين إنما نُسجتا بناءً على صورة مبنى حجريّ عتيقٍ، لربما صار اليوم أثرًا بعد عينٍ بفعل نوازل التلف والاندثار. لتأمل الآن مشهدًا آخر. ماذا لو كان المبنى حديثًا؟ ماذا لو كان مصمموه قد زدوه بمخارجٍ طوارئٍ عديدةٍ؟ ماذا لو كان مصمموه وبنائهم قد استبقوا، واتفقوا، فأنفقوا مالا إضافيًا لتزويده بنظامٍ متطورٍ لإخماد الحرائق بمجرد اندلاعها، أو حتى بنظامٍ بسيطٍ للإنذار يوفر وقتًا كافيًا للإخلاء من دون التدافع عند المخرج؟ في هذا المشهد، إما أن يندلع الحريق بفعل فاعلٍ مترصدٍ، وها هنا لن تكون بين أيدينا سوى قصةٍ قصيرةٍ جدًّا نرويها، فالحرائق المتعمدة - بتفجيرٍ من الخارج مثلًا أو بزرع قنبلةٍ في الداخل - دائمًا ما تكون مأساوية، وغالبًا لا تتيح للموجودين داخل المبنى وقتًا للتدافع أو للتضامن فيما بينهم، وإما أن يشب الحريق مثلما يشب أي حريقٍ غير مفتعل؛ شرارةً فدانًا فلهبًا فاضطرام. وها هنا أيضًا لدينا حبكتان؛ إحداها قصيرةٌ تقول إنّ مصممي المبنى وبنائهم، بوصفهم فاعلين، قرّروا أن الأرواح أهم من الأرباح، ووعوا أنّ "معظم النار من مستصغر الشرر"، فتكلّفوا وضع نظامٍ فعّالٍ للإنذار وإخماد الحرائق فور اندلاعها. أما الحبكة الأخرى، فهي أطولٌ قليلًا، إما أن تعيد رواية قصة المبنى العتيق الذي صُمم بشكلٍ بدائيٍّ بلا نظامٍ لإخماد الحرائق أو حتى الإنذار باندلاعها، وإما أن نخبرنا أن المبنى حديثٌ ومزودٌ بنظامٍ إخمادٍ متخلفٍ، وأنه لم يتمكن من الصمود أمام بأس الحريق وسرعة اضطرامه، أو أن النظام كان عاطلًا (أو مُعطّلًا) لحظة نشوب الحريق؛ ومن ثمّ، تعيدنا هذه الحبكة - عودًا على بدءٍ - إلى جدل التدافع والتضامن.

1 ورد ما يشبه هذا المثال في:

Ted Hopf, "The Promise of Constructivism in International Relations Theory," *International Security*, vol. 23, no. 1 (Summer 1998), p. 173.

ثانياً: المقالات الأربع

تفشّت على هذه الأرض، حيث نقطن، أوبئة فتاكّة قد يكون المعلوم منها نزرًا قليلاً مما لم يروه بعدُ التاريخُ المعروفُ لدينا اليوم. في بداية القرن الرابع قبل الميلاد، شهدت اليونان القديمة طاعون أثينا، وفي منتصف القرن الثاني قبل الميلاد، شهدت الإمبراطورية الرومانية طاعون أنطوني. وبعدها بثلاثة قرون، ضرب طاعون جستنيان الإمبراطورية البيزنطية، وهو الطاعون نفسه الذي اجتاحت أوروبا مرة أخرى خلال القرن الرابع عشر. وفي القرن السادس عشر، كان ثمة جدري العالم الجديد، ثم الطاعون الإيطالي، وطاعون لندن العظيم. ومع نهاية القرن التاسع عشر، ظهر وباء الكوليرا في الهند، ومنها انتشر نحو أوروبا وأفريقيا وأميركا الشمالية وبقية آسيا، كما تفشت أيضًا الحمى الصفراء والإنفلونزا الروسية. أما القرن العشرون، فقد شهد في بدايته ويلات الإنفلونزا الإسبانية التي فتكت بأرواح الملايين من البشر، ثم الإنفلونزا الآسيوية، وإنفلونزا هونغ كونغ، والإيدز الذي لا يزال في تفشٍّ⁽²⁾. ثم لاحقًا، شهدت بداية القرن الحادي والعشرين، في عقودها الثلاثة الأولى، ويلات سارز، وإنفلونزا الخنازير، وميرس، وإيبولا، وأخيرًا - والمتوقع أنه ليس آخرًا - جائحة كورونا⁽³⁾.

يشي هذا التعداد، المقتضب جدًّا، من الوهولة الأولى، بأن الأوبئة زاد عددها خلال القرن العشرين، وتزايد أكثر مع بداية القرن الحادي

لنتصور الآن، في مشهدٍ آخر، أنّ قاطني المبنى أجمعوا أمرهم، وكوّنوا من بينهم وحدةً من رجال الإطفاء، غرضها إخماد الحرائق. ها هنا حبات عديدة. تقول حبةٌ أولى: ماذا لو كانت وحدة الإطفاء تحظى بكفاءةٍ عاليةٍ وبإمكاناتٍ تدخلٍ فعالةٍ؛ لأنّ قاطني المبنى رأوا أن احتمال اندلاع الحرائق يظل أمرًا واردًا على الدوام، وأنّ كفاءة تلك الوحدة تأتي من انسجام تصورات جماعة القاطنين بشأن ضرورة وجودها ودعمها وتعزيز عملها؛ في مقابل ذلك، تقول حبةٌ ثانية: ماذا لو أنّ أحد - أو بعض - الأشداء النافذين و/أو الأثرياء المقتدرين منهم صار ينظر إلى وحدة الإطفاء تلك بعين الازدراء والانتقاص من دورها والحاجة إليها؛ ماذا لو قرر أحدهم - أو بعضهم - أن يرفع عنها دعمًا ماديًا أو معنويًا، هي في حاجةٍ ملحةٍ إليه كي تستمر في عملها؛ وتقول حبةٌ ثالثة: ماذا لو قرر أحد هؤلاء منع وحدة الإطفاء تلك من الاطلاع على تصميم جزئه الخاص من المبنى، بدعوى أنه في منعةٍ من الحرائق، أو أن لديه القدرة على إخمادها بنفسه، وأنه في غنى عن أي وحدة إطفاء؟

والآن، لتتخيل في مشهدٍ آخرٍ أخيرٍ أن المبنى يُؤوي جماعةً عدد أفرادها مئتان ونيّف، بينهم القويّ والضعيف، والغني والفقير، لكنّ كلّ واحد منهم لديه دورٌ يؤديه لا يمكن الاستغناء عنه ولا استبداله؛ إذ تتوقف عليه الحياة برمتها داخل المبنى. ماذا لو أنّ الأقوياء والأثرياء منهم وعوا تمامًا أنّ الحرائق تندلع على الدوام، وعلى حين غرة، وأنّ على المبنى برمته أن يكون متهيئًا لها لأن عودة الحياة في المبنى إلى طبيعتها، بعد إخماد الحريق، إنما تتوقف على نجاة القاطنين جميعهم، دون استثناء أحد؟

تلك قصةٌ قصيرةٌ عن مبنى يتشاركه قاطنون شتّى؛ إنه مبنى يظل على الدوام عرضةً لاندلاع حريقٍ في أيّ زاويةٍ من زواياه، حتى في وجود نظامٍ ناشئٍ للإنذار بنشوب الحرائق وإخمادها، وحتى في وجود وحدةٍ إطفاءٍ ناشئةٍ متنازعٍ عليها. ورغم أنّ "معظم النار من مستصغر الشرر"، فإن الشرر، إذا لم يُحتو في بداياته، صار دخانًا، فلهبًا، فحريقًا يهدد المبنى برمته؛ فإذا ما بلغ الأمر مبلغه، ورغم خبرة القاطنين المشتركة في التعامل مع حرائقٍ سابقةٍ، يظل السؤال هو: ماذا لو اندلع حريقٌ داخل المبنى؟

ذلكم المبنى محاكاةٌ للنظام الدولي. وقاطنوه المتفاوتون، بين قوي وضعيف وغني وفقير، هم الدول. والحرائق التي تندلع فيه على الدوام هي الأوبئة والجوائح. ووحدة الإطفاء المتنازع عليها هي منظمة الصحة العالمية. أما نظام الإنذار بنشوب الحرائق وإخمادها، فهو شبكات الإنذار المبكر والاستجابة للأوبئة، التي تنشئها منظمة الصحة العالمية وشركاؤها لرصد الأمراض الوبائية والاستجابة لها سريعًا قبل تفشيها وتحولها إلى أوبئة وجوائح.

2 هذا التعداد غير حصري البتة. للاستزادة، يُنظر في هذا العدد: أحمد قاسم حسين، "النظام الدولي وجائحة كورونا: سجل تأثير الأوبئة في العلاقات الدولية". سياسات عربية. العدد 50 (أيار/مايو 2021)، ص 46. للاطلاع على مادة مفصلة حول تاريخ الأوبئة في القرن العشرين، يمكن العودة إلى كتاب المؤرخ الطبي مارك هونسبيوم، تاريخ الأوبئة: تاريخ العدوى العالمية من الإنفلونزا الإسبانية إلى كوفيد 19، في:

Mark Honigsbaum, *The Pandemic Century: A History of Global Contagion from the Spanish Flu to Covid-19* (UK: Virgin Books Limited, 2020);

وللاطلاع على عرض مقتضب للأوبئة الفتاكّة المعروفة لدينا عبر التاريخ، يمكن العودة إلى المادة التفاعلية التي نشرتها ذي واشنطن بوست، في:

Michael S. Rosenwald, "History's Deadliest Pandemics, From Ancient Rome to Modern America," *The Washington Post*, 22/2/2021, accessed on 1/6/2021, at: <https://wapo.st/3wOIoLq>

وبشأن الأوبئة في التاريخ العربي، يمكن العودة إلى: أحمد العدوي، الطاعون في العصر الأموي: صفحات مجهولة من تاريخ الخلافة الأموية (الدوحة/ بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2018)؛ محمد أبطوي، "دراسة الوباء وسبل التحرز منه: الأوبئة في الطب العربي وفي التاريخ الثقافي"، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2020/6/22، شوهد في <https://bit.ly/2RYifuE>، في: 2021/6/1

3 نستعمل في هذا العدد مصطلح "جائحة كورونا" عندما يتعلق الأمر بالظاهرة في حد ذاتها؛ أي ظاهرة تفشي الجائحة وآثارها المركبة والمتشعبة وسياسات مواجهتها وما إلى ذلك، في حين نستخدم مصطلح فيروس كورونا (مرادفًا لفيروس كوفيد 19)، لما يتعلق الأمر بالسياسات التقنية؛ مثل: سياق الحديث عن العلاج، أو اللقاح (فاللقاح مضاد للفيروس لا للجائحة)، أو لما يتعلق الأمر بالأشهر الثلاثة الأولى لظهوره؛ أي قبل إعلانه جائحةً عالميةً من جهة منظمة الصحة العالمية.

لمكافحة الأمراض والأوبئة خلال العقود الأخيرة، سواء على مستوى توفير الأدوية واللقاحات وتوزيعهما وتحسين نظم الرعاية الصحية الوطنية، أو على مستوى ما صار يُعرف بحوكمة الصحة العامة العالمية. ومع تفشي جائحة كورونا، تكشفنا أكثر فأكثر تلك المفارقة.

وإلى غاية تاريخ صدور هذا العدد، نُشر فيضٌ من الأدبيات التي تتناول جائحة كورونا من منظوراتٍ متباينةٍ جداً⁽⁹⁾، ولا سبيل هنا لخصر هذه المنظورات التي تتعدد بتعدد جوانب الحياة البشرية التي أثر فيها تفشي الجائحة، من السياسة Politics والسياسات Policies، إلى الاقتصاد والتجارة، إلى الأسرة والمجتمع، مروراً بالسفر والتنقل، فالبيئة والعمران، ووصولاً إلى العمل والتعليم، واللائحة تطول.

وفي هذا السياق، يناقش هذا العدد الخاص من دورية سياسات عربية جملة من الإشكاليات التي يثيرها تفشي الجائحة من منظور حقل العلاقات الدولية. ننطلق، بناءً على ما سبق، من ادعاء مفاده أن الجائحة مسألة سياسية في المقام الأول، وأن في القلب من كل ما يتعلق بها تقريباً، تكمن الدولة والعلاقات بين الدول. قد يعترض أحدنا على هذا الادعاء قائلاً إنها مسألة طبية، وقد يحتج آخر بأنها مسألة صحية، وآخر بأنها اجتماعية، وقد يشجب آخر كل ذلك؛ فيحاج بأنها مسألة اقتصادية، أو حتى مسألة أمن قومي. هذه الادعاءات جميعها سليمة، حتى إن بدت اختزالية؛ كل على حدّتها. وقد ينبري أحدنا، في محاولة "لقطع قول كل خطيب"، مدعيًا أنها مسألة معقدة ومتعددة الأبعاد⁽¹⁰⁾. مع ذلك، تجعلنا الجائحة في مواجهة عدد من الأسئلة تجعل بدورها السياسة Politics والسياسات Policies والدولة والعلاقات الدولية تتقدم الأسئلة الأخرى مجتمعةً؛ مثلاً: كيف تفشت الجائحة من دولةٍ إلى أخرى بهذه السرعة وبهذا المدى غير المسبوقين في تاريخ الأوبئة المعروف؟ كيف تصرفت - وتتعرف - الحكومات حيال ذلك؟ ولماذا تتباين استجابات الدول وسياساتها؟ وما أثر تلك السياسات في حياة الناس في كل جانبٍ من جوانبها تقريباً؟ وما دور منظمة الصحة العالمية بوصفها مؤسسة دولية هذا أوان تصدورها المشهد؟ وما حدود التعاون وفرصه بين الدول للحد من تفشيها؟ وحتى مسألة اللقاحات والتلقيح، هل يكفي التفكير فيها بوصفها مسألة علمية وطبية محضة؟ أليست السياسة في قلب كل ما يتعلق بها، بدءاً باكتشافها (من يكتشفها؟ وأين؟ وكيف؟) مروراً

والعشرين⁽⁴⁾. وعلة ذلك، كما هو معروف، هي العولمة؛ فهي لم تجلب معها حسنات الرأسمالية وانفتاح حدود الدول بعضها على بعض فحسب، بل جلبت معها أيضاً سيئاتٍ جمّة، وما فتئت تعرّض العالم للأزمة تلو الأخرى، منذ أن اشتد عودها مع نهاية الحرب الباردة. وتمتد تلك الأزمات إلى مجالات الاقتصاد العالمي والبيئة العالمية، وصارت الآن تطاول الصحة العالمية. قد سبق للعالم أن شهد تفشي أوبئةٍ وجوائحٍ عديدة، لكن لم يشهد العالم من قبل مثل جائحة كورونا وسرعة تفشيها وآثارها الوخيمة التي طالت كل مكان تقريباً، وكل جانبٍ من جوانب الحياة تقريباً. فلا ريب أن العولمة بمختلف مظاهرها ودينامياتها⁽⁵⁾ إنما تسهّل وتسرع، وفي الآن نفسه تكثّف، انتشار المُمْرُضات القاتلة Pathogens، بل إن ديناميات تقويض النظام البيولوجي و/أو البيئي العالمي، تحركها العولمة الرأسمالية أو الرأسمالية العالمية، سمّها ما شئت، إنما تدفع إلى "ظهور أنواعٍ جديدةٍ محتملةٍ من الأمراض الوبائية المخيفة وغير المعروفة سابقاً"⁽⁶⁾.

قبل العولمة، كانت ثمة طواعينٌ وأوبئةٌ، لكنها كانت قليلة النواتج، بطيئة التفشي، (وربما) محدودة الانتشار، وإن كانت أشد فتكاً⁽⁷⁾ فأثارها ظلت محدودة إلى حدٍّ ما. مع العولمة، صارت الأوبئة تتحول إلى جوائح⁽⁸⁾، وزاد تواترها، وغدت أسرع تفشيًا، وأوسع انتشارًا، مع أنها قد تبدو أقل فتكاً مقارنةً بأوبئة القرون الغابرة، لكن المفارقة تكمن في أنها تستمر في التفشي والبطش بأعناق الناس وأرزاقهم رغم التقدم الذي شهدته جهود الدول منفردةً ومتعاونَةً بعضها مع بعض

4 هذا لا ينفي أن "العصر الذهبي" للأوبئة، على حد تعبير عبد الكريم أمكاي، هو القرون الوسطى، إذا ما أخذنا في الحسبان عدد الضحايا التي خلفتها هذه الأوبئة مقارنة بعدد سكان العالم الإجمالي في ذلك الوقت.

5 يشير أحمد قاسم حسين في هذا العدد إلى أن التقدم التكنولوجي المطرد في وسائل نقل الأشخاص عبر القارات، فضلاً عن أطراد سيولة تنقلهم بفعل انفتاح الحدود من ناحية، وأطراد أمهات الهجرة النظامية وغير النظامية من ناحية أخرى - لا يؤدي إلى تسهيل حركة البشر فحسب، بل إلى نمو حركة ناقلات الأمراض سريعة العدوى عبر القارات؛ إذ تتوفر لها فرصة كبيرة للتنقل عبر الرحلات نفسها التي تنقل البشر والمنتجات، ومن ثم الانتشار في أي مكان، وفي كل مكان. فـ "في الوقت الذي يسافر فيه الأفراد وتنتقل المنتجات المختلفة حول العالم بأعداد غير مسبوقه وبسرعات تاريخية، كذلك تفعل الكثير من الكائنات الحية الدقيقة المسببة للأمراض". يُنظر: حسين، ص 46-47.

6 Immanuel Wallerstein, *After Liberalism* (New York: The New Press, 1995), pp. 67-68.

وينظر في هذا العدد: محمد حمشي، "نظريات العلاقات الدولية وجائحة كورونا: أبذة معقّقة في قفان جديدة ونبيذ لم يُعتق" سياسات عربية، العدد 50 (أيار/ مايو 2021)، ص 17-38.

7 يتفق هذا مع ملاحظة عبد الكريم أمكاي في الهامش 4.

8 تميز المعاجم الطبية/ الصحية بين الوباء Epidemic من جهة، بوصفه زيادة غير متوقعة في عدد حالات الإصابة بمرض معين، لكن في نطاق جغرافي محدود، قد يكون دولة أو عددًا ضئيلاً من الدول، والجائحة Pandemic من جهة أخرى، بوصفها تفشيًا لوباء معين في نطاق جغرافي أوسع، يضم عددًا كبيرًا من البلدان والقارات، ينظر:

"Epidemics, Pandemics, and Outbreaks," Medically Reviewed by Jennifer Robinson, *WebMD*, 2/4/2020, accessed on 8/6/2021, at: <https://wb.md/2SFMPcQ>

9 سبق أن أصدر المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات عددتين خاصتين من دورتيّ تبين للدراسات الفلسفية والنظريات النقدية وعُمران للعلوم الاجتماعية يناقشان موضوع الجائحة، يُنظر:

تبين، عدد خاص: الفلسفة والجائحة والمرض، مج 9، العدد 35 (شتاء 2021)، شوهد في: <https://bit.ly/3w5PTgS>؛ عُمران، عدد خاص: إيستيمولوجيا الجائحة، مج 9، العدد 36 (ربيع 2021)، شوهد في 8/6/2021، في: <https://bit.ly/3vcvvhm9>

تسعى هذه المقالة إلى تزويد القارئ بمجموعة من النظرات التي يمكن عبرها فهم الجائحة؛ فإذا ما وضع القارئ نظراً واقعيةً، فذلك تهديدي يقتضي انكفاء الدول على نفسها وتمسكاً أشد بسياسة الاعتماد على الذات، وهي تحدّ عابراً للحدود للنظام الدولي الليبرالي، بمعانيه ومؤسسته، إذا ما وضع نظراً ليبراليةً، وهي بناءً اجتماعياً مفعماً بالمعاني والتأويلات البيزنطية، التي يضيفها عليها الفاعلون تتباين بتباين الخطاب (إنها "ما تصنعه منها الدول") إذا ما وضع نظراً بنائيةً، وإذا ما وضع نظراً التعقيد فهي مشكلةً معقدةً تتطلب استجابةً معقدةً تأخذ في الحسبان التآثر بين النظام الدولي بوصفه نظاماً متمحوراً حول الإنسان من جهة أولى، والطبيعة بوصفها نظاماً غير متمحورٍ حول الإنسان من جهة ثانية، وتأخذ بعين الاعتبار التآثر بين مختلف مستويات الفعل السياسي، المحلي والوطني والإقليمي والعالمي، مثلما تأخذ في الحسبان أيضاً عبور التخصصات المعرفية وتعددها⁽¹³⁾.

مع ذلك، تحتفظ الدراسة بافتراض آخر مفاده "أنّ الوقت لمّا يسمح للقيام بتأمل ذاتي كافٍ لمراجعة ما يمكن مراجعته" في أطروحات نظريات العلاقات الدولية السائدة بشأن الجائحة، "هذا إن كانت (كلها أو بعضها) ستفعل ذلك". غير أننا إذا افترضنا أن الجائحة بدأت ظاهرةً طبيعيةً (أو حتى طبيعيةً أو صحيةً)، ثم انتهى بها المطاف إلى أن صارت ظاهرةً معقدةً متعددة الأبعاد، فإن نظرية التعقد يُمكن أن تعطي زخماً إضافياً للنقاش الحالي بشأن الجائحة؛ وما هذا الخيار النظري إلا مطيةً لإبراز مزايا الانتقائية التحليلية Analytical Eclecticism وفضلها في تشكيل فهم غير اختزالي لجائحة كورونا⁽¹⁴⁾. ولأنّ "النظرية موجودة في كل مكان"⁽¹⁵⁾، على حد تعبير إالين بيدرسن، فإن حضور نظريات العلاقات الدولية لا يقتصر على هذه المقالة (وإن كانت تتخذ منها موضوعاً رئيساً لها)، بل نجدها في كل مقالة من مقالات هذا العدد، خاصة الثانية والثالثة منها، والرابعة بقدر أقل.

2. النظام الدولي وجائحة كورونا

يقدم أحمد قاسم حسين مقالة متعلقة بالنظام الدولي وجائحة كورونا، يحاجّ فيها بأن السجال بشأن النظام الدولي يعود مع كل أزمة ذات أبعاد دولية، مثلما حدث مع نهاية الحرب الباردة ومع الأزمة المالية العالمية عام 2008؛ وهي أزمات "تدفع باحثي العلاقات

بإنتاجها (من يتنجزها؟ وأين؟ ومن يُؤول؟ وكيف تُؤول؟)، وصولاً إلى توزيعها (كيف تُوزع بين الدول وداخل الدول نفسها؟). "إنه لمُثيرٌ للانتباه أن كلّ هذه الأسئلة، وغيرها، إنما هي أسئلة عن الدولة وعن العلاقات بين الدول؛ فضلاً عن أنها أسئلة عن السياسة والسياسات، داخل الدول، وبينها، وعبرها"⁽¹¹⁾.

يتضمن العدد الخاص بأربع مقالات كان العمل عليها أشبه بورشة تفاعلية بين الباحثين المشاركين فيه، ويمكن للقارئ أن يستشف ذلك من خلال تقاطع موضوعاتها وتكاملها واعتمادها بعضها على بعض (عبر الإحالات المتبادلة بينها على وجه الخصوص). تبحث أولى هذه المقالات نظريات العلاقات الدولية والجائحة، والثانية حول الاقتصاد السياسي الدولي والجائحة، والثالثة عن النظام الدولي والجائحة، أما الرابعة فهي عن الشعبوية والجائحة، إضافة إلى ترجمة لمقالة نظرية عن الصحة العامة والصحة العالمية، ومراجعة نقدية لكتاب عن مستقبل الصراع والتنافس والتعاون الدولي بعد الجائحة.

1. نظريات العلاقات الدولية وجائحة كورونا

يستعير كاتب هذه السطور، في المقالة المتعلقة بنظريات العلاقات الدولية وجائحة كورونا، مقولة "نبيذٌ معتقٌ في قنّانٍ جديدةٍ" Old wine in new bottles المنسوبة إلى وصية ذاتعة الصيت للسيد المسيح عليه السلام، مجدداً بأن النظريات الثلاث السائدة، أي الواقعية والليبرالية والبنائية، وخاصةً مع حداثة عهد جائحة كورونا، [قد] لا تقدم سوى المزيد من الشيء نفسه، لذلك فمفهومها للجائحة يشبه "أنبذة مَعْتَقَة" يعبئها أصحابها في "قنّانٍ جديدة". وتحتاج الدراسة لاحقاً بأن "نظرية التعقد، ولأنّ إحكامها في حقل العلاقات الدولية ما يزال مشروعاً في مراحله المبكرة مقارنة بالنظريات السائدة الأخرى، إنما تشبه "نبيذاً لمّا يُعتق". وتلقي الضوء على الطرائق (مشدداً على صيغة الجمع) التي يمكن أن يفكر بها حقل العلاقات الدولية في جائحة كورونا، مفترضة أن فهم طرائق التفكير تلك "يقضي النظر إليها عبر نظرات نظريات العلاقات الدولية. وما دامت الولاءات النظرية تظل قويةً في هذا الحقل المعرفي، فإن من يُفكر يتأثر بصورة أو بأخرى بالنظرية التي يفكر من خلالها"⁽¹²⁾.

11 المرجع نفسه، ص 18. وهذا غرض من فيض. يشير كاتب هذه السطور، في دراسته في هذا العدد، إلى أسئلة أخرى طالما طُلب من المشتغلين في حقل العلاقات الدولية ومختلف تخصصاته الفرعية، منذ البدايات الأولى لتفشي الجائحة وبانتظام، الإجابة عنها لوسائل الإعلام. كان مطلوباً منهم أن يشرحوا العلاقات/ السياسة الدولية التي تقف خلف الاستجابة لتفشي الجائحة؛ لماذا تتباين سياسات الإبلاغ أو الاختبار أو الاستجابة بين الدول؟ إذ كانت ثمة دول تستجيب لتوجيهات منظمة الصحة العالمية ودولٌ ترسم طريقها الخاص؟ وما التداعيات السياسية والاقتصادية والتداعيات المتعلقة بالسفر والتجارة العالمية؟ وهل ثمة سياقات إقليمية وواحة لتصنيف اتجاهات التفشي والاستجابات على حدٍ سواء؟ ينظر: المرجع نفسه، ص 33.

12 المرجع نفسه، ص 18.

13 المرجع نفسه، ص 33.

14 المرجع نفسه، ص 33-34.

تتقاطع هذه المقالة مع مراجعة لورد حبش للكتاب الذي حرره هال براندرز وفرانيسيس غافين (2020)، فيروس كورونا والنظام العالمي: مستقبل الصراع والتنافس والتعاون، الصادرة في هذا العدد أيضًا⁽¹⁹⁾.

3. الاقتصاد السياسي الدولي وجائحة كورونا

تسعى شهرزاد خير في المقالة الثالثة للإجابة عن سؤال الارتباط بين ما هو اقتصادي دولي وما هو سياسي دولي في موضوع الجائحة وآثارها الوخيمة في الاقتصاد العالمي؛ وذلك من خلال عدسة الاقتصاد السياسي الدولي بوصفه حقلًا معرفيًا قائمًا بذاته. ولا يعني هذا أن مسألة استقلالية الاقتصاد السياسي الدولي عن حقل العلاقات الدولية لا تثير حفيظة أحدٍ من المهتمين به، وهي مسألة تناقشها الباحثة بحصافة في هذه المقالة، مقدمًا بذلك إسهامًا نظريًا رصينًا في إعادة التعريف بهذا الحقل الذي ما انفك يواجه أزمة هوية معرفية حادة⁽²⁰⁾. ولمقاربة الجائحة من منظور الاقتصاد السياسي الدولي أهميتها وقيمتها المضافة في النقاش بشأن أثر الأوبئة في الاقتصاد العالمي، وهو نقاش تكاد تهيمن عليه أصوات قادمة من علم الاقتصاد والاقتصاد الدولي، مُشكِّلتها أنها تميل كل الميل إلى الاقتصادي، فتدُرُّ النقاش مُوغلًا في الاختزالية، غير قادرٍ على مقارنة السياسي، وهذان - أي الاقتصادي والسياسي - لما يتعلق الأمر بالعلاقات الدولية، يصيران كالقمح والرؤان، لا سبيل إلى الفصل بينهما⁽²¹⁾.

تبني الباحثة مقالتها على افتراض أن آثار جائحة كورونا الجسيمة في الترتيبات السياسية والاقتصادية العالمية من شأنها أن تدفع حقل الاقتصاد السياسي الدولي نحو "وضع فريد يُمكنه من التفكير في الأثر الاقتصادي العالمي للجائحة لاستكشاف ما يمكن أن تجلبه بحوثه إلى طاولة النقاش"، وتجاج بأن هذا الحقل يمكن أن يقدم إجابات عن الكيفية التي تُشكّل من خلالها "هذه الجائحة (أو تفشل في تشكيل) العلاقات الاقتصادية الدولية؟" مثلما يمكنه، بوصفه حقلًا عابرًا للتخصصات، مساعدتنا في فهم أتماط التغيير والاستمرارية في الاقتصاد والسياسة العالمية في أعقاب الجائحة، فضلًا عن استكشاف إسهامات الحقل في أبحاث الصحة العالمية⁽²²⁾. وانطلاقًا من تعريف الاقتصاد السياسي الدولي باعتباره ذلك التحليل الذي يُنكر الفصل بين السياسة والاقتصاد والمجتمع، تكشف الباحثة في هذه المقالة عن

الدولية إلى اعتقاد مفاده أن لحظة التغيير/ التغير في النظام الدولي قادمة لا محالة، وأن العالم في انتظار العامل "x" القادح الذي سيفجر أزمة نظامية على المستوى الدولي". لا يقتصر هذا العامل القادح على الأزمات الاقتصادية، بل قد يشمل أيضًا مواجهة عسكرية بين قوتين دوليتين، أو تغييرًا في التحالفات الدولية تحافظ الولايات المتحدة من خلاله على موقعها في النظام الدولي، خاصة مع صعود قوى كبرى منافسة أو قوى إقليمية غير قانعة ببنية النظام الدولي القائم. لكن ما لم يأخذه فاعلو النظام الدولي في الحسبان هو أن "متغيرًا عارضًا غير مرئي عابرًا للحدود القومية"، مثل "الوباء"، قد يعيد هيكل العلاقات بين هؤلاء الفاعلين؛ وهو ما يفند الاعتقاد السائد المتمثل بأن الأوبئة ليست إلا "مسألة عابرة للحدود" تفرضها العولمة الاقتصادية، أو تهديدًا أمنيًا بيولوجيًا تواجهه الدولة⁽¹⁶⁾.

هذه المقاربة مهمة جدًا في فهم اتجاهات التغيير/ التغير في النظام الدولي، وهذا ما أجاد الباحث التصدي له في هذه المقالة، وهي - أي المقاربة للجائحة باعتبارها أزمة - مهمة أيضًا في تسويغ مساهمة عبد الكريم أمركاي اللاحقة عن الشعبوية؛ إذ إن الأزمة تُعدُّ عنصرًا أساسيًا من عناصر الشعبوية بوصفها أسلوبًا سياسيًا، على الأقل من وجهة نظر بنيامين موفيت ومن حذا حذوه (وهي مسألة سنعود إليها لاحقًا)، فما بالك بأزمة بحجم تفشي جائحة مثل جائحة كورونا!

بناءً على ذلك، ينبّه الباحث إلى قدرة تلك الأوبئة على التأثير المباشر في بنية النظام الدولي. ومع أنه يحاج بأن الوباء عارضٌ وأنه قد لا يحمل في طياته القدرة على تغيير توزيع القوة الحالي، فإنه يفتح "حوارًا في حقل العلاقات الدولية حول دور الأوبئة، المعدية السريعة الانتقال، في التأثير في بنية النظام الدولي، وقدرته على تكتيف العوامل الأساسية التي تسهم في التغيير/ التغير في النظام الدولي، سواء كانت اقتصادية أم اجتماعية أم سياسية، وفي مناطق مختلفة من العالم"⁽¹⁷⁾.

يُشدّد الباحث، في مقالته، على أن فيروس كورونا ليس هو العامل الأساسي الذي يغير من طبيعة النظام الدولي وتركيبته مستقبلاً، ويرى أنه "متغير وسيط [...] قد يزيد سرعة ظهور العوامل المحفزة النظامية [...] وينقلها من مرحلة الكمون إلى الظهور". ويرى أن تلك العوامل المحفزة النظامية السابقة على ظهور الفيروس الرصيد المتضخم من العوامل التي وصلت إلى مرحلة التراكم الانفجاري [...] في النظام الدولي القائم في انتظار العامل "x" القادح⁽¹⁸⁾. ويعد التنافس الدولي أحد أبرز تلك العوامل التي يحيل إليها الباحث في هذا الصدد. وهنا،

19 يُنظر: لورد حبش، "فيروس كورونا والنظام العالمي: مستقبل الصراع والتنافس والتعاون"، مراجعة كتاب، سياسات عربية، العدد 50 (أيار/ مايو 2021)، ص 169-178.

20 يُنظر في هذا العدد: شهرزاد خير، "الاقتصاد السياسي الدولي وجائحة كورونا: تأملات نظرية ومساءلات مبكرة"، سياسات عربية، العدد 50 (أيار/ مايو 2021)، ص 58-85.

21 هذه العبارة مقتبسة بتصرف من: عزمي بشارة، المجتمع المدني: دراسة نقدية (الدوحة/ بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2017)، ص 19.

22 خير، ص 68-70.

16 حسين.

17 المرجع نفسه، ص 41.

18 المرجع نفسه.

الشعبوية بوصفها أسلوبًا سياسيًا⁽²⁶⁾، نفترض أن الشعبوية تزدهر في فترات الأزمات التي توفر للزعامات والحركات الشعبوية سياقًا خصبًا للانتعاش. فالأزمات والتهديدات، في حد ذاتها، تمنح الشعبوية زخمًا؛ ليس عبر تسويخ المطالبة بالتصرف فورًا واتخاذ إجراءات استثنائية فحسب، بل أيضًا عبر تسويخ خطابات استعداد "الآخر" - أيًا كان المدلول الذي يُمَلَأ به هذا الدال، سواء أكان عدوًا خارجيًا، أم مهاجرين، أم حتى مؤسسات/ ترتيبات دولية - وإلقاء اللوم عليه، ومن ثم التعبئة ضده. هذا تمامًا ما حدث أثناء أزمة تفشي جائحة كورونا، وهو ما يناقشه الباحث في أجزاء مهمة من مقالته. ثانيًا، إن إدراج مبحث عن الشعبوية والجائحة في عدد خاص عن (حقل) العلاقات الدولية تسوغه أيضًا محاولة الإضافة إلى النقاش الذي بدأ منذ مدة ليست قصيرة بشأن الاعتماد المتبادل الذي ينبغي أن يكون بين أبحاث الشعبوية وحقل العلاقات الدولية⁽²⁷⁾. لذلك يمكن أن يطالع القارئ في المقالة الأولى ما ينبغي أن تكون عليه الشعبوية، ما بعد الجائحة، بما هي جزءٌ من برنامج بحث الليبرالية⁽²⁸⁾، مثلما يمكنه أن يطالع في المقالة الثالثة مبحثًا كاملًا عن الشعبوية بوصفها مقوّمًا للتعاون الدولي⁽²⁹⁾، فضلًا عن المقالة الرابعة هذه التي تتخذ من الشعبوية موضوعها الرئيس.

بعد مدخل مفهومي مُحكم البنيان، يُعرّف فيه الباحث مفهوم الشعبوية من خلال مقاربات ثلاث، المقاربة المتعلقة بالأفكار، والمقاربتين التواصلية والاستراتيجية، ينتقل إلى الدفاع عن أطروحته الأساسية. يحاجّ الباحث بأن حجج الذين سارعوا إلى اعتبار أن نجم الشعبوية في "أقول"، بفعل الآثار السياسية لجائحة كورونا، إنما هي حجج واهية، مثلما يجادل بأن أي تحليل للشعبوية في زمن الجائحة يجب أن يميز بين مستويين من التحليل؛ الأول هو التحليل المقارن لطبيعة التدابير التي اتخذتها الحكومات الشعبوية وغير الشعبوية لمواجهة الجائحة وحصيلتها في الدول التي تسيرها تلك الحكومات، أما الثاني فهو تحليل خطاب الحكام الشعبويين أثناء فترة تفشي الجائحة. ثم يقدم الباحث تحليلًا إمبريقًا بالنسبة إلى الحصيلة البشرية للجائحة في ديمقراطيات تسيرها حكومات شعبية وأخرى تسيرها حكومات غير شعبية؛ محاجًا بأنه "إذا كان ثمة شيء يميز

"التهافت [السائد إثر تفشي الجائحة] على التنظير لنهاية النيوليبرالية، وتقديم سردية ضعيفة مستلهمة من أطروحات كينزية، [في محاولة] لاستشراف تداعيات جائحة كورونا على شكل النموذج الذي سيحكم النظام العالمي، وأثرها في دور الدولة ووظيفتها تحديدًا". وبناءً عليه، تُناقح المقالة عن فرضية مفادها أن الدولة "كانت ولا تزال حاضرة في قلب الرأسمالية النيوليبرالية، وأنها حافظت على قواعدها ضمن تيار نيوليبرالي هيترودوكسي، تتجه فيه نحو نيوليبرالية أكثر سلطوية، وترتحل فيه من نيوليبرالية السوق إلى نيوليبرالية الدولة"⁽²³⁾.

ونظرًا إلى أن الصحة يجب أن تُفهم "ضمن السياق الاجتماعي الذي يحدده الاقتصاد السياسي الدولي إلى حد بعيد"، مثلما نفترض الباحثة، فإنها تدعو إلى أن "الاقتصاد السياسي للصحة [ينبغي] أن يكون مركزياً في البحوث الصحية، ما دامت الصحة مسألة عابرة للحدود". وهكذا؛ فيما أن الاقتصاد السياسي الدولي "يفتح الحقل نقاشًا بشأن التفسيرات الممكنة للكشف عن تغير العلاقة التقليدية بين الدولة والسوق والتفكير في كيفية تحسين الوضع الصحي العالمي، فإنه يدفع أيضًا نحو المزيد من الاهتمام بوضع تصورات للعلاقة بين الملكية الفكرية والحق في إتاحة اللقاح"⁽²⁴⁾. وتطمع الباحثة هذه المقالة بمباحث أخرى ضمن مجال اهتمام الاقتصاد السياسي الدولي؛ منها ما يتعلق بالدور المتغير للدولة والسوق في تحسين الرعاية الصحية، ومنها ما يناقش ترتيبات التعاون الدولي في مجال الصحة العالمية زمن الجائحة وما بعدها، كما تخصص مبحثًا خاصًا لمناقشة الشعبوية القومية بوصفها مقوّمًا للتعاون الدولي في مواجهة جائحة كورونا؛ ما يجعلها تتقاطع على نحو جلي مع المقالة الرابعة في هذا العدد⁽²⁵⁾.

4. الشعبوية وجائحة كورونا

يتصدى عبد الكريم أمناكي في المقالة الرابعة للبحث في الشعبوية وعلاقتها بجائحة كورونا، فضلًا عن فحص اتجاهاتها، خطابًا وممارسةً، في زمن الجائحة. لماذا تُنجز مقالة عن الشعبوية في عدد خاص عن (حقل) العلاقات الدولية؟ أولًا، استنادًا إلى ما تقدّم بشأن المقاربة للجائحة بوصفها أزمةً، واستنادًا أيضًا إلى أعمال بنيامين موفيت عن

26 ينظر على سبيل المثال لا الحصر:

Benjamin Moffitt, *The Global Rise of Populism: Performance, Political Style, and Representation* (Stanford, CA: Stanford University Press, 2016).

27 ينظر في هذا السياق: فرانك أ. ستنجل وديفيد ب. ماكدونالد وديرك نابرس (محررين)، *الشعبوية والسياسة العالمية: سبر الأبعاد البنينة والعابرة للحدود*، ترجمة محمد حمشي (الدوحة/ بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2021 [يصدر قريبًا]).

28 ينظر: حمشي، "نظريات العلاقات الدولية وجائحة كورونا"، ص 22.

29 ينظر: خير، ص 78-80.

23 المرجع نفسه.

24 المرجع نفسه، ص 60.

25 تكرر شهرزاد خير أيضًا، مبحثًا للنماذج الاقتصادية التي تحاكي مسارات انتشار الأوبئة، والتي من شأنها تزويد صانعي السياسات بالتنبؤات الكمية الممكنة لمواجهة جائحة ناشئة، ويأتي في طبيعتها نموذج فريق بحث إمبريال كوليدج، ونموذج فريق بحث جامعة جونز هوبكنز. ينظر: المرجع نفسه، ص 72-75.

لأنهم هم المطالبون باتخاذ التدابير الصائبة للخروج من الأزمة⁽³²⁾. وقد حدث هذا مراراً وتكراراً خلال السنة الأخيرة من فترة رئاسة دونالد ترامب، سواء مع الصين أو مع منظمة الصحة العالمية، وهو ما يناقشه الباحث في الشطر الثاني من مقالته هذه.

فضلاً عن ذلك، يضم هذا العدد ترجمةً، أعدتها سارة إسماعيل، لدراسة نشرها ديفيد فيدلر - وهو أستاذ فخري في كلية الحقوق، جامعة إنديانا - في دورية النظرية الاجتماعية والصحة، بعنوان "الأمراض والفوضى المعومة: مقاربات نظرية للصحة العالمية". وهي دراسة تبحث في الإجابة عن أسئلة نظرية تثيرها الدعوة المتزايدة لوضع الصحة العامة على الأجندات الدبلوماسية، من قبيل: "لماذا ينبغي أن تتصدر الصحة العامة الأجندات الدبلوماسية العالمية؟ وكيف ينبغي ضبط المساعي الرامية لبلوغ صحة عامة أفضل وتنفيذها على صعيد عالمي؟". كما يحلل فيدلر المشكلات التي يفرضها السياق الفوضوي للعلاقات الدولية على الإجابة عن هذه الأسئلة، مستعيناً بـ "نظريات من حقل العلاقات الدولية، الواقعية والمؤسسية والليبرالية والبنائية الاجتماعية، لإلقاء الضوء على تحديات نظرية تواجه الدعوة إلى دعم قضايا الصحة العالمية من أجل إضفاء أهمية أكبر على الصحة العامة في السياسة العالمية"⁽³³⁾.

إضافة إلى ذلك، تقدم لورد حبش، ضمن هذا العدد، مراجعة نقدية للكتاب الجماعي، فيروس كورونا المستجد (كوفيد-19) والنظام العالمي: مستقبل الصراع والتنافس والتعاون، الذي حرره هال براندز وفرانيس غافين، وصدر عن منشورات جامعة جونز هوبكينز⁽³⁴⁾. هذا الكتاب هو نتاج مؤتمر افتراضي جمع، في حزيران/ يونيو 2020، ثلة من الباحثين والسياسيين لتدارس مستقبل النظام العالمي بعد جائحة كورونا. ويقدم الكتاب رؤى متعلقة بسؤال مفتاحي، هو: "إلى أين تتجه الولايات المتحدة الأمريكية والنظام الدولي الليبرالي بعد جائحة كورونا؟"⁽³⁵⁾. أخيراً، يتضمن هذا العدد، أيضاً، قراءة أعدتها وحدة استطلاع الرأي العام في المؤشر العربي، الذي يصدره المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، في اتجاهات الرأي العام في المنطقة العربية نحو الأداء الحكومي في مجال السياسات العامة

32 المرجع نفسه، ص 108.

33 ينظر في هذا العدد، ديفيد ب. فيدلر، "الأمراض والفوضى المعومة: مقاربات نظرية للصحة العالمية"، ترجمة سارة إسماعيل، سياسات عربية، العدد 50 (أيار/ مايو 2021) ص 109-124.

34 ينظر:

Hal Brands & Francis J. Gavin (eds.), *Covid-19 and World Order: The Future of Conflict, Competition, and Cooperation* (Baltimore, Maryland: Johns Hopkins University Press, 2020).

35 ينظر: حبش.

الزعماء الشعبويين في التعامل مع هذه الجائحة، فيجب البحث عنه على مستوى الخطاب، وليس على مستوى التدابير المتخذة لمواجهةها"⁽³⁰⁾. ومن هنا تأتي دلالات عنوان المقالة "شعبويو السلطة وجائحة كورونا بين اعتيادية التدابير وخصوصية الخطاب"؛ إذ تشدد على ضرورة التمييز بين الشعبويين الممسكين بزمام السلطة والقابعين في المعارضة من ناحية أولى، وعلى أن التحليل الإمبريقي يبين أن التمايز بينهم لا يكمن في مستوى تدابير مواجهة الجائحة بقدر ما يتجلى في مستوى الخطاب الذي ميز "شعبويي السلطة" منذ بداية الأزمة من ناحية أخرى.

ينتقل الباحث إلى حالة الإدارة الأمريكية للجائحة بقيادة الرئيس دونالد ترامب، بوصفه "النموذج المثالي، بالمعنى الفيبري للمصطلح، للزعماء الشعبويين الذين صادف انطلاق الجائحة وجودهم في السلطة في الديمقراطيات الغربية الليبرالية". ومرة أخرى، يحاجّ الباحث بأن "ما ميز تعامل الرئيس ترامب مع الجائحة ليس طبيعة الإجراءات التدبيرية التي اتخذتها إدارته، بل عناصر الخطاب التي وظفها؛ إذ كان ثمة من جهة 'خطاب منفصم' يناقض الإجراءات العملية التي استُخدمت لمواجهة الجائحة. ومن جهة أخرى، كان ثمة 'خطاب إثبات' وظف فيه 'الأصل الأجنبي' [الصيني بطبيعة الحال] للجائحة بغرض تعزيز المشروعية السياسية [لفكرة الخطر الخارجي]"⁽³¹⁾.

وما يضع هذه المقالة في لب العدد، فضلاً عما سبق تسويغ، هو تأملاتها في خطاب سياسة ترامب الخارجية زمن جائحة كورونا؛ إذ يعود الباحث ليدركنا بأن "التضاد بين نحن وهم [أو بين الأنا والآخر، الذي يعد ركيزة الشعبوية في الزمن السياسي العادي، [إمّا] يزداد حدة في زمن الأزمات". وهكذا يخلص إلى أن "الآخر"، الذي يتحمل اللوم بوصفه "المسؤول عن الأزمة في الخطاب الشعبوي ليس فقط النخب الحاكمة المتهمه بالتقصير في توفير الحل، بل هو كذلك كل العناصر التي لا تنتمي إلى 'الشعب الخالص'، سواء أكانت هذه العناصر داخلية أم خارجية"؛ فالآخر الذي يصير بفعل الخطاب عدوًا، قد يكون أيضاً من المهاجرين أو اللاجئين، وقد يكون دولة أو مجموعة دول أو منظمات دولية أو شركات متعددة الجنسيات أو مؤسسات فوق وطنية على غرار الاتحاد الأوروبي. وكل ذلك في سبيل تحويل الانتباه عن المساءلة التي قد يتعرض لها شعبويو السلطة؛

30 ينظر في هذا العدد: عبد الكريم أمناكي، "شعبويو السلطة وجائحة كورونا: بين اعتيادية التدابير وخصوصية الخطاب، حالة الولايات المتحدة تحت إدارة دونالد ترامب"، سياسات عربية، العدد 50 (أيار/ مايو 2021)، ص 103.

31 المرجع نفسه، ص 88.

المراجع

العربية

أبطوي، محمد. "دراسة الوباء وسبل التحزُّز منه: الأوبئة في الطب العربي وفي التاريخ الثقافي". المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات. 2020/6/22. في: <https://bit.ly/2RYifuE>

أمناكي، عبد الكريم. "شعبويو السلطة وجائحة كورونا: بين اعتيادية التدابير وخصوصية الخطاب، حالة الولايات المتحدة تحت إدارة دونالد ترامب". سياسات عربية. العدد 50 (أيار/ مايو 2021).

بشارة، عزمي. المجتمع المدني: دراسة نقدية. الدوحة/ بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2017.

تبيين. عدد خاص: الفلسفة والجائحة والمرض. مج 9، العدد 35 (شتاء 2021). في: <https://bit.ly/3w5PTgS>

حبش، لورد. "فيروس كورونا والنظام العالمي: مستقبل الصراع والتنافس والتعاون". مراجعة كتاب. سياسات عربية. العدد 50 (2021).

حسين، أحمد قاسم. "النظام الدولي وجائحة كورونا: سجال تأثير الأوبئة في العلاقات الدولية". سياسات عربية. العدد 50 (أيار/ مايو 2021).

حمشي، محمد. "نظريات العلاقات الدولية وجائحة كورونا: أنبذة معتقة في قنان جديدة ونبيذ لما يُعتَق". سياسات عربية. العدد 50 (أيار/ مايو 2021).

خير، شهرزاد. "الاقتصاد السياسي الدولي وجائحة كورونا: تأملات نظرية ومساءلات مبكرة". سياسات عربية. العدد 50 (أيار/ مايو 2021).

ستنجل، فرانك أ. وديفيد ب. ماكdonald وديرك نابرس محررون. الشعبوية والسياسة العالمية: سر الأبعاد البيئية والعبارة للحدود. ترجمة محمد حمشي. الدوحة/ بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2021 [يصدر قريباً].

العدوي، أحمد. الطاعون في العصر الأموي: صفحات مجهولة من تاريخ الخلافة الأموية. الدوحة/ بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2018.

عُمران. عدد خاص: إستيمولوجيا الجائحة. مج 9، العدد 36 (ربيع 2021). في: <https://bit.ly/3vcvhm9>

والخدمات الأساسية (استطلاع 2020/2019). وتركز هذه القراءة على إبراز العلاقة بين تقييم الأداء الحكومي والثقة بالحكومات؛ وترتيب الخدمات العامة ضمن أولويات مواطني المنطقة العربية؛ ثم تحاول رصد مجموعة من دلالات اتجاهات الرأي العام العربي نحو الخدمات الصحية الحكومية والثقة بالحكومات بشأن سلوك المواطنين أثناء فترة تفشي جائحة كورونا.

والآن، دعونا نختم مقدمة هذا العدد من حيث بدأناها، القصة القصيرة التي جاءت في مستهلها. لطالما شُبه العالم، زمن العولمة، بالقرية الصغيرة، وبالحى الكبير، لكن الجوائح، من صنو جائحة كورونا، تجعله أشبه مبنى واحدٍ فيه قاطنون في شقق؛ بعضها فخمٌ، والآخر وضيعٌ، بل فيه من يقطن الأقبية أيضاً. فإذا ما اندلع حريقٌ فيه ولم يكن ثمة نظامٌ إنذارٍ وإخمادٍ فعال، ولم تُحتَوِ شرارته الأولى، ثم أجهض دور وحدة الإطفاء، لم يُسمع للقاطنين حسيسٌ حينها، إلا أن ينبعثوا نحو المخرج بصرخون من فزعٍ، "نفسى، نفسى!". قد لا يتداعى المبنى على رؤوس الجميع، وقد ينجو من ينجو ويهلك من يهلك، لكن الحياة في المبنى، بوصفه جماعة من القاطنين، قد لا تعود إلى ما كانت عليه، أما رأبُ ما أفسده الحريق فتلك معضلةٌ أخرى. وهذا ما يمكن تعلُّمه من (حقل) العلاقات الدولية.

فيدلر، ديفيد ب. "الأمراض والفوضى المعومة: مقاربات نظرية للصحة العالمية". ترجمة سارة إسماعيل. *سياسات عربية*. العدد 50 (أيار/ مايو 2021).

الأجنبية

Brands, Hal & Francis J. Gavin (eds.). *Covid-19 and World Order: The Future of Conflict, Competition, and Cooperation*. Baltimore, Maryland: Johns Hopkins University Press, 2020.

Honigsbaum, Mark. *The Pandemic Century: A History of Global Contagion from the Spanish Flu to Covid-19*. UK: Virgin Books Limited, 2020.

Hopf, Ted. "The Promise of Constructivism in International Relations Theory." *International Security*. vol. 23, no. 1 (Summer 1998).

Moffitt, Benjamin. *The Global Rise of Populism: Performance, Political Style, and Representation*. Stanford, CA: Stanford University Press, 2016.

Pedersen, Elaine L. "Theory is Everywhere: A Discourse on Theory." *Clothing and Textiles Research Journal*. vol. 25, no. 1 (2007).

Wallerstein, Immanuel. *After Liberalism*. New York: The New Press, 1995.

محمد حمشي | Mohammed Hemchi*

نظريات العلاقات الدولية وجائحة كورونا: أنبذة معتقة في قنان جديدة ونبيذ لما يُعتق

International Relations Theories and the Pandemic: Old Wines in New Bottles and an Aging Wine

تناقش هذه الدراسة الطرائق التي يمكن أن تفكر بها نظريات العلاقات الدولية في جائحة كورونا، وهي تستعير مقولة "نبيذ معتق في قنان جديدة" مجادلةً بأن النظريات الثلاث السائدة، أي الواقعية والليبرالية والبنائية، وخاصةً مع حداثة عهد جائحة كورونا، لا تقدم سوى المزيد من الشيء نفسه؛ وأن نظرية التعقد، ولأن إقحامها في حقل العلاقات الدولية ما يزال مشروعاً في مراحله المبكرة، إنما تشبه النبيذ الذي لما يُعتق. وتخلص الدراسة إلى أن المقاربة الواقعية لهذه الجائحة تقدمها بوصفها تهديداً يقتضي انكفاء الدول على نفسها وتمسكها بسياسة الاعتماد على الذات؛ وأن مقاربتها من منظور ليبرالي تعني التعامل معها باعتبارها تحدياً عابراً للحدود للنظام الدولي الليبرالي، بمعاييره ومؤسسته؛ في حين أن المقاربة البنائية تقدمها باعتبارها بناءً اجتماعياً، فهي "ما تصنعه منها الدول". أخيراً، تحتاج الدراسة بأن نظرية التعقد تقدم الجائحة بوصفها مشكلة معقدة تتطلب رؤية انتقائية تحليلية.

كلمات مفتاحية: نظريات العلاقات الدولية، جائحة كورونا، الواقعية، الليبرالية، البنائية، نظرية التعقد.

This study debates how international relations theories think about the Covid-19 pandemic. It argues that the three mainstream theories, i.e. realism, liberalism and constructivism, have nothing to offer but more of the same thing. They are assumed to be like old wine in new bottles. However, complexity theory, since its engagement in the IR field is still a project in its early stages, is like aging wine that has yet to mature. The study concludes that a realist approach presents the pandemic as a threat that requires states to adhere more to self-help politics; a liberal approach presents it as a transnational challenge to the liberal International Order and its norms and institutions; while a constructivist approach presents it as a social construction; it is "what states make of it." Finally, the study argues that complexity theory introduces the pandemic as a complex issue that requires an analytical eclectic view.

Keywords: International Relations Theories, Covid-19, Pandemic, Realism, Liberalism, Constructivism, Complexity Theory.

* باحث، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، وأستاذ مساعد، برنامج العلوم السياسية والعلاقات الدولية، معهد الدوحة للدراسات العليا.
Researcher at the Arab Center for Research and Policy Studies and Assistant Professor, Political Science and International Relations, Doha Institute.

مقدمة⁽¹⁾

الفرعية⁽⁵⁾: كيف تفتّشت هذه الجائحة من دولة إلى أخرى، بهذه السرعة، وبهذا المدى، غير المسبوقين في تاريخ الأوبئة المعروف؟ وكيف تتصرف حكومات الدول حيال ذلك؟ ولماذا تتباين استجابات الدول وسياساتها؟ وما أثر تلك السياسات في حياة الناس في كل جانب من جوانبها تقريباً؟ وما دور منظمة الصحة العالمية بوصفها مؤسسة دولية؟ وما حدود التعاون بين الدول للحدّ من تفشيها؟ وحديثاً، يمثّل الجدل بشأن توزيع اللقاحات بين الدول، وداخل الدول نفسها، سؤالاً آخر يتجاوز مجرد ترقّب اكتشاف اللقاحات نفسها. وإنه لمثير للاهتمام أن كلّ هذه الأسئلة وغيرها إنما هي أسئلة عن الدولة وعن العلاقات بين الدول؛ فضلاً عن أنها أسئلة عن السياسة والسياسات، داخل الدول، وبينها، وعبرها، وحواليها.

تسعى هذه الدراسة لإلقاء الضوء على الطرائق التي يمكن أن يفكر بها حقل العلاقات الدولية في جائحة كورونا. وقد تطوّر هذا الحقل، خلال المئة سنة الأخيرة التي شكّلت تاريخه المؤسسي بوصفه تخصصاً أكاديمياً، عبر عدد من النظريات والنقاشات النظرية المتعاقبة التي لا تخلو من جدل بشأنها. غير أن هذا ليس موضوع الدراسة؛ إذ ما يهمننا هنا هو أن فهم الطرائق التي يمكن أن يفكر بها الحقل في الجائحة (بصيغة الجمع)، يقتضي، النظر إليها عبر نظرات نظريات العلاقات الدولية؛ وطالما أن الولاءات النظرية تظل قوية في هذا الحقل المعرفي، فإن من يفكر يتأثر بالنظرية التي يفكر من خلالها. وتركز الدراسة على أربع نظريات أساسية؛ ثلاث منها ضمن الاتجاه السائد في حقل العلاقات الدولية Mainstream، أي الواقعية والليبرالية والبنائية؛ والرابعة آخذة في التأثير في أدبيات الحقل منذ مطلع هذا القرن، وهي نظرية التعقد⁽⁶⁾. وأدرج نظرية النظام-العالم ضمن منظور التعقد، حيث سبق أن حاج إيمانويل فالرشتاين، أحد أبرز مطوّريها، بأن مفهومه عن النظام-العالم ينبغي أن يفهم في إطار هذا المنظور.

5 لا تفحص هذه الدراسة أبداً من هذه الحقول المعرفية الفرعية، إنما تركز اهتمامها على حقل العلاقات الدولية. ولا ينفي هذا أن حقولاً فرعية عدة (س) تشهد نقاشات مكثفة حول ما تعنيه جائحة كورونا بالنسبة إلى برامجها البحثية المختلفة، خصوصاً الدراسات الأمنية (والاستراتيجية) والاقتصاد السياسي الدولي والمؤسسات الدولية والاندماج الإقليمي وتحليل النزاعات. وفي هذا السياق، تقدّم شهرزاد خير، مساهمة مميزة عن حقل الاقتصاد السياسي الدولي. ينظر في هذا العدد: شهرزاد خير، "الاقتصاد السياسي الدولي وجائحة كورونا: تأملات نظرية ومساءلات مبكرة"، سياسات عربية، العدد 50 (أيار/ مايو 2021)، ص 58-85. لكن هذا لا ينفي في نهاية المطاف أن هذه الأسس النظرية لهذه الحقول المعرفية الفرعية تستند إلى النظريات والنقاشات النظرية نفسها التي يقوم عليها حقل العلاقات الدولية.

6 لا تقع هذه الدراسة ضمن حقل إستيمولوجيا نظريات العلاقات الدولية؛ لذلك، فهي لا تشترك مع الإشكاليات الإستيمولوجية التي طرحها مثلاً تسمية البنائية والتعقد نظريتين في العلاقات الدولية، أو التي يثيرها تصنيف البنائية ضمن الاتجاه السائد من دون الالتفات إلى تنوعاتها العقلانية والتأملية/ النقدية.

كثيراً ما مثّلت سنوات بعينها لحظات تاريخية حاسمة، أثّرت في سيرورة التاريخ، وصيّرت ما بعدها مختلفاً عما قبلها، وغالباً ما كان التغيير الذي جلبته معها سريعاً (يستغرق حدوثة فترة زمنية قصيرة) وجذرياً (يعصف بجوانب جمّة من حياة الناس). ومع أن الاتفاق بشأن حصر تلك السنوات وأهمية التغيير الذي أحدثته يظل بعيد المنال، فإن هذا الاتجاه في التأريخ والتحقيب يبقى سائداً في الأدبيات. حدث ذلك، على سبيل المثال لا الحصر أو المقارنة، في أعوام 1648 و1815 و1914 و1945 و2001 و2008⁽²⁾ و2011. وجاء عام 2020، مع تفشّي جائحة كورونا، ليضيف لحظة تاريخية فارقة أخرى، ويثير نقاشات تبدو الآن أقرب إلى الجلبية منها إلى التبادل المعرفي الحثيف، حيث يتحدث الجميع من دون أن ينصت أحد منهم إلى الآخر.

أثّر تفشي جائحة كورونا في كلّ شيء؛ في السياسة Politics والسياسات Policies، والاقتصاد والتجارة، والأسرة والمجتمع، والسفر والتنقل، والبيئة والعمران، والعمل والتعليم. وما دام الأمر يتعلق بكلّ شيء، فلا مجال للحصر هنا. لذلك، من غير المفاجئ أن لدى الجميع ما يقولونه عن الجائحة وآثارها؛ علماء الطب والبيولوجيا، والاقتصاد والاجتماع، والنفوس، والمهندسون، وعلماء البيئة، والفلاسفة ورجال الدين، ولا أحد طبعاً يمكنه ادّعاء القدرة على حصر هذه اللائحة أيضاً.

مع ذلك، ما فتئ علماء السياسة والعلاقات الدولية يتصدّرون منابر النقاش السائد بشأن الموضوع⁽³⁾؛ ذلك أن الأسئلة الأساسية التي يطرحها تفشّي الجائحة وتحدي مواجهتها تقع في صميم اختصاص علم السياسة والعلاقات الدولية⁽⁴⁾، بمختلف حقوله المعرفية

1 أُعبر عن تقديري للملاحظات والتعقيبات على مسودة هذه الدراسة التي تفضّل بها كل من عبد النور بن عنت وشهرزاد خير وأحمد قاسم حسين، فضلاً عن المحكّمين المغفّلة هويتهما، وأتحمّل وحدي مسؤولية أي قصور وارد في النص. وأشكر أيضاً مايكل سكوت على ملاحظته القيمة على عنوانها باللغة الإنكليزية.

2 Daniel W. Drezner, "The Song Remains the Same: International Relations after COVID-19," *International Organization*, vol. 74, no. S1 (December 2020), p. E18, accessed on 27/6/2021, at: <https://bit.ly/3A5ries>

3 لا شك في أن الصدارة يحتلها، قبل هؤلاء أو أولئك، الأطباء وعلماء البيولوجيا في المقام الأول. غير أن منابر الإعلام، بمختلف روافده، شهدت هرجاً اختلط فيه حابل المتخصصين في الفيروسات يتحدثون عن السياسة والاقتصاد، بنابل غير المتخصصين في الفيروسات يتحدثون عن أصل الجائحة ومواقيت انحسارها.

4 أشار أحد مُحكّمي هذه الدراسة إلى أن "هذا أمرٌ مبالغ فيه"، وحاجّ بأن "المسألة طبية وعلمية في جوهرها قبل أن تكون لها أبعاد سياسية واقتصادية، فلو تمكّنت مثلاً المخابر من توفير لقاح يقضي على الجائحة (في بداياتها)، لما تار هذا النقاش كله". وإنه لمُصيب في ذلك. لكن الدراسة تخاطب الظاهرة كما هي عليه، لا كما كانت لتكون عليه لو حدث ذلك؛ فما دام المرض تحوّل إلى وباء فجائحة، وطالما أن هذه الأخيرة أحدثت من الآثار السياسية والاقتصادية ما أحدثت، فلا مناص من البحث فيها بوصفها ظاهرة متعددة الأبعاد، أو لتُقلّ معقدة، مثلما يستجلى في هذه الدراسة.

يناقش الأول الطرائق التي يمكن أن تفكر بها النظريات الثلاث السائدة في جائحة كورونا؛ في حين يناقش الثاني ما تُدلي به نظرية التعقّد.

أولاً: نظريات العلاقات الدولية السائدة وجائحة كورونا: أنبذة معتقة في قنان جديدة

يناقش هذا المبحث ما يمكن أن تقدمه نظريات العلاقات الدولية المهمة على الحقل من تفسيرات و/ أو فهم، للتفكير في تفشي جائحة كورونا. وأنطلق ها هنا من افتراض مفاده أن هذه النظريات، وبسبب حداثة الجائحة، تقدّم المزيد من الشيء نفسه، وأن الوقت لمّا يسمح للقيام بتأمل ذاتي كافٍ لمراجعة ما يمكن مراجعته في أطروحاتها الأساسية بشأن الموضوع، هذا إن كانت (كلّها أو بعضها) ستفعل ذلك⁽⁹⁾. ويتناول هذا المبحث أيضاً النظريات الرئيسة السائدة في الحقل المعرفي: الواقعية والليبرالية والبنائية⁽¹⁰⁾. ولأوضّح مسألة أساسية من البداية؛ إن الوقت لا يزال مبكراً لقراءة إسهامات هذه النظريات، وباستثناء النزر اليسير مما نُشر في الدوريات المُحكّمة المتخصصة في العلاقات الدولية، ما يبقى بين أيدينا لا يتعدى تأملات نظرية لمّا تنضج. لذلك، فإن ما تقدمه هذه الدراسة لا يتجاوز حدود هذه التأملات.

1. الواقعية

تفترض الواقعية، على اختلاف تنويعاتها، أن السياسة الدولية صراعٌ بين دول تعتمد على نفسها ضمن نظام دولي فوضوي البنية، يترتب

9 من شأن مسح سريع لأبرز الدوريات المحكمة المتخصصة في حقل نظريات العلاقات الدولية، إلى نهاية عام 2020، أن يشي بهذا؛ باستثناء العدد الخاص المخصص للجائحة الذي نشرته دورية *التنظيم الدولي International Organization*، الذي تضمن مجموعة مقالات لا تبدو مشحونة نظرياً Theory-laden، ينظر:

International Organization, vol. 74, no. S1 (December 2020), accessed on 8/2/2021, at: <https://bit.ly/3wDUqqA>

باستثناء مقالة روث ديرموند عن الواقعية في زمن الجائحة، ينظر:

Ruth Deyermund, "Eppur si muove: Realism in the Age of Pandemic," *New Perspective*, vol. 28, no. 4 (2020), pp. 486-490.

ثمّة أيضاً عدد معتبر من أوراق تحليل السياسات غير المشحونة نظرياً أيضاً، التي نشرت في عام 2020، وكتب بعضها منظرون من مختلف الاتجاهات النظرية السائدة في الحقل، ويمكن الاطلاع على عشرات الأوراق المتّاحة على موقع مجلس العلاقات الخارجية، ينظر:

"Peace, Conflict, and COVID-19," The Center for Preventive Action, Council on Foreign Relations, 18/8/2020, accessed on 8/2/2021, at: <https://on.cfr.org/3pj0P6K>

10 لا أحيل بصورة مفصلة إلى المصادر حين أعرض الافتراضات الأساسية التي تقوم عليها هذه النظريات. وما على القارئ الذي يودّ الاستزادة إلا العودة، على سبيل المثال لا الحصر، إلى: تيم دان وميليا كوركي وستيف سميت (محررون)، *نظريات العلاقات الدولية: التخصص والتنوع*، ترجمة ديماء الخضراء، سلسلة ترجمان (الدوحة/ بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2016).

أستخدمُ الأمثلة الدارجة، المنسوبة إلى السيد المسيح (عليه السلام)، حين قال ما معناه: "لا تَصَعَنَّ نبيدًا جديدًا في قنانٍ عتيقة، وإلا تصدعت القناني، وتسربَّ النبيذ؛ ولكن، ضع النبيذَ الجديدَ في قنانٍ جديدة، فتستقيهما معاً" (لوقا، الفصل 5: 33). إنها كناية، أمْلُ أن تُفصح عن فرضية هذا البحث. وأفترض أن النظريات الثلاث السائدة (الواقعية والليبرالية والبنائية)، خصوصاً مع حداثة جائحة كورونا، لا تقدّم سوى المزيد من الشيء نفسه. لذلك، تشبه أفكارها بشأن الجائحة "الأنبذة المُعتقة"، يُعبئها أصحابها في "قنانٍ جديدة". وفي حين أحاجُ بأن نظرية التعقّد - ولأن إقحامها في حقل العلاقات الدولية لا يزال مشروعاً في مراحله المبكرة مقارنةً بالنظريات الأخرى - إنما تشبه "نبيدًا لمّا يُعتق". وأستخدم "لمّا" في هذه العبارة بصفتها أداةً نافيةً تجزّم الفعل المضارع وتقلبه إلى فعلٍ ماضٍ ممتدّ حتى وقت الحديث، مع توقّع حدوثه في المستقبل القريب⁽⁷⁾. وأزعم أن هذا المعنى ينطبق تماماً على نظرية التعقّد، خاصة إذا أخذنا في الحسبان النمو المتزايد الذي تعرفه الأدبيات المنشورة التي توظف هذه النظرية، سواء في حقل العلاقات الدولية أم في غيره من حقول المعرفة الاجتماعية⁽⁸⁾. وبناءً على ما سبق، تنتظم مباحث هذه الدراسة في مبحثين أساسيين.

7 "تعريف ومعنى لمّا"، معجم المعاني، شوهد في 2021/2/8، في: <https://bit.ly/37cO7jD>

8 للاطلاع على مسح لأبرز هذه الأدبيات في حقل العلاقات الدولية، ينظر: محمد حمشي، "نظرية التعقّد والنقاش النظري الخامس في حقل العلاقات الدولية: مراجعة للأدبيات"، *المجلة الجزائرية للأمن والتنمية*، العدد 7 (كانون الثاني/يناير 2018)؛ وفي خريف 2020، نشرت مجلة الألفية: دورية الدراسات الدولية *Millennium: Journal of International Studies* مجموعة خاصة من الأوراق، تناقش ما صار يُعرف بحقل العلاقات الدولية الكومومي/ الكوانتي quantum IR في كتاب لورا زانوتي، *التشابكات الأنطولوجية والفاعلية والأخلاق في العلاقات الدولية*:

Laura Zanotti, *Ontological Entanglements, Agency, and Ethics in International Relations: Exploring the Crossroads* (London: Routledge, 2018), p. 156.

واقحام مفاهيم فيزياء الكوانتوم وافتراضاتها واستبصاراتها في حقل العلاقات الدولية، يُعدّ جوهر مشروع نظرية التعقّد في العلاقات الدولية. ينظر:

Michael P.A. Murphy, "Forum on Laura Zanotti, Ontological Entanglements, Agency, and Ethics in International Relations: Exploring the Crossroads (Routledge, 2019)," *Millennium: Journal of International Studies*, vol. 49, no. 1 (2020), pp. 117-125; Laura Sjöberg, "Quantum Ambivalence," *Millennium: Journal of International Studies*, vol. 49, no. 1 (2020), pp. 126-139; Elisabeth Prügl, "The Gender Thing: Apparatuses and Intra-Agential Ethos," *Millennium: Journal of International Studies*, vol. 49, no. 1 (2020), pp. 140-150; Sengül Yıldız-Alanbay, "The Matter of Affect in the Quantum Universe," *Millennium: Journal of International Studies*, vol. 49, no. 1 (2020), pp. 151-161; Chris McIntosh, "Writing Quantum Entanglement into International Relations," *Millennium: Journal of International Studies*, vol. 49, no. 1 (2020), pp. 162-174; Michael P.A. Murphy, "Quantising Post-critique: Entangled Ontologies and Critical International Relations," *Millennium: Journal of International Studies*, vol. 49, no. 1 (2020), pp. 175-185; Laura Zanotti, "A Response to the Millennium Forum," *Millennium: Journal of International Studies*, vol. 49, no. 1 (2020), pp. 186-193.

في الاتجاه نفسه أيضاً، ينظر حديثاً:

Chengxin Pan, "Unfolding wholes in Parts: Quantum Holography and International Relations," *European Journal of International Relations*, vol. 26, no. S1 (2020).

وبشيء من خيبة الأمل، وهم يتابعون انهيار معايير التعاون/ التضامن الإقليمي التي قام عليها الاتحاد الأوروبي؛ فبمجرد أن طلبت إيطاليا يد العون من جيرانها الأوروبيين، وهي ترزح تحت وطأة الجائحة، أملاً في تزويدها بالإمدادات الطبية الضرورية، لم تتلق سوى الإجابة التي ما توفّع الواقعيون غيرها: نفسي نفسي!⁽¹¹⁾ فما كان من جيرانها إلا أن أجهزوا على مبدأ السوق المشتركة، فضلاً عن روح التضامن الأوروبي، وفرضوا سياسات حظر على صادرات المعدات الطبية (غير أن هذا لا يعني أن إيطاليا لم تُتمم وجهها شطر الصين للحصول على المساعدة، مثلما فعلت دول أخرى عديدة، أوروبية وغير أوروبية⁽¹²⁾).

وفي هذا السياق، يتساءل راجيش باسرر وفريدريك كلیم: "إذا لم يكن من شأن أزمة عالمية حادة وعابرة الحدود [مثل هذه] أن تُحفز التعاون الدولي، فما الذي يمكنه ذلك؟ وتذكرنا الواقعية أن قلة الثقة المتأصلة بنظام دولي فوضوي، تدفع الدول نحو التردّد في التخلي عن غريزة الاعتماد على النفس والالتزام بقواعد ألعاب حصيلتها صفرية، حتى في خضمّ تحدّد عالمي مشترك"⁽¹³⁾.

ثمة فكرة شائعة بين دارسي العلاقات الدولية، فحواها أن الواقعية تتجاهل الأوبئة في السياسة الدولية. هذه الفكرة الشائعة صحيحة، لكن نسبياً فحسب؛ لأن الأمر يقتصر على تصنيف راسخ للتهديدات التي تترتب بأمن الدولة وبقائها، إذ تحصرها الأدبيات الواقعية عموماً في التهديدات التقليدية، العسكرية والدولية المصدر. ومع ذلك، ينبغي أن نتذكر أن ثيوسيديز Thucydides الذي كتب أولى النصوص التاريخية المؤسسة للتقليد الواقعي في العلاقات الدولية تاريخ الحروب البيلوبونيسية *History of the Peloponnesian War*، سبق وأن ناقش أثر الوباء الذي اجتاحت أثينا في تقويض قوتها، ما جعلها تخسر الحرب ضد إسبرطة في نهاية المطاف⁽¹⁴⁾. ولعل ما أنجزه مارك دينن في أطروحته لنيل درجة الدكتوراه، "التهديد الوبائي: إعادة ترسيخ فائدة الواقعية الكلاسيكية لدى هانس مورغنتاو في

عليه تنافس دائم من أجل تعظيم القوة والمصلحة الذاتية؛ كما تفترض، من جهة أخرى، أن الهدف الأسمى للدول، في بيئة كهذه، هو الأمن والبقاء، على اختلاف مواقعها وخصائصها (ويُدرج ضمن ذلك افتراض آخر مفاده أن الدول الأصغر/ الأضعف قد تختلف من حيث الأدوات، لكنها لا تختلف من حيث الأهداف؛ إذ تسعى بدورها، من خلال استراتيجيات موازنة الدول الأقوى أو مسايرتها أو اللحاق بركبها، لصون أمنها وبقائها. إن الدولة، بحسب الواقعيين، هي الفاعل المرجعي، إن لم يكن الوحيد، في "تحليل" العلاقات الدولية، وهي أهم من الفواعل الأخرى، بما في ذلك المؤسسات الدولية. وفي حال التناغم بين سلوك الدول وقواعد المؤسسات الدولية ومعاييرها، فإن سبب هذا التناغم لا يعود إلى قوة تأثير المؤسسات وقدرتها على ضبط سلوك الدول، إنما يعود أساساً إلى وجود تطابق عارض بين قواعد ومعايير المؤسسات الدولية وبين مصالح الدول. لذلك، تُنشئ الدول المؤسسات، أو تنضم إليها، أو تشجعها، أو تعوقها عن أداء وظائفها، أو تتنكر لها وتتسحب منها بحسب ما تُمليه مصالحها.

يعجّ تاريخ العلاقات الدولية، القريب والبعيد، بالأسانيد التي تؤكد هذه الفرضية، بدءاً بانسحاب ألمانيا وإيطاليا من عصبة الأمم قبيل اندلاع الحرب العالمية الثانية، مروراً باستمرار رفض الولايات المتحدة الأميركية الانضمام إلى المحكمة الجنائية الدولية، أو التصديق على بروتوكول كيوتو الملحق باتفاقية الأمم المتحدة الإطارية بشأن تغير المناخ، وصولاً إلى استمرار رفض إسرائيل الانضمام إلى الوكالة الدولية للطاقة الذرية؛ وما قرار الولايات المتحدة، تحت رئاسة دونالد ترامب (2017-2021)، الانسحاب من منظمة الصحة العالمية ببعيد، حيث سعى ترامب لتقويض شرعيتها، متهماً إياها بالتواطؤ مع الصين وعدم نشر معلومات دقيقة عن حقيقة الوباء في أثر ظهوره في مدينة ووهان، في الوقت الذي كان العالم يتطلّع إلى الدور الذي يمكن أن تقوم به هذه المنظمة في مواجهة الجائحة، بوصفها الفاعل الأساسي في حوكمة الصحة العالمية. لكن تسييس منظمة الصحة العالمية لم يقتصر على الولايات المتحدة؛ إذ يبدو أن الصين بدورها ضغطت عليها للإبقاء على تاوان مجردة، ليس من عضويتها في المنظمة فحسب، ما يعني حرمانها من البيانات المتعلقة بالوباء، ولكن أيضاً لتجاهل تجربتها الفعالة في احتواء الجائحة بتدابير أقل تشدداً من تلك التي اعتمدها الصين.

تزعّم الواقعية أنها وحدها القادرة على تفسير فشل التعاون الدولي لمواجهة الجائحة وانكفاء الدول على نفسها عبر سياسات غلق الحدود وعودة سياسة التنافس الدولي العدوانية والسياسات الحمائية وغيرها. وما من شك في أن الواقعيين احتفوا أجماعاً احتفاءً بافتراضاتهم التي كانت صحتها تتأكد يوماً بعد يوم، في الوقت الذي شعر الجميع بالدهشة،

11 أستعمل هذه العبارة دلالة على سياسة الاعتماد على النفس Self-help التي يشدد عليها الواقعيون.

12 ينظر: "وباء كورونا: هل تنجح الصين في تقديم نفسها كمنقذ للعالم؟"، دويتشه فيله، 2020/3/24، شوهد في 2021/2/8، في: <https://bit.ly/2LKHP3g>

13 Rajesh Basrur & Frederick Kliem, "Covid-19 and International Cooperation: IR Paradigms at Odds," *SN Social Science*, vol. 1, no. 1 (2021), p. 4.

14 Stephen M. Walt, "The Realist's Guide to the Coronavirus outbreak," *Foreign Policy*, 9/3/2020, accessed on 2/8/2020, at: <https://bit.ly/2Z0JQeC>

المجالات، وفي كل الأوقات. غير أن من شأن الإنجازات التي تحققت في مجال مأسسة العلاقات الدولية في أثناء العقود الأخيرة، أن تؤكد صدقية افتراضات الليبراليين؛ خاصة إذا ما استحضرن مفهوم الاعتماد المتبادل. وبحسب الليبراليين، كلما زاد ارتباط الدول بعضها بعض Interrelatedness، واعتماد بعضها على بعض Interdependence، زادت نزعتها إلى التعاون، وإلا كلفتها التحديات الناجمة عن الاعتماد المتبادل تكاليف باهظة إذا ما انتهجت سياسة الاعتماد على النفس. وقد أدت العولمة، على النحو المعروف، إلى نمو شبكات معقدة من الاعتماد المتبادل بين الدول. والاعتماد المتبادل هو مفهوم يصف حالة تكون فيها تكاليف فك الارتباط بين الدول، أو خفض التبادلات بينها، أعلى بكثير من تكاليف الإبقاء عليها. وتنطوي هذه الحالة على خاصيتين أساسيتين: الحساسية والانكشاف؛ حساسية الدولة/ الدول للتغيرات (المقصودة) التي تُحدثها دولة/ دول أخرى في مجالات معينة، وانكشاف الدولة/ الدول أمام الاضطرابات (الطارئة) التي تحدث في دولة/ دول أخرى. والآن، توفر لنا جائحة كورونا نموذجًا مثاليًا لاختبار هذا المفهوم.

من شأن تفشي الأوبئة - تزيد من حدته العولمة على النحو المعروف - أن يدفع الدول نحو التعاون للحد من تفشيها والسيطرة عليها. إنها مسألة عقلانية بحتة؛ فتكاليف تفشي الأوبئة على الأمن والاقتصاد العالميين ومكاسب العمل الدولي المشترك، تجعل الدول تختار البديل العقلاني الأنسب. وحين يُطرح السؤال لماذا لا تتعاون الدول باستمرار؟ سؤالٌ يستند إلى شواهد من أزمة جائحة كورونا، حيث عرف التعاون الدولي مستوياتٍ متدنيةً جدًا - وصل إلى العدم في فترات ومجالات معينة، يأتي جواب الليبراليين: إن "الاعتماد المتبادل لا يُنتج التعاون بشكل تلقائي. فالدول لا تتعاون إلا حين يعني انهيار الاعتماد المتبادل احتمال وقوع كارثة حادة". فعلى سبيل المثال، "حين تصير الدول النووية على وشك الانزلاق نحو الحرب، فإنها تنخرط في تعاون ضمني، متوخيةً الحذر الشديد، وغالبًا ما تسعى لتسوية صريحة عبر المحادثات، مثلما كانت الحال في أزمت الحرب الباردة. ومع ذلك، فهي لا تكف عن التنافس، وتستمر في سباق التسلح وبناء التحالفات"⁽¹⁶⁾.

ويسري المنطق نفسه على حالة الاستثناء التي عرفتها فترة ذروة تفشي جائحة كورونا، حيث إن غلق الحدود وانكفاء الدول على نفسها، ما هما إلا عرضان طارئان Contingent لتفشي الجائحة التي ما كانت لتتفشى بهذه السرعة، وعلى هذا النطاق إلا بسبب تزايد الاعتماد المتبادل نفسه، لكن من غير الممكن - بحسب منطق

العلاقات الدولية"⁽¹⁵⁾، يُعد عملاً فارقاً من حيث إلقاؤه الضوء على آثار تفشي الأوبئة في قوة الدولة وأمنها وبقائها، معيماً بذلك الاعتبار إلى أطروحات ثيوسيديز بعد أن غيّبتها الواقعية المتأخرة، بمختلف تنويعاتها.

2. الليبرالية

تنافح الليبرالية، خاصة لما يتعلق الأمر بالمؤسسات الليبرالية، بأن المؤسسات تظل مهمة في العلاقات الدولية، لأنها تساعد الدول على الأقل في ثلاثة مساحٍ أساسية، هي: التغلب على معوقات العمل الجماعي، وخفض تكاليف الصفقات، ومعالجة مشكلات الوصول إلى المعلومات، ومن ثم تسهيل عملية بناء الثقة، وخاصة أن شح المعلومات أو عدم توافرها يضخم الريبة حيال نيات الآخر. فالاعتماد المتبادل، المعقد والمتزايد، بين الدول، يساهم في ظهور تحديات مشتركة لا يمكن أن تعالجها الدول منفردة، وهو ما يدفعها إلى البحث عن ترتيبات لتنسيق جهودها من أجل اتخاذ الخطوات الملائمة لمواجهة تلك التحديات.

لذلك، تساهم المؤسسات الدولية في تذليل العقبات التي تحد من العمل الجماعي. فضلاً عن ذلك، تقلص من مستويات اللإيقين؛ إذ بدلاً من أن تستمر الدولة في النظر بعين الريبة إلى ما قد تُقدم عليه الدول الأخرى، يمكن أن تساعد المؤسسات الدولية في التخفيف من حدة الشكوك المتبادلة بينها. وإذا كانت الدول تواجه تحديات عالمية متزايدة التعقد، فإن، من شأن، المؤسسات الدولية أن توفر لها فرصة لتجاوز المفاوضات المحدودة الأطراف والمسائل المتفاوض بشأنها، التي تتسم بتكاليف مادية مرتفعة، فضلاً عن التكاليف المرتبطة بالوقت. لذلك، تساهم المؤسسات في تقليص تكاليف الصفقات والاتفاقات عبر العمل المتعدد الأطراف، فضلاً عن توفير آليات للرقابة من شأنها أن تتيح للدول إمكان التحقق من مدى التزام الدول الأخرى المتعاقدة معها بتنفيذ بنود الصفقات والاتفاقات. ومن جهة أخرى، تساهم المؤسسات الدولية في التخفيف من حدة التفاوت في قدرات الدول في الوصول إلى المعلومات التي من المفترض أن توفرها هذه المؤسسات.

بطبيعة الحال، ليست كل المؤسسات الدولية قادرة على الوفاء بكل هذه الوعود؛ وحين تكون قادرة، فهي لا تكون كذلك في كل

15 ينظر:

Mark J. Dinnen, "The Pandemic Threat: Re-establishing the Utility of Hans Morgenthau's Classical Realism for 21st Century International Relations," Ph.D. Dissertation, Department of International Relations, Faculty of Humanities and Social Sciences, Bond University, Queensland, 2011, accessed on 2/8/2020, at: <https://bit.ly/3jwE8dR>

في الولايات المتحدة وبعض دول أوروبا⁽¹⁹⁾. في إجابته عن سؤال "ماذا اختارت القوى الكبرى سبيل التنافس، حتى وهي تواجه تحديًا عالميًا بحجم وباء [كورونا]؟"، يحاج نيكولاس غفوزداف بأن الأمر يتعلق بتضافر نمطين من التحولات: تحولات في السياسة الوطنية، وتحولات في السياسة الدولية؛ إذ ليس من المصادفة أن التنافس الدولي احتدم في مناخ سبق أن أرخت عليه الشعبوية سدولها قبل ظهور الجائحة. وفي حين أن الدول استجابت لهجمات 11 أيلول/ سبتمبر باعتناق التعاون والتنسيق الدوليين، لأنها كانت مؤمنة بأن من شأن ذلك تعزيز مصالحها الوطنية؛ إذ شهد العقدان الماضيان تناميًا في التشكيك في هذه الفكرة وتحديها، خصوصًا منذ الاستفتاء على خروج بريطانيا من الاتحاد الأوروبي وانتخاب دونالد ترامب رئيسًا للولايات المتحدة. وجاء تفشي الجائحة ليُعزّز تلك الشكوك، ويدفع بالدول إلى التصرف على أساسها. ويقتبس غفوزداف من كرينجفيك ميسكوفيك قوله، "كان لدينا تنافس دوليٌ محمولٌ تُغذيه الريبة في مجتمع دولي بلا ملامح Amorphous، وحين التأمّت تلك الريبة بالشعبوية، زاد التنافس الدولي حُمى على حُمى". وإنه لَمِنَ اليسير ملاحظة الطرائق التي يغذي بها الخطابُ الشعبي عن الجائحة شعورًا قوميًا زائفًا يوهم جمهوره بأن الانغلاق على الذات، والاعتماد على النفس، وإلقاء اللوم على الآخرين (دولًا ومنظمات دولية) و/ أو اتهامهم بالتأمر، من شأن ذلك أن يُعزّز قدرة الـ "أنا" على البقاء والصمود، فالتعافي أسرع من "الآخر"، وأن من شأن الوباء أن يُضعف هذا "الآخر" ويُقوّض قدرته على المنافسة، اقتصاديًا وجيوسياسيًا⁽²⁰⁾.

أخيرًا، وغير بعيد عما سبق، يمكن الليبرالية - وينبغي لها - أن تتأمل مليًا في التحديات غير المسبوقة التي فرضتها الجائحة على الديمقراطية ومستقبلاتها في الدول الديمقراطية، وفي تلك التي تقف على الطريق نحو التحول إلى الديمقراطية، وفي الدول اللاديمقراطية. ويتطلب هذا التأمل بحثًا مقارنًا في استجابات الدول وسياساتها المتباينة لمواجهة تفشي الجائحة وكيف تؤثر في الديمقراطية؛ نظرية

الليبرالية - الجزم بأنها من أعراض تراجع الاعتماد المتبادل، أو حتى العولمة في حد ذاتها. يمكن الاستعانة بمفهوم من مفاهيم علم التعمّد للإجابة عن سؤال: هل العولمة، ومن ثم الاعتماد المتبادل، عملية عكوسة Reversible؟ لقد "صارت الدول، بعد عقود طويلة من العولمة، أسيرةً وعالقةً" في شبكات متواشجة من الاعتماد المتبادل المعقد، ومن المرجح أنها لن تجد أمامها خيارًا آخر سوى السعي للتكيف وتحسين موقعها ضمن بنية شبكية متزايدة التعمّد غير عكوسة Irreversible. بمعنى أنه كلما تقدمت على سهم الزمن، تعاطم تعقدها وتشابكها، ويصير من غير الممكن أن تردت للخلف. ثم إن مفهوم الاعتماد المتبادل نفسه ينطوي على فكرة أن تكاليف فك الارتباط بين الأطراف المعتمد بعضها على بعض تنحو باطراد إلى أن تصير أعلى بكثير من تكاليف المحافظة عليه⁽¹⁷⁾.

حتى مع تراجع التعاون الدولي إلى مستويات دنيا، تُلقي الليبرالية الضوء على أشكال أخرى من التعاون العابر للحدود، مثل التعاون المسبوق بين الجماعات المعرفية، المتخصصة في الوبائيات. فقد عمل العلماء من العديد من البلدان معًا لإدارة أخطار تفشي الفيروسات منذ تفشي مرض المتلازمة التنفسية الحادة "سارس" SARS في عام 2002. كما أدى تفشي متلازمة الشرق الأوسط التنفسية "ميرس" MERS في عام 2012، إلى انبثاق شبكة علمية أُطلق عليها "نادي السارس". وأدى تفشي المتلازمة الأخيرة إلى تحفيز نشاط بحثي عالمي، أفضى إلى إنتاج أكثر من 880 ورقة علمية في 92 دولة بين عامي 2012 و2015. كما حفّز تفشي فيروس كورونا أبحاثًا تعاونية عديدة، تجاوز فيها العلماء بروتوكولات السرية والتنافس المعتادة لينخرطوا في جهود مشتركة لفهم هذه الجائحة⁽¹⁸⁾. وفي نهاية المطاف، يمكن المحاجة بأن التعاون العلمي بين جماعات علمية من دول عديدة ليس إلّا وجهًا من أوجه التعاون الدولي، أو أنه على الأقل جزء منه؛ إذ من الواضح أن العلماء المتخصصين في الوبائيات، ولُنُصِرْ مثلاً بالصينيين منهم، لن يُقدّموا على مشاركة معارفهم ونتائج أبحاثهم حول فيروس كورونا من دون إذن من السلطات الصينية. ومن دون أن ننسى الحالات التي منحت فيها دولٌ دولًا أخرى شُحنتًا مجانية من المعدات الطبية أو حصصًا مجانية من اللقاحات.

من جهة أخرى، وربما هو الأهم، يمكن أن تُلقي الليبرالية، بوصفها برنامجًا بحثيًا، مزيدًا من الضوء على العلاقة بين تراجع مستويات التعاون الدولي وصعود الشعبوية في الديمقراطيات الغربية، خاصة

19 عن مفهوم الشعبوية، يُنظر: كاس موده وكريستوبل روفيرا كالتواسر، مقدمة مختصرة في الشعبوية، ترجمة سعيد بكار ومحمد بكار، سلسلة ترجمان (الدوحة/ بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2020)؛ عزمي بشارة، في الإجابة عن سؤال ما الشعبوية (الدوحة/ بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2019)؛ عزمي بشارة، "الشعبوية والأزمة الدائمة للديمقراطية"، سياسات عربية، العدد 40 (أيلول/ سبتمبر 2019)؛ ويُنظر أيضًا في هذا العدد: عبد الكريم أمكناي، "شعبوية السلطة وجائحة كورونا: بين اعتيادية التدابير وخصوصية الخطاب، حالة الولايات المتحدة تحت إدارة دونالد ترامب"، سياسات عربية، العدد 50 (أيار/ مايو 2021) ص 86-107.

20 Nikolas Gvosdev, "Why the Pandemic Has Revived Hard-Nosed Realism," *World Politics Review*, 8/9/2020, accessed on 8/2/2021, at: <https://bit.ly/3p9S92y>

17 محمد حمشي، "عن إمكانية التنبؤ زمن جائحة كورونا: تأملات من علم التعمّد"، تحليل سياسات، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2020/6/22، شوهد في <https://bit.ly/2Z4qAgv> في: 2021/2/8

بنية النظام الدولي (الفوضى والاعتماد على النفس)، لكنه ناشئ من بنية تُحددها فهوم الفاعلين وأفكارهم عن العالم، وعن أنفسهم، وعن غيرهم من الفاعلين الآخرين.

إن الأفكار، في المنطق البنائي، ليست ذات طبيعة فردية أو ذاتية، لكنها قد تكون، وحين يتعلق الأمر بالسياسة الدولية فهي ذات طبيعة جماعية أو بينذاتية Intersubjective. وتتميز الأفكار الجماعية بأنها نتاج لتفاعل مستمر ومكثف بين مجموع الأفكار الفردية. ومن هنا تأتي الحجة التي يستند إليها البنائيون القائلة إن هويات الفاعلين هي التي تعمل على تشكيل مصالحهم وإعادة تشكيلها؛ إذ من الواضح أن المصالح تتغير بتغير الهويات، وتتغير الهويات بتغير سياقات ومخرجات التفاعل المستمر والمكثف بين الأفكار والتصورات والفهوم الفردية المنتجة للهويات. وهو ما ينقض افتراض الواقعيين القائل إن الدول جميعها أُنانية وعقلانية وتعتمد على نفسها في تحقيق مصالح محددة سلفاً. وهذا، أيضاً، ما يُفسر التحول في الهوية (دولة عدوانية تتحول إلى دولة مسالمة) والتعدد في الهوية (دولة تتعدد أُمماتُ هويتها بتعدد الآخر الذي تتفاعل معه). غير أن الأهم من ذلك يكمن في قدرة البنائية، من خلال نقدها التقليدي للأطروحات الواقعية، على توسيع مساحة التغيير في سلوك الفاعلين بتغير تصوراتهم وأفكارهم وهوياتهم بعضهم حيال بعض. لذلك، لما يتعلق الأمر بالإجابة عن سؤال لماذا تفشل الدول في التعاون، على الرغم من الحاجة الملحة إلى ذلك في ظل تفشي جائحة كورونا؟ فإن البنائية تواجهنا بواقع أن الدول مُثقلَةٌ بفكرة لا جدال فيها، مفادها أن المصلحة الذاتية والاعتماد على النفس يجب أن يأتيأ أولاً. لذلك، تتطلب استعادة زمام التعاون الدولي تغييراً في البنية المتعلقة بالأفكار Ideational Structure، لا تغييراً في البنية المادية Material Structure.

يمكن أن تتعامل البنائية مع سؤال "كيف يمكن أن يُغير الوباء، أو يُعزّز، الفهوم والأفكار التي تتبناها الدول بشأن العولمة؟" (24). وتوفر فرصة للتأمل في دور الخطاب والتغيير في الخطاب بشأن العولمة في تغيير اتجاهاتها على المدى الطويل، مثلما يحدث مع دعوات تعزيز جاهزية Preparedness القطاعات الصحية الوطنية وإصلاح نظام حوكمة الصحة العالمية، ومثلما يحدث أيضاً مع النقاش بشأن تعزيز مطواعية Resilience الاقتصادات الوطنية والنظام الاقتصادي الدولي حيال سلاسل القيمة العالمية. تناجح البنائية عن أهمية قوة الخطاب في إنتاج وإعادة إنتاج المعاني البنائية المتشاركة بين

وممارسة⁽²¹⁾، ويشمل ذلك بلا شك الحدود التي تفصل بين الممارسات التنفيذية الصارمة لمواجهة تفشي الأوبئة والممارسات السلطوية. وثمة مسائل أخرى عديدة ينبغي للبرالية أن تشتبك بها لفهم الجائحة، أبرزها الروابط العابرة للحدود بين الاحتجاجات - يُعدّها خطاباً شعبوياً معادٍ للعلم⁽²²⁾ - ضد إجراءات الحجر الصحي لمواجهة تفشي الجائحة، ولماذا تتباين حدتها بين الديمقراطيات الغربية وبعض الديمقراطيات الآسيوية على سبيل المثال؟ إضافة إلى العلاقة بين تفشي الجائحة وتعزيز السلطوية وتداعياتها على حقوق الإنسان وحرياته.

3. البنائية

تُشدّد البنائية على أهمية الهويات والعوامل المتعلقة بالأفكار Ideational Factors في تشكيل مصالح الدول وسلوكها في السياسة الدولية. ومن هذا المنظور، تُحدّد الدول استجاباتها لتفشي الجائحة من خلال الطرائق التي تفكر بها بشأن الأولويات التي يجب عليها الالتزام بها في مثل هذا الوضع. وتحتاج البنائية بأن إمكانات التعاون ليست مُقيّدة بشروط بنية النظام الدولي الفوضوية التي تتعايش فيها الدول، مثلما يذهب إليه الواقعيون، لكنها تتحدّد من خلال ما يُفكر فيه الفاعلون حول ما هو ممكن، وما هو غير ممكن في مثل هذا الطرف. واستناداً إلى مقولة ألكسندر فيندت المأثورة: "الفوضى هي ما تصنعه الدول منها"⁽²³⁾، فإن الافتقار إلى العمل الجماعي لمواجهة الجائحة ليس نتيجة حتمية لواقع ماديّ معطى تتصف به

21 ينظر العدد الخاص من دورية النظرية الديمقراطية الذي يناقش موضوع "الديمقراطية في زمن جائحة كوفيد-19"، في:

Afsoun Afsahi et al., "Special Issue: Democracy in the Time of COVID-19," *Democratic Theory*, vol. 7, no. 2 (2020);

يُنظر أيضاً ورقة العمل التي نشرتها كلية بلافاتييك للإدارة الحكومية، جامعة أوكسفورد، عن "تنوع الاستجابات الحكومية لجائحة كوفيد-19" عبر 150 دولة، في:

Thomas Hale et al., "Variation in Government Responses to COVID-19," *BSG Working Paper Series*, no. 32, University of Oxford (May 2020), accessed on 8/2/2021, at: <https://bit.ly/2NhQ0V0>

22 يرفض هذا الخطاب الحقائق العلمية، أو يقبلها على نحو انتقائي، ما يؤثر في الاستجابة الشعبية لتدابير المواجهة التي تتخذها الحكومات. وتمثل مواقف الرئيس ترامب من مدير المعهد الوطني للحساسية والأمراض المعدية، أنتوني فاوتشي، طوال عام 2020، مثالاً لذلك. ينظر: ديورا بروسنان وجيمس بوهلاند وأندرياس ريتشكيمر، "عقد اجتماعي جديد في ظل أزمة عالمية"، كلية السياسات العامة، جامعة حمد بن خليفة، شوه في 2021/2/8، في: <https://bit.ly/3rMxvXP>; وللإستزادة بشأن معاداة الشعوبية للعلم، ينظر:

Clive Hamilton, "Silencing the Scientists: The Rise of Right-Wing Populism," *Our World*, 2/3/2011, accessed on 8/2/2021, at: <https://bit.ly/2N0fEOr>; Niels G. Mede, "'The People Have Enough of Experts!' How to Understand Populist Challenges to Science," *Public Understanding of Science Blog: Science & society/ Communication*, 10/6/2020, accessed on 8/2/2021, at: <https://bit.ly/3pe9tDz>

23 ينظر:

Alexander Wendt, "Anarchy is What States Make of it: The Social Construction of World Politics," *International Organization*, vol. 46, no. 1 (1992).

24 Thomas Rausch, "What if the Covid19 World is what States Make of it?" Bertelsmann Stiftung, 16/4/2020, accessed on 8/2/2021, at: <https://bit.ly/2MKhYZZ>

تتباين الفهوم والمعاني والتأويلات التي يُضفيها عليها الفاعلون بتباين الخطاب، فهي تهديدٌ وشيك يدفع الدول نحو الانكفاء و"تغليب" المصلحة الذاتية وسياسة الاعتماد على النفس، مثلما هي تحدُّ طويلاً المدى، يدفع بالدول نحو "تفضيل" التعاون - حتى وإن لم يخلُ من تنافس - تجنُّباً لانهدام أركان العولمة والاعتماد المتبادل برمتها على رؤوس الجميع.

ثانياً: نظريةُ تعقُّد السياسة العالمية: نبذ لِمَا يُعْتَقَدُ

مع نهاية ربيع 2020، كانت جائحة كورونا تضرب الأرض طولاً وعرضاً، بعد أن بدأت فيروساً في حيٍّ من أحياء مدينة صينية. ومثل هذا المشهد فرصةً لدى الناس ليتعرّفوا إلى دلالات عبارة إدوارد لورنتز Edward Lorenz (1979-2008) التي صارت الآن على كلِّ لسان تقريباً: "هل يمكن لرفرقة جناحي فراشة في البرازيل أن تُحدث إعصاراً في تكساس؟". غير أنّ مصطلح "أثر الفراشة" ليس مجرد استعارة لفهم المسار الذي أخذته موجة تفشي الجائحة العالمية، أو حتى ذلك الذي أخذته موجة الثورات العربية التي بدأت بإقدام الشاب التونسي، محمد البوعزيزي، على الانتحار حرقاً في شارع من شوارع مدينة تونس؛ إنه مفهومٌ ضمن عدّة من المفاهيم والنظريات التي تطورت في إطار ما يعتبره البعض "علمًا جديدًا" قائماً في ذاته. ولئن باتت عبارة "أثر الفراشة"، اليوم، جزءاً من التفكير اليومي في موضوع الجائحة، ولعلها تحولت إلى تفسيرٍ "مبتذل" تلوِّكه الألسنُ دافعةً به إلى أقصى حدود البساطة الممكنة، فإنها تبقى جزءاً من علمٍ أشدَّ ثراءً وتعقُّداً، يُعرف، ويا للمفارقة، بعلم التعقُّد .Complexity Science

1. التعلُّد والأنظمة المعقّدة والحياة العالمية

سواءً اعتُبرَ نظريّةً أم فلسفةً أم علمًا قائماً في ذاته؛ فالتعلُّد مجالٌ بحثيٌّ عابر للتخصصات / متعدّد التخصصات، يضم طيفاً واسعاً منها، إذ يمكن أن يعثر المرء على أعمال فلاسفة وفيزيائيين وخبراء الكمبيوتر وعلماء الاجتماع، فضلاً عن باحثي العلاقات الدولية⁽³⁰⁾. لكن الأمر لا يتوقف عند هؤلاء، فلدى علماء الرياضيات والأحياء والطقس أيضاً إسهامات مؤسّسة ومطوّرة لهذه النظرية. وتجعل هذه

الفاعلين الاجتماعيين، والدفع، من ثمّ، نحو التغيّر؛ حيث يمكن عبر اللغة التلاعبُ بالخطاب لإنتاج معنى/ تأويل معيّن، وإسكات معنى/ تأويل ممكن آخرٍ للمعنى السامد نفسه، وليكن في هذه الحالة جائحة كورونا؛ فالمعاني/ التأويلات ليست متضمنة في ما هو مادي، لكنها تُبنى ويُعاد بناؤها عبر توظيف قوة الخطاب⁽²⁵⁾.

تجلّى هذا بصورة واضحة في الخطاب الشعبي الحاد الذي تبناه الرئيس ترامب⁽²⁶⁾؛ خطاباً قائمٌ على سياسة إلقاء اللوم على آخرٍ خارجيٍّ وُحوّله إلى كبش فداء Scapegoating⁽²⁷⁾، ويعجُّ بإحالات متكررة إلى فيروس كورونا باعتباره "فيروساً صينياً"، وإلى منظمة الصحة العالمية باعتبارها "متواطئة" مع الصين و"مسؤولة" عن تفشي الجائحة، وأن تفشيها لا يخلو من "مؤامرة"⁽²⁸⁾. وسيتجلّى أيضاً في خطاب الرئيس الأمريكي جو بايدن (2021-) حول "استعادة ريادة" الولايات المتحدة وقدرتها على "قيادة العالم" من جديد؛ إذ من المرجح أن يجتهد في حرمان الصين من المكاسب الخطابية التي ما فتئت تحوزها منذ بداية الأزمة، حيث عملت، من خلال حزمة الصادرات الطبية إلى دول متضررة عديدة، على بناء سردية مغايرة للسردية التي روج لها ترامب؛ سردية قائمة على قصة إيثار تروي كيف أن الدولة التي ظهر فيها الوباء، وعانت ويلات قبل أن يتفشى في باقي العالم، قررت بمجرد أن بدأت تلتقط أنفاسها الالتفات إلى مساعدة الآخرين⁽²⁹⁾. وتقدم هذه السردية الصين بوصفها قوة كبرى مسؤولة عالمياً، في مقابل انسحاب الولايات المتحدة التاريخي من موقع القيادة العالمية. ولن يؤثر ذلك في تفضيلات الولايات المتحدة نفسها حيال التعاون الدولي فحسب، بل أيضاً في تفضيلات باقي فواعل النظام الدولي. إن الجائحة معطى ماديٌّ، لكن

25 Ganjar Nugroho, "Constructivism and International Relations Theories," *Global & Strategies*, vol. 2, no. 1 (January 2008), p. 92.

26 حول خطاب الرئيس ترامب الشعبي زمن جائحة كورونا، ينظر في هذا العدد: أمناكي.

27 عن سياسة إلقاء اللوم، ينظر:

Bernadette Nadya Jaworsky & Runya Qiaoan, "The Politics of Blaming: The Narrative Battle between China and the US over COVID-19," *Journal of Chinese Political Science*, vol. 25, no. 4 (2020).

28 يعزو أحد مُحكمي هذه الدراسة وضع منظمة الصحة العالمية في قصص الاتهام، واستهدافها من الشعبويين وأنصار نظرية المؤامرة، إلى غياب خطاب متزن بشأن ما لهذه المنظمة وما عليها؛ لأن استهجان تحميلها مسؤولية "كل شيء" لا يعني أنها لا تتحمل قسطاً من المسؤولية عما حدث. وتلك ملاحظة وجيهة لا بد من التنويه بها.

29 في السياق نفسه، يلفت أحد مُحكمي هذه الدراسة نظرنا إلى أن الجائحة سمحت بظهور حركية في السرديات، سردياتٍ وسردياتٍ مضادة؛ ما يعني أن مجالاً التنافس والتعاون دولياً سيشهدان مزيداً من الاستقطاب في ما يتعلق بالعوامل المتصلة بالأفكار Ideational Factors التي يركز عليها البنائيون، حيث تصبغ السردية وما تسوق له أهم من الفعل في حد ذاته. فكميات الإعانات الطبية التي تبرّعت بها الصين لبعض دول الجنوب، مثلاً، لا تكاد تكفي نخب الأنظمة الحاكمة وحاشياتهم الضيقة، إلا أن السردية تجعلها تبدو غير ذلك. وتلك ملاحظة وجيهة أخرى وجب إدراجها هنا.

30 Dylan Kissane, "Moving Beyond Anarchy: A Complex Alternative to a Realist Assumption," PhD. Dissertation, School of International Studies, University of South Australia, Australia, 2009, p. 247.

التي يُشَدُّ منها الحبل⁽³³⁾ فيصير غير قابل للفك؛ وتأتي أيضًا من مفردة "عَقَدَ" التي تأتي مع الزهر، فيُقال "عَقَدَ الزهر"، أي تضامّت أجزاءه فصار ثمرًا⁽³⁴⁾؛ ومن مفردة "تَعَقَّدَ" التي تأتي مع الشيء، فيُقال "تَعَقَّدَ الشيء"، أي تكاثف وتراكب بعضه فوق بعض⁽³⁵⁾. وستتجلى الدلالات المضمرة في هذه المفردات عبر الفقرات اللاحقة من هذا المبحث.

يتداخل مفهوم التعقّد مع مفهوم الأنظمة المعقدة. ويمكن أن يكون هذا التداخل مفيدًا في تجنّب التورط في إضفاء مزيد من الطابع الفلسفي على المفهوم. لذلك، غالبًا ما يُقدّم المفهوم من دون التقيد بتعريف مسبق للتعقّد، وذلك بفحص خصائص الأنظمة المعقدة⁽³⁶⁾، فهي: 1. تتكوّن من عدد كبير - أحيانًا لانهائي - من العناصر التي تتأثر في ما بينها (يؤثر بعضها في بعض، وفي الوقت نفسه يتأثر بعضها ببعض)؛ 2. وهي لا تنفك تتغير، فهي بعيدة عن الاستقرار، وغير قابلة للتنبؤ أو التحكم، إما لأنها محكومة بعوامل متعددة ومتآثرة، وإما لأنها تتأثر بمؤثرات خارجية عشوائية بحكم انفتاحها على بيئتها الخارجية؛ 3. وهي تتميز بوجود حلقات من التفاعلات (أو تفاعلات على شكل حلقات)، حيث إن نتائج أي فعل يمكن أن تنعكس على الفعل نفسه، أحيانًا على نحو مباشر، وأحيانًا بعد عدّة مراحل من التفاعل؛ 4. وتتميز التفاعلات فيها بأنها لخطية، حيث يمكن أن تكون للأسباب الصغيرة نتائج كبيرة، والعكس؛ 5. وتتميز التفاعلات فيها أيضًا بأنها قصيرة المدى؛ 6. وهي تعمل في ظل ظروف بعيدة عن التوازن؛ 7. وهي تتميز بأن لديها شكلًا من أشكال التاريخ، وهذا التاريخ هو ما يزوّدها بالقدرة على (إعادة) بناء نفسها و(إعادة) ضبط نفسها و(إعادة) إنتاج نفسها، مثلما أنه هو ما يُمكنها من بناء شكل من أشكال الذاكرة التي تجعلها قادرة على "التعلم" من خلال (تكرار) التجربة؛ 8. وفي الأنظمة المعقدة، يكون النظام مختلفًا تمامًا عن مجموع عناصره المكوّنة له، إذ من غير الممكن استنتاج خصائص نظام معقّد بمعرفة خصائص العناصر المكوّنة له معزل بعضها عن بعض؛ 9. وفي الأنظمة المعقدة، يكون النظام دائمًا أكبر من مجموع الأجزاء/ العناصر المكوّنة له، وهو ما يتعارض مع النزعة الاختزالية التي طغت على نظرية الأنظمة التقليدية، والتي تدعي إمكانية فهم النظام بتفكيكه إلى العناصر الأساسية المكوّنة

33 "عُقْدَة"، معجم الدوحة التاريخي للغة العربية، شوهد في 2021/2/8، في: <https://bit.ly/3pgTMv7>

34 "تعريف ومعنى عقد"، معجم المعاني، شوهد في 2021/2/8، في: <https://bit.ly/3aZ2HfA>

35 "تَعَقَّدَ"، معجم الدوحة التاريخي للغة العربية، شوهد في 2021/2/8، في: <https://bit.ly/3q9B6s>

36 Paul Cilliers, *Complexity and Postmodernism: Understanding Complex Systems* (New York: Routledge, 1998), pp. 3-5.

الطبيعة العابرة للتخصصات/ المتعددة التخصصات الباحث أمام تحدّي - وفي الوقت نفسه فرصة - عبور الحدود التي تفصل بين حقول المعرفة المختلفة، وبين التقاليد البحثية (أو البراديغمات) ضمن الحقل المعرفي نفسه. إنها، بحسب إميليان كافالسكي، حركة "تلاقح" دؤوبة بين العلوم الطبيعية والاجتماعية⁽³¹⁾ على حدّ سواء.

”

سواء اعتُبر نظرية أم فلسفة أم علمًا قائمًا في ذاته؛ فالتعقّد مجالٌ بحثيٌّ عابر للتخصصات/ متعدّد التخصصات، يضم طيفًا واسعًا منها، إذ يمكن أن يعثر المرء على أعمال فلاسفة وفيزيائيين وخبراء الكومبيوتر وعلماء الاجتماع، فضلًا عن باحثي العلاقات الدولية لكن الأمر لا يتوقف عند هؤلاء، فلدى علماء الرياضيات والأحياء والطقس أيضًا إسهامات مؤسّسة ومطورة لهذه النظرية

”

أقتبس هنا تعريف إدغار موران للتعقّد بأنه "نسيجٌ من مكونات غير متجانسة مترابطة ارتباطًا وثيقًا، يتعذّر معه الفصل بينها [...] إنه نسيجٌ من الأحداث (الأفعال) والتفاعلات والارتدادات والتحديدات والمصادفات، التي تشكل عالمنا الظاهري. لكن التعقّد، في هذه الحالة، يحمل على نحو مقلق سمات الفوضى وانعدام القابلية للفصل واللانظام والغموض واللايقين"⁽³²⁾. غير أن اللغة أيضًا بلاغتها لما يتعلق الأمر بالتعريفات. وإنه ليمّن توارد اللغتين العربية والإنكليزية أن نجد للمفردة الأصل نفسه تقريبًا. تأتي مفردة Complexity في اللغة الإنكليزية من المفردة اللاتينية Complexus التي تصف ما هو منسوجٌ ومحبوكٌ بعضه ببعض Woven Together؛ أما مفردة التعقّد في اللغة العربية، فتأتي من مفردة "عُقْدَة" التي تعني في صيغة الجمع العُرى

31 Emilian Kavalski, "The Fifth Debate and the Emergence of Complex International Relations Theory," *Cambridge Review of International Affairs*, vol. 20, no. 3 (2007), p. 436.

32 Edgar Morin, *On Complexity*, Robin Postel (trans.) (Cresskill, NJ: Hampton Press, Inc., 2008), p. 5.

كوارث طبيعية هائلة، تفشل أنظمة الإنذار المبكر في رصدها، ويمكن أن تؤدي إلى انهيار حكومات قائمة في ذاتها (كأن يحل جفافاً طويلاً و/ أو انجراف حاداً للأتربة الصالحة للزراعة، أو أن تضرب أمواج تسونامي هائلة قادرة على تدمير بنى تحتية حيوية للاقتصاد العالمي، أو أن تضرب الأرض عواصف شمسية مغناطيسية قادرة على إصابة الأقمار الصناعية)، مثلما يمكن أن تضرب العالم على حين غرة في شكل أوبئة أو جائحات عالمية لا تنهك اقتصادات الدول وأنظمتها الصحية فحسب، لكنها تُهدد أيضاً شرعية حوكمة الصحة العالمية وفعاليتها⁽³⁹⁾.

واضح، إذًا، أن النظام الدولي لا يقتصر البتة على العلاقات بين الدول فحسب، لأن هذه الأخيرة تتعايش وتتطور على نحو مشترك مع عدد كبير من الفواعل التي توجد وتتفاعل ضمن أنظمة لا تقتصر على الأنظمة المتمحورة حول الإنسان Anthropocentric، مثل الاقتصادية، و/ أو العرقية، و/ أو الثقافية؛ لكنها تشمل أيضاً الأنظمة الطبيعية أو غير المتمحورة حول الإنسان Nonanthropocentric، مثل البيئية، و/ أو الجغرافية، و/ أو الحضارية⁽⁴⁰⁾. وفي هذا السياق تحديداً، يقترح كافالسكي مفهوم "الحياة العالمية"⁽⁴¹⁾، حيث إن "الإقرار بهذا الترابط الوثيق بين الأنظمة المتمحورة حول الإنسان والأنظمة الطبيعية، من شأنه ألا يعرف الحياة العالمية باعتبارها السياسة الدولية فحسب [...] إنها أكثر من مجرد الجماعات السياسية والكيانات politics، حيث تقيم - أي إنها لا تتعلق بما يحدث 'داخلاً/ خارج' الدولة، بل تتعلق أيضاً بما يحدث 'حوالي' الدولة Around the State⁽⁴²⁾. ويُفصّل المفهوم أيضاً عن أن النظام

له، وفهم العلاقات التي تربط بينها. غير أن نظرية التعقد تقدم شكلاً من التوليف بين خيارَي الاختزالين الذين لا يرون سوى الأجزاء، والكلاسيكيين الذين لا يرون سوى الكل. وهذا ربما ما تعكسه مقولة بليز باسكال Blaise Pascal (1623-1662) الذائعة الصيت: "لا يمكنني فهم الكل من دون فهم الأجزاء، ولا يمكنني فهم الأجزاء من دون فهم الكل"⁽³⁷⁾. لقد ناقش في موضع آخر كيف تنطبق هذه الخصائص على النظام الدولي⁽³⁸⁾، لذلك سأنتقل الآن إلى إلقاء الضوء على الكيفية التي تفكر بها نظرية التعقد في جائحة كورونا.

”

إذا كان النظام الدولي بنية مادية (مثلما يرى الواقعيون والليبراليون)، وبنية اجتماعية (مثلما يرى البنائيون)، وبنية معيارية (مثلما يرى المؤسسيون الليبراليون)، فإنه بنية حية أيضاً تدب فيها الحياة عند كل مستوى من مستوياتها، وفي كل بعد من أبعادها؛ وهذه هي الحكمة التي يمكن تعلمها من نظرية التعقد؛ إنه نظام معقد، وشواشي، ولا خطي، وغير قابل للتنبؤ، ولا يخلو من عوامل الاضطراب غير المتوقعة التي تعمل بوصفها مُحولات

“

39 عن هذه المحولات، ينظر: حمشي، "عن إمكانية التنبؤ زمن جائحة كورونا؛ حمشي، "نظرية التعقد في العلاقات الدولية"، ص 122-123.

40 في هذا الاتجاه، يعلق كافالسكي الأمل على نظرية التعقد لتدفع بحقل العلاقات الدولية بعيداً عن نزعتها المتمحورة حول الإنسان. ينظر:

Emilian Kavalski, "Inside/Outside and Around: The Emerging Complexity of Global Life," in: Emilian Kavalski (ed.), *World Politics at the Edge of Chaos* (New York: State University of New York Press, 2015), p. 4.

41 ينظر:

Ibid., pp. 1-9; Emilian Kavalski, "The Complexity of Global Security Governance: An Analytical Overview," *Global Society*, vol. 22, no. 4 (2008), pp. 423-443.

غير أن المصطلح سبق واستعمله جيمس روزنو في:

James Rosenau, "Patterned Chaos in Global Life," *International Political Science Review*, vol. 9, no. 4 (1988), pp. 335-340.

42 تحمل مفردة "حوالي" في اللغة العربية معنى الظرف الذي يفيد الإحاطة حول الشيء (كما في نص الحديث المروي عن النبي محمد عليه السلام، "حوالينا لا علينا"). ينظر: "تعريف ومعنى حوالي"، معجم المعاني، شوهد في 2021/2/8، في: <https://bit.ly/2OvKyil>؛ أما في اللغة الإنكليزية، فتحمل مفردة Around أيضاً معنى الظرف الذي يفيد الموضع الذي يحيط بالشيء، أو الاتجاه الذي تكون فيه الحركة على طول حافة الشيء، أو من جزء إلى جزء آخر منه، وغالباً من دون اتجاه أو هدف أو نظام واضح. ينظر:

"Meaning of around in English," *Cambridge Dictionary*, accessed on 8/2/2021, at: <https://bit.ly/3plPnqW>

إذا كان النظام الدولي بنية مادية (مثلما يرى الواقعيون والليبراليون)، وبنية اجتماعية (مثلما يرى البنائيون)، وبنية معيارية (مثلما يرى المؤسسيون الليبراليون)، فإنه بنية حية أيضاً تدب فيها الحياة عند كل مستوى من مستوياتها، وفي كل بعد من أبعادها؛ وهذه هي الحكمة التي يمكن تعلمها من نظرية التعقد؛ إنه نظام معقد، وشواشي، ولا خطي، وغير قابل للتنبؤ، ولا يخلو من عوامل الاضطراب غير المتوقعة التي تعمل بوصفها مُحولات Game-changers؛ ولا يمكن حصر هذه المحولات تحديداً، لأن التنبؤ بها غير ممكن، فهي قد تتبدى في شكل أزمات بنوية حادة في الاقتصاد العالمي، أو في شكل نزاعات إقليمية/ دولية تُعيد توزيع القوة العالمية؛ لكنها قد تأتي في شكل

37 Morin, p. xvi.

38 ينظر: محمد حمشي، مدخل إلى نظرية التعقد في العلاقات الدولية (الدوحة/ بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2021)، ص 218-233؛ محمد حمشي، "نظرية التعقد في العلاقات الدولية: النظام الدولي كنظام معقد وشواشي السلوك"، *المستقبل العربي*، السنة 42، العدد 484 (حزيران/ يونيو 2019)، ص 108-123.

في هذا السياق، حاج فالرشتاين بأن النظام-العالم (النظام الدولي بعبارة أخرى) غير منفصل عن ديناميات النظام البيولوجي/ الإيكولوجي الأشمل، كما نبّه إلى أن التقويض المطرد للقاعدة الإيكولوجية للاقتصاد - العالم (الاقتصاد العالمي بعبارة أخرى) سيكون أحد أبرز تناقضات النظام-العالم الحديث وأزماته، مشيراً إلى أن "التأثير في بعض الميكانيزمات الإيكولوجية الوفاقية، يؤدي إلى ظهور أنواع جديدة محتملة من الأمراض البوائية المخيفة وغير المعروفة سابقاً"⁽⁴⁶⁾. والآن، صارَ معروفاً لدينا أن من شأن الإفراط في القضاء على المساحات الغابية وبناء المدن والتلويث المستمر للطبيعة، تدمير محميات الحيوانات البرية وتعرضها للانقراض؛ فلا يبقى لها سوى اللجوء إلى ما بقي من ملاذات قريبة من المستوطنات البشرية - مثل المزارع وحدائق البيوت، ما يزيد من احتمال الاختلاط المتكرر عن قرب مع الإنسان. وهذا ما يمنح جراثيم حميدة، تعيش طبيعياً في أجساد الحيوانات البرية من دون أن تسبب لها الأذى، إمكان المرور إلى أجساد البشر والتحوّل من صفتها الحميدة إلى مُمرضات قاتلة⁽⁴⁷⁾.

يمكن وضع هذه الأطروحات في سياق تيار أخذ في النفوذ ضمن مدرسة "الحوليات" الفرنسية، التي تأثرت بها فالرشتاين أيما تأثر؛ هو التأريخ البيئي الذي يبحث في "تاريخ العلاقات بين المجتمعات الإنسانية والطبيعة برمتها التي ارتبطت بها المجتمعات على الدوام". وضمن هذا الاتجاه، "تأتي دراسة تاريخ البيئة المادية، أي [...] دراسة التأثير البشري على الطبيعة، وكذلك أيضاً تأثير الطبيعة على النشاط البشري؛" ومن ثم وضع "تاريخ الإنسان في سياق أوسع، سياق الأرض والحياة على الأرض"⁽⁴⁸⁾. وفي هذا السياق الأوسع، لا تقتصر الفاعلية Agency على البشر، ولا على البنى المتمحورة حول البشر؛ لكن

الدولي' جزء لا يتجزأ من ظروف بنيوية أوسع، ومن تفاعلات تكمن ضمن البيئة الواقعة 'حوالي' العلاقات بين الدول"⁽⁴³⁾.

غير أن الأهم من ذلك يكمن في أن المفهوم يُضفي على الطبيعة خاصية الفاعلية Agency. إنه يجعل من الطبيعة (أو البيئة الحيّة التي ينشأ ويتطور ويتفاعل فيها أي نظام دولي) فاعلاً قائماً في ذاته Agent، يمكنه أن يحدث تأثيراً حاسماً ما في العلاقات الدولية، وفي تفاعلات السياسة الدولية عموماً⁽⁴⁴⁾. ولا يتعلق الأمر بالعوامل الجغرافية والمناخية التقليدية التي يمكن أن تتسبب في تغيير مصائر أمم برمتها فحسب؛ بل يتعلق أيضاً بمختلف التفاعلات الإيكولوجية المُشكّلة للنظام الطبيعي في هذا العالم. وفي هذا السياق، يصير النظام الدولي جزءاً لا يتجزأ من نظام الطبيعة الأشمل بوصفه نظاماً بيولوجياً Biosystem، أو نظاماً إيكولوجياً Ecosystem، يتفاعلان ويتأثران أحدهما مع الآخر. وهنا، يمكن أن يفكر المرء في الأوبئة، أو الكوارث الطبيعية، أو حتى الفلكية، التي يمكن أن تؤثر في كوكب الأرض برمته⁽⁴⁵⁾.

43 Kavalski, "Inside/Outside and Around," p. 4.

44 يحتج أحد مُحكمي الدراسة على إضفاء صفة الفاعلية على الطبيعة، وحجته في ذلك هي أن "الأنظمة [الطبيعية] لا معنى لها من دون علاقتها بالإنسان، فهي إما مسخرة له، وإما خطرٌ عليه، لكن إدراك ذلك فعلٌ بشريٌ بامتياز [...] فضلاً عن ذلك، فإن صفة الفاعلية لا بد من أن تقوم على فكرة [القصديّة]، وهذا ما لا يتوفّر في الأنظمة الطبيعية". ولا أمك سوى موافقته من حيث المبدأ. لكنني، تعقيباً على ذلك، أسوق حجّة مفادها أن آثار الفعل، حتى حين يكون الفاعل بشرياً مفعماً بالقصديّة، يمكن أن تأتي غير مقصودة، أي خلاف ما كان الفاعل يقصده قبل الإقدام على الفعل. إنها الحالة التي تترتب فيها على فعل معيّن (وليكن سياسياً) نتائج لم تكن مقصودة من الفاعل. المثال الأوضح هو الكيفية التي ترتّب بها على تمويل الولايات المتحدة للمجاهدين الأفغان ضد الاتحاد السوفياتي ظهور حركة طالبان الأفغانية في عام 1994، وبعدها بنحو ست سنوات، تنظيم القاعدة المتورط، في هجمات الحادي عشر من سبتمبر 2001. وأستلهم ها هنا من ملاحظة المُحكّم نفسها مثالاً آخر، فالإنسان إما "سخر" الطبيعة للدفع بعجلة التقدم الاقتصادي نحو الأمام، وتلك قصديته؛ غير أن الآثار جاءت من حيث لا يدري في شكل "أخطار" لم تكن لا مقصودة ولا مرغوبة. ومن شأن هذا أن ينفي لزوم العلاقة بين القصديّة والفاعلية في السياسة (الدولية). غير أن المحاجة التي يقدمها أنصار نظرية التعقد إنما تذهب إلى أبعد من ذلك. إن الفعل، كي يكون فعلاً سياسياً دولياً أو عالمياً، يجب بالضرورة ألا يكون فورياً أو مباشراً؛ إذ يمكن أن يستغرق الأمر فترة زمنية غير محدودة على سهم الزمن (لنتذكّر هنا التأثير غير الفوري الذي تحدته حركة جناحي الفراشة في نظرية أثر الفراشة)؛ ويجب بالضرورة ألا يكون قصدياً، حيث إن نيات الفاعل لا تشكل أي فرق في تسمية أفعاله أفعالاً سياسية دولية، وحتى لو كانت نيته تقتصر على أن يكون فعله محلياً أو محدود التأثير في الآخرين، فينبغي التعامل معه باعتباره فعلاً سياسياً دولياً إذا كانت له تداعيات غير مقصودة / أو غير فورية تتجاوز حدود الدولة. ويدعو أنصار نظرية التعقد إلى تضمين مجال البحث في العلاقات / السياسة الدولية جميع الفواعل والأفعال التي يمكن أن تُنتج آثاراً تتجاوز حدود الدولة، ولو على نحو غير فوري أو غير مقصود؛ مناهضين بذلك جميع أشكال التمييز المؤسّسة لمقاربات الاتجاه السائد، مثل التمييز بين القوى الكبرى والصغرى لدى الواقعيين، أو بين القوة الخشنة والناعمة لدى المؤسّساتيين، أو بين المادي والاجتماعي لدى البنائين، أو بين الأمن الداخلي والخارجي في الدراسات الاستراتيجية. وما التمييز بين الطبيعي والبشري إلا شكلاً آخر لا يقل أهمية عن الأشكال السابقة. ومن هنا تأتي قوة مفهوم "الحياة العالمية" لدى كالفاسكي، السابق ذكره في المتن.

46 Immanuel Wallerstein, *After Liberalism* (New York: The New Press, 1995), pp. 67-68.

47 سبق وبيّنت بعض الدراسات أن فيروس إيبولا "الذي تبين أنّ مصدره عدّة أنواع من الخفافيش، ظهر بصفة كبيرة في مناطق وسط وغرب أفريقيا، كانت قد تعرّضت حديثاً إلى عمليات مكثفة لإزالة الغابات". كما بيّنت دراسة أخرى "أجريت داخل اثني عشر بلداً، أن أصناف البعوض الناقل لمسببات الأمراض البشرية في المناطق التي أزيلت منها الغابات تمثل ضعف العدد الموجود في الغابات التي ظلت على حالها". يُنظر: سونيا شاه، "ضد الأوبئة، الدفاع عن البيئة"، لوموند ديبلوماتيك (آذار/ مارس 2020)، شوهد في 2021/2/8، في: <https://bit.ly/2VcOR1w>

48 جون ماك نايل، "مشكلات التاريخ العولمي للبيئة منذ عام 1990 وأفاقه"، في: آلان كاييه وستيفان دوفوا (إشراف)، *التحول العولمي للعلوم الاجتماعية*، ترجمة جان ماجد جيبور (بيروت: مؤسسة الفكر العربي، 2017)، ص 83. ويستشهد نايل بمؤرخ الإمبراطورية العثمانية، سام وايت الذي استخدم البيانات المناخية ليقترح تفسيراً جديداً لعمليات تمرد الجلائين في الأناضول إبان الثورات التي هزت الإمبراطورية العثمانية بين عامي 1595 و1610؛ مثلما يستشهد أيضاً بالمؤرخ البريطاني جوفري باركر الذي فسّر، بدوره، مجموعة من الأزمات التي هزت العالم بين عامي 1640 و1650 استناداً إلى عوامل مناخية. وهي شواهد تثبت وجود روابط بين التاريخ الاقتصادي والسياسي للبشر والظواهر المناخية التي تأخذ بعداً عالمياً أو شبه عالمي. ينظر: نايل، ص 88.

45 ينظر: حمشي، "عن إمكانية التنبؤ زمن جائحة كورونا".

كلّ منها عالمًا في ذاته (لكنه قد لا يشمل، وهو فعلاً غالبًا ما لا يشمل المعمورة برمتها). وقد شهد التاريخ مثلًا شكل الإمبراطورية-العالم خلال الحقبة الرومانية التي مثلت "بنية من سلطة سياسية واحدة للنظام-العالم ككل" (ويشير فالرشتاين إلى أن الأعوام الخمسمئة الماضية شهدت عدة محاولات لإنشاء مثل هذه الإمبراطورية. غير أنها جميعًا باءت بالفشل)⁽⁵²⁾. غير أن النظام-العالم الحديث الذي نعيش فيه، ومن حيث الممارسة لا المفهوم، يُعدّ عالميًا بامتياز. لقد نشأ في القرن السادس عشر، وبعد أن كان مقتصرًا على جزء من العالم - أجزاء من أوروبا والأميركتين - توسّع مع مرور الزمن ليُغطّي أنحاء المعمورة جميعها⁽⁵³⁾؛ وما يُميّزه من الإمبراطورية-العالم هو أن هذا الأخير ينطوي على نظام سياسي مركزي سلطوي، يُعيد توزيع الموارد من أطرافه إلى مركزه (عبر نظام الضرائب مثلًا). وبخلاف ذلك، ينطوي النظام-العالم على مراكز قوى سياسية متعددة ومتنافسة، توحدّها سوقُ الاقتصاد - العالم الرأسمالي وتنظم التنافس بينها.

يتميّز النظام-العالم بخاصيتين أساسيتين: الخاصية الأولى هي أنه ذاتي الاحتواء ويمانع الفصل بين بنيته الاقتصادية وبنيته السياسية. ولا تعني هذه الخاصية ترابطًا لا فكاك منه بين المؤسسات السياسية والاقتصادية للنظام فحسب، لكنها تعني أيضًا أنها جميعها تظل حبيسة حركة الزمن التي تتطوّر عمليات النظام في اتجاهها (نحو تراكم لانهائي لفائض القيمة)، ويشمل ذلك أيضًا مؤسسات اجتماعية جوهرية، مثل الأسرة والطبقة والجماعة الإثنية، أو ما صرنا نسمّيه اليوم "الهويات"⁽⁵⁴⁾. ومن الواضح أن التحوّلات التاريخية التي تعرفها هذه المؤسسات قاطبة، تحدث في سياق تحوّلات الاقتصاد-العالم الرأسمالي، مرادف النظام-العالم الحديث. وعلاوة على ذلك، يُحاجّ فالرشتاين بأن الفصل بين السياسي والاقتصادي والاجتماعي والثقافي لا يعدو أن يكون بناءً متخيّلًا في أذهاننا، لا يمتّ للواقع بصلة⁽⁵⁵⁾. ويُفهم من هذا كيف تتعايش بنية النظام-العالم الاقتصادية والسياسية وتتواشج، على الرغم من أن الأولى عبارة عن سوق رأسمالية عالمية، في حين تنطوي الثانية على نظام من الدول Interstate System يتشكّل من مراكز قوة متعددة ومتنافسة؛ مثلما يُفهم كيف يؤدي هذا التنافس - تشدّ عضده ديناميّات السوق الرأسمالية العالمية - إلى تقويض فكرة "الحكومة العالمية"، لكنه في الوقت نفسه يحافظ على مستويات محدودة من "الحكومة العالمية" من أجل شرعية النظام-العالم نفسه؛

نطاقها يتسع ليشمل الطبيعة التي يحيا فيها البشر ويتأثرون معها، والتي تقبع فيها تلك البنى.

2. نظرية النظام-العالم والجائحة والحاجة للدولة⁽⁴⁹⁾

أصنّف في هذه الدراسة نظرية النظام-العالم ضمن براديجم التعلّد؛ إذ ما فتى إيمانويل فالرشتاين، أحد أبرز مطوّريها، يحاجّ بأن مفهومه عن النظام-العالم ينبغي أن يُفهم في إطار "العلم الجديد"، أي علم التعلّد⁽⁵⁰⁾. لقد سمحت الدراسات المؤسّسة لهذا العلم بتدفق البحوث في مختلف مجالات المعرفة، الطبيعية والاجتماعية، التي تسعى لاستكشاف مظاهر التعلّد والشواش وكل مجال معرفي، والظواهر التي يتخصص في البحث فيها. وهكذا بدأت مفاهيم التعلّد والشواش في الانتشار في أدبيات علوم الأحياء والبيئة، والنفوس، والاقتصاد، والاجتماع، والمعلومات، وتقريبًا خلال العقدين الأخيرين في حقول المعرفة كافة. فضلًا عن ذلك، يعرف الجميع مدى ضيق التخصصات العلمية وانغلاقها على نفسها؛ إذ من النادر أن يقرأ عالم أحياء وعالم فيزياء، أو عالم اجتماع وعالم رياضيات، البحث نفسه، لكن الأبحاث التي تدرس التعلّد والشواش هي ما (يمكن أن) يوحد بين فروع المعرفة كافة على اختلاف مجالات تخصصها. وفي سياق هذه التحوّلات المعرفية، تأتي تأملات فالرشتاين وإسهاماته في تطوير نظرية النظام-العالم، خاصة المتأخرة منها.

يدلّ مفهوم النظام-العالم، مثلما طوّره فالرشتاين، على بنية معقّدة ذاتية الاحتواء، محدودة المجال في الزمان والمكان، يدمج مجموعة من الأنشطة والمؤسسات التي تتمثل لقواعد تنظيمية/ نسقية معيّنة⁽⁵¹⁾. ويُنبهنا فالرشتاين إلى محاذير الخلط بين النظام-العالم World-system والنظام العالمي World System، مشيرًا إلى أن الواصلة في المصطلح وتصنيفيه الفرعيين، الاقتصاد-العالم World-economy والإمبراطورية-العالم World-empire، هي تأكيدٌ أنّنا لا نتحدث عن نظم واقتصادات وإمبراطوريات تشمل العالم (برمته)، لكننا نتحدث عن نظم واقتصادات وإمبراطوريات يشكل

49 أَسْتَبَد في عرض أفكار هذا المبحث إلى بحث منشور سابقًا، ينظر: حمشي، "عن إمكانية التنبؤ زمن جائحة كورونا". كما يمكن العودة إلى مناقشات أخرى بشأن الموضوع نفسه في هذا العدد إلى: أحمد قاسم حسين، "النظام الدولي وجائحة كورونا: سجل تأثير الأوبئة في العلاقات الدولية"، سياسات عربية، العدد 50 (أيار/ مايو 2021)، ص 39-57. خيّر.

50 Wallerstein, *After Liberalism*, pp. 27-143;

ينظر أيضًا:

Peter E. Grimes, "Evolution and World-Systems," *Journal of World-System Research*, vol. 23, no. 2 (2017).

51 Immanuel Wallerstein, *World-Systems Analysis: Introduction*, 4th ed. (North Carolina: Duke University Press, 2004), pp. 16-17.

52 Ibid., p. 57.

53 Ibid., p. 23.

54 Ibid., pp. 24-25.

55 Ibid., p. x.

لا يختلف العالم اليوم كثيرًا عن العالم الذي تحدّث عنه فالرشتاين؛ عالمٌ تحكمه بنيةٌ معقدةٌ من نظام-عالمٍ رأسماليٍّ، أخذ في مراكمة فائض القيمة وإعادة توزيعه من أطراف النظام إلى مراكزه - وإن زادت تلك المراكز تعدادًا بصعود قوى أخرى - ونظام دوليٍّ تظل فيه الدولة مهمة، تُحلُّ المشكلات وتَحُلُّها في الوقت نفسه A Problem-maker and a Problem-solver، وتظل أداة فعالة لحل أزمت النظام-العالم الرأسمالية؛ لذلك، ينبغي لنا أن ننتبه دائمًا إلى أن العولمة لا تُفوّض دور الدولة فحسب، لكنها تُعزّزه أيضًا. ولتُفكّر هنا في عدد من الواجبات المترابطة التي تتطلب الجائحة من الدولة القيام بها بصورة متزامنة: تعزيز الإجراءات الوقائية، وتوفير العلاج، وتطوير اللقاح و/ أو توفيره، ومعالجة الركود الاقتصادي وتبعاته، وصون النظام العام مع صعود الاحتجاجات المناهضة لتدابير الحجر الصحي وتكييف سياساتها العامة مع ظروف الجائحة وما بعدها، وما إلى ذلك.

إذا كان الأمر كذلك، فإن ما يمكننا فهمه هو أن الأعباء المُلقاة على كاهل الدولة تزداد ثقلًا في مواجهة تهديدات عابرة للحدود تُغيّر شكلها باستمرار؛ تهديداتٌ غدت إقليمية (عابرة للحدود، لكن على مستوى إقليمي) أكثر من كونها وطنية (داخل الحدود)، لكن في الوقت نفسه أقل من كونها عالمية؛ إذ تظل التهديدات العابرة للحدود على مستوى عالمي نادرة، مثل التهديدات البيئية، والتهديدات الصحية ممّا يتعلق الأمر بالجائحات العالمية، كما تُبَيّن جائحة كورونا. وهو ما من شأنه أن يشدد على أهمية الإقليمي باعتباره قوة جاذبة، إلى جانب المحلي والعالمي.

من شأن هذه الأعباء أن تُفوّض كفاءة الدولة في ضبط التفاعلات الاقتصادية عبر الحدود، مقارنة بدور "اليد الخفية" للسوق العالمية، ما سيجعل الترتيبات الإقليمية مستمرة في النمو بوصفها أدوات لإنقاذ سلطة الدولة من الانعكاسات "غير المرغوبة" للعولمة. فضلًا عن ذلك، ينبغي لنا ألا ننسى أن الحاجة إلى الأمن والرفاه تجعل الجميع يلوذ بالدولة؛ فالأفراد والمؤسسات والسوق في حاجة إلى الدولة⁽⁶⁰⁾، ربما أكثر من أي وقت مضى، بسبب

الحوكمة العالمية التي تُعدُّ حوكمة الصحة العالمية - على علّاتها التي طفت إلى السطح مع تفشي جائحة كورونا - أحد أركانها الرئيسة.

أما الخاصية الثانية، فهي أن الاقتصاد-العالم الرأسمالي، جوهر النظام-العالم الحديث، يميل باستمرار إلى الصيرورة (بالصاد لا بالسين) ضمن دورات متكررة - متماثلة ذاتيًا إذا استعملنا مفردات علم التعمّد - من التوسع والركود. يستند فالرشتاين في ذلك إلى دورة كوندراتييف Kondratiev التي تُبَيّن أن الاقتصاد-العالم يمر بدورات متعاقبة من التوسع والركود، [تكاد] تحدث بانتظام كل 40 إلى 60 سنة⁽⁵⁶⁾. على أي حال، ثمة إقرار واسع بين علماء الاقتصاد بصلاحيّة هذه النظرية وقدرتها [حتى ولو نسبيًا] على التفسير والتنبؤ، غير أن فالرشتاين يضيف إليها محاجتين أساسيتين: الأولى هي أن الوضع بعد نهاية دورة كوندراتييف لا يعود إلى ما كان عليه في بدايتها، لأن، من شأن ما يجري فعله في مرحلة الركود سعيًا للخروج منها والعودة إلى مرحلة التوسع، أن يُغيّر مقاييس Parameters الاقتصاد-العالم⁽⁵⁷⁾. وهذا ما يُعلّمنا إيّاه علم التعمّد عبر مفهوم التشعب⁽⁵⁸⁾، لكن ذلك يحدث ضمن حدود نظام يُبدي قدرةً ثابتة على تنظيم نفسه، و"إعادة" بناء نفسه، و"إعادة" ضبط نفسه، وإعادة إنتاج نفسه. أما المحاجة الثانية، فهي أن طول مرحلة الركود يتوقف على الإجراءات السياسية التي تتخذها الدول من أجل التعافي منها والعودة إلى مرحلة التوسع⁽⁵⁹⁾. إذًا، الدولة هي صمام أمان النظام-العالم ليحافظ على الخصائص التي دُكرت آنفًا. لذلك، يبدو أن ما يشهده العالم اليوم - مع تفشي جائحة كورونا - من عودة الدولة، سيزداد حدّةً على حدّة إذا ما دخل الاقتصاد-العالم دورة ركود طويلة، تحديداً من أجل التعافي منها والعودة في أسرع ما يمكن إلى الدورة التالية. إن حاجة الاقتصاد-العالم الرأسمالي إلى الدولة في هذه الحقبة العصبية لا تقل عن حاجة الدولة إلى نمط الاقتصاد-العالم الذي يتوسّع بلا هوادة. إن الاقتصاد-العالم ونظام الدول متعاضان ومتواشجان، ولا غنى لأحدهما عن الآخر.

56 Ibid., pp. 30-31.

57 Ibid., p. 30.

58 التشعب Bifurcation هو التفرع إلى حالتين أو أكثر. وفي سياق علم التعمّد، يُقصد به أن الأنظمة المعقدة والشواشيبيّة لاضطبيّة وبعيدة عن التوازن بسبب عوامل الاضطراب الكامنة في دينامياتها وفي بيئتها. وتستمر هذه العوامل في الضغط على النظام حتى يبلغ نقطة معينة، تسمى نقطة تشعب النظام، حيث يتشعب إما إلى نسخة جديدة من النظام نفسه (عبر آليات التنظيم الذاتي والتماثل الذاتي الكامنة في النظام نفسه)، وإما يتفكك، فاسحًا المجال لابتناق نظام جديد تمامًا. ينظر: حمشي، مدخل إلى نظرية التعمّد، ص 118-121؛ حمشي، "عن إمكانية التنبؤ زمن جائحة كورونا".

59 Wallerstein, *World-Systems Analysis*, p. 30.

60 للدولة دورها الحاسم في الإبقاء على النظام العالمي بعيدًا عن حافة الانهيار الذي قد تسببه المخاوف من "نهاية الدولة"، حيث يمكن ملاحظة تجاذب ثابت بين طرفي نقبض؛ فالفردي يسعى للاستفادة من مزايا العولمة، لكنه في المقابل يتمسك بالدولة لحمايته من مخاطرها؛ مثلما أن الفواعل من غير الدول تتبنى موقفًا هجينًا من الدولة، فهي قد تعمل على تفويض سلطتها، لكن ليس إلى الحد الذي قد تختفي معه. ينظر: حمشي، مدخل إلى نظرية التعمّد، ص 210.

العالمية والاقتصاد العالمي، فضلاً عن فهم الجائحة في حد ذاتها⁽⁶⁵⁾. غير أن الأعمال المبكرة لإقحام علم التعقّد والأنظمة المعقدة في العلوم الصحية والوبائية تعود إلى سنوات خلت قبل تفشيّ جائحة كورونا⁽⁶⁶⁾، في محاولة لتحسين استراتيجيات الوقاية والتدخل؛ إذ صار واضحاً من منظور التعقّد أن "الصحة والمرض يتأثران بعوامل متعددة ومتنوعة ومعقدة"، تتراوح بين مناعة الحواضن المضيفة

65 هذه القائمة غير حصرية بأي حال من الأحوال:

Michael C. Jackson, "How We Understand 'Complexity' Makes a Difference: Lessons from Critical Systems Thinking and the Covid-19 Pandemic in the UK," *Systems*, vol. 8, no. 4 (November 2020); S. Mangiarotti et al., "Chaos Theory Applied to the Outbreak of COVID-19: An Ancillary Approach to Decision-Making in Pandemic Context," *Epidemiology and Infection*, vol. 148 (May 2020), Octavian Postavaru, S.R. Anton & Antonela Toma, "COVID-19 Pandemic and Chaos Theory," *Mathematics and Computers in Simulation*, vol. 181 (March 2021) pp. 138-149; T. Ibn-Mohammeda et al., "A Critical Analysis of the Impacts of COVID-19 on the Global Economy and Ecosystems and Opportunities for Circular Economy Strategies," *Resources, Conservation & Recycling*, vol. 164 (January 2021); Imad Hassan et al., "A Systems Thinking Approach for Responding to the COVID-19 Pandemic," *Eastern Mediterranean Health*, vol. 26, no. 8 (2020); Tiago S. Jesus, Michel D. Landry & Karen Jacobs, "A 'New Normal' Following COVID-19 and the Economic Crisis: Using Systems Thinking to Identify Challenges and Opportunities," *Work*, vol. 67 (2020) pp. 37-46; Constantin Bratianu, "Toward Understanding the Complexity of the COVID-19 Crisis," *Management & Marketing*, vol. 15, no. S1 (October 2020); Fengbin Wang & Xue Zhang, "Microstructures and Dynamic Processes within the Five-Phase System: Regarding COVID-19 as a Complex System," *Frontiers of Business Research in China*, vol. 14, no. 20 (September 2020); Joachim P. Sturmberg & Carmel M. Martin, "Covid-19: How a Pandemic Reveals that Everything is Connected to Everything Else," *Journal of Evaluation in Clinical Practice*, vol. 26, no. 5 (2020); Federica Angelia & Andrea Montefusco, "Sensemaking and Learning During the Covid-19 Pandemic: A Complex Adaptive Systems Perspective on Policy Decision-Making," *World Development*, no. 136 (December 2020); Francesco Gonella et al., "Addressing COVID-19 Communication and Management by a Systems Thinking Approach," *Frontiers in Communication*, vol. 5 (July 2020); Rainer Johannes Klement, "Systems Thinking about SARS-CoV-2," *Frontiers in Communication*, vol. 5 (October 2020); David Haley, Alberto Paucar-Caceres & Sandro Schindwein, "A Critical Inquiry into the Value of Systems Thinking in the Time of COVID-19 Crisis," *Systems*, vol. 9, no. 1 (2021); Hua Zheng & Aldo Bonasera, "Chaos, Percolation and the Coronavirus Spread," *Frontiers in Physics*, vol. 135 (April 2020); Declan Terence Bradley et al., "A Systems Approach to Preventing and Responding to COVID-19," *Eclinical Medicine*, vol. 21 (April 2020), accessed on 8/2/2021, at: <https://bit.ly/2Z7zKJf>; Gabriela Ramos & William Hynes, "A Systemic Resilience Approach to Dealing with Covid-19 and Future Shocks," *New Approaches to Economic Challenges (NAEC)*, OECD, 28/4/2020, accessed on 8/2/2021, at: <https://bit.ly/2N8OYKX>

66 ينظر على سبيل المثال لا الحصر:

Stefanie J. Krauth et al., "A Call for Systems Epidemiology to Tackle the Complexity of Schistosomiasis, Its Control, and Its Elimination," *Tropical Medicine and Infectious Disease*, vol. 4, no. 1 (March 2019); A.M. El-Sayed & S. Galea, *Systems Science and Population Health* (Oxford: Oxford University Press, 2017); J.P. Sturmberg, *The Value of Systems and Complexity Sciences for Healthcare* (Berlin: Springer Publishing, 2016); Gemma Carey et al., "Systems Science and Systems Thinking for public Health," *BMJ Open*, vol. 5 (2015); B. Newell et al., "Seeing Obesity as a Systems Problem," *New South Wales Public Health Bulletin*, vol. 18, no. 11-12 (November 2008); M. Joffe et al., "Causal Diagrams in Systems Epidemiology," *Emerging Themes in Epidemiology*, vol. 9, no. 1 (2012); Andrew T. Price-Smith, *Contagion and Chaos: Disease, Ecology, and National Security in the Era of Globalization* (Cambridge, MA/ London: The MIT Press, 2009); Taghreed Adam, "Advancing the Application of Systems Thinking in Health," *Health Research Policy Systems*, vol. 12, no. 50 (2014); Eiliv Lund & Vanessa Dumeaux, "Systems Epidemiology in Cancer," *Cancer Epidemiology and Prevention Biomarkers*, vol. 17, no. 11 (November 2008); Neil Pearce & Franco Merletti, "Complexity, Simplicity, and Epidemiology," *International Journal of Epidemiology*, vol. 35, no. 3 (June 2006).

تزايد حدة التحولات العالمية⁽⁶¹⁾. وهذا ما تبيّنهُ أيضاً تجربة جائحة كورونا؛ وما سبّبته المرحلة اللاحقة للسيطرة على الجائحة قد لا يتعدّى تمسكاً أقوى بالرتيبات الإقليمية⁽⁶²⁾، أملاً في تجاوز المتاعب الناجمة عن تعطلّ عجلة الاقتصاد العالمي. فبعد أن قوّضت الحملات الانتخابية الشعبوية، اليمينية واليسارية، في أثناء الانتخابات الرئاسية الأميركية في عام 2016، مشروعَ الشراكة عبر المحيط الهادئ الذي بدأه الرئيس باراك أوباما Barack Obama (2009-2017)، وأطلق عليه الرئيس ترامب رصاص الرحمة بمجرد بلوغه الرئاسة⁽⁶³⁾؛ وبعد أن تضررت تحالفات الولايات المتحدة التجارية والاقتصادية تحت وطأة سياساته الحمائية، هي ذي الصين واليابان وكوريا الجنوبية ونيوزيلندا وأستراليا وعشر دول في جنوب شرق آسيا تُوقّع مجتمعةً اتفاقيةً "الشراكة الاقتصادية الإقليمية الشاملة" التي تضم ثلث حجم التجارة العالمية. حدث هذا في منتصف تشرين الثاني/ نوفمبر 2020، ويُتوقع أن تخفف الاتفاقية من وطأة التكلفة الاقتصادية لجائحة كورونا وتُعيد تشغيل الاقتصاد العالمي⁽⁶⁴⁾.

3. نظرية التعقّد وجائحة كورونا

مقارنة بالنظريات السائدة في حقل العلاقات الدولية، التي تناولها المبحث السابق، يكشف بحثٌ سريعٌ في الأدبيات عن حجم وفير مما نُشر عن جائحة كورونا من منظور التعقّد، إنْ في حقل العلاقات الدولية ومختلف محاور بحثه الأساسية، أم في مجال السياسات العامة الصحية، الوطنية والعالمية، بما في ذلك حوكمة الصحة

61 المرجع نفسه، ص 260.

62 في منتصف كانون الأول/ ديسمبر 2020، اعتمد الاتحاد الأوروبي "إطاراً مالياً متعدد السنوات لفترة 2021-2027، يتيح اعتماد خطة إعاش غير مسبوق، بمبلغ إجمالي قدره 750 مليار يورو، بما في ذلك 390 مليار يورو في شكل إعانات". يُنظر: "التضامن الأوروبي في مواجهة فيروس كورونا"، وزارة أوروبا والشؤون الخارجية الفرنسية، شوهده في 2021/2/8، في: <https://bit.ly/3zjKM0sD>؛ وينظر مثلاً دعوة الهند إلى استجابة إقليمية في جنوب آسيا لمواجهة تفشي وباء فيروس كورونا:

Rekha Dixit, "India leads regional response to coronavirus pandemic," *The Week Magazine*, 15/3/2020, accessed on 8/2/2021, at: <https://bit.ly/2JQoUiY>

63 ينظر:

Amy Skonieczny, "Populism and Trade: The 2016 US Presidential Election and the Death of the Trans-Pacific Partnership," in: Frank A. Stengel, David B. MacDonald & Dirk Nabers (eds.), *Populism and World Politics* (Cham, Switzerland: Palgrave Macmillan, 2019), pp. 337-336.

64 على الرغم من أن الولايات المتحدة ليست جزءاً من الاتفاقية، فإن الشركات المتعددة الجنسيات ستستفيد منها بمجرد وجودها بين الدول الأعضاء في الاتفاقية. ينظر: "إنشاء أكبر منطقة تجارة حرة تضم اقتصادات حجمها 26 تريليون دولار"، العربي الجديد، 2020/11/16، شوهده في 2021/2/8، في: <https://bit.ly/3tRfnOp>

الأمرض المعدية وغير المعدية تتلاشى مع وجود دلائل على ما صار يعرف بـ "العدوى البيو-اجتماعية" Biosocial Contagion⁽⁶⁸⁾.

تقترح بول وبراون وريد، بدلاً من ذلك، مقارنةً كُلائيةً للصحة؛ مقارنةً من شأنها أن تكون أكثر فاعليةً وكفاءةً وإنصافاً، حيث تصير كيفية تحضير السكان - بما في ذلك الفئات الأكثر هشاشة - لمواجهة الأوبئة مستقبلاً على رأس السياسات الصحية الوطنية والعالمية، وعلى رأس أجندات البحوث. وينبغي أن يعكس هذا مقارنةً أمنيّةً (مواجهة المشكلات المترتبة على الأعراض المرضية) ومقارنةً تنمية صحة (معالجة الأسباب والمحددات الأولية). وعند القيام بذلك، ينبغي ألا تقتصر الأهداف على مجرد تفعيل وضع الاستجابة، بل يجب أن تشمل جهوداً متضافرةً للحدّ من دور العوامل البيئية وحماية التنوع البيولوجي والحدّ من حالات التفاوت الصحي والاجتماعي وتعزيز نظم الصحة الوقائية المحلية ومساعدة السكان على الحدّ من عوامل الخطر الفردية وتقوية مناعتهم الطبيعية - ولا سيما من خلال التوعية بمختلف "السلوكات الصحية" والأنظمة الغذائية التي ثبت أنها تقوي جهاز المناعة العامة⁽⁶⁹⁾.

لذلك، تتطلّب أزمة جائحة كورونا تحوُّلاً نوعياً في البراديجم الذي تُصنع في إطاره السياسات الصحية العامة والعالمية. فالعالم لن يكون مستعداً للأوبئة المقبلة ما لم تتخذ خطوات جريئةً لخصتها بول وبراون وريد كما يلي: أولاً، لا ينبغي أن تُصمّم السياسات الصحية العالمية على أساس أسلوب الاستجابة لتهديدات كلّ حالة على حدة، بل يجب أن تعتمد مقارنةً تنظيميةً/ نسقيةً مبنيةً على تصور كُلائي للأعباء العالمية والمخاطر والظروف الصحية التي تفرضها الأمراض، فضلاً عن مراعاة الآثار التنظيمية/ النسقية الواسعة النطاق الناجمة عن التدابير المعتمدة؛ وثانياً، ستتطلّب مواجهة التشطّي الراهن الذي تعرفه الحكمة الصحية العالمية تحوُّلاً جوهرياً في صنع السياسات الصحية العالمية، من براديجم قائم على ردة الفعل، إلى براديجم نسقي/ نظمي ووقائي، مع إبداء التزامات جادة بالأمن الإنساني الصحي [إذ لا يمكن بأيّ حال من الأحوال فصله عن الأمن القومي للدول]؛ وثالثاً، ثمة حاجةٌ إلى تحويل التركيز من السياسات العلاجية القصيرة الأجل القائمة على البراديجم الباستوري، إلى السياسات الوقائية الطويلة الأجل القائمة على رؤية كُلائية لصحة مجموع السكان إجمالاً، وهي سياساتٌ تتضمن بوجه خاصّ الحدّ من دور العوامل البيئية،

والبيئة الاجتماعية والبيئة الطبيعية والمناخ وفرص الوصول إلى الخدمات الوقائية والعلاجية، وغيرها. لذلك، وجب تصميم استراتيجيات المكافحة بناءً على فهم أفضل وأشمل لمجموع العوامل الأوسع التي تؤثر في انتقال المرض وتحدد فرص نجاح التدخل. وقد دعت أدبياتٌ عديدةٌ إلى وجوب مراعاة العلاقات المتواشجة المعقدة Complex Interrelationships، والخصائص المنبثقة Emergent Properties، وحلقات التغذية الراجعة غير الخطية Non-linear Feedback-loops - وهي جميعها مفاهيم في صلب نظرية التعقّد. ولا يمكن تحديد مثل هذه الارتباطات المتبادلة Interdependencies في نظامٍ ما من خلال النظر في كلّ عامل من تلك العوامل على حدة، بل من خلال النظر إلى النظام إجمالاً، وذلك نقيض المقاربات الوبائية التقليدية، الاختزالية، التي تتعامل مع عدد محدود من العوامل المرتبطة على نحو مباشر بالوباء، أملاً في تبسيط الميكانيزمات السببية واختزالها في مكونات أصغر فأصغر مُكّننا من استخلاص استنتاجات قابلة للتعميم⁽⁶⁷⁾.

في السياق نفسه، تحاجّ إليزابيث بول وغاريت براون وفاليري ريد بأن الاستجابات السائدة لجائحة كورونا تستند إلى ما يسمى البراديجم الباستوري (نسبة إلى لويس باستور) الذي ينص على أن كلّ مرض يَنْتج من مُمرض واحد Pathogen. وبناءً عليه، فإن لكل مرض علاجاً واحداً، يستهدف المُمرض المسبّب لذلك المرض. واستناداً إلى هذا البراديجم، تتسابق المختبرات إلى إيجاد العلاج أو اللقاح المضاد لفيروس كورونا، وهو لقاحٌ قد تصير فاعليته محدودة إذا ما تحوّر الفيروس في وقت لاحق. ومع ذلك، من السهل رؤية كيف أن المُمرضات كلما زاد عددها في المستقبل، وهو ما سيحدث لا محالة (وتبيّن هذا سابقاً في هذا المبحث)، قلّت الجدوى من الاستناد إلى هذا البراديجم. ومن جهة أخرى، يفرض هذا البراديجم منهجاً محدوداً في البحث - يستند إلى تجارب التحكم العشوائية التي تحاول عزل متغير واحد من المتغيرات الممكنة كلها - ويقدمه على أنه المقياس الملئم للعلم، ما يجعل المناهج الأخرى أقرب ما تكون إلى الدّجل. مع ذلك، ثمة العديد من الأدلة التي تشير إلى أنه بخلاف المُمرض الواحد، فإن تطور المرض يتأثر تأثراً كبيراً بالسياقات المادية والاجتماعية التي يعمل فيها، وبالعوامل الاجتماعية والسياسية والبيئية. ويبدو هذا معروفاً على نطاق واسع لما يتعلق الأمر بالأمراض المزمنة غير المعدية، لكنه ينطبق أيضاً على الأمراض المعدية، خاصة بالنسبة إلى حالات العدوى الناشئة التي يمكن فيها ملاحظة الدور المُمرض لانعدام المساواة الاجتماعية. علاوة على ذلك، لا تفتأ الحدود التقليدية بين

68 Elisabeth Paul, Garrett W. Brown & Valery Ridde, "COVID-19: Time for Paradigm Shift in the Nexus Between Local, National and Global Health," *BMJ Global Health*, vol. 5 (2020), p. 3.

69 Ibid.

67 Krauth et al., pp. 2-3.

بين السبب والنتيجة فيها (سببية حلقة لاختية⁽⁷²⁾)؛ وهي تُبدي درجات عالية من التقلّب واللايقين والغموض؛ وغالبًا ما يتطلّب حلّها مقارنة متعدّدة التخصصات (ولذلك، يقدم علم التعلّق نفسه بأنه علمٌ متعدّد التخصصات/ عابِرٌ للتخصصات). وإذا ما أبدت المشكلات المعقّدة سلوكًا شواشيًا حادًا، فإن محاولات حلّها غالبًا ما تنبثق منها مشكلات ناشئة لم تكن متوقّعة.

يُقدّم رايوند أنيانو، على سبيل المثال، مقارنةً قائمّة على منظور التعلّق، لفهم الكيفية التي تتأثر بها مشكلة تفشيّ جائحة كورونا مع مشكلات التغير المناخي⁽⁷³⁾. ففي حين أن تغيّر المناخ هو عملية فيزيائية تصيب ببطء نظام مناخ الأرض (نظام طبيعي)، ولا تتأثر مع النظام البيئي (نظام طبيعي) فحسب، بل أيضًا مع الأنظمة الاقتصادية والاجتماعية والديموقراطية (الأنظمة المتمحورة حول الإنسان)، فإن تفشيّ جائحة كورونا هو "عملية بيولوجية" تسري بين الإنسان والحيوان، وتنتشر بسرعة في كلّ مكان، وتؤثر بدورها تقريبًا في كلّ نظام من الأنظمة الفرعية المتمحورة حول الإنسان. لذلك، تقترح نظرية التعلّق، على نحو ما سبق، أن فهم الجائحة - سواء تعلق الأمر بأسبابها أو آثارها أو الجهود العالمية للاستجابة لها - ينبغي أن تنطلق من "الإقرار بالترابط الوثيق بين الأنظمة الطبيعية والأنظمة المتمحورة حول الإنسان"⁽⁷⁴⁾، بما في ذلك النظام الدولي الذي ينبغي فهمه بوصفه نظامًا-عالمًا، تتشابك وتتأثر بتأثره السياسي والاقتصادي والاجتماعي (المحليّ والوطنيّ والعالمية) بعضها مع بعض، مثلما تتشابك وتتأثر هذه البنى مع الطبيعة الأوسع، حيث تكمن.

خاتمة

اتّضح في مبحث البنائية كيف أن الجائحة ينبغي عدم فهمها بوصفها معطى ماديًا، وكيف أنها في نهاية المطاف عبارة عن فهم ومعانٍ وتأويلات يُضيفها عليها الفاعلون. ويمكن أن نضيف هنا أن الجائحة، في جوهرها، قضية سياسية؛ إذ ترتبط بمسألتين أساسيتين: الأولى كيفية تفشيها، والثانية كيفية (أو كيفيات) مواجهة تفشيها؛ وفي القلب من كليهما، لا مناص من التفكير في السياسة، وفي

72 عن السببية من منظور التعلّق، ينظر: محمد حمشي، "السببية مشكلة في حقل العلاقات الدولية: ما الذي يمكن تعلّمه من علم التعلّق؟"، سياسات عربية، العدد 41 (تشرين الثاني/ نوفمبر 2019).

73 Raymond N. Anyanwu, "Looking through the Lens of Complexity Theory: An Evaluation of Climate Change and Coronavirus 2019 Outbreak," *Asian Journal of Interdisciplinary Research*, vol. 3, no. 2 (May 2020), pp. 38-39.

74 Kavalski, "Inside/Outside and Around," p. 4.

والحدّ من حالات التفاوت الصحي الاجتماعي، ومساعدة السكان على الحدّ من عوامل الخطر الفردية وتعزيز مناعتهم الطبيعية؛ وأخيرًا، يجب تكييف هذه السياسات الوقائية الشاملة مع السياقات المحلية وتنفيذها من خلال أنظمة صحية محلية قوية، قادرة على امتلاك القدرة "الوقائية" وعلى الاستجابة لحالات الطوارئ⁽⁷⁰⁾. لذلك، فإن هذا التحول في البراديغم ينبغي أن يجري في ضوء المنطق الذي تستند إليه نظرية التعلّق؛ منطق التشبيك بين المحليّ والعالمي، ضمن ما سمّاه جيمس روزنو "العومحلي" The Glocal⁽⁷¹⁾.

”

دأبت المقاربات الاختزالية، التي تدعو نظرية التعلّق إلى تجاوزها، على فهم المشكلات عبر تفكيكها إلى مشكلات (أو مكونات) أصغر فأصغر، وتحليل كلّ مشكلة صغرى على حدة، ثم إعادة تركيبها مرة أخرى لفهم تلك المشكلة (الكلّ هو مجموع الأجزاء). غير أن هذه المقاربة تفشل باستمرار في فهم المشكلات التي تتأثر فيها مكونات متعدّدة تتفاعل بطريقة غير خطية

“

دأبت المقاربات الاختزالية، التي تدعو نظرية التعلّق إلى تجاوزها، على فهم المشكلات عبر تفكيكها إلى مشكلات (أو مكونات) أصغر فأصغر، وتحليل كلّ مشكلة صغرى على حدة، ثم إعادة تركيبها مرة أخرى لفهم تلك المشكلة (الكلّ هو مجموع الأجزاء). غير أن هذه المقاربة تفشل باستمرار في فهم المشكلات التي تتأثر فيها مكونات متعدّدة تتفاعل بطريقة غير خطية. وتنطوي هذه المشكلات، التي صارت تُعرف بأنها معقّدة وشواشية، على شبكة متشابكة من المكونات والمكونات الفرعية التي تفتقر إلى تحكّم مركزي، كما أن دينامياتها تتطور باستمرار عبر الزمن؛ ولا يمكن تعقّب العلاقة

70 Ibid., p. 4.

71 ينظر:

James Rosenau, *Distant proximities: Dynamics Beyond Globalization* (Princeton: Princeton University Press, 2003), p. 11.

إلى درجة التهديد الوجودي الذي يقتضي انكفاء الدول على نفسها وتمسكاً أشدّ بسياسة "نفسى نفسى"! وهي تحدّ عابراً للحدود للنظام الدولي الليبرالي، بمعابيره ومؤسّساته، إذا ما وضع نظارةً ليبراليةً؛ وهي بناءً اجتماعيٌّ مفعّم بالمعاني والتأويلات البيذاتية، التي يضيفها عليها الفاعلون، تتباين بتباين الخطاب (إنها "ما تصنعه منها الدول")، إذا ما وضع نظارةً بنائيةً؛ وإذا ما وضع نظارةً التّعقد، فهي مشكلةٌ معقدةٌ تتطلب استجابةً معقدةً، تأخذ في الحسبان التآثر بين النظام الدولي بوصفه نظاماً متمحوراً حول الإنسان، والطبيعة بوصفها نظاماً غيرَ متمحور حول الإنسان، وتأخذ في الاعتبار التآثر بين مختلف مستويات الفعل السياسي، المحلي والوطني والإقليمي والعالمي، مثلما تأخذ في الحسبان أيضاً عبورَ التخصصات المعرفية وتعدّداتها.

لا بد من التشديد على أن تسمية جائحة كورونا ظاهرةً أو مشكلةً معقدةً، لا ينبغي أن تُفهم "انحيازاً" إستيمولوجياً لنظرية التعقد، ولا بد من التشديد أيضاً على أن التوسع في الجزء المُفرد لهذه النظرية لا ينبغي أن يُفهم شحاً في التحليل على النظريات الأخرى⁽⁷⁹⁾. انطلقت الدراسة من افتراض رئيس مفاده أن النظريات السائدة (الواقعية والليبرالية والبنائية) لا تقدم سوى المزيد من الشيء نفسه عن جائحة النظرية، خاصّةً مع حداثة العهد بها؛ لكنها احتفظت بافتراض آخر فحواه أنّ الوقت لمّا يسمح للقيام بتأمل ذاتي كافٍ لمراجعة ما يمكن مراجعته في أطروحاتها الأساسية بشأن هذه الظاهرة، هذا إن كانت (كلّها أو بعضها) ستفعل ذلك. مقارنةً بهذه النظريات، ومثلما يكشف عنه مسح الأدبيات، ثمة حجمٌ وفيرٌ مما نُشر عن جائحة كورونا من منظور التعقد. لذلك، وإذا ما استحضرنّا أمثلة "الأئدة والقناني" الواردة في عنوان الدراسة ومقدّماتها، يمكن أن يشكّل هذا البحث محاولةً في "تعتيق" منظور التعقد للعلاقات الدولية عربياً. ومن ناحية أخرى، كوّن الجائحة بدأت ظاهرةً طبيعيةً، وانتهى بها المطاف إلى أن صارت ظاهرةً متعددة الأبعاد، حتى لا أصرّ على استعمال نعت "معقدة"، فهذا يُمكن نظرية التعقد من أن تعطي زخماً إضافياً للنقاش الحالي بشأن الجائحة. مثلما بيّنت الدراسة. وبقدر ما أحاول الدفع بذلك درّةً للحكم على أطروحة الدراسة وبنائها بالانحياز إلى نظرية التعقد، أو بالشح عن النظريات الأخرى،

السياسة الدولية⁽⁷⁵⁾. منذ البدايات الأولى لتفشي الجائحة، طُلب من المشتغلين في حقل العلاقات الدولية وبانتظام، أن يشرحو لوسائل الإعلام العلاقات/ السياسة الدولية التي تقف خلف الاستجابة لتفشي الجائحة: لماذا تتباين سياسات الإبلاغ أو الاختبار أو الاستجابة بين الدول؟ إذ كانت ثمة دولٌ تستجيب لتوجيهات منظمة الصحة العالمية ودولٌ ترسم طريقها الخاصة؛ وما التداعيات السياسية والاقتصادية وتلك المتعلقة بالسفر والتجارة العالمية؟ وهل ثمة سياقات إقليمية واضحة لتصنيف اتجاهات التفشي والاستجابات على حدّ سواء؟ في هذا السياق، سجّلت سارة دايفيس وكليز وينهام دهشتها من أن منظمة الصحة العالمية أو مسؤولي (الصحة) المحليين نادراً ما طرحوا هذه الأسئلة، سعياً لتحسين جهود الاستجابة⁽⁷⁶⁾، كما استهجنّا امتعاض مجموعة اختصاصيين في الصحة العالمية من عدم وجود دراسات منشورة حول موضوع الأمن الصحي وكيفية تعزيز قدرة الدولة على الاستجابة للوائح الصحية الدولية⁽⁷⁷⁾؛ إذ على الرغم من الحجم الهائل من أبحاث العلاقات الدولية المنشورة ذات العلاقة، فإن أبحاث العلوم الاجتماعية يبدو أن خبراء الصحة لا يقرؤونها، وتبدو الجماعات المعرفية المتخصصة في الصحة العامة والأمن الصحي العالمي كأنها تُفضّل البقاء في صوامعٍ منفصلة، بعضها عن بعض⁽⁷⁸⁾.

قد تشكل نظرية التعقد فرصة لجعل النقاش بين هذه الجماعات المعرفية ممكناً، أو هذا ما يزعمه، ويسعى له أنصارها من مختلف الحقول المعرفية منذ سنوات عدة. ولا تسعى هذه الدراسة للمفاضلة بين طرائق تفكير نظريات العلاقات الدولية في جائحة كورونا. ولا بأس في اعتبارها عملاً وصفيّاً بحثاً. لكنها، وكما جاء في مقدمتها، تقدم للقارئ مجموعةً من النظارات التي يمكن عبرها فهم الجائحة؛ فهي، إذا ما وضع القارئ نظارةً واقعيةً، تهديدٌ يرقى

75 على المنوال نفسه، ينبغي النظر إلى منظمة الصحة العالمية وحوكمة الصحة العالمية والحوكمة العالمية برمّتها، باعتبارها بنية سياسية؛ ينبغي الإقرار بهذا والبناء عليه، لا الادعاء أن مسائل الصحة (الوطنية والعالمية) مسائل تقنية يجب عدم تسييسها؛ فالجائحة تفشى عبر دول تمارس السياسة بطرائق مختلفة، بعضها عن بعض، ومن ثم ينبغي عدم المحي بعيداً مع الدعوات القائلة إن الصحة ينبغي تزيهها عن السياسة. ومن هنا، اقترحت دايفيس ووينهام أن "منظمة الصحة العالمية في حاجة إلى تبني السياسي إلى جانب التقني، وينبغي على وجه التحديد أن تُشرك في عملها خبراء السياسة الخارجية والدبلوماسية". لأن التأثير في سياسات الدول الوطنية وأنظمتها الصحية يتطلب ذلك، ولأن منطق التعاون الدولي أيضاً يقتضي ذلك، ينظر:

Sara E. Davies & Clare Wenham, "Why the COVID-19 Response Needs International Relations," *International Affairs*, vol. 96, no. 5 (September 2020), p. 1228.

76 Ibid., p. 1229.

77 Hans Kluge et al., "Strengthening Global Health Security by Embedding the International Health Regulations Requirements into National Health Systems," *BMJ Global Health*, vol. 3 (2018), accessed on 8/2/2021, at: <https://bit.ly/36whAEL>

78 Davies & Wenham, p. 1228.

79 جاءت ملاحظة الانحياز إلى نظرية التعقد في تعقيب أحد مُحكمّي الدراسة، في حين جاءت ملاحظة شح المساحة المُفردة للنظريات الأخرى في تعقيبي المُحكّمين كليهما.

المراجع

العربية

أمناكي، عبد الكريم. "شعبويو السلطة وجائحة كورونا: بين اعتيادية التدابير وخصوصية الخطاب، حالة الولايات المتحدة تحت إدارة دونالد ترامب". *سياسات عربية*. العدد 50 (أيار / مايو 2021).

بروسنان، دييورا، وجيمس بوهلاند وأندرياس ريتشكيمر. "عقد اجتماعي جديد في ظل أزمة عالمية". كلية السياسات العامة. جامعة حمد بن خليفة. في: <https://bit.ly/3rMxvXP>

بشاره، عزمي. في الإجابة عن سؤال ما الشعبية، الدوحة/ بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2019.

_____ . "الشعبوية والأزمة الدائمة للديمقراطية". *سياسات عربية*. العدد 40 (أيلول/ سبتمبر 2019).

حسين، أحمد قاسم. "النظام الدولي وجائحة كورونا: سجل تأثير الأوبئة في العلاقات الدولية". *سياسات عربية*. العدد 50 (أيار/ مايو 2021).

حمشي، محمد. "الانتقائية التحليلية في حقل العلاقات الدولية". *سياسات عربية*. العدد 28 (أيلول/ سبتمبر 2017).

_____ . "السببية مشكلة في حقل العلاقات الدولية: ما الذي يمكن تعلمه من علم التعقّد؟". *سياسات عربية*. العدد 41 (تشرين الثاني/ نوفمبر 2019).

_____ . "عن إمكانية التنبؤ زمن جائحة كورونا: تأملات من علم التعقّد". *تحليل سياسات*. المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات. 2020/6/22. في: <https://bit.ly/2Z4qAgv>

_____ . "نظرية التعقّد في العلاقات الدولية: النظام الدولي كنظام معقد وشواشي السلوك". *المستقبل العربي*. السنة 42، العدد 484 (حزيران/ يونيو 2019).

_____ . "نظرية التعقّد والنقاش النظري الخامس في حقل العلاقات الدولية: مراجعة للأدبيات". *المجلة الجزائرية للأمن والتنمية*. العدد 7 (كانون الثاني/ يناير 2018).

_____ . *مدخل إلى نظرية التعقّد في العلاقات الدولية*. الدوحة/ بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2021.

خبر، شهرزاد. "الاقتصاد السياسي الدولي وجائحة كورونا: تأملات نظرية ومساءلات مبكرة". *سياسات عربية*. العدد 50 (أيار/ مايو 2021).

بقدر ما أسعى لإظهار مزايا الانتقائية التحليلية⁽⁸⁰⁾ وفضلها في تشكيل فهم غير اختزالي لجائحة كورونا⁽⁸¹⁾.

أخيراً، إذا كان البحث في الطرائق التي يُفكر بها حقل العلاقات الدولية في جائحة كورونا جزءاً من مشروع إبستيمولوجي في المقام الأول، فإن هذا المشروع لا ينبغي له أن يخلو من تأمل نقدي يتجاوز سؤال "كيف يفكر الحقل المعرفي في الجائحة؟"، وصولاً إلى سؤال "من يفكر؟" و"لأي غرض؟" إذا كان السؤال الأول هو جوهر الإبستيمولوجيا بوصفها تأملاً في كيفية بناء المعرفة، فإن السؤالين الآخرين يستقيان مسوغ طرحهما مما يمكن اعتباره إبستيمولوجيا نقدية؛ إذ يقدمان تأملات في "من" يصنع المعرفة، و"ما الغرض" الذي تُصنَع لأجله تلك المعرفة. ومهمته هذه الإبستيمولوجيا النقدية هو السعي للاشتباك، مجدداً، مع عبارة روبرت كوكس الذائعة الصيت، "النظرية هي دائماً لشخص ما، ولغرض ما"⁽⁸²⁾؛ مثلما ينبغي أن ينصبّ اهتمامها على الكشف عما هو سياسيٌ ضمن ما يُقدّم للجُمهور على أنه تفكيرٌ نظريٌ م(ت)جرد في جائحة كورونا التي صارت، إلى الآن، جزءاً لا يتجزأ من معيش الناس اليومي.

80 ينظر: محمد حمشي، "الانتقائية التحليلية في حقل العلاقات الدولية"، *سياسات عربية*، العدد 28 (أيلول/ سبتمبر 2017).

81 في هذا السياق، يحدّثنا عبد النور بن عنتر من الانقياد خلف الأذعان أن الاستجابات الدولية للجائحة أكّدت، إلى حد بعيد، المقولات الواقعية، وفدّت إلى حدّ ما المقولات الليبرالية، بما فيها المؤسساتية، فالأمر مثلاً ليس صراعاً بين "الشر" الواقعي و"الخير" الليبرالي، أو بين "الطبيعي" المعقد والاجتماعي البناي، لكنه يتعلق أساساً بالجدوى التحليلية للانتقاء من بين افتراضات هذه النظريات كلها لتفسير الحالة موضوع البحث، وحتى إن بدا ميل الميزان إلى نظرية على حساب أخرى، فإنه يبقى ميلاً لم - وربما لن - يُحسَم أمره. فالروافد النظرية الأربعة التي تستند إليها الدراسة، تفيد كلها، لكن جزئياً فحسب. لذلك، فنحن في حاجة إلى توليفة انتقائية، هي وحدها الكفيلة بتقديم فهم متكامل ومتسق للجائحة. عبد النور بن عنتر، في تعقيب على الورقة عبر بريد الباحث الإلكتروني (بتصرف).

82 Robert Cox, "Social Forces, States and World Orders: Beyond International Relations Theory," *Millennium: Journal of International Studies*, vol. 10, no. 1 (1981), p. 128.

Cilliers, Paul. *Complexity and Postmodernism: Understanding Complex Systems*. New York: Routledge, 1998.

Cox, Robert. "Social Forces, States and World Orders: Beyond International Relations Theory." *Millennium: Journal of International Studies*. vol. 10, no. 1 (1981).

Davies, Sara E. & Clare Wenham. "Why the COVID-19 Response Needs International Relations." *International Affairs*. vol. 96, no. 5 (September 2020).

Deyermond, Ruth. "Eppur si muove: Realism in the Age of Pandemic." *New Perspective*. vol. 28, no. 4 (2020).

Dinnen, Mark J. "The Pandemic Threat: Re-establishing the Utility of Hans Morgenthau's Classical Realism for 21st Century International Relations." PhD. Dissertation. Department of International Relations. Faculty of Humanities and Social Sciences. Bond University. Queensland, 2011. at: <https://bit.ly/3jwE8dR>

Dixit, Rekha. "India Leads Regional Response to Coronavirus Pandemic." *The Week Magazine*. 15/3/2020. at: <https://bit.ly/2JQoUiY>

Drezner, Daniel W. "The Song Remains the Same: International Relations after COVID-19." *International Organization*. vol. 74, no. S1 (December 2020). at: <https://bit.ly/3A5ries>

El-Sayed, A.M. & S. Galea. *Systems Science and Population Health*. Oxford: Oxford University Press, 2017.

Gonella, Francesco. et al. "Addressing COVID-19 Communication and Management by a Systems Thinking Approach." *Frontiers in Communication*. vol. 5 (July 2020).

Grimes, Peter E. "Evolution and World-Systems." *Journal of World-System Research*. vol. 23, no. 2 (2017).

Gvosdev, Nikolas. "Why the Pandemic Has Revived Hard-Nosed Realism." *World Politics Review*. 8/9/2020. at: <https://bit.ly/3p9S92y>

دان، تيم، وميليا كوركي وستيف سميث (محررون). *نظريات العلاقات الدولية: التخصص والتنوع*. ترجمة ديما الخضرا. سلسلة ترجمان. الدوحة/ بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2016.

كاييه، آلان وستيفان دوفوا (إشراف). *التحول العولمي للعلوم الاجتماعية*. ترجمة جان ماجد جبور. بيروت: مؤسسة الفكر العربي، 2017.

موده، كاس وكريستوبل روفيرا كالتواسر. *مقدمة مختصرة في الشعبية*. ترجمة سعيد بكار ومحمد بكار. سلسلة ترجمان. الدوحة/ بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2020.

الأجنبية

Adam, Taghreed. "Advancing the Application of Systems Thinking in Health." *Health Research Policy Systems*. vol. 12, no. 50 (2014).

Afsahi, Afsoun. et al. "Special Issue: Democracy in the Time of COVID-19." *Democratic Theory*. vol. 7, no. 2 (2020).

Angelia, Federica & Andrea Montefusco. "Sensemaking and Learning During the Covid-19 Pandemic: A Complex Adaptive Systems Perspective on Policy Decision-Making." *World Development*. no. 136 (December 2020).

Anyanwu, Raymond N. "Looking through the Lens of Complexity Theory: An Evaluation of Climate Change and Coronavirus 2019 Outbreak." *Asian Journal of Interdisciplinary Research*. vol. 3, no. 2 (May 2020).

Basrur, Rajesh & Frederick Kliem. "Covid-19 and International Cooperation: IR Paradigms at Odds." *SN Social Science*. vol. 1, no. 1 (2021).

Bradley, Declan Terence et al. "A Systems Approach to Preventing and Responding to COVID-19." *Eclinical Medicine*. vol. 21 (April 2020). at: <https://bit.ly/2Z7zKJf>

Bratianu, Constantin. "Toward Understanding the Complexity of the COVID-19 Crisis." *Management & Marketing*. vol. 15, no. S1 (October 2020).

Carey, Gemma et al. "Systems Science and Systems Thinking for Public Health." *BMJ Open*. vol. 5 (2015).

- Kavalski, Emilian. "The Fifth Debate and the Emergence of Complex International Relations Theory." *Cambridge Review of International Affairs*. vol. 20, no. 03 (2007).
- _____. "The Complexity of Global Security Governance: An Analytical Overview." *Global Society*. vol. 22, no. 4 (2008).
- _____. (ed.). *World Politics at the Edge of Chaos*. New York: State University of New York Press, 2015.
- Kissane, Dylan. "Moving Beyond Anarchy: A Complex Alternative to a Realist Assumption." PhD. Dissertation. School of International Studies. University of South Australia. Australia, 2009.
- Klement, Rainer Johannes. "Systems Thinking about SARS-CoV-2." *Frontiers in Communication*. vol. 5 (October 2020).
- Kluge, Hans et al. "Strengthening Global Health Security by Embedding the International Health Regulations Requirements into National Health Systems." *BMJ Global Health*. vol. 3 (2018). at: <https://bit.ly/36whAEL>
- Krauth, Stefanie J. et al. "A Call for Systems Epidemiology to Tackle the Complexity of Schistosomiasis, Its Control, and Its Elimination." *Tropical Medicine and Infectious Disease*. vol. 4, no. 1 (March 2019).
- Lund, Eiliv & Vanessa Dumeaux. "Systems Epidemiology in Cancer." *Cancer Epidemiology and Prevention Biomarkers*. vol. 17, no. 11 (November 2008).
- Mangiarotti, S. et al. "Chaos Theory Applied to the Outbreak of COVID-19: An Ancillary Approach to Decision-Making in Pandemic Context." *Epidemiology and Infection*. vol. 148 (May 2020).
- McIntosh, Chris. "Writing Quantum Entanglement into International Relations." *Millennium: Journal of International Studies*. vol. 49, no. 1 (2020).
- Mede, Niels G. "'The People Have Enough of Exports!' How to Understand Populist Challenges
- Hale, Thomas et al., "Variation in Government Responses to COVID-19." *BSG Working Paper Series*. no. 32 University of Oxford (May 2020). at: <https://bit.ly/2NhQ0V0>
- Haley, David, Alberto Paucar-Caceres & Sandro Schindwein. "A Critical Inquiry into the Value of Systems Thinking in the Time of COVID-19 Crisis." *Systems*. vol. 9, no. 1 (2021)
- Hamilton, Clive. "Silencing the Scientists: The Rise of Right-Wing Populism." *Our World*. 2/3/2011. at: <https://bit.ly/2N0fEOr>
- Hassan, Imad et al. "A Systems Thinking Approach for Responding to the COVID-19 Pandemic." *Eastern Mediterranean Health*. vol. 26, no. 8 (2020).
- Ibn-Mohammeda, T. et al. "A Critical Analysis of the Impacts of COVID-19 on the Global Economy and Ecosystems and Opportunities for Circular Economy Strategies." *Resources, Conservation & Recycling*. vol. 164 (January 2021).
- International Organization*. vol. 74, no. S1 (December 2020). at: <https://bit.ly/3wDUqqA>
- Jackson, Michael C. "How We Understand 'Complexity' Makes a Difference: Lessons from Critical Systems Thinking and the Covid-19 Pandemic in the UK." *Systems*. vol. 8, no. 4 (November 2020).
- Jaworsky, Bernadette Nadya & Runya Qiaoan, "The Politics of Blaming: The Narrative Battle between China and the US over COVID-19." *Journal of Chinese Political Science*. vol. 25, no. 4 (2020).
- Jesus, Tiago S., Michel D. Landry & Karen Jacobs. "A 'New Normal' Following COVID-19 and the Economic Crisis: Using Systems Thinking to Identify Challenges and Opportunities." *Work*. vol. 67 (2020).
- Joffe, M. et al. "Causal Diagrams in Systems Epidemiology." *Emerging Themes in Epidemiology*. vol. 9, no. 1 (2012).

- Price-Smith, Andrew T. *Contagion and Chaos: Disease, Ecology, and National Security in the Era of Globalization*. Cambridge, MA/ London: The MIT Press, 2009.
- Prügl, Elisabeth. "The Gender Thing: Apparatuses and Intra-Agential Ethos." *Millennium: Journal of International Studies*. vol. 49, no. 1 (2020).
- Ramos, Gabriela & William Hynes. "A Systemic Resilience Approach to Dealing with Covid-19 and Future Shocks." *New Approaches to Economic Challenges (NAEC)*. OECD. 28/4/2020. at: <https://bit.ly/2N8OYKX>
- Rausch, Thomas. "What if the Covid19 World is what States Make of it?" Bertelsmann Stiftung. 16/4/2020, at: <https://bit.ly/2MKhYZZ>
- Rosenau, James. "Patterned Chaos in Global Life." *International Political Science Review*. vol. 9, no. 4 (1988).
- Rosenau, James. *Distant proximities: Dynamics Beyond Globalization*. Princeton: Princeton University Press, 2003.
- Sjoberg, Laura. "Quantum Ambivalence." *Millennium: Journal of International Studies*. vol. 49, no. 1 (2020).
- Stengel, Frank A., David B. MacDonald & Dirk Nabers (eds.). *Populism and World Politics*. Cham, Switzerland: Palgrave Macmillan, 2019.
- Sturmberg, J.P. *The Value of Systems and Complexity Sciences for Healthcare*. Berlin: Springer Publishing, 2016.
- Sturmberg, Joachim P. & Carmel M. Martin. "Covid-19: How a Pandemic Reveals that Everything is Connected to Everything Else." *Journal of Evaluation in Clinical Practice*. vol. 26, no. 5 (2020).
- Wallerstein, Immanuel. *After Liberalism*. New York: The New Press, 1995.
- _____. *World-Systems Analysis: Introduction*. 4th ed. North Carolina: Duke University Press, 2004.
- to Science." Public Understanding of Science Blog: Science & society/ Communication. 10/6/2020. at: <https://bit.ly/3pe9tDz>
- Morin, Edgar. *On Complexity*. Robin Postel (trans.). Cresskill, NJ: Hampton Press, Inc., 2008.
- Murphy, Michael P.A. "Forum on Laura Zanotti, Ontological Entanglements, Agency, and Ethics in International Relations: Exploring the Crossroads (Routledge, 2019)." *Millennium: Journal of International Studies*. vol. 49, no. 1 (2020).
- _____. "Quantising Post-critique: Entangled Ontologies and Critical International Relations." *Millennium: Journal of International Studies*. vol. 49, no. 1 (2020).
- Newell, B. et al. "Seeing Obesity as a Systems Problem." *New South Wales Public Health Bulletin*. vol. 18, no. 11-12 (November 2008).
- Nugroho, Ganjar. "Constructivism and International Relations Theories." *Global & Strategies*. vol. 2, no. 1 (January 2008).
- Pan, Chengxin. "Enfolding wholes in Parts: Quantum holography and International Relations." *European Journal of International Relations*. vol. 26, no. S1 (2020).
- Paul, Elisabeth, Garrett W. Brown & Valery Ridde. "COVID-19: Time for Paradigm Shift in the Nexus Between Local, National and Global Health." *BMJ Global Health*. vol. 5 (2020).
- Pearce, Neil & Franco Merletti. "Complexity, Simplicity, and Epidemiology." *International Journal of Epidemiology*. vol. 35, no. 3 (June 2006).
- Postavaru, Octavian, S.R. Anton & Antonela Toma. "COVID-19 Pandemic and Chaos Theory." *Mathematics and Computers in Simulation*. vol. 181 (March 2021).

Walt, Stephen M. "The Realist's Guide to the Coronavirus outbreak." *Foreign Policy*. 9/3/2020, at: <https://bit.ly/2Z0JQeC>

Wang, Fengbin & Xue Zhang. "Microstructures and Dynamic Processes within the Five-Phase System: Regarding COVID-19 as a Complex System." *Frontiers of Business Research in China*. vol. 14, no. 20 (September 2020).

Wendt, Alexander. "Anarchy is What States Make of it: The Social Construction of World Politics." *International Organization*. vol. 46, no. 1 (1992).

Yıldız-Alanbay, Sengül. "The Matter of Affect in the Quantum Universe." *Millennium: Journal of International Studies*. vol. 49, no. 1 (2020).

Zanotti, Laura. "A Response to the Millennium Forum." *Millennium: Journal of International Studies*. vol. 49, no. 1 (2020).

Zanotti, Laura. *Ontological Entanglements, Agency, and Ethics in International Relations: Exploring the Crossroads*. London: Routledge, 2018.

Zheng, Hua & Aldo Bonasera. "Chaos, percolation and the Coronavirus Spread." *Frontiers in Physics*. vol. 135 (April 2020).

أحمد قاسم حسين | Ahmed Qasem Hussein *

النظام الدولي وجائحة كورونا: سجل تأثير الأوبئة في العلاقات الدولية

The International System and the Covid-19 Pandemic: The Debate over the Effects of Epidemics on International Relations

تنتقل هذه الدراسة من افتراض أنه لا يمكن الجزم بأن تفشي جائحة كورونا سيغير بنية النظام الدولي في المدى المنظور. فإذا كان الوباء عارضاً ولا يحمل في طياته القدرة على تغيير توزيع القوة الحالي، فإن هذا العارض فتح حواراً في حقل العلاقات الدولية حول تأثير الأوبئة المعدية وسريعة الانتقال في بنية النظام الدولي، وقدرتها على تكثيف العوامل الأساسية التي تسهم في التغيير/التغير في النظام الدولي، سواء أكانت اقتصادية أم اجتماعية أم سياسية، وفي مناطق مختلفة من العالم. ويلاحظ أن التوازنات الدولية، قبل الوباء وانتشاره، تشير إلى بداية حدوث تغيير/تغير في النظام الدولي، كأنه يتحرك نحو شكل من أشكال تعدد الأقطاب في ظل صعود قوى دولية، مثل الصين وروسيا والاتحاد الأوروبي، تتعارض مصالحها في مناطق مختلفة من العالم، في ظل سعي الولايات المتحدة الأميركية إلى الحؤول دون صعود قوى منافسة لها في المدى المنظور.

كلمات مفتاحية: جائحة كورونا، النظام الدولي، التغير، الواقعية، تعددية الأقطاب، الليبرالية.

This study builds on the assumption that any change in the structure of the international system in the foreseeable future cannot be immediately ascribed to the outbreak of the Covid-19 pandemic. However, even if the pandemic is purely incidental and unable to change the existing distribution of power, this does not mean it has not introduced a dialogue within International Relations on the impact of epidemics on the structure of the international system, and their ability to intensify some essential - economic, social, and political - factors that contribute to international system change. International power balances before the outbreak of the pandemic indicate the beginning of change of the international system, as if it has been moving towards multipolarity, particularly with many rising powers, such as China, Russia and the European Union, whose international interests challenge those of the US, especially as the latter persistently impedes any rise of rival powers in the foreseeable future.



Keywords: Covid-19, Pandemic, International System, Change, Realism, Multipolarity, Liberalism.

* باحث، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات.

مقدمة

في عام 2008، وذلك إثر انهيار المؤسسات المالية الأمريكية، وخسارة ما يقرب من تريليون دولار خلال أزمة الرهن العقاري⁽¹⁾، فاختل استقرار النظام الدولي في ظل وجود القطب الواحد، وتتبع الأزمات الدولية. وقد دفع هذا الأمر بعض منظري وباحثي العلاقات الدولية إلى الاعتقاد أن لحظة التغيير/ التغير في النظام الدولي آتية لا محالة، وأن العالم في انتظار العامل "x" القادح الذي سيفجر "أزمة نظامية" على المستوى الدولي. قد يكون هذا العامل مواجهة عسكرية بين قوتين دوليتين، أو أزمة اقتصادية ومالية تعصف بالنظام الاقتصادي الدولي، أو اصطفاً وتغييراً في شكل التحالفات القائمة في النظام الدولي التي تحافظ الولايات المتحدة من خلالها على موقع مميز في النظام الدولي، خاصة مع صعود قوى دولية تحاول القيام بأدوار أساسية في السياسة الدولية، من بينها الصين والاتحاد الأوروبي واليابان وروسيا، التي تنافس نسبياً الولايات المتحدة على السيطرة والنفوذ. وتزامن ذلك مع صعود قوى إقليمية غير مقتنعة ببنية النظام الدولي الحالي، مثل فنزويلا وتركيا وإيران والهند وجنوب أفريقيا، وتحاول هذه القوى التعديلية Revisionist Powers استغلال التناقضات في المصالح والتوجهات بين القوى الدولية الكبرى الفاعلة من أجل تعظيم نفوذها، وسيطرتها في الأقاليم ذات الأهمية الاستراتيجية بالنسبة إلى تلك القوى الدولية الكبرى.

لقد شهد النظام الدولي استخداماً كثيفاً للقوة العسكرية الخشنة Hard Power من الولايات المتحدة في مناطق توترات إقليمية عديدة في الفترة التي عقت انتهاء الحرب الباردة. فقد ساهم الفراغ في بنية النظام الدولي، الذي خلفه انهيار الاتحاد السوفياتي، في زيادة هيمنة الولايات المتحدة وتدخلها من دون قيد يمكن أن تشكله قوى دولية منافسة أو قادرة على ردعها. وإذا تبعنا الفترة 1991-2018، سنلاحظ أن الولايات المتحدة تدخلت، بدرجات متفاوتة، في عدد كبير من مناطق مختلفة شهدت توترات وأزمات أمنية وسياسية⁽²⁾، تتوعت بين التدخل الدولي بذريعة حماية المدنيين، واستعادة الأمن

ينشغل الباحثون، عموماً، على مختلف اختصاصاتهم، وباحثو تاريخ العلاقات الدولية بخاصة، برصد وتحليل التحولات الكبرى التي تطرأ على مستوى النظام الدولي الذي يتكون من مجموعة من الوحدات Units (دول، ومنظمات حكومية وغير حكومية، وأفراد). وهذه الوحدات تسعى، اعتماداً على ما تملكه من مقومات القوة (المادية وغير المادية)، إلى تعزيز قوتها الاقتصادية والعسكرية وبناء الشراكات والتحالفات على نحو يحقق مصالحها، ويضمن أمنها واستقرارها، بحيث تواصل رحلة السعي للبقاء في نظام دولي يتسم بالفوضوية وتغيب عنه السلطة المركزية.

لقد عرف العالم حالة استقرارٍ في توزيع القوة على المستوى الدولي بين القوى الفاعلة والمؤثرة في السياسة الدولية في مراحل تاريخية مختلفة، منذ نشوء الدول القومية مع توقيع صلح وستفاليا عام 1648، الذي أرسى نظاماً جديداً في أوروبا مبنياً على مبدأ سيادة الدول القومية. وقد أثر هذا الصلح على نحو مباشر في النظام الدولي برمته في وقت لاحق؛ فباتت الدولة القومية منذ القرن الثامن عشر هي الشكل السائد للتنظيم السياسي، والفاعل الأساسي في النظام الدولي.

كان آخر توزيع مستقر للقوة شهده العالم بين الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة الأمريكية ضمن تركيبة ثنائية القطبية بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية عام 1945، التي خطت ملامح السياسة الدولية ضمن حقبة اصطُح على تسميتها "الحرب الباردة". وترافقت بداية هذه الحرب مع انتهاء تدريجي لحقبة الاستعمار الكلاسيكي، وتكاثر الدول القومية التي أعادت تشكيل الخريطة السياسية لقارات العالم كافة. لم يصل التصعيد بين قطبي النظام الدولي في حقبة الحرب الباردة إلى مستوى المواجهة والاصطدام، بل اقتصر التنافس بينهما على توسيع نفوذهما في ساحات عديدة من العالم، عبر دعم الحلفاء في تحقيق بعض الاختراقات السياسية والاقتصادية في مناطق نفوذ أحد المعسكرين، الشرقي أو الغربي، على امتداد رقعة الشطرنج الجيوبوليتيكية التي تجمعهما. وما إن خفّت حدة المنافسة بينهما مع انهيار الاتحاد السوفياتي حتى طويت صفحة الحرب الباردة، وتربعت الولايات المتحدة على قمة هرم النظام الدولي بوصفها أكبر قوة عسكرية واقتصادية وتكنولوجية مؤثرة في السياسة الدولية. حينها، فُتح الباب مُشرعاً على دراسة التحولات في النظام الدولي ومستقبله في ظل نظام أحادي القطبية.

في إثر كل مرة يخفت النقاش والجدل الأكاديمي حول طبيعة النظام الدولي، يعود مع كل أزمة ذات أبعاد دولية. فقد عاد الجدل مجدداً حول شكل النظام الدولي وطبيعته مع الأزمة المالية العالمية

1 للمزيد حول انهيار المؤسسات المالية الأمريكية، يُنظر في تقرير التحقيق في الأزمة المالية، الذي نشرته الحكومة الأمريكية ولجنة التحقيق في الأزمة المالية في أوائل عام 2011، وهو تقرير حكومي رسمي عن الانهيار المالي للولايات المتحدة ومراجعة المؤسسات المالية الكبرى التي تعرضت للإفلاس خلال الأزمة المالية العالمية:

Financial Crisis Inquiry Commission, *The Financial Crisis Inquiry Report: The Final Report of the National Commission on the Causes of the Financial and Economic Crisis in the United States Including Dissenting Views*, Danny Schechter (fore.) (New York: Cosimo, Inc, 2011).

2 تشمل التدخلات العسكرية الأمريكية بعد الحرب الباردة: الكويت (1990)، الصومال (1992)، البوسنة والهرسك (1995). كما أرسلت الولايات المتحدة 20 ألف جندي إلى هايتي عام 1994، ثم قامت بغزو أفغانستان عام 2001، والعراق عام 2003. ثم إسقاط نظام القذافي في ليبيا عام 2011 بالتنسيق مع حلف شمال الأطلسي، وفي عام 2014 في العراق وسورية، وفي عام 2016 في سرت بليبيا، كما وُجهت ضربات محدودة ضد النظام السوري عام 2018.

مهددًا، فهي صاحبة القول الفصل في تعزيز النظام الصحي وتطوير المخاطر والتداعيات التي تنجم عن تفشي الأوبئة. أما الماركسيون، فهم يؤكدون أن الصحة هي مسألة أخرى تظهر الفارق الاقتصادي بين الدول الغنية والدول النامية والفقيرة في النظام الدولي، وهم أكثر سرعة في الإشارة إلى الفروق بين النظم الصحية التي تفاقمت بسبب ظروف العمل والعيش والاستغلال، ويسارعون إلى إدانة الشركات المتعددة الجنسيات، التي هي أكثر اهتمامًا بأرباح الحد الأدنى بدلًا من الأهداف الاجتماعية والإنسانية. في حين يسهم الوباء المعدي، وفق المنظور البنائي في العلاقات الدولية، في زيادة التفاعل بين المجتمعات التي انتشر فيها الوباء المعدي وبنية النظام الدولي، على نحو يفرض إلى إضافة عنصر جديد يدخل في تشكيل هوية النظام الدولي في المدى المنظور.

واليوم، وفي خضمّ جائحة كورونا، القادرة على وضع القيود على التفاعل الدولي، قد نشهد حركة تنظرية في حقل العلاقات الدولية تركز البحث في متغير جديد، هو الوباء الذي يحمل في طياته تأثيرًا في دور الفواعل وطبيعتها في النظام الدولي. لذا، تنطلق هذه الدراسة من افتراض أنه لا يمكن الجزم بأن تفشي فيروس كورونا سيغيّر بنية النظام الدولي في المدى المنظور. فإذا كان الوباء عارضًا ولا يحمل في طياته القدرة على تغيير توزيع القوة الحالي في النظام الدولي، فإنّ هذا العارض فتح حوارًا في حقل العلاقات الدولية حول دور الأوبئة، المعدية وسريعة الانتقال، في التأثير في بنية النظام الدولي، وقدرته على تكثيف العوامل الأساسية التي تسهم في التغيير في النظام الدولي، سواء أكانت اقتصادية أم اجتماعية أم سياسية، وفي مناطق مختلفة من العالم. ويلاحظ أن التوازنات الدولية قبل الوباء وانتشاره، تشير إلى بداية حدوث تغيير/تغير في النظام الدولي، كأنه يتحرك نحو شكل من أشكال تعدد الأقطاب في ظل صعود قوى دولية، مثل الصين وروسيا والاتحاد الأوروبي، التي تتعارض مصالحها في مناطق مختلفة من العالم، في ظل سعي الولايات المتحدة إلى الحؤول دون صعود قوى منافسة لها في المدى المنظور. وبناء عليه، قد تطرح جائحة كورونا مجموعة من الأسئلة حول شكل النظام الدولي وطبيعته. فهل ستدخل الأوبئة بوصفها متغيرات جديدة في فهم تطور الظواهر الدولية، وتسهم في تحديد الكيفية التي سيتطور بها هذا النظام الدولي الجديد؟ وهل ستكون إحدى النتائج التي قد تتمخض عن انتشار هذا الوباء هي فتح الباب أمام حوار جديد ضمن حوارات العلاقات الدولية، بالتزامن مع عودة دور الدولة باعتبارها الفاعل الأساسي في النظام الدولي، ونقد حوارات العولمة في نظريات العلاقات الدولية؟

والاستقرار في الدولة موضع التدخل، أو كانت بمسمى المسؤولية الجماعية للحماية مثلما حدث في البلقان، أو بدعوى محاربة الإرهاب والتطرف بعد أحداث 11 سبتمبر 2001 مثلما حدث في أفغانستان والعراق.

لا يخفى أن التنافس بين الفواعل في النظام الدولي على اختلافها، من أجل تعظيم نفوذها وسيطرتها، يكون عبر استخدام القوة بكل أشكالها، الصلبة والناعمة والذكية. وقد شهد العالم مؤخرًا إنفاقًا هائلًا على التسليح واقتناء تكنولوجيا الرقابة والتحكم التي ساهمت في تطويرها ثورة التكنولوجيا المتسارعة. ولم تأخذ تلك الفواعل في الحسبان، في رحلتها نحو تعظيم مصالحها ونفوذها وضمان بقائها في النظام الدولي الآخذ في التحول والتشكل بعد انتهاء الحرب الباردة، أن متغيرًا عارضًا غير مرئي عابرًا للحدود القومية يمكن أن يؤثر في السياسة الدولية، ألا وهو "الوباء"، وقد يعيد هيكل العلاقات بين الفواعل في النظام الدولي، وقد يتحكم في النشاط السياسي الاقتصادي العالمي. وتجدر الإشارة هنا إلى أن أغلب أدبيات العلاقات الدولية لم تتعامل مع الأوبئة والأمراض المعدية على أنها أزمات دولية قد تحمل في طياتها هذه القوة والقدرة على التأثير في شكل السياسات الخارجية للدول القومية.

عادة ما كان يتم التنظير للأوبئة في إطار "المسائل العابرة للحدود القومية" التي فرضتها العولمة الاقتصادية، وتدرجها ضمن التهديدات الأمنية والبيولوجية التي تواجه الدولة⁽³⁾. ولم يتنبه منظرو العلاقات الدولية على نحو كبير إلى قدرة تلك الأوبئة على التأثير المباشر في بنية النظام الدولي. وقد تعامل الجهاز المفهومي في نظريات العلاقات الدولية، الوضعية وما بعد الوضعية، مع الأوبئة المعدية في إطار التهديدات التي من الممكن السيطرة عليها، كل وفق فرضياتها الأساسية وتصوراتها للنظام الدولي. وليس مستغربًا أن تشكل الصحة العامة لدى الليبراليين والواقعيين والماركسيين أرضية مشتركة؛ إذ اتفقت تلك النظريات على أن الوقاية من الأمراض المعدية مرغوب فيها وضرورة تستدعي مواجهتها، ولكن يظهر الاختلاف في آليات الحد من انتشارها والتعامل مع تداعياتها السياسية والاقتصادية. ففي الوقت الذي ينظر الليبراليون إلى أهمية التعاون الدولي والاعتماد المتبادل Interdependence بين الدول والخبراء والمؤسسات الدولية العاملة في مجال الصحة العامة والحد من انتشار الأمراض المعدية، نجد أنّ الواقعيين أكثر ميلًا إلى تأكيد مسؤولية الدولة والاعتراف بأهمية المسائل الصحية عندما يكون أمن الدولة

3 Kelly Lee (ed.), *Health Impacts of Globalization: Towards Global Governance* (Basingstoke: Palgrave Macmillan, 2003).

أولاً: التغيير في النظام الدولي: إطار نظري

(1914-1918)، وعقبها الأزمة الاقتصادية العالمية، أي الكساد الكبير عام 1929⁽⁷⁾؛ وبين ألمانيا ضد الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي (1939-1945)، وتبعها التأسيس لنظام اقتصادي دولي جديد، أي نظام بریتون وودز⁽⁸⁾، وأخيراً بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي إبان "الحرب الباردة" (1945-1991) وما تبعها من تحولات في منظومة الاقتصاد الدولي، والأزمة المالية العالمية في عام 2008⁽⁹⁾.

”
لقد هيمنت على القرن العشرين ثلاثة صراعات شديدة بين قوى حاولت جاهدة تحقيق السيطرة والهيمنة على النظام الدولي. وقد ساهمت على نحو أساسي في إحداث تغيير في بنية النظام الدولي، وكان لها تأثير في رسم معالم النظام الاقتصادي العالمي في كل مرحلة من مراحل الصراع والتنافس بين تلك القوى

ولعل الفترة الأكثر وضوحاً في بنية النظام الدولي، التي ترافقت مع تطور حقل العلاقات الدولية، هي فترة القطبية الثنائية، التي

تدخل وحدات النظام الدولي الذي يتسم بالفوضوية، بمعنى غياب السلطة المركزية وفق المنظور الوضعي في العلاقات الدولية، في صراع وتنافس على القوة والنفوذ، سواء أكانت قانعة وراضية Satisfied ببنية النظام الدولي، أم غير قانعة Dissatisfied وغير راضية بها. ويواجه النظام الدولي في إثر ذلك، في لحظة محددة، مشكلات يكون عاجزاً عن حلها نتيجة التناقضات بين قواه الأساسية الفاعلة، في ما يعرف بـ "الأزمة النظامية"⁽⁴⁾، التي تقود في نهاية المطاف إلى انتقال القوة بـ Power Transition⁽⁵⁾ وحدوث تغيير في بنية النظام الدولي في إطار عملية تسوية بين القوى المتنافسة لحل خلافاتها وتناقضاتها الجوهرية، والحد - أو التقليل، على أقل تقدير، من التنافس بأشكاله كافة، والقبول بتوزيع القوة في ما بينها، وإن مؤقتاً؛ ما يُنتج نظاماً دولياً جديداً.

لقد شغل التنبؤ بنقطة التغيير والتغيير التي تطرأ على النظام الدولي وبنيته اهتمام منطري وباحثي العلاقات الدولية، كما شغلهم استشراف توزيع مصادر القوة، كمّاً وكيفاً، باعتبارها المقياس الأساسي لتحديد طبيعة ونوعية العلاقات بين وحدات النظام الدولي على اختلافها. وكلما استقرت التوزيعية، استقر النظام، وسهلت توقعات مساراته ومآلاته. وعندما تضطرب هذه التوزيعية يضطرب النظام، وقد تعم الفوضى. وفي هذه الحالة تكون الاستفادة للأقوى، أما الخسارة فيتحمّلها الأضعف، كما أنه أمر حيويّ للتمكن من زيادة قدرة التنبؤ بتوزيع القوة في النظام الدولي⁽⁶⁾.

لقد هيمنت على القرن العشرين ثلاثة صراعات شديدة بين قوى حاولت جاهدة تحقيق السيطرة والهيمنة على النظام الدولي. وقد ساهمت على نحو أساسي في إحداث تغيير في بنية النظام الدولي، وكان لها تأثير في رسم معالم النظام الاقتصادي العالمي في كل مرحلة من مراحل الصراع والتنافس بين تلك القوى؛ ألمانيا قبالة الحلف الفرنسي - البريطاني

4 إيمانويل ولورستين، تحليل النظم الدولية، ترجمة أكرم علي حمدان (الدوحة: مركز الجزيرة للدراسات؛ بيروت: الدار العربية للعلوم ناشرون، 2015)، ص 111.

5 تعود نظرية انتقال القوة إلى أبرام فيم أورغانسكي؛ وقد قدّم فيها رؤيته عن أسباب ظهور الصراع بين القوى الكبرى والحروب واحتمالات نشوبها، وتفسر نظرية التنافس على سيادة العالم بين تلك القوى التي تسعى إلى تعظيم قوتها الاقتصادية والعسكرية للانتقال من دور أدنى في النظام الدولي إلى دور أعلى، حيث وصف القوى في الدور الأدنى بالقوة غير القانعة أو غير الراضية على عكس التي ترتب على قمة هرم النظام الدولي "القوى القانعة". للمزيد، يُنظر:

A.F.K. Organiski, *World Politics*, Series A Borzoi book, 2nd ed. (New York: Alfred A. Knopf, 1968).

6 علي الجرباوي، "الرؤى الاستراتيجية لثلاثي القطبية الدولية: تحليل مضمون مقارن"، *سياسات عربية*، العدد 31 (آذار/ مارس 2018)، ص 8.

7 Thomas E. Hall & J. David Ferguson, *The Great Depression: An International Disaster of Perverse Economic Policies* (Ann Arbor, MI: University of Michigan Press, 1998).

8 بریتون وودز هو مؤتمر حضره ممثلو أربع وأربعين دولة في الفترة 1-22 تموز/ يوليو 1944 للتفكير في إعادة ما دمرته الحرب العالمية الثانية التي كانت على وشك أن تضع أوزارها لصالح الحلفاء (الولايات المتحدة، وفرنسا، وبريطانيا) وبناء نظام نقدي ومالي جديد يضمن إعادة بعث الحياة في اقتصادات الدول الرأسمالية التي دمرتها الحرب. حمل المؤتمر اسم المكان الذي عقد فيه، وهو غابات بریتون في نيوهامبشر في الولايات المتحدة، وقد تمخض عنه إلزام كل بلد بوضع سياسة نقدية تحافظ على سعر الصرف بربطه بالدولار الأميركي، ونتج عنه تأسيس صندوق النقد الدولي IMF. للمزيد ينظر:

"About the Institutions," *The Bretton Woods Committee*, accessed on 9/3/2018, at: <https://goo.gl/N3YLqk>

9 تُعرف الأزمة المالية العالمية عام 2008 أيضاً بـ "أزمة الرهن العقاري" العالمية، وقد بدأت بوصفها أزمة مالية مصرفية في الولايات المتحدة، وانتقلت بعدها لتشمل دول الاتحاد الأوروبي وبقية دول العالم. تعد هذه الأزمة واحدة من أشد الأزمات التي هزت الاقتصاد العالمي منذ أزمة الكساد الكبير في ثلاثينيات القرن الماضي، حيث انهارت المؤسسات المالية العالمية وجرى تأميم العديد منها نتيجة تدخل ودعم ضخم من الدول التي توجد فيها، وكان لها تأثير مباشر في المراكز المالية، للمزيد ينظر:

Eric Helleiner, "Understanding the 2007-2008 Global Financial Crisis: Lessons for Scholars of Political Economy," *Annual Review of Political Science*, vol. 14, no. 1 (June 2011), pp. 67-88.

أرون Raymond Aron أن علم العلاقات الدولية هو علم تاريخي، والمرجو منه هو استقراء التاريخ، وليس استشراف المستقبل. وهو ما أكده أيضاً الواقعي كينيث والتز حين اتفق مع آرون، وأرجع صعوبة التنبؤ بمسارات الظاهرة الدولية إلى عدم إمكانية حساب المتغيرات التي تؤثر في النظام الدولي كميًا، في ظل تمايز أهداف وتوجهات الدول المكوّنة للنظام الدولي⁽¹³⁾، وهو ما يجعل منظري العلاقات الدولية غير قادرين على التوصل إلى تعميمات تسمح لهم باستشراف مستقبل النظام الدولي⁽¹⁴⁾.

لقد عزا الواقعيون التغيير في النظام الدولي إما إلى التغيرات في القوى الفاعلة فيه، وإما إلى تغيرات خارجية المصدر، التي تأتي من خارج النظام؛ حيث يفرق الواقعيون بين الأنظمة على أساس قطبيتها، ويظهر التغيير في النظام حينما يتغير عدد الأقطاب. وغالبًا ما تكون حروب الهيمنة مسؤولة عن مثل هذه التغيرات الأساسية في علاقات القوة التي يربطونها بعمليات يمكن وصفها بـ "التحديث" الذي يقود إلى تحولات في الهويات والخطابات التي تتزامن مع مفاهيم جديدة حول الأمن. فعلى سبيل المثال، جاءت كتابات ثيوسيدس في تفسير أسباب الحروب البيلوبونيزية متمثلة بأن اعتماد أثينا المتزايد على القوة المادية هو ما قاد إلى تغيير في القيم الأثينية؛ حيث تنحى الشرف ليحل محله على نحو متزايد الكسب أو الاستحواذ، واستبدلت الهيمنة - وهي الحكم الذي يُبنى على موافقة الآخرين ورضاهم - بالسيطرة التي مورست من خلال التهديدات والرشوات⁽¹⁵⁾. ولا يختلف التحديث في هذا المعنى عن مفهوم هانس مورغنثاو Hans Morgenthau بشأنه هو وأنصار الواقعية على اختلاف تياراتها (الكلاسيكية والجديدة)، حيث جاءت تلك الكتابات في أثناء حروب دولية مدمرة وفي أعقابها، وحاولت البحث عن مزيج يجمع بين النظام القديم والنظام الحديث، بحيث يكون في إمكانه استيعاب إيجابيات التحديث ويقلل من آثاره الهدامة.

لقد أراد الواقعيون بناء نظام توافقي مركّب يجمع أفضل ما في القديم وأفضل ما في الحديث، ويتجنب مخاطر كليهما، ومناشدة القوى العظمى للاعتراف بالحاجة إلى التعايش المشترك في عالم

استمرت نحو نصف قرن؛ إذ نشأ نظام دولي جديد نتيجة ظروف خاصة، تزامنت مع ظهور السلاح النووي، واقتصادات في طور إعادة البناء بعد حرب كبرى برزت في أعقابها قوتان عظيميان متميزتان. وقد بلغت المواجهة الأيديولوجية في هذا النظام بين هيكليتين اجتماعيتين وسياسيتين متنافستين على النفوذ والسيطرة، في عالم اصطلح على تسميته بـ "العالم الثالث"، في آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية⁽¹⁰⁾.

واجهت النظريات الوضعية في العلاقات الدولية عجزًا في التنبؤ بانتهاء نظام الثنائية القطبية عام 1991 الذي شهد انتقالًا في بنيتها إلى نظام أحادي القطبية، مع انهيار المنظومة الاشتراكية المتمثلة في الاتحاد السوفياتي، وتفكك قوتها العسكرية المتمثلة في حلف وارسو. لقد تعززت لحظة القطبية الأحادية مع قيام التحالف الدولي بقيادة الولايات المتحدة، وتمكّنها من هزيمة النظام العراقي وإجباره على سحب قواته من الكويت. وقد جاء خطاب الرئيس الأمريكي آنذاك، جورج بوش الأب George H.W. Bush (1989-1993)، في أيلول/سبتمبر 1991، الذي أكد فيه تأسيس نظام عالمي جديد تسوده قيم الحرية والعدالة والسلام والأمن والرخاء⁽¹¹⁾، تدشينًا لهذه المرحلة الجديدة التي تنفرد فيها الولايات المتحدة بقيادة العالم.

لقد أصابت الأوساط الأكاديمية المختصة بحقل العلاقات الدولية حالة من الإرباك بعد الحرب الباردة حول صيغة النظام الدولي. وساد جدل نظري وفكري بين منظري العلاقات الدولية الذين انقسموا إلى تيارين: الأول انطلق منظوره، على اختلاف توجهاتهم، في البحث عن تفسيرات لما جرى، واستطلاع مناحي القصور في النظريات السائدة في الحقل التي لم تُسعف في استشراف التحول في النظام الدولي، والأهم من ذلك أنهم ركزوا على نحو أساسي على إعادة تكوين التصورات والرؤى النظرية لتوقع ماهية التركيبة المستقبلية للنظام الدولي وشكلها، واستقراء الأسس الكفيلة بإعادة الاستقرار لهذا النظام، ومنهم كينث والتز Kenneth Waltz ويانغ زيتونغ Yang Zitong وفريد زكريا Fareed Zakaria، وستيفن والت Stephen Walt، وريتشارد هاس Richard N. Haass⁽¹²⁾، بل ذهب بعضهم إلى تبرير عجز النظرية عن استشراف مستقبل التحولات في النظام الدولي بأنه لا يقع في صلب وظيفة نظرية العلاقات الدولية، خاصة أن عدد النظريات وتنوعها في هذا الحقل الناشئ كبير؛ ما خلق نوعًا من الضبابية المنهجية، وعقد مهمة الاستشراف والتنبؤ. لقد رأى ريموند

13 Kenneth Waltz, "Realist Thought and Neorealist Theory," *Journal of International Affairs*, vol. 44, no. 1 (Spring/ Summer 1990), p. 19.

14 Morton Kaplan, "Problems of Theory Building and Theory Confirmation in International Politics," in: Klaus Eugen Knorr & Sidney Verba (eds.), *International System: Theoretical Essays* (Princeton, NJ: Princeton University Press, 1961), pp. 6-24.

15 ريتشارد ند ليو، "الواقعية الكلاسيكية"، في: تيم دان وميليا كوري وستيف سميت (تحرير)، *نظريات العلاقات الدولية: التخصص والتنوع*، ترجمة دوما الخضرا (الدوحة/ بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2016)، ص 188.

10 برتران بادى، عندما يبدأ التاريخ، ترجمة نجيب غزاوي وغازي برو (بيروت: دار الفارابي، 2015)، ص 63.

11 Joseph S. Nye Jr, "What New World Order," *Foreign Affairs*, vol. 71, no. 2 (Spring 1992), accessed on 12/4/2018, at: <https://goo.gl/pU5Fsc>

12 الجرباوي، ص 9.

التاريخ⁽²⁰⁾، وكذلك صمويل هنتنغتون الذي استشرّف أعماطاً غير تقليدية من الصراعات العالمية، مثل "صدام الحضارات" مع صعود تأثير الهوية والثقافة في العلاقات الدولية⁽²¹⁾.

يتفق أنصار فكرة المدرسة الليبرالية مع افتراض واقعي مفاده أن النظام الدولي يتسم بالفوضى، بمعنى غياب السلطة المركزية، وأن كل دولة فيه تسعى إلى تحقيق مصالحها الخاصة. لكن بخلاف الواقعيين، لا يقود التفاعل بين القوى الفاعلة في النظام الدولي بالضرورة إلى حروب وصراعات، بل من الممكن أن يكون تعاوفاً وتكاملاً من خلال المؤسسات الدولية التي توفر إطاراً للتفاعلات والبحث عن المشتركات. فالنظام الدولي وفق المدرسة الليبرالية ليس بنية فحسب، بل هو عملية فيها تفاعلات متعددة بين أطراف متعددة. وبناءً عليه، يأتي التغيير في النظام الدولي نتيجة لتلك التفاعلات والتطورات التكنولوجية والتقدم الذي يحدث على نحو مستقل وخارج عن سيطرة القوى اللاعبة في النظام الدولي. فعلى سبيل المثال، تكون التغييرات في الاتصال والنقل مسؤولة عن المستوى المتزايد في الاعتماد المتبادل بين الدول داخل النظام الدولي؛ ومن ثم، فإن العولمة وما فرضته من تشابك في العلاقات بين الدول جعلت المسائل الاقتصادية تحل مكان مسائل الأمن من حيث الأهمية. وقد حلّ فاعلون جدد، مثل الشركات المتعددة الجنسيات والمنظمات الدولية وقوى المجتمع المدني العالمي، محل القوى الفاعلة الممثلة في الدولة القومية، وتدخل تلك القوى في أنواع جديدة من العلاقات التي قد تقود إلى بناء نظام دولي جديد، وهو ما يطرح أيضاً تساؤلاً حول فكرة الاعتماد المتبادل والتعاون في ظل انتشار فيروس كورونا؛ فقد يحتاج أنصار الليبرالية المؤسساتية بأن التعاون والتنسيق بين الدول حول اكتشاف جينوم الفيروس والتعاون بين المختبرات الدولية دليل على حجم التعاون والاعتماد المتبادل في مواجهة الفيروس.

وفي المقابل، صعد تيار نقدي ضمن العلاقات الدولية طوّرتة مدرسة فرانكفورت، وهو يشكك في الحجج العلمية المرتبطة بأشكال الفلسفة الوضعية في نظرية العلاقات الدولية، وفي الحتمية الاقتصادية التي بُنيت عليها النظريات الكلاسيكية المتعلقة بالإمبريالية أو نظرية المنظومة العالمية⁽²²⁾. وقد قارب أنصار هذا التيار السياسة الدولية من منظور ثقافي اجتماعي، واعتمد منظوره على مصادر

المصالح المتعارضة والصراع، حيث تمثل محاولات ضبط النفس وتسوية الخلافات جزئياً الاستراتيجيات القصيرة الأجل الأكثر عملية للحفاظ على الوضع القائم في حال السلم⁽¹⁶⁾. فقد وجد والتز في النظام ثنائي القطبية (1945-1990) التعبير الأفضل عن الحفاظ على الاستقرار في النظام الدولي⁽¹⁷⁾.

في كتابه **الحرب والتغيير في السياسة العالمية**، يرى روبرت غلبن أن التغيير في النظام الدولي يأتي نتيجة استجابة الدول القومية بنسب مختلفة للتطورات السياسية والاقتصادية والتكنولوجية⁽¹⁸⁾. وهو ما يطرح تساؤلاً في ظل انتشار جائحة كورونا، عن إضافة عامل جديد يدخل في خانة التطورات، وهي التطورات البيولوجية ذات المنشأ الخارجي التي قد تقود إلى الإسهام في تسريع التغيير/ التغيير في النظام الدولي، وخاصة مع عودة الدولة والبيروقراطية المرتبطة بها إلى المشهد الدولي. فالدولة وفق افتراضات المدرسة الواقعية هي الفاعل الأساسي في النظام الدولي، والقادرة على مواجهة الوباء والجائحة من خلال الإجراءات التي فرضتها السلطات القومية في دول العالم كافة لمواجهة انتشار الفيروس، وهي كذلك القادرة على فرض القيود على المجتمعات وحركتها وتعطيل النشاط الاقتصادي وتعزيز قدرات القطاع الصحي. ومن ثم، فإن المحرك الأساسي في السياسة الدولية هو الدول القومية، في حين تتراجع أهمية الفواعل من غير الدول في التنافس/ التعاون للحد من تفشي جائحة كورونا.

أما التيار الثاني، فقد سارع إلى تمجيد انتصار الليبرالية الغربية، وبدأ أنصاره حواراً وجدلاً أكاديمياً حول موقع النهج النظري للمدرسة الواقعية الجديدة في تفسير العلاقات الدولية. فقد انطلقوا من افتراض أن مفاهيم الواقعية، مثل الفوضى والاعتماد على الذات وتوازن القوة، كانت مناسبة لحقبٍ ماضية⁽¹⁹⁾، بل ذهب بعض منظري هذا الاتجاه أبعد من ذلك، حين استشرّفوا مستقبل العلاقات الدولية، مبشرين بدمومة انتصار الرأسمالية الليبرالية. وعلى رأسهم فرانسيس فوكوياما الذي اعتبر نهاية الحرب الباردة بمنزلة "نهاية

16 Hans Morgenthau, *Politics Among Nations: The Struggle for Power and Peace*, 4th ed. (New York: Knopf, 1967), p. 430.

17 Kenneth Waltz, *Theory of International Politics*, Addison-Wesley Series in Political Science (Reading, Mass: Addison-Wesley Publishing Company, 1979), pp. 160-165.

18 Robert Gilpin, *War and Change in World Politics* (Cambridge: Cambridge University Press, 1981).

19 John Vasquez, "The Realist Paradigm and Degenerative versus Progressive Research Programs: An Appraisal of Neotraditional Research on Waltz's Balancing Proposition," *American Political Science Review*, vol. 91, no. 4 (December 1997), p. 899.

20 Francis Fukuyama, *The End of History and the Last Man Ideology* (New York: Free Press, 1992).

21 Samuel P. Huntington, *The Clash of Civilizations and the Remaking of World Order* (New York: Simon & Schuster, 1996).

22 مارك روبرت، "الماركسية والنظرية النقدية"، في دان وكوركي وسميث (تحرير)، ص 407.

وانتشار الأوبئة، مع تنامي حركة انتقال السلع والأفراد؛ ما فرض على القوى الإمبريالية استخدام القوة العسكرية لحماية مصالحها عبر الأسلحة النارية والمدافع المحمولة على متن سفن تشق عباب المحيطات، بحثاً عن الموارد والثروات التي تخدمها في زيادة ثرواتها ودفع عجلة صناعاتها الصاعدة.

لقد وضعت الحقبة الإمبريالية قواعد العالم المعاصر، وأرست اليوم ملامح العولمة⁽²⁵⁾ التي تعتبر تكثيفاً للاتجاهات التي حدثت عبر التاريخ من ناحية الانتقال السريع للبضائع والسلع ورؤوس الأموال، وتشابك خطوط التجارة الدولية وما رافقها من ثورة في مجال الاتصالات في خمسينيات القرن الماضي، على نحو دفع الفيلسوف الكندي مارشال ماكولوهان إلى التنبؤ بتحول العالم إلى قرية عالمية، وذلك عبر بحثه في تأثير التطور التكنولوجي في التنظيم المعرفي، الذي بدوره له تداعيات عميقة على البنى الاجتماعية، وهو ما خلق حالة من الترابط والتشابك وتطور الاعتماد المتبادل بين مختلف دول العالم⁽²⁶⁾. وقد بات اصطلاح "العالم قرية عالمية/ كونية" التعريف المختصر لظاهرة العولمة؛ فقد صدقت نبوءة ماكولوهان مع طفرة التطور في مجال تكنولوجيا المعلومات والتوسع في استخدام شبكة الإنترنت، وما رافقها من تطور في شبكات التواصل الاجتماعي في العالم.

أثارت العولمة جدلاً في حقول المعرفة الاجتماعية والإنسانية كافة، خاصة حقل العلاقات الدولية، حول مداها ونتائجها؛ إذ شهد العالم حقبة جديدة من الحركة والتفاعل البشري غير المسبوقة، واختفت الحدود والتقسيمات القديمة للعالم. وقد زادت العولمة، من جهة، دور المساحة الافتراضية Cyber Space، وتأثيرها الملحوظ في الوحدة الأساسية في النظام الدولي، أي الدولة-الأمة "Nation-state"، ومقوماتها مثل السيادة والحدود والقوة والأمن. ومن جهة أخرى، تصاعد تأثير الفرد بوصفه فاعلاً سياسياً في النطاقات السياسية والإعلامية والاقتصادية، متجاوزاً النطاقات الرسمية التقليدية لأدوار الأفراد بوصفهم ممثلين للسلطة السياسية؛ ذلك أن امتلاك الفرد المقومات المالية أو الإعلامية أو الفكرية أو العقائدية بات يكفل له التأثير في مسار التفاعلات الداخلية والإقليمية. ومن ثم، برزت على الساحة الدولية مسائل جديدة؛ مثل الهجرة غير النظامية،

فكرية أخرى من أجل بناء نظريات نقدية للسياسة العالمية (ما بعد الإمبريالية والنسوية وغيرها). ويعتبر كل من ريتشارد أشلي Richard K. Ashley، وروبرت كوكس Robert W. Cox، وأندرو لينكلاتير Andro Linklater، من أهم منظري هذا التيار. كما تُعد النظرية البنائية واحدة من النظريات النقدية التي قدمت إسهامات جادة في الجدل الإبستمولوجي والأنطولوجي في حقل العلاقات الدولية. فقد شدد البنائيون على الأبعاد الاجتماعية للعلاقات الدولية، وعلى احتمال التغيير؛ إذ إن النظام الدولي، وفق المنظور البنائي، بنية اجتماعية تتضمن مجموعة من القيم والقواعد والقوانين واللغة، وهذه البنية تؤثر في هويات الفواعل ومصالحهم. ومن ثم، فإن النظام الدولي في عملية دائمة ومستمرة من البناء الحاصل من خلال التفاعل بين الفواعل والبناء نفسه، وهو ما يشكل هويات الجهات الفاعلة وعلاقاتها التي هي نتاج للعمليات التاريخية والتفاعلات التي تجري عبر الزمن⁽²³⁾.

ثانياً: عولمة الأوبئة والأمراض المعدية

شاع استخدام لفظ العولمة في العقود الثلاثة الأخيرة، وزاد شيوعه بعد نهاية الحرب الباردة. ومع هذا، فإن الظاهرة التي تشير إليها ليست حديثة بالدرجة التي قد توحي بها حداثة المصطلح؛ إذ إن العناصر الأساسية في فكرة العولمة (تنامي العلاقات المتبادلة بين الدول، وتبادل السلع والخدمات، وانتقال رؤوس الأموال) جميعها يعرفها العالم منذ قرون مضت⁽²⁴⁾ من خلال الحقبة الإمبريالية التي أرخت لبدائها معاهدة تورديسيلاس Treaty of Tordesillas بين البرتغال وإسبانيا في عام 1494، حيث قُسمت المناطق المختلفة في العالم فعلياً بينهما باعتبارها حقاً سياسياً واقتصادياً وثقافياً حصرياً لهما وفق المنطق الإمبريالي. وهو ما سرّع لاحقاً التنافس بين القوى الإمبريالية الصاعدة (هولندا وبريطانيا وفرنسا) التي طمحت إلى بسط سيطرتها على مناطق في آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية، خاصة مع انتقال نمط الإنتاج الأوروبي من الإقطاعي إلى التجاري الذي مثل عاملاً أساسياً في توسيع شبكة الطرق التجارية البرية والبحرية خارج حدود أوروبا، خاصة بعد اكتشاف أميركا والملاحة العالمية نحو الهند. وإضافة إلى ذلك، ربطت طرق التجارة الدولية في القرن السادس عشر حضارات مختلفة، كما واجهت تهديدات عالمية، كالتباعد والقرصنة

25 Robert O. Keohane & Joseph S. Nye Jr, "Globalization: What's New? What's Not? (And So What?)," *Foreign Policy*, no. 118 (Spring 2000), pp. 104-119.

26 للمزيد ينظر:

Marshall McLuhan, *The Gutenberg Galaxy: The Making of Typographic Man* (Toronto: University of Toronto Press, 1962).

23 للمزيد ينظر:

Alexander Wendt, "The Agent-Structure Problem in International Relations Theory," *International Organization*, vol. 41, no. 3 (Summer 1987).

24 جلال أمين، *العولمة* (القاهرة: دار الشروق، 1920)، ص 17.

القومية بعد الحرب العالمية الثانية (1945)، ومن ثم جاء تأسيس منظمة الصحة العالمية، إحدى وكالات الأمم المتحدة المتخصصة، في عام 1948، لعلاج المرضين الأكثر فتكاً حينها، الملاريا عام 1955، والحصبة عام 1965. وكان للمنظمة بعد ذلك دور في علاج شلل الأطفال حين أطلقت حملة لاستئصاله عام 1985.

لقد أوجد النظام الدولي المعوم، الذي بدأ الترويج له مع انهيار الاتحاد السوفياتي وتفكك الكتلة الاشتراكية وتحول دولها إلى اقتصاديات السوق، فرصاً اقتصادية ونموً، وحركة تجارية متزايدة، وانتقال الأفراد ورؤوس الأموال السريع. لكن الفوائد لم يجر توزيعها بالتساوي، ولا تزال المخاطر الاقتصادية والأمنية والصحية في هذا العالم المترابط ماثلة أمامنا في ظهور أمراض جديدة، وأخرى كانت محصورة في حيز جغرافي محدد لتظهر في مناطق أخرى من العالم. فعلى سبيل المثال، ظهرت حمى الضنك Dengue Fever، وهي مرض مداري منقول بالبعوض، في جميع أنحاء العالم؛ واكتُشف فيروس غرب النيل Fever West Nile في مدينة نيويورك في عام 1999، وانتشرت عدوى فيروس نقص المناعة البشرية HIV في روسيا. أضف إلى ذلك الانتشار العالمي للسلم المقاوم للأدوية المتعددة TB، وأخيراً فيروس (كوفيد-19) الذي يعدّ حلقة جديدة في سلسلة الفيروسات التاجية التي سببت قبل ذلك أوبئة مثل متلازمة الشرق الأوسط التنفسية (ميرس) MERS، والمتلازمة التنفسية الحادة الوخيمة (سارس) SARS التي انتشرت في مطلع الألفية الثالثة، والتي تسبب في أمراض بالنسبة إلى الحيوان والإنسان؛ حيث تصيب الجهاز التنفسي أساساً، وتراوح حدة الإصابة من نزلات البرد الشائعة إلى الأمراض الأشد فتكاً وضراوة.

لكن الذي ميّز فيروس كورونا هو سرعة انتشاره؛ فقد انتقل من مدينة ووهان الصينية إلى باقي دول العالم مسبباً ملايين والإصابات. وما يهمننا في هذا السياق أن ما ساعد في انتشاره هو قدرة البشر في زمن العولمة على اختصار المسافات والزمن وانتقالهم بين قارات العالم بسرعة فائقة. ولئن كان هذا الأمر إيجابياً، فإنه يحمل في طياته قدرة هائلة على إظهار الآثار العميقة لقوى العولمة في ظهور الأمراض المعدية وتوزيعها وانتشارها عالمياً.

فالعولمة توفر فرصة لانتشار مسببات الأوبئة المعدية وازدهارها على نحو كبير. ولم يحدث من قبل أن تحرك البشر بهذه السرعة وبهذه الكثافة في جميع أنحاء العالم، سواء عن طريق الاختيار أو القسر؛ مثل النزوح واللجوء بسبب الصراعات والحروب. ولم يسمح التقدم في تكنولوجيا النقل بتسهيل حركة البشر فحسب، بل في زيادة حركة ناقلات الأمراض المعدية السريعة عبر القارات أيضاً، فتوفرت لها فرصة

والإتجار بالبشر، وحقوق الإنسان، والأوبئة، بوصفها قضايا تتجاوز قدرة الدولة القومية.

لكن لا بد من الإشارة، في هذا المقام، إلى أن انتقال الأوبئة والأمراض المعدية بين المجتمعات والدول المختلفة ليس بالظاهرة الجديدة، وليس نتائجاً حصرياً لعولمة القرن العشرين التي جعلتها، من دون شك، أكثر انتشاراً وتوسعاً، مقارنة بالحقب التاريخية الماضية. فالتجارة عبر القارات وحركة الناس في العالم القديم ساهمتا على نحو أساسي في انتشار الأمراض المعدية على نطاق عالمي، فمثلاً كانت طرق التجارة منذ العصر الروماني بين أوروبا وآسيا أرضاً خصبة لتكاثر الميكروبات والفيروسات. فقد أصاب طاعون أنطونيوس الإمبراطورية الرومانية سنة 165 قبل الميلاد، وقضى على نحو 5 ملايين إنسان وعلى الجيش الروماني. كما ضرب طاعون جستنيان الإمبراطورية البيزنطية (541-542م) وقضى على قرابة 25 مليون إنسان، فقد كانت تأثيراته كارثية في واحدة من أكبر المدن في العالم آنذاك هي مدينة القسطنطينية؛ إذ قضى الطاعون على نحو 40 في المئة من سكانها⁽²⁷⁾. وعاد هذا الطاعون بكامل قوته مجدداً وعرف باسم "الموت الأسود" في القرن الرابع عشر (1346-1353)، حين وفر طريقاً جديد للتجارة البرية مع الصين عبوراً سريعاً للفراء الحاملة للبراغيث من آسيا الوسطى الموبوءة بالطاعون، وقد قضى بدوره على ما يقارب من 75 إلى 200 مليون إنسان⁽²⁸⁾.

أما وباء الكوليرا، فقد بدأ في الهند وانتشر إلى آسيا وأوروبا وأفريقيا وأميركا الشمالية، وقضى على نحو مليون إنسان، وسببه جرثومة الكوليرا، وكان من فوائده اكتشاف العالم جون سنو John Snow (1813-1858) علاقة الوباء بتلوث المياه، وأسس بذلك علم الوبائيات والصحة العامة. كما كان فيروس الإنفلونزا الإسبانية (1918-1920) سبباً في القضاء على كثير من الشباب وقد أودى بحياة 20 إلى 50 مليون إنسان⁽²⁹⁾، حين عمّ أوروبا على نحو خاص، وساهم في إيقاف أحد أشد الصراعات الدولية دموية في العصر الحديث، الحرب العالمية الأولى (1914-1918).

استمر انتشار الأمراض والأوبئة، التي زاد خطرهما وانتشارهما في كل مرة الترابط الاقتصادي بين الدول؛ فباتت تهديداً عابراً للحدود

27 William Rosen, *Justinian's Flea: The First Great Plague and the End of the Roman Empire* (New York: Penguin Books, 2007), pp. 200-210.

28 Norman F. Cantor, *In the Wake of the Plague: The Black Death and the World it Made* (New York: Simon & Schuster, 2001), p. 7.

29 للمزيد، ينظر: Howard Philips & David Killingary (eds.), *The Spanish Influenza Pandemic of 1918-19: New Perspectives* (London/ New York: Routledge, 2003).

بواسطة الأغذية⁽³²⁾. وبناءً عليه، يسهم الترابط الذي خلقتة العولمة في زيادة فرص انتشار الأوبئة المعدية التي تحولت من كيانات منفصلة تنتشر في مناطق محددة من العالم إلى نظام وبائي عالمي موحد، وما الإجراءات الموحدة التي تتبعها الدول كافة في مواجهة فيروس كورونا اليوم إلا خير دليل على عولمة الأوبئة.

قد يزعم أنصار السياسات النيوليبرالية أن العولمة قد توفر الفرص لإيجاد آليات للجهود المبتكرة والمتعددة الجنسيات لمواجهة التهديد الذي فرضته جائحة كورونا؛ إذ توصل شبكة متنامية من الدول والشركات ومختبرات الأدوية جهودها نتيجة الانتشار الأفقي للتكنولوجيا والمعلومات في النظام الدولي؛ ما يعزز القدرة الدولية على حماية الصحة العامة ومنع انتشار الأمراض المعدية الناشئة والسيطرة عليها. وتجلّى ذلك في إعلان شركتي فايزر وبيونتك Pfizer-BioNTech توصلهما إلى لقاح ضد فيروس كورونا في نهاية عام 2020⁽³³⁾. لكن نظرةً فاحصةً إلى أبعاد العولمة الاقتصادية لا تجعلنا متفائلين في أن يكون متوافراً في أسواق دول العالم النامي بالتزامن مع توافره في أسواق الدول المتقدمة؛ ما قد يؤدّ خلافاً في توزيع اللقاحات بين الدول الغنية والفقيرة⁽³⁴⁾، فضلاً عن التنافس الذي شهدته الدول المتقدمة على امتلاك جرعات اللقاح من شركتي فايزر وبيونتك، وغيرها من الشركات التي طورت لقاحات جديدة كأسترازينيكا AstraZeneca وموديرنا Moderna⁽³⁵⁾. ولا سيما أننا في ظل نظام اقتصادي قللت فيه العولمة من سلطة وقوة الدولة القومية في المجال الاقتصادي لصالح سيطرة الاحتكارات والشركات الكبرى، إضافة إلى القيود التي ترافق وصفات صندوق النقد الدولي والبنك الدولي على الدول ذات الاقتصادات المتوسطة أو الضعيفة التي تحتاج إلى الاقتراض، واتباعها سياسات التكيف الهيكلي التي أجبرت عدداً من الدول في العالم النامي على تقليص نفقات الخدمات العامة، ومنها قطاع الصحة، لصالح إعادة جدولة الديون، وفتح اقتصاداتها لقوى السوق عبر سياسات تخفيف القيود والخصخصة، بحجة أن

كبيرة للركوب في الرحلات العالمية على الطائرات ونقلها عبر الأشخاص والمنتجات. ففي الوقت الذي يسافر فيه الأفراد وتنتقل المنتجات المختلفة حول العالم بأعداد غير مسبوقه وبسرعات تاريخية، كذلك تفعل الكثير من الكائنات الحية الدقيقة المسببة للأمراض. لذا، لم تعد ثمة دولة محصنة ضد التهديد المتزايد الذي يمكن أن يشكله تفشي الأمراض المعدية في منطقة من هذا العالم قد تبدو، في أول وهلة، بعيدة عن مكان ظهورها.

لقد رجّح العلماء أن تفشي فيروس كورونا قد بدأ في مدينة ووهان بالصين في كانون الأول/ ديسمبر 2019 في سوق غير شرعية للأطعمة البحرية؛ ما قد يعني أن خطورة الأوبئة والأمراض المعدية التي تهدد البشرية تكمن في الأطعمة غير الخاضعة للرقابة. لذا، تكمن الخطورة اليوم في تحول إنتاج معظم الأغذية واستهلاكها في عدد من دول العالم من دائرة التصنيع المحلي إلى تجزئة نشاطات إنتاجه، وتجهيزه عبر سلسلة توريد الأغذية في مناطق مختلفة نتيجة زيادة الطلب العالمي على الغذاء. فالأغذية غير المأمونة التي تحتوي على جراثيم ضارة أو فيروسات أو طفيليات أو مواد كيميائية تتسبب في أكثر من 200 مرض، تراوح بين الإسهال والسرطان. وتشير تقديرات منظمة الصحة العالمية إلى أن 600 مليون شخص - أي شخص واحد تقريباً من أصل 10 أشخاص في العالم - يُصابون بالمرض بعد تناول غذاء ملوث، وأن 420 ألف شخص آخر يموتون سنوياً. وما يبعث على القلق أيضاً أن العديد من البلدان ليس لديها برامج شاملة لسلامة الأغذية مدمجة في استراتيجياتها للصحة العامة⁽³⁰⁾.

أشارت تقديرات أجراها البنك الدولي في عام 2018 إلى إجمالي الخسائر الناجمة عن الأمراض المنقولة بالأغذية في البلدان المنخفضة والمتوسطة الدخل؛ إذ بلغت 95.2 مليار دولار أمريكي، في حين بلغت التكلفة السنوية لعلاج الاعتلالات المنقولة بالأغذية 15 مليار دولار أمريكي⁽³¹⁾. وتعمل منظمة الزراعة والغذاء ومنظمة الصحة العالمية على وضع الخطوط التوجيهية التي قد تساعد في تقديم المشورة للسلطات الوطنية بشأن استراتيجيات تقوية نُظم الرقابة على الأغذية؛ وذلك من أجل ضمان حماية الصحة العامة في ظل انتشار الغش والتحايل وتلوث الأغذية، مع توسع التجارة العالمية التي تتعرض لاختلال بسبب كثرة المنازعات في موضوع سلامة الأغذية وجودتها، ولا سيما مع تزايد انتشار الأمراض المنقولة

32 منظمة الأغذية والزراعة ومنظمة الصحة العالمية، ضمان سلامة الأغذية وجودتها: خطوط توجيهية لتقوية النظم الوطنية للرقابة على الأغذية، سلسلة دراسات الأغذية والتغذية 76 [د. م]: منظمة الأغذية والزراعة ومنظمة الصحة العالمية، 2003، موقع منظمة الأغذية والزراعة "الفاو"، شوهد في 2020/5/20، في: <https://bit.ly/2XDTtPf>

33 "لقاح ضد فيروس كورونا يعيد الأمل للبشرية!!"، فرانس 24، 2020/11/10، شوهد في 2021/1/23، في: <https://bit.ly/2QsUs5A>

34 "فيروس كورونا: رئيس منظمة الصحة العالمية يكشف 'خلافاً صادماً' في توزيع اللقاحات بين الدول الغنية والفقيرة"، بي بي سي عربي، 2021/4/10، شوهد في 2021/4/14، في: <https://bbc.in/3eOEPO3>

35 "فيروس كورونا: الاتحاد الأوروبي يشدد آلية المراقبة على تصدير اللقاحات"، فرانس 24، 2021/3/24، شوهد في 2021/4/1، في: <https://bit.ly/3t1Hs48>

30 "السلامة الغذائية"، منظمة الصحة العالمية، 2020/4/30، شوهد في 2020/5/19، في: <https://bit.ly/36h099Z>

31 World Health Organization, *Accelerating Efforts on Food Safety: Report by the Director-General (9/12/2019)*, accessed on 20/5/2020, at: <https://bit.ly/3gycM58>

تخفيضات في تمويل الولايات المتحدة الأمريكية، التي تعتبر رائدة في تمويل برامج مكافحة فيروس نقص المناعة البشرية، بنسبة 11 في المئة عام 2019 عن مستوى الإنفاق بالنسبة إلى السنة المالية 2017، ولكن الكونغرس الأمريكي رفض التخفيضات المقترحة⁽³⁶⁾. وعاد ترامب ليستخدم لغة التهديد بوقف تمويل الولايات المتحدة لمنظمة الصحة العالمية التي اتهمها بأنها دمية بيد الصين⁽³⁷⁾.

ثالثاً: أزمة كورونا وخروج الدولة من قمقمها: عودة الوظيفة والدور

تعتبر الدولة فاعلاً أساسياً في النظام الدولي، ومسألة التفكير في الدولة ودورها تحتل مكانة مركزية في حقل العلاقات الدولية؛ ففي الفاعل الذي غيّر العولمة من عناصر تكوينه الممثلة في الأرض والحدود المعرفة جغرافياً والسلطة التي يدين لها السكان بالولاء. لقد شكّلت العولمة تحدياً علمياً للافتراضات التحليلية لأغلب النظريات الوضعية في العلاقات الدولية (الواقعية والليبرالية والماركسية)، فهي جميعها تنطلق من الدولة في تحليل الظاهرة الدولية باعتبارها الفاعل الأساسي في النظام الدولي (إلى جانب فواعل أخرى). فالدولة وفق المنظور الواقعي هي فاعل مستقل ذاتياً، لا يقيدتها إلا غياب السلطة المركزية في النظام الدولي، وهي تتمتع بالسيادة، أي بالسلطة على إدارة الشؤون الاجتماعية والاقتصادية والسياسية كافة ضمن حدودها الجغرافية، وتسعى لتحقيق مصلحتها القومية من خلال تعزيز قوتها في النظام الدولي.

أما الليبرالية، فترى في الدولة فاعلاً في النظام الدولي، لكنه ليس الوحيد، بل ثمة فواعل أخرى مهمة، مثل المنظمات والمؤسسات الدولية والشركات المتعددة الجنسيات. وتعبّر الدولة عن مصالحها القومية على نحو يعكس مصالح القوة النسبية ومواقعها داخل الدولة وخارجها. في حين ترى الماركسية أن الدولة جهاز طبقي بمنزلة الكومبرادور، أو الوكيل التنفيذي للبرجوازية، الذي يستجيب لمتطلبات النظام الرأسمالي العالمي.

ففي القرن الحادي والعشرين، تشارك الدولة أنواعاً مختلفة من القوى الفاعلة من غير الدولة في عالم السياسة الدولية؛ مثل المنظمات

تلك الصفات والسياسات تجلب التنمية والازدهار للدول النامية. لكن الواقع مخالف لتلك الصورة الوردية؛ فقد ازدادت مستويات الفقر والبطالة، وهو ما يجعلنا نشعر بالإحباط من قدرة شبكة العلاقات والتعاون بين الدول والشركات المنتجة للأدوية واللقاحات، بهدف إنتاج لقاح من دون تكلفة بشرية ومادية كبيرة، خاصة في الدول الفقيرة التي تعاني بالأساس أزمات اقتصادية معقدة.

”

قد تفرض الأوبئة المعدية المعولمة تحولاً في طبيعة العلاقات بين الدول على مستوى النظم الصحية وسلامة الأغذية من خلال فرض بروتوكولات واتفاقيات جماعية على نحو ظاهرة الحد من انتشار الأوبئة المعدية. لكنه أمر لا يخلو، بلا شك، من التوظيف السياسي من القوى الدولية الفاعلة في النظام الدولي التي قد تستخدمه أداة ضغط جديدة في تحقيق مصالحها

”

وبناء عليه، قد تفرض الأوبئة المعدية المعولمة تحولاً في طبيعة العلاقات بين الدول على مستوى النظم الصحية وسلامة الأغذية من خلال فرض بروتوكولات واتفاقيات جماعية على نحو ظاهرة الحد من انتشار الأوبئة المعدية. لكنه أمر لا يخلو، بلا شك، من التوظيف السياسي من القوى الدولية الفاعلة في النظام الدولي التي قد تستخدمه أداة ضغط جديدة في تحقيق مصالحها؛ فقد نشهد فرض عقوبات على الدول التي لا تلتزم بهذه البروتوكولات على غرار العقوبات الاقتصادية التي تفرضها الدول الكبرى على الدول المعارضة لسياساتها، أو حتى التهديد بتجميد تمويل المنظمات الدولية التي تركز في معالجة القضايا على المستوى الدولي. ويلاحظ أن الركود الاقتصادي الذي خلفته الأزمة المالية عام 2008، وأزمة الهجرة غير النظامية نتيجة تفجر الأوضاع الأمنية في منطقة الشرق الأوسط في عامي 2014 و2015، دفعا العديد من الحكومات المانحة إلى خفض مساهماتها في مكافحة فيروس نقص المناعة البشرية وغيرها من الأوبئة والأمراض المعدية. فعلى سبيل المثال، شهد عام 2015 أول انخفاض حقيقي في إجمالي الموارد العالمية لفيروس نقص المناعة البشرية منذ عام 2002. وقد اقترح الرئيس دونالد ترامب (2017-2021) حينها

36 Sara M. Allinder & Maggie McCarten-Gibbs, "Challenges to Continued U.S. Leadership Ahead of Global HIV's Next Phase," Center for Strategic and International Studies, *CSIS Briefs*, 28/5/2020, accessed on 1/6/2020, at: <https://bit.ly/2XxFNqI>

37 يُنظر في هذا العدد: عبد الكريم أمناكي، "شعبويو السلطة وجائحة كورونا: بين اعتيادية التدابير وخصوصية الخطاب، حالة الولايات المتحدة تحت إدارة الرئيس دونالد ترامب"، سياسات عربية، العدد 50 (أيار/ مايو 2021) ص 86-107.

إن تأثير جائحة كورونا في دور الدولة في ظل النظام الدولي المعوم لا لبس فيه، وقد ظهر جلياً الصراع بين الأرباح والأرواح، أو الصراع بين قوة الدولة وقوة رأس المال وحركته التي عززتها العولمة، وذلك بعد انتشار العدوى السريع الذي عرفه فيروس كورونا، والعدد المرتفع في الوفيات؛ فهو غير مسبوق، ويدفع التصدي له إلى إعادة صياغة دور الدولة ومهامها في نظام دولي معوم. وفي ظل هذا المأزق بين الأرباح والأرواح، تعالت أصوات صنّاع القرار في دول عديدة قلّلت في البداية من شأن انتشار الفيروس وتداعياته، ودعت إلى ممارسة الداروينية الاجتماعية أو ما عُرف حينها بمناعة القطيع. وفي هذا السياق قال الرئيس البرازيلي جايير بولسونارو (Jair Bolsonaro) (-2019): "كورونا مثل المطر سيبلل 70 بالمئة من البلاد، وستصبح البرازيل حرة عندما يكتسب المصابون مناعة ضد الفيروس"⁽⁴¹⁾. كذلك، سارت دول، مثل بريطانيا والولايات المتحدة، في النهج ذاته، وسعت لتقديم الأعمال والاقتصاد على الصحة العامة، لكن سرعان ما انتهى بها الأمر إلى فرض تدابير احتواء (التباعد الاجتماعي، والحد من حركة الأفراد، وإغلاق كلي/ انتقائي للنشاطات الاقتصادية والاجتماعية) تهدف إلى توفير الوقت وخفض منحنيات العدوى، وفقاً لما يمكن أن نصلح عليه بـ "النموذج الإيطالي" في التعامل مع الحد من انتشار الفيروس؛ ذلك أن الدولة الإيطالية خرجت من القمقم، وأحكمت قبضتها على النشاطات الاقتصادية كافة والحركة الاجتماعية داخل حدودها الجغرافية، على نحو أعاد الاعتبار إلى فكرة سيادة الدولة بمعناها الكلاسيكي. وهو المعنى الذي غيّبته العولمة، حين نعت سيادة الدولة وفككت حدودها الجغرافية وقدرتها على أداء وظائفها، إلى جانب الفواعل غير الدول التي زاد عددها وتعاظمت قدرتها على التأثير في السياسة الدولية. لقد أعادت أزمة كورونا النظر في فرضية عجز الدولة في وجه العولمة، وعجزها أمام القيود المفروضة عليها أمام الاندفاع الحتمي لقوى الاقتصاد العالمي. لقد أزاحت العولمة "القوة" من حلبة الدولة إلى الحلبة العالمية، ولكن ما زال للدولة القدرة على التأثير المضاد، وهو ما أكدته اختبار جائحة كورونا الذي سيفتح الباب مُشرعاً أمام حقل العلاقات الدولية للانخراط مجدداً في حوار حول دور الدولة وما طرأ عليه من تغيير في ظل النظام المعوم⁽⁴²⁾.

الدولية، والمنظمات فوق الحكومية، والشركات المتعددة الجنسيات، والشبكات العابرة للحدود القومية والأفراد. لذا، فقد ركز حوار العولمة في نظرية العلاقات الدولية على البحث في التغيير الذي طرأ على الدولة بوصفها فاعلاً في النظام الدولي، وتأكل جوانب سيادة الدولة التي تعرضت لهزة كبيرة نتيجة تكاثر التدفقات عبر الحدود التي أفرزت قضايا ومسائل عولمية ذات نطاق وحجم يتجاوزان صلاحيات الدولة وسيطرتها ونطاق رؤيتها، من بينها التغيير المناخي وخطر الأوبئة المعدية وانتشارها على المستوى الدولي.

ومن ثم، لم يكن لدى الدولة قدرة على التعامل مع هذه القضايا على نحو منفرد؛ ما استدعى تطوير مجموعة كبيرة من المؤسسات عبر القومية المعنية في ما بات يعرف في حقل العلاقات الدولية بـ "الحكومة العالمية" التي غيرت طابع السياسة العالمية تغييراً جوهرياً من مستوى الدولة إلى مستوى ما بعد الدولة⁽³⁸⁾، إضافة إلى أن العولمة الاقتصادية، بما لديها من دور في زيادة انتقال رؤوس الأموال، وتالياً زيادة قدرة رؤوس الأموال على الانتقال من ولاية قضائية قومية إلى ولاية قومية أخرى، قد عززت قوة رأس المال مقارناً بـ الدولة، ما أدى إلى نزع الصبغة السياسية جوهرياً عن مجالات كاملة في صناعات السياسات الداخلية⁽³⁹⁾.

تجدد الإشارة إلى أن الحوار المذكور آنفاً كان في سياق نظام دولي يتسم بالتنافس بين القوى الفاعلة في ميادين التسليح والاقتصاد والسياسة في مناطق مختلفة من العالم؛ أي إنه سابق على أزمة كورونا التي قد تُحدث تغييراً جوهرياً في طبيعة التنافس في النظام الدولي، وقد تقلب هذه الأزمة حوار العولمة الخاص حول نعي الدولة والتقليل من دورها وإزاحتها عن كواهلنا رأساً على عقب. لم تعد الدولة فاعلاً أساسياً في النظام الدولي فحسب، بل ضرورة لتنظيم الحياة الخاصة لأفراد المجتمع. وفي هذا الصدد، يقول عزمي بشارة: "الوباء يعيد الدولة حتى بالنسبة إلى أولئك الذين أخطؤوا في نعي الدولة، وكل منطري الـ 'ما بعد' على أنواعهم. في الأزمات يتطلع الناس إلى الدولة. إنها المرجع، الإطار الوحيد المنظم القادر على التصدي. هي التي تقر الإجراءات ومدد الإغلاق ومنع التجول. هي التي تحدد الميزانيات المخصصة لمكافحة المرض. حدودها هي المرجع في تصنيف 'نحن' و'الآخرين'⁽⁴⁰⁾."

41 "الرئيس البرازيلي يجدد استخفافه بفيروس كورونا: جايير بولسونارو، انتقد التدابير المتخذة من طرف الإدارات المحلية من أجل مكافحة الفيروس"، وكالة الأناضول، 2020/4/4، شوهد في 2020/5/16، في: <https://bit.ly/2AmeHth>

42 تقدم في هذا العدد شهرزاد خير نقاشاً موسعاً عن الدولة من منظور الاقتصاد السياسي الدولي. ينظر: شهرزاد خير، "الاقتصاد السياسي الدولي وجائحة كورونا: تأملات نظرية ومساءلات مبكرة"، سياسات عربية، العدد 50 (أيار / مايو 2021)، ص 58-85.

38 حول العلاقة بين الدولة والسيادة وبروز الحكومة العالمية، يُنظر: كريس براون، فهم العلاقات الدولية، ترجمة مركز الخليج للأبحاث (دبي: مركز الخليج للأبحاث، 2004).

39 كولن هاي، "نظرية العلاقات الدولية والعولمة"، في: دان وكوري وسميث (تحرير)، ص 658.

40 عزمي بشارة، "خواطر في زمن كورونا وأزمة أخرى (2)", عرب 48، 2020/3/23، شوهد في 2020/5/12، في: <https://bit.ly/2XSfdY6>

رابعًا: اختبار الاعتماد المتبادل بين الدول على وقع فيروس كورونا

صنع المستحضرات الدوائية، وشراء حقوق ملكيته بمليار دولار على أن يقتصر استغلاله على الولايات المتحدة فقط⁽⁴⁵⁾.

لم يشهد العالم خلال انتشار فيروس كورونا تعاونًا واعتمادًا متبادلًا كانت قد بشرت به تنظيرات الليبرالية الجديدة، بل كان التنافس بين الدول التي كُشرت عن أنيابها هو سيد الموقف؛ إذ تلاعبت الدول بسلاسل توريد السلع الصحية العامة الرئيسة للحصول على الكمادات وأجهزة التنفس والأدوية اللازمة للحد من آثار الفيروس؛ ما زاد الطلب عليها وجعلها شحيحة في الأسواق. وقد ظهر التنافس جليًا بين الدول التي كانت حتى وقت قريب تُصنّف على أنها دول متحالفة في مواجهة تهديدات عالمية؛ مثل الهجرة غير النظامية، والإرهاب، وغيرهما، ودخلت في نفق تبادل الاتهامات بقرصنة شحنات المواد الطبية، وعطلت أي قوة لقواعد القانون الدولي التي كانت حتى وقت قريب تتغنى بها، إضافة إلى التغني بضرورة التعاون في مجال تأسيس سياسة صحية عالمية من خلال إعادة وضع الاستراتيجيات الصحية العامة من المعايير القومية إلى المعايير العالمية. فلم تعد المعايير القومية فعالة ضد مخاطر صحية معينة متصلة بالتحركات العالمية للأشخاص والأمراض. وكانت منظمة الصحة العالمية قد بدأت في وضع ملامح استراتيجية صحية عالمية منذ مؤتمر ألما-آتا عام 1978، الذي يعتبر مفصلًا مهمًا في تنظيم السياسات الصحية على المستوى العالمي؛ إذ حدد الرعاية الصحية الأولية مفتاحًا لتحقيق هدف الصحة للجميع⁽⁴⁶⁾، وما عقبه من سلسلة من المؤتمرات التي سعت لتحقيق هدف وصول الناس في مختلف أنحاء العالم إلى أعلى مستوى من الرعاية الصحية.

لكن مع انتشار فيروس كورونا، كان المشهد الدولي مختلفًا، حيث غاب التنسيق والتعاون بين الدول، وحلّ محله التنافس على المواد الطبية إلى حدّ وصل إلى اتهام بعضها بعضًا بالقرصنة؛ فقد اتهمت إسبانيا السلطات التركية بالاستيلاء على طائرة محملة بأجهزة تنفس كانت في طريقها من الصين إلى إسبانيا، تحتوي على 162 جهاز تنفس لوحدة العناية المركزة تستخدم لعلاج مرضى فيروس كورونا، لتراجع وزيرة خارجية مدريد عن تصريحاتها باتهام أنقرة بقرصنة الأجهزة، وتعلن أن آلات التنفس ستصل إلى إسبانيا بفضل تفهّم السلطات التركية أن

تفترض الليبرالية المؤسسية/ الجديدة في العلاقات الدولية أن السياسة الدولية توفر فرصًا أكبر للتعاون والتكامل في عالم اليوم الذي يسهم فيه اللاعبون من غير الدول مباشرة في السياسات الدولية، والذي توجد فيه أيضًا هرمية واضحة للقضايا، ولا تمثل فيه القوة المادية، كما يتصور الواقعيون، وسيلةً فعالة في السياسة على نحو أساسي⁽⁴³⁾. وفي الوقت الذي تهتم فيه الواقعية بالقضايا الأمنية والعسكرية في العلاقات الدولية ("السياسة العليا")، تركز المؤسسية الليبرالية على القضايا الاقتصادية والاجتماعية ("السياسة الدنيا") التي تمهد الطريق بين الفواعل في النظام الدولي لزيادة مستوى الاعتماد المتبادل المدعوم بالمؤسسات الدولية التي ازداد دورها وعددها في النصف الثاني من القرن العشرين، والتي تكفل التعاون الدولي وتتيح للدول التغلب على الصعوبات التي تواجه العمل الجماعي. ويجادل الليبراليون الجدد بأن قراءة السجل التاريخي الوستفالي من منظور واقعي تفترض استمرار الحرب والمنافسة العسكرية/ التجارية بين الدول نتيجة غياب السلطة المركزية في النظام الدولي، وهو ما يتطلب إعادة نظر وقراءة نقدية لذلك الافتراض الواقعي، انطلاقًا من حقائق جديدة فرضتها التطورات السياسية في القرن العشرين، تتمثل في الاعتماد المتبادل المتزايد في مجالات متنوعة من القضايا العالمية التي تشكل، وفق وصف روبرت كيوهان، حافزًا استراتيجيًا عقليًا للدول كي تتعاون في ما بينها⁽⁴⁴⁾. لكن مع انتشار فيروس كورونا، سادت نظرة متشائمة حول إحراز التعاون بين الدول لإيجاد لقاح له. وعلى الرغم من وجود مصلحة مشتركة بين الدول في الوصول إلى لقاح فعال، أظهرت التجربة أن ذلك لا يقود بالسهولة التي افترضتها الليبرالية الجديدة إلى إيجاد أرضية مشتركة بين الدول للتعاون في ما بينها. وقد تخشى دولٌ من أن تستغل دولٌ أخرى ترتيبًا تعاونيًا من خلال الغش والخداع، وأبرز مثال دالٌّ على ذلك محاولة الرئيس الأمريكي دونالد ترامب الاستحواذ على لقاح ضد فيروس كورونا الذي كانت تعمل على تطويره شركة كيورفاك CureVac الألمانية المتخصصة في

45 عماد بنسعيد، "فيروس كورونا: هل حاول ترامب استمالة مختبر ألماني للحصول حصريًا على لقاح ضد الوباء؟"، فرانس 24، 2020/3/17، شوهد في 2020/5/19، في: <https://bit.ly/3eLv69m>

46 للمزيد ينظر:

"Declaration of Alma-Ata: International Conference on Primary Health Care, Alma-Ata, USSR, 6-12 September 1978," World Health Organization, accessed on 23/5/2020, at: <https://bit.ly/3fSVoHw>

43 Robert O. Keohane & Joseph S. Nye Jr, *Power and Interdependence: World Politics in Transition* (Boston, MA: Little, Brown & Co, 1977), p. 24.

44 Robert Keohane, *After Hegemony: Cooperation and Discord in the World Political Economy* (Princeton, NJ: Princeton University Press, 1984), pp. 50-54

وسياسية معقدة، وعلى نحو خاص على الدول التي تعصف بها صراعات وحروب أهلية، والتي تعاني قبل انتشار فيروس كورونا انقطاعاً في الإمدادات الإنسانية على اختلافها (الغذائية والطبية). ويصحّ الأمر نفسه بشأن الكاميرون والنيجر والفلبين واليمن والأراضي الفلسطينية، وخاصة قطاع غزة. السجن الكبير الخاضع لحصار الاحتلال الإسرائيلي منذ ما يزيد على أربعة عشر عاماً، إضافة إلى ليبيا التي شهدت عمليات عسكرية في طرابلس ومحيطها بين قوات حكومة الوفاق وقوات العقيد المتقاعد خليفة حفتر. وقد يُلقى ذلك بتبعاته على آلاف المهجرين قسراً من ديارهم كالروهينغا الموجودين في بنغلادش، ومئات الآلاف من السوريين الفارين من إدلب نتيجةً للقصف الذي يشهده النظام السوري وحليفه الروسي، مروراً بمخيمات اللاجئين الهائلة في دارفور واليمن، إلى الآلاف على الجزر اليونانية في الاتحاد الأوروبي، فضلاً عن المحتجزين في ظروف غير إنسانية في مراكز الاعتقال، علاوة على المنظمات الإرهابية، مثل داعش والقاعدة، التي قد تستغل الظرف الراهن في شنّ هجمات إرهابية في العراق وسورية⁽⁵⁰⁾.

”

تنخرط الدول القوية في النظام الدولي في تنافس محموم فرضته الأزمة، بدلاً من التعاون والاعتماد المتبادل؛ إذ من المرجح أن يُلقى التلاعب بشبكات الإنتاج والتوزيع بتبعات قاسية، من دون شك، على الدول الفقيرة التي تعاني أزمات اقتصادية وسياسية معقدة، وعلى نحو خاص على الدول التي تعصف بها صراعات وحروب أهلية

”

ولم تجد نداءات الأمين العام للأمم المتحدة، أنطونيو غوتيريش وأنتونيو غوتيريش António Guterres (2017-)، صدى بترك الأعمال العدائية، ووضع مشاعر عدم الثقة والعداوة جانباً ووقف إطلاق النار في مختلف جبهات الصراع القائمة حول العالم، وفتح الباب لحل النزاعات بالطرق السلمية، ووضع نهج مشترك لمواجهة انتشار فيروس كورونا الذي

إسبانيا في حاجة ماسة إلى هذه الآلات⁽⁴⁷⁾. وحولت الولايات المتحدة، التي كانت ثاني الدول التي أُنهت بعمليات القرصنة، مسار شحنه من الأقنعة الموجهة إلى الشرطة الألمانية، واشترت لوازم طبية بأسعار أعلى لقطع الطريق على دول أخرى في السوق العالمية للحصول على معدات الحماية من فيروس كورونا، حيث تم تحويل مسار حوالي 200 ألف قناع من نوع N95، وهي من معدات الحماية الشخصية التي تستخدم لحماية مرتديها في المستشفيات من الجسيمات المحمولة جواً ومن السوائل الملوثة، إلى الولايات المتحدة أثناء نقلها بين الطائرات في العاصمة التايلاندية بانكوك. ووصف أندرياس جيزيل Andreas Geisel، وهو مسؤول كبير في ولاية برلين، هذا التحويل بأنه "عمل من أعمال القرصنة الحديثة"، حيث طالب الحكومة الفدرالية الألمانية بمساءلة واشنطن والامتنال لقواعد التجارة الدولية، قائلاً: "هذه ليست طريقة في التعامل مع شركاء عبر الأطلسي"⁽⁴⁸⁾.

تكرر الأمر ذاته مع فرنسا التي أُنهت الولايات المتحدة على لسان الطبيب جان روتتر Jean Rottner ورئيس مجلس منطقة غراند إيست الفرنسية، بقوله إن الولايات المتحدة تشتري أقنعة كانت فرنسا قد طلبتها من الصين على مدرجات المطارات الصينية قبل إقلاع الطائرات، لتقع بلاده لاحقاً في قفص الاتهام حين وُجّهت السويد إليها اتهاماً بوضع باريص يدها على مواد وسلع طبية آتية من الصين، أما كندا فقد وُجّهت تحذيراً إلى واشنطن من تقييد التجارة الدولية في المواد والمعدات الطبية وسط تفشي جائحة كورونا، في الوقت الذي ضغط فيه الرئيس ترامب على الشركات لإعطاء الأولوية للولايات المتحدة، فقد أشار رئيس وزراء كندا، جاستين ترودو Justin Trudeau (2015-)، إلى أن مثل تلك الخطوات قد تؤدي في النهاية إلى الإضرار بالولايات المتحدة التي تعتمد أيضاً على استيراد السلع من الخارج⁽⁴⁹⁾.

بناءً على ما تقدم، تنخرط الدول القوية في النظام الدولي في تنافس محموم فرضته الأزمة، بدلاً من التعاون والاعتماد المتبادل؛ إذ من المرجح أن يُلقى التلاعب بشبكات الإنتاج والتوزيع بتبعات قاسية، من دون شك، على الدول الفقيرة التي تعاني أزمات اقتصادية

47 حسين مجدوبي، "مدريد تبرى أنقرة من سرقة آلات التنفس الاصطناعي وتعترف أنها تركية الصنع"، القدس العربي، 2020/4/5، شوهد في 2020/5/29، في: <https://bit.ly/2ZOaHfH>

48 Tim Lister, Sebastian Shukla & Fanny Bobille, "Coronavirus Sparks A 'War for Masks' in Desperate Global Scramble for Protection," CNN, 5/4/2020, accessed on 29/5/2020, at: <https://cnn.it/2XMUtr8>

49 Kim Willsher, "US Hijacking Mask Shipments in Rush for Coronavirus Protection," The Guardian, 3/4/2020, accessed on 29/5/2020, at: <https://bit.ly/3exJlyr>

50 "مستفيداً من كورونا ونزاعات المنطقة.. تنظيم 'داعش' يعاود الكرة"، دويتشه فيله، 2020/5/24، شوهد في 2020/5/28، في: <https://bit.ly/36LTsx0>

خامساً: أزمة فيروس كورونا: الطريق نحو نظام دولي متعدد الأقطاب؟

تثير الآثار الاقتصادية والسياسية التي قد تخلّفها أزمة كورونا تساؤلات حول مستقبل النظام الدولي والتغيرات التي قد تطرأ على بنيته. وقد سال حبرٌ كثيرٌ حول التنافس القادم بين الصين والولايات المتحدة⁽⁵⁴⁾، والتراجع في مسار التكامل الأوروبي؛ بسبب الجائحة التي كشفت عيوباً في البيت الداخلي الأوروبي قد تفضي إلى انهياره وانكفاء دوله إلى حدودها القومية السابقة على توقيع اتفاق شنغن. ويأتي معظم هذه التحليلات في سياق وجود عارض Contingent هو وباء كورونا الذي لم يدرسه منظرو العلاقات الدولية، ولم يحلّوا أثره في تغير النظام الدولي على نحو موسع، بخلاف دراستهم العوامل المحفزة التي تدفع القوى الفاعلة العقلانية إلى المضي قدماً في قبول توزيع القوى التي تشكل نظاماً دولياً جديداً⁽⁵⁵⁾.

تجدر الإشارة إلى أنّ نذر المواجهة بين الولايات المتحدة والصين قد بدأت ترسم ملامحها، مع صعود بيجين قوةً دوليةً منذ تسعينيات القرن الماضي، وقد زاد القلق الأمريكي مع وصول المحافظين الجدد مع إدارة جورج بوش الابن George W. Bush (2001-2009)، ذلك أنّ صعود الصين الاقتصادي أثار قلق واشنطن بشأن نفوذها في القارة الآسيوية وضرورة الحفاظ على التفوق الأمريكي فيها، خاصة مع زيادة دور الصين بوصفها لاعباً جيوسراتيجياً يمكنه أن يشكل تحدياً للولايات المتحدة مستقبلاً، ولا سيما مع تبني الصين سياسات محلية وإقليمية ودولية تتصل بقضايا ذات أهمية بالنسبة إلى واشنطن؛ مثل برامج تجارة الصين في الصواريخ والتكنولوجيا، وبرامج التحديث العسكري الصيني، ومنازعاتها في بحر الصين الجنوبي. وتجدر الإشارة هنا إلى أنّ التطور اللافت للانتباه في طبيعة علاقة واشنطن ببيجين جاء مع الرئيس ترامب الذي لم تكن لديه أي خبرة في إدارة السياسة الخارجية، وذلك عبر اتصال هاتفية أعلن عنه البيت الأبيض أجرته رئيسة تايوان، تساي إنغ ون Tsai Ing-wen (2016-)، لتهنئة الرئيس ترامب، في 2 كانون الأول/ ديسمبر 2016. وحينئذ، أحدث ترامب قطيعة مع عُرف دبلوماسي أميركي، عمره قرابة أربعين عاماً، منذ أن سحبت الولايات المتحدة عام 1979 اعترافها بـ "جمهورية الصين"، أي تايوان، لمصلحة الاعتراف بجمهورية الصين الشعبية. وقد

بات التحدي العالمي الأول⁽⁵¹⁾، نتيجةً لفقدان الثقة بقدرة وقوة الأمم المتحدة على إجبار الدول على احترام القانون الدولي، وهو ما يعيد طرح تساؤلات حول دور المنظمات الدولية؛ كالأمم المتحدة، والمنظمات التابعة لها - مثل منظمة العمل الدولية ومنظمة الصحة العالمية - التي تأسست في ظل نظام دولي ثنائي القطبية بعد الحرب العالمية الثانية، لتعكس توازن القوة بين الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة في موثيقها وآليات اتخاذ القرارات فيها. وليس ثمة من مثال أوضح من هيكل مجلس الأمن، الجهاز التنفيذي في الأمم المتحدة الذي تسيطر عليه القوى التي انتصرت بعد الحرب العالمية الثانية. وقد هيمنت الولايات المتحدة على أغلب تلك المنظمات الدولية والمتفرعة منها بعد انهيار الاتحاد السوفياتي باعتبارها الممول الأكبر لها، وتحكمت في قراراتها، كما أثرت في الدول الأعضاء فيها على نحو يخدم مصالحها. ولم تقتصر حدود تأثير واشنطن في قرارات الأمم المتحدة المتعلقة على مواضيع السلام والأمن، بل تجاوزتها إلى قضايا اجتماعية واقتصادية وصحية من خلال تحكّمها في ميزانياتها. وفي هذا السياق، اتهم الرئيس ترامب منظمة الصحة العالمية واصفاً إياها بالدمية في يد الصين، وذلك بعد إجراء مراجعة لتقييم دورها في سوء الإدارة الشديد والتغطية على انتشار فيروس كورونا، وهدد بتجميد التمويل الذي تقدمه الولايات المتحدة للمنظمة⁽⁵²⁾.

يبدو أنّ فيروس كورونا قد فضح نقاط الضعف في الاعتماد المتبادل الذي بشر به أنصار الليبرالية الجديدة في النظام الدولي؛ على نحو بدا الاعتماد المتبادل كأيديولوجيا تستخدمها القوى الكبرى في النظام الدولي لتظهر انخراط الدول الغنية والفقيرة في شبكة كثيفة من التعاون والاعتماد المتبادل. وتظهر أزمة كورونا اليوم الآثار المتفاوتة في هذه الاعتماد المتبادل؛ حيث توجد أطراف تريح أكثر من غيرها. وقد نكون أمام حالة تبعية Dependence، لا حالة اعتماد متبادل Interdependence أو حتى تعاون، فما دمت كُنْتُ اعتمد عليك، فهذا يعني أنّ لديك أكثر من طريقة للتأثير في مصيري⁽⁵³⁾، لا سيما مع سياسات الإدارة الأميركية الحمائية التي انتهجتها إدارة الرئيس ترامب، والتي ألقت بتداعياتها على فكرة التعاون الدولي وما يرتبط بها من منظمات ومؤسسات حكومية وغير حكومية.

51 "COVID-19: UN Chief Calls for Global Ceasefire to Focus on 'The True Fight of our Lives'," *UN News*, 23/3/2020, accessed on 16/4/2020, at: <https://bit.ly/2Vc3ZNU>

52 "ترامب يهدد بتجميد تمويل منظمة الصحة للأبد وإعادة النظر في عضوية واشنطن"، *رويترز*, 2020/5/19، شوهد في 2021/6/22، في: <https://reut.rs/3j2yKbK>

53 Kenneth Waltz, "Structural Realism after the Cold War," *International Security*, vol. 25, no. 1 (Summer 2000), pp. 14-15.

54 يُنظر في هذا العدد: لورد حبش، "فيروس كورونا والنظام العالمي الجديد: مستقبل الصراع والتنافس والتعاون"، مراجعة كتاب، *سياسات عربية*، العدد 50 (أيار/ مايو 2021)، ص 169-178.

55 Richard Ned Lebow, "Contingency, Catalysts, and International System Change," *Political Science Quarterly*, vol. 115, no. 4 (Winter 2000-2001), pp. 591-616.

والاتحاد الأوروبي، واليابان، والصين، وروسيا)، فإنها لا تفعل شيئاً ملموساً لتشجيع بزوغها، قوةً دوليةً موازنةً، على المستويين الداخلي والخارجي⁽⁶⁰⁾، كما تدرك كل من الصين والولايات المتحدة أنها في وضع لا يمكنها الخروج من أزمة كورونا منتصرة، بطريقة من شأنها تغيير ميزان القوى الدولي على نحو كبير لصالحها؛ أي إن المواجهة بينهما في هذه المرحلة ستقتصر على إظهار كل طرف قدرته على إدارة الأزمة بنجاحة، وبأقل الخسائر المادية والبشرية، وتصدير تجربته على أنها نموذج دولي يحتذى.

وفي هذا السياق، روجت الصين إعلامياً للكفاءة الباهرة التي حققتها في الاستجابة للوباء عبر بناء المستشفيات في وقت قياسي، وبدء عمل نظام رقابة رقمي هائل، أسهم في تعقب المصابين بالفيروس، وإنتاج خرائط الخطر التي تنشرها التطبيقات التجارية التي تبليغ السلطات والأفراد حول تطورات انتشار الفيروس، إضافة إلى المساعدات التي أرسلتها بيجين إلى عدد من دول العالم، بما فيها دول أوروبية⁽⁶¹⁾. لكن ترويج بيجين نموذجها في محاربة الوباء يظل محدوداً، ويغفل الجوانب القسرية واللاإنسانية التي اتبعتها السلطات الصينية عبر تطبيق الحظر حرفياً على جميع العائلات في المنازل من دون أي مساعدة، وممارسة عمليات الترحيل القسري. وقد نتلمس للمرة الأولى بعد انهيار الاتحاد السوفياتي عودة الأيديولوجيا تدريجياً وعلى نحو منتظم في اللعبة الدولية. وتحاول بيجين، التي تعتمد مبادرة الحزام والطريق الاقتصادية، التمدد في المجالات التقليدية للنفوذ الأميركي التي تظهر فيها تصدعات على نحو زرع الثقة بين الحلفاء (الاتحاد الأوروبي، ومنطقة الخليج العربي، والعلاقة المضطربة بكندا وتركيا) حول دور الولايات المتحدة بوصفها قائداً دولياً قادراً على حل الأزمات الدولية عن طريق التعاون الجماعي.

تسعى الصين إلى التسويق لنموذج مختلف عن النهج الليبرالي في السياسات الدولية، ومختلف عن النموذج الأميركي في إدارة الأزمة؛ إذ كشفت الأزمة عن نظام اللامساواة الكامنة والعبء التاريخي الذي تحمله المجتمعات السمرية في هذا البلد، على حد وصف الرئيس باراك أوباما Barack Obama (2009-2017) الذي وجّه انتقاده إلى إدارة الرئيس ترامب في تعاملها مع أزمة كورونا⁽⁶²⁾. فقد كشفت الأيام

رأت الصين في ذلك تحولاً جديداً في الموقف الأميركي تجاه تايوان التي تعدّها بيجين إقليمياً منشقاً عنها⁽⁵⁶⁾. وقد تبعته لاحقاً حرب تجارية شنها الرئيس ترامب على بيجين أسفرت عن هبوط الصادرات الصينية بنسبة 20.7 في المئة منذ عام 2018؛ إذ تكبدت الصين في حربها الاقتصادية مع الولايات المتحدة خسائر غير مسبوقه، كما تراجعت الواردات بنسبة 5.2 في المئة، لتسبب هذه الأرقام تراجعاً حاداً في أسواق البورصة الآسيوية⁽⁵⁷⁾، إضافة إلى انتقال الحرب التجارية إلى سوق التكنولوجيا الصينية، وعلى وجه التحديد عملاق التكنولوجيا الصينية شركة هواوي التي هي طرف أساسي في التنافس الصيني - الأميركي؛ فقد منع ترامب بأمر تنفيذي جميع الوكالات الاتحادية من استخدام منتجات هواوي، وحض حلفاءه على الحذو، مثلما فعلت أستراليا ونيوزيلندا اللتان منعتا استخدام معدات هواوي في تأسيس شبكات الجيل الخامس للاتصالات المحمولة لديهما. وقد زاد فيروس كورونا حدة التوتر في العلاقات التجارية والاقتصادية بين بيجين وواشنطن، ونقلها إلى مرحلة تصعيد جديدة، إلى درجة وصف الرئيس ترامب الفيروس بالفيروس الصيني المصنّع في مختبرات مدينة ووهان⁽⁵⁸⁾. وقد جاء ردّ حينها من الخارجية الصينية مفاده أنه حرّيّ بالمسؤولين الأميركيين أن يفكروا في مشكلاتهم، وأن يوجدوا طريقة لاحتواء تفشي الفيروس في أسرع وقت ممكن⁽⁵⁹⁾.

لقد كشف فيروس كورونا عن مرحلة جديدة من الاستقطاب الدولي بين قوتين دوليتين تنتميان إلى فلسفتين سياسيتين مختلفتين تماماً؛ إحداهما تدين باشتراك دولة الحزب الواحد وتعتمد اقتصاد السوق الاشتراكي، والأخرى تدين بالليبرالية التي تروج لفضائل الفردية والسوق الحرة والديمقراطية. وهو ما قد يقود إلى مواجهة محتملة، لا شك في أن الصين لا ترغب فيها في الوقت الحالي، وهي تدرك أن ميزان القوى في غير صالحها. ورغم تركيز الصين في خطابها الخارجي على التحول نحو نظام متعدد الأقطاب، وهو عالم، أكثر استقراراً مع وجود قوة متوازنة تقتسمها خمس قوى كبرى (الولايات المتحدة،

56 أسامة أبو ارشد، "تصعيد ترامب مع الصين: قلة خبرة أم إرهافات نهج جديد في العلاقات الأميركية - الصينية؟"، تقييم حالة، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات (حزيران/ يونيو 2016)، شوهد في 2021/6/22، في: <https://bit.ly/3zGceUF>

57 "الحرب التجارية بين الصين وأمريكا: صادرات الصين تشهد أكبر تراجع لها منذ ثلاث سنوات"، بي بي سي عربي، 2019/3/8، شوهد في 2020/6/4، في: <https://bbc.in/2Y7fsjf>

58 Maanvi Singh, Helen Davidson & Julian Borger, "Trump Claims to have Evidence Coronavirus Started in Chinese Lab but Offers no Details," *The Guardian*, 1/5/2020, accessed on 12/6/2020, at: <https://bit.ly/3dbL7nG>

59 "الصين ترد بغضب على أكاذيب مكشوفة حول تفشي فيروس كورونا"، فرانس 24، 2020/4/28، شوهد في 2020/6/12، في: <https://bit.ly/37EirCN>

60 عبد النور بن عنتر، "القطبية الأحادية للنظام الدولي: أي مكانة للصين؟"، ترجمة عومرية سلطاني، سياسات عربية، العدد 46 (أيلول/ سبتمبر 2020)، ص 161.

61 يُنظر أيضًا في هذا العدد: خير، ص 77؛ محمد حمشي، "نظريات العلاقات الدولية وجائحة كورونا: أنبذة معقّنة في فنان جديدة ونبذة ملأ يُعقّني"، سياسات عربية، العدد 50 (أيار/ مايو 2021)، ص 20-24.

62 "باراك أوباما ينتقد ضمناً ترامب على إدارته لأزمة فيروس كورونا ويندد باللامساواة بحق الأميركيين السود"، فرانس 24، 2020/5/17، شوهد في 2020/6/14، في: <https://bit.ly/3hA1XQF>

قد يكون أحد تداعيات جائحة كورونا نشوء أيديولوجياتٍ جديدة في المستقبل قادرة على طرح أنظمة حكم وأمط حياة بديلة من الديمقراطية الليبرالية، بل تمثل تحدياً للديمقراطية⁽⁶⁴⁾. وقد تستثمر روسيا والصين ومعهما القوى غير القانعة في النظام الدولي الحالي عقيدة "صراع الحضارات" التي بشر بها صمويل هنتنغتون، لكن هذه المرة ضد انتشار الديمقراطية والليبرالية بوصفهما تنتمي إلى الثقافة الغربية، وأداة للهيمنة. وهذا يعني باختصار أن صراع الحضارات قد يصبح مذهباً روسياً وصينياً في العلاقات الدولية⁽⁶⁵⁾. وفي المقابل، قد يزيد حوافز التكاتف بالنسبة إلى حلفاء الولايات المتحدة الليبراليين لتعزيز وجهات النظر المشتركة ودفع الأنظمة التي تحاول تغيير النظام الدولي⁽⁶⁶⁾. ومن المرجح أن تفضل الإدارات الأميركية المستقبلية، سواء أكانت جمهورية أم ديمقراطية، إطار تحالفات جديدة على المستوى الدولي، مع تزايد الضغوط المحلية من أجل سياسة خارجية أكثر تقييداً، وهذا ما تدركه اليابان ودول الاتحاد الأوروبي من خلال السعي إلى تقليل الاعتماد على الولايات المتحدة، والحذر من عدم قدرة استمرار القيادة الأميركية للعالم، وهو أمر لا يمكن التنبؤ بها.

خاتمة

نخلص في هذه الدراسة إلى أن أدبيات العلاقات الدولية لم تتعامل، إلا في ما ندر، مع الأوبئة والأمراض المعدية على أنها أزمات دولية قد تحمل في طياتها هذه القوة والقدرة على التأثير في شكل السياسات الداخلية - الخارجية للدول القومية. وعادة ما كان يجري التنظير للأوبئة في إطار المسائل العابرة للحدود القومية التي فرضتها العولمة الاقتصادية، وتدرجها ضمن التهديدات الأمنية والبيولوجية التي تواجه الدولة، ولم يتنبه منظرو العلاقات الدولية على نحو كبير لقدرة تلك الأوبئة على التأثير المباشر في السياسة الدولية. لقد ركز حقل العلاقات الدولية تقليدياً على تحليل أسباب الحرب وظروف السلام والتغير في النظام الدولي، وارتبط ذلك في القرن العشرين بحربين عالميتين. وقد نظم الحقل معرفياً أربعة سجلات كبرى (1). الواقعية والمثالية، 2. التقليدية والسلوكية، 3. الواقعية الجديدة والليبرالية

64 عزمي بشارة، "الشعبوية والأزمة الدائمة للديمقراطية"، سياسات عربية، العدد 40 (أيلول/ سبتمبر 2019)، ص 34-7.

65 عزمي بشارة، "صعود اليمين واسترداد صراع الحضارات إلى الداخل: حينما تنجب الديمقراطية نقائص الليبرالية"، سياسات عربية، العدد 23 (تشرين الثاني/ نوفمبر 2016)، ص 19-7.

66 Samuel Brannen et al., "World Order after Covid-19," Center for Strategic and International Studies, *Analysis*, 28/5/2020, accessed on 1/6/2020, at: <https://bit.ly/2YKDVUe>

الأولى من انتشار الفيروس في عدة ولايات أميركية غياب خطة واضحة وموقفًا ملتبسًا في إدارة ترامب للخروج من الأزمة، علمًا أن الحكومة الفدرالية قد أطلقت خطة تدخل هائلة لمنع حدوث أزمة مالية في إثر تفشي فيروس كورونا؛ إذ خفض مجلس الاحتياطي الفدرالي سعر الفائدة إلى صفر في المئة، وبلغ إجمالي مخصصات الكونغرس لمعالجة أثر الوباء قرابة 3 تريليونات دولار. وتتوقع لجنة الموازنة الفدرالية المسؤولة أن يصل الدين الأميركي إلى 117 في المئة من الناتج المحلي الإجمالي بحلول عام 2025، متجاوزًا الرقم القياسي الذي سُجل في عام 1946 بعد الحرب العالمية الثانية، والذي بلغ 106 في المئة، فضلًا عن تضاعف عجز الموازنة إثر أزمة كورونا أربع مرات تقريبًا إلى نحو 4 تريليونات دولار أميركي⁽⁶³⁾.

”

قد يكون العالم أمام نظام دولي متعدد الأقطاب مستقبلاً، تشكّله كل من الولايات المتحدة والصين وروسيا والاتحاد الأوروبي، وقد يتوقف ذلك أساساً على الانتعاش الاقتصادي للولايات المتحدة والصين من فيروس كورونا، وقدرة الدول الأخرى، خاصة في أوروبا وآسيا، على التعافي والاندماج في منظومة القيم والمصالح المشتركة

“

بناءً على ذلك، قد يكون العالم أمام نظام دولي متعدد الأقطاب مستقبلاً، تشكّله كل من الولايات المتحدة والصين وروسيا والاتحاد الأوروبي، وقد يتوقف ذلك أساساً على الانتعاش الاقتصادي للولايات المتحدة والصين من فيروس كورونا، وقدرة الدول الأخرى، خاصة في أوروبا وآسيا، على التعافي والاندماج في منظومة القيم والمصالح المشتركة. وتجدر الإشارة إلى العديد من القوى الصاعدة و/ أو غير القانعة بتوزيع القوة في النظام الدولي الحالي التي تحكمها نظم سلطوية (روسيا، وإيران، وفنزويلا، وغيرها)، مع وجهات نظر مشككة في الديمقراطية والصحافة الحرة والأسواق المفتوحة. ومن ثم،

63 "فيروس كورونا المستجد، والانتخابات الرئاسية، والسياسة الخارجية الأميركية"، تقييم حالة، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2020/5/10، شوهد في 2020/6/14، في: <https://bit.ly/2CiFb6f>

المراجع

العربية

أبو ارشيد، أسامة. "تصعيد ترامب مع الصين: قلة خبرة أم إرهاصات نهج جديد في العلاقات الأمريكية - الصينية؟". تقييم حالة. المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات (حزيران/ يونيو 2016). في:

<https://bit.ly/3zGceUF>

أمناكي، عبد الكريم. "شعبويو السلطة وجائحة كورونا: بين اعتيادية التدابير وخصوصية الخطاب، حالة الولايات المتحدة تحت إدارة الرئيس دونالد ترامب". سياسات عربية. العدد 50 (أيار/ مايو 2021).

أمين، جلال. العولمة. القاهرة: دار الشروق، 2009.

بادي، برتران. عندما يبدأ التاريخ. ترجمة نجيب غزاوي وغزاوي برو. بيروت: دار الفارابي، 2015.

براون، كريس. فهم العلاقات الدولية. ترجمة مركز الخليج للأبحاث. دبي: مركز الخليج للأبحاث، 2004.

بشارة، عزمي. "صعود اليمين واستيراد صراع الحضارات إلى الداخل: حينما تنجب الديمقراطية نقائص الليبرالية". سياسات عربية. العدد 23 (تشرين الثاني/ نوفمبر 2016).

_____ . "الشعبوية والأزمة الدائمة للديمقراطية". سياسات عربية. العدد 40 (أيلول/ سبتمبر 2019).

بن عنتر، عبد النور. "القطبية الأحادية للنظام الدولي: أي مكانة للصين؟". ترجمة عومرية سلطاني. سياسات عربية. العدد 46 (أيلول/ سبتمبر 2020).

الجرباوي، علي. "الرؤى الاستراتيجية لثلاثي القطبية الدولية: تحليل مضمون مقارن". سياسات عربية. العدد 31 (آذار/ مارس 2018).

حبش، لورد. "فيروس كورونا والنظام العالمي الجديد: مستقبل الصراع والتنافس والتعاون". مراجعة كتاب، سياسات عربية. العدد 50 (أيار/ مايو 2021).

حمشي، محمد. "نظريات العلاقات الدولية وجائحة كورونا: أنبذة معقّقة في قنان جديدة ونبذ لمأ يُعقّق". سياسات عربية. العدد 50 (أيار/ مايو 2021).

خير، شهرزاد. "الاقتصاد السياسي الدولي وجائحة كورونا: تأملات نظرية ومساءلات مبكرة". سياسات عربية. العدد 50 (أيار/ مايو 2021).

الجديدة، 4. العقلانية والتأملية) حول ماهية دراسة العلاقات الدولية، فضلاً عن الكيفية التي ينبغي أن تكون عليها.

لقد تشكلت لدى البشرية تجربة اجتماعية مشتركة غير مسبوقة مع جائحة كورونا التي ستلقي بتبعاتها على الأنظمة الديمقراطية الليبرالية والأنظمة الاستبدادية، وكذلك الدول الغنية والفقيرة، وتضعها جميعها أمام اختبار جديد حول علاقة الفرد بالدولة والمجتمع في ظل العولمة. وفي هذا السياق، نشدد على مسألة أن فيروس كورونا ليس هو العامل الأساسي الذي سيغير من طبيعة النظام الدولي وتركيبته مستقبلاً، فهو متغير وسيط Intervening Variable قد يزيد سرعة ظهور العوامل المحفزة النظامية Systemic Factors، وينقلها من مرحلة الكمون إلى الظهور؛ إذ تشكّل العوامل المحفزة النظامية السابقة على ظهور الفيروس الرصيد المتضخم من العوامل التي وصلت إلى مرحلة التراكم الانفجاري Accumulative explosion في النظام الدولي القائم في انتظار العامل "X" القادح؛ مثل التنافس على السيطرة وبسط والنفوذ بين القوى الصاعدة في النظام الدولي على الأسواق والمناطق الغنية بالموارد.

وبناءً عليه، لم يعد كافياً النظر إلى الخرائط الكلاسيكية للجغرافيا السياسية، أو الاعتماد على التحليلات الاستراتيجية استناداً إلى الحوارات الأربعة في العلاقات الدولية فحسب في فهم الظاهرة الدولية، بل يجب أن نتعلم كيف نخطو خطوة إضافية، نحو حوار النقاش في العلاقات الدولية يأخذ في الحسبان دور الأزمات الطارئة المعولمة، بشأن الأوبئة المعدية، وتداعياتها على الفواعل الأساسية في النظام الدولي، ومنظومة القيم الأخلاقية السائدة، إضافة إلى البنى الأيديولوجية والخطابية التي أدت دوراً في صياغة أفكار العولمة ضمن حقل العلاقات الدولية حول دور الدولة القومية والاعتماد المتبادل.

Commission on the Causes of the Financial and Economic Crisis in the United States Including Dissenting Views. Danny Schechter (fore.). New York: Cosimo, Inc, 2011.

Fukuyama, Francis. *The End of History and the Last Man Ideology.* New York: Free Press, 1992.

Gilpin, Robert. *War and Change in World Politics.* Cambridge: Cambridge University Press, 1981.

Hall, Thomas E. & J. David Ferguson. *The Great Depression: An International Disaster of Perverse Economic Policies.* Ann Arbor, MI: University of Michigan Press, 1998.

Helleiner, Eric. "Understanding the 2007-2008 Global Financial Crisis: Lessons for Scholars of Political Economy." *Annual Review of Political Science.* vol. 14. no. 1 (June 2011).

Huntington, Samuel P. *The Clash of Civilizations and the Remaking of World Order.* New York: Simon & Schuster, 1996.

Keohane, Robert O. & Joseph S. Nye Jr. "Globalization: What's New? What's Not? (And So What?)." *Foreign Policy.* no. 118 (Spring 2000).

_____. *Power and Interdependence: World Politics in Transition.* Boston, MA: Little, Brown & Co, 1977.

Keohane, Robert. *After Hegemony: Cooperation and Discord in the World Political Economy.* Princeton, NJ: Princeton University Press, 1984.

Knorr, Klaus Eugen & Sidney Verba (eds.). *International System: Theoretical Essays.* Princeton, NJ: Princeton University Press, 1961.

Lee, Kelly (ed.). *Health Impacts of Globalization: Towards Global Governance.* Basingstoke: Palgrave Macmillan, 2003.

McLuhan, Marshall. *The Gutenberg Galaxy: The Making of Typographic Man.* Toronto: University of Toronto Press, 1962.

دان، تيم وميليا كوركي وستيف سميث (تحرير). *نظريات العلاقات الدولية: التخصص والتنوع.* ترجمة ديم الخضرا. الدوحة/ بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2016.

"فيروس كورونا المستجد، والانتخابات الرئاسية، والسياسة الخارجية الأميركية". *تقييم حالة.* المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات. 2020/5/10. في:

<https://bit.ly/2CiFB6f>

المصري، خالد. "النظرية البنائية في العلاقات الدولية". *مجلة جامعة دمشق للعلوم الاقتصادية والقانونية.* مج 30، العدد 2 (2014). في: <https://bit.ly/2YoDx52>

منظمة الأغذية والزراعة ومنظمة الصحة العالمية. *ضمان سلامة الأغذية وجودتها: خطوط توجيهية لتقوية النظم الوطنية للرقابة على الأغذية.* سلسلة دراسات الأغذية والتغذية 76. دم: منظمة الأغذية والزراعة ومنظمة الصحة العالمية، 2003. موقع منظمة الأغذية والزراعة "الفاو". في: <https://bit.ly/2XDTtPf>

وولرستين، إيمانويل. *تحليل النظم الدولية.* ترجمة أكرم علي حمدان. الدوحة/ بيروت: مركز الجزيرة للدراسات/ الدار العربية للعلوم ناشرون، 2015.

الأجنبية

Allinder Sara M. & Maggie McCarten-Gibbs. "Challenges to Continued U.S. Leadership Ahead of Global HIV's Next Phase." Center for Strategic and International Studies. *CSIS Briefs.* 28/5/2020. at: <https://bit.ly/2XxFNql>

Brannen, Samuel et al. "World Order after Covid-19." Center for Strategic and International Studies. *Analysis.* 28/5/2020, at: <https://bit.ly/2YKDvUe>

Cantor, Norman F. *In the Wake of the Plague: The Black Death and the World it Made.* New York: Simon & Schuster, 2001.

"Declaration of Alma-Ata: International Conference on Primary Health Care, Alma-Ata, USSR, 6-12 September 1978." World Health Organization. at: <https://bit.ly/3fSVoHw>

Financial Crisis Inquiry Commission. *The Financial Crisis Inquiry Report: The Final Report of the National*

Morgenthau, Hans. *Politics Among Nations: The Struggle for Power and Peace*. 4th ed. New York: Knopf, 1967.

Ned Lebow, Richard. "Contingency, Catalysts, and International System Change." *Political Science Quarterly*. vol. 115, no. 4 (Winter 2000-2001).

Nye Jr, Joseph S. "What New World Order." *Foreign Affairs*. vol. 71, no. 2 (Spring 1992). at: <https://goo.gl/pU5Fsc>

Organiski, A.F.K. *World Politics*, Series A Borzoi book. 2nd ed. New York: Alfred A. Knopf, 1968.

Philips, Howard & David Killingary (eds.). *The Spanish Influenza Pandemic of 1918-19: New Perspectives*. London and New York: Routledge, 2003.

Rosen, William. *Justinian's Flea: The First Great Plague and the End of the Roman Empire*. New York: Penguin Books, 2007.

Vasquez, John. "The Realist Paradigm and Degenerative versus Progressive Research Programs: An Appraisal of Neotraditional Research on Waltz's Balancing Proposition." *American Political Science Review*. vol. 91, no. 4 (December 1997).

Waltz, Kenneth. *Theory of International Politics*. Series Addison-Wesley series in political science. Reading, Mass: Addison-Wesley Pub. Co, 1979.

_____. "Realist Thought and Neorealist Theory." *Journal of International Affairs*. vol. 44, no. 1 (Spring/ Summer 1990).

_____. "Structural Realism after the Cold War." *International Security*. vol. 25, no. 1 (Summer 2000).

Wendt, Alexander. "The Agent-Structure Problem in International Relations Theory." *International Organization*. vol. 41, no. 3 (Summer 1987).

World Health Organization. *Accelerating Efforts on Food Safety: Report by the Director-General*. (9/12/2019). at: <https://bit.ly/3gycM58>

شهرزاد خير | Chahrazed Khier*

الاقتصاد السياسي الدولي وجائحة كورونا: تأملات نظرية ومساهمات مبكرة

The International Political Economy and the Covid-19 Pandemic: Theoretical Reflections

تسعى هذه الدراسة للإجابة عن سؤال الارتباط بين الاقتصادي الدولي والسياسي الدولي في تفشي جائحة كورونا وآثارها الجسيمة في الاقتصاد العالمي. وهي تحتاج بأن حقل الاقتصاد السياسي الدولي يمكن أن يقدم إجابات عن الكيفية التي تُشكّل من خلالها هذه الجائحة (أو تفشل في تشكيل) العلاقات الاقتصادية الدولية؛ مثلما يمكنه، بوصفه حقلًا عابرًا للتخصصات، أن يساهم في فهم أنماط التغيير والاستمرارية في الاقتصاد والسياسة العالمية في أعقاب الجائحة، فضلًا عن استكشاف إسهامات الحقل في أبحاث الصحة العالمية. وتُناقش عن فرضية مفادها أن الدولة كانت ولا تزال حاضرة في قلب الرأسمالية النيوليبرالية، وأنها حافظت على قواعدها ضمن تيار نيوليبرالي هيثروودوكسي، تتجه فيه نحو نيوليبرالية أكثر سلطوية، وترتحل فيه من نيوليبرالية السوق إلى نيوليبرالية الدولة. من ناحية أخرى، تدعو الدراسة إلى دفع الاقتصاد السياسي للصحة نحو مركز البحوث الصحية؛ ما دامت الصحة مسألة عابرة للحدود. ثم تنتقل لمناقشة منطوق فشل المؤسسات الدولية في تفعيل قنوات التعاون الدولي وأدواته، مقدّمة فحوصًا للدور الذي تؤديه الشعوبية القومية في تقويض التعاون الدولي لمواجهة جائحة كورونا.

كلمات مفتاحية: جائحة كورونا، الاقتصاد السياسي الدولي، الدولة والسوق، النيوليبرالية، الشعوبية القومية، التعاون الدولي، اللقاحات، النمذجة الاقتصادية.

This study examines how international economic and political matters are interrelated within the context of the Covid-19 pandemic's outbreak as well as its serious effects on global economy. It argues that the International Political Economy (IPE) may provide answers to how the pandemic shapes (or fails to shape) international economic relations. The paper explores how, as a transdisciplinary field, IPE helps to understand patterns of change and continuity in global economics and politics in the wake of the pandemic, and IPE's contribution to global health research as well. The study defends the hypothesis that the state has been and is still present at the heart of neoliberal capitalism, and that it has preserved its foundations within a heterodoxy neoliberal trend heading towards more authoritarian neoliberalism, and steadily moves from market to state neoliberalism. The study also advocates positioning the Political Economy of Health at the center of health research; as long as health is considered a transnational issue. It goes on to discuss the failure of international institutions to enable international cooperation to confront the pandemic, a failure forged by the rise of nationalist populism.

Keywords: Covid-19, Pandemic, International Political Economy, State and Market, Neoliberalism, Nationalist Populism, International Cooperation, Vaccines, Economic Modelling.

* أستاذة مساعدة، قسم العلوم السياسية والعلاقات الدولية، جامعة سطيف 2، الجزائر.

مقدمة

وتستجدي الحماية الصحية لذواتها؛ إذ تفرض العلاقة بين الدولة ومواطنيها شكلاً من أشكال الطاعة المعتادة Habitual Obedience؛ إذ يصير التهديد بالإكراه والقمع عبر استخدام القوة المادية ممأسساً ومتضمناً في فكرة الدولة نفسها⁽²⁾؛ لكنها ربما تظل المرة الأولى التي تُتهم فيها حكومات الدول، أكانت ديموقراطية أم تسلطية، بالتقصير في فرض قواعد الإغلاق والحجر الصحي الصارم. بدا كأن لحظة نزع القرب اللؤلؤي - دلالة على الرفاهية الاقتصادية والاجتماعية - قد حلت، وأن لحظة قرع أجراس الإنذار قد آن أوانها.

عطلت جائحة كورونا الترتيبات السياسية والاقتصادية العالمية؛ ما دفع إلى إعطاء الاقتصاد السياسي الدولي وضعاً فريداً يُمكنه من التفكير في الأثر الاقتصادي العالمي للجائحة؛ لاستكشاف ما يمكن أن تجلبه بحوثه إلى طاولة النقاش. في الحقيقة، لا يبدو حقل الاقتصاد السياسي الدولي في طريقه إلى بلوغ مستوى معين من النضج فحسب؛ فقد صار أيضاً ينتج نقاشاته⁽³⁾ واهتماماته، ويكتسب اعترافاً متنامياً، لكنه يشهد أيضاً حالة من التغير المستمر. وما كان يمكن الكشف عن هذه "الحالة المتغيرة" State of Flux إلا من خلال المحاولات التأملية لباحثي الحقل في البيئة العالمية سريعة التحول؛ إذ تُعد هذه التحولات أكثر عمقاً، بل تُجاوز التحولات في سلطة الدولة؛ لذلك كان من المفيد إلقاء الضوء على الكيفية التي يسهم بها الحقل في تفسير جائحة كورونا.

مع تلاحق الأحداث وتلاقيها وتشابكها قبيل تفشي جائحة كورونا وبعدها، يظل الشغل الشاغل للاقتصاد السياسي الدولي هو: كيف تُشكّل هذه الجائحة (أو تفشل في تشكيل) العلاقات الاقتصادية الدولية؟ وبوصفه حقلاً عابراً للتخصصات، يهتم بأمناء التغيير والاستمرارية في أثناء فترات الشذوذ عن المسار العام الخطي لتطور الاقتصاد العالمي؛ إذ إن مسعى هذه الدراسة هو البحث في الكيفية التي يمكن أن يساعدنا من خلالها الحقل على فهم أمناء التغيير والاستمرارية في الاقتصاد والسياسة العالمية في أعقاب جائحة كورونا، فضلاً عن استكشاف إسهامات هذا الحقل المعرفي في أبحاث الصحة العالمية. وتشترك الإسهامات التي يقدمها باحثو الحقل، على النحو المعروف، في صقل الرؤى حول العلاقات بين الدولة والسوق على مستويات مختلفة من الحكم، وكيفية تشكيلها من خلال ما هو أكثر

واجهد البشرية عبر تاريخها العديد من الأوبئة التي أدت إلى وفاة الملايين من الناس. كان من أشدها فتكاً الطاعون الذي اجتاحت أوروبا في بدايات القرن الرابع عشر، وتسبب في موت ثلث سكان القارة، واستمر على هذا النحو إلى غاية القرن السابع عشر. خلال هذه الفترة، وفي عام 1665 أبدع الرسام الهولندي يوهانس فيرمير Johannes Vermeer (1632-1675) لوحة من أشهر اللوحات الزيتية على مر التاريخ الحديث، "الفتاة ذات القرب اللؤلؤي"، وذلك بعد أعوام من نجاته من موجات الطاعون التي ضربت هولندا بين عامي 1624 و1654، وقبل أعوام من نشوب الحرب الهولندية - الفرنسية عام 1672 والانحيار الاقتصادي الكبير الذي تلاها. تُظهر اللوحة وجه فتاة يافعة ترتدي وشاحاً وقرطاً من اللؤلؤ، بنظرة شاردة يكتنفها الغموض، وثغر صغير منفرج الشفتين، كأنه متردد في مخاطبة المشاهد بشيء ما.

في عام 2014، أعاد رسام الجرافيتي الإنكليزي، المعروف باسم بانكسي⁽¹⁾ Banksy، رسم لوحة "الفتاة ذات القرب اللؤلؤي" على جدار وسط مدينة بريستول الإنكليزية. وفي نيسان/ أبريل 2020، مع تفشي جائحة كورونا في المدينة، ظهرت الفتاة في الجدارية وهي ترتدي قناعاً طبيياً، وتضع في أذنها جهاز إنذار بدلاً من قرب اللؤلؤ، وكان في ذلك إشارة إلى عودة أوبئة القرون الغابرة، لكن مع إنذار بأن العواقب ستكون أسوأ من تلك التي كان فيرمير شاهداً عليها في أوروبا في القرن السابع عشر. من ناحية أخرى، تعبّر الجدارية عن حالة الشد والجذب المستمرين بين الخصوصية والمراقبة. فحين تصبح تجربة الموت تجربةً جماعية، يصير محكوماً على الناس تقبّل فكرة العزل في المنازل (تماماً مثلما حدث مع فيرمير وهو يرسم لوحته الفذة)، مع أنه يُفوّض حريتهم؛ فالموت يظل مشكلة الإنسان الكبرى. الثابت والفاارق بين الزمنين - زمن الطاعون وقتذاك وزمن كورونا حاليًا - أنّ الأمر لا يتعلق بالمرة الأولى التي تُرتهن فيها حيوات البشر بسيطرة أدوات سلطة الدولة؛ وترتكز إليها، وتستكين لسلطوتها بوصفها طوق نجاة،

1 بانكسي هو اسمه المستعار؛ إذ يظل اسمه الفعلي مجهولاً لدى الجمهور، عُرف بمناصرتّه للقضية الفلسطينية، من خلال رسومات الجرافيتي العديدة التي رسمها على جدار الفصل العنصري السيئ الصيت، الذي بنته دولة الاحتلال الإسرائيلي في الضفة الغربية. أبرز تلك الرسومات صورة طفلة فلسطينية في ثوب وردي تفتش جندي احتلال إسرائيلي يقف ووجهه ناحية الجدار، وصورة فتاة فلسطينية تمسك بباقة من البالونات وتطير في الهواء عالياً وكان عينها على الجانب الآخر من الجدار، وصورة طفلين فلسطينيين يلعبان وخلفهما نافذة كبيرة على الجانب الآخر، تطل على منظر طبيعي ساحر، وصورة عملة ضخمة تبدو كأنها تهدم قوالب الحديد والإسمنت التي بني بها الجدار، كأحجار الدومينو، الواحد تلو الآخر. وفي عام 2017، رسم بانكسي صورة ضخمة على الجدار العازل يُظهر فيها دونالد ترامب وهو يعانق الجدار، ويقول له: "سأبني لك شقيقاً". يمكن معاينة صور من أعمال بانكسي على موقعه الخاص، في: <https://www.banksy.co.uk/>

2 Bertani Mauro & J. Claude Zancarin (eds.), *Lectures de Michel Foucault*, vol. 1, *A propos de "Il Faut défendre la société"* (Lyon: ENS Editions, 2001), p. 75.

3 تتعلق النقاشات الثلاثة لحقل الاقتصاد السياسي الدولي بـ علاقة السياسة بالاقتصاد، والجدل بشأن استمرار هيمنة الولايات المتحدة، والتنمية والتخلف في البلدان النامية، وطبيعة العولمة الاقتصادية والدور المتغير للدول.

نحو المزيد من الاهتمام بوضع تصورات للعلاقة بين الملكية الفكرية والحق في إتاحة اللقاح.

في هذا السياق تحديداً، تحاول دراسات الاقتصاد السياسي الدولي الاعتقاد من حقل العلاقات الدولية، ومحاولة المواءمة مع الاقتصاد السياسي من خلال الفحص المتأني للنماذج الاقتصادية المحاكية لطرق انتشار الأوبئة؛ فعلى سبيل المثال، تُزود النماذج الأكثر تقدماً في النمذجة الاقتصادية صانعي السياسات بالتنبؤات الكمية الممكنة لمواجهة جائحة ناشئة. ويستند هذا الجزء إلى مخرجات أبحاث فريق إمبريال كولينج Imperial's COVID-19 Response team، وما توصلت إليه فرقة بحث جامعة جونز هوبكنز في تحليلها لسرعة انتشار الجائحة وتأثيراتها. وتستعرض الدراسة، أخيراً، منطوق فشل المؤسسات الدولية في تفعيل قنوات التعاون الدولي وأدواته.

أولاً: الاقتصاد السياسي الدولي: تأملات نظرية لما تنضج (4)

حينما أنشأت سوزان ستراينج مجموعة الاقتصاد السياسي الدولي IPEG عام 1971، وهي تشغل منصباً بالمعهد الملكي للشؤون الدولية في تشاتام هاوس، انشغلت مع مجموعة من الباحثين وصانعي السياسات بالبحث في قضايا تهتم الاقتصاد العالمي، من أبرزها كيفية إنعاش نظام سعر الصرف الثابت. لكن أبحاثهم لم تُثر اهتمام الممولين، وما كان في إمكان ستراينج - هي ومن معها - فتح دورات، أو تقديم منح للطلاب، أو برمجة مشاريع لدراسات عليا⁽⁵⁾. وفي إثر انهيار نظام بريتون وودز Bretton Woods في عام 1971، ومن ثم حرب تشرين الأول/ أكتوبر 1973، وما تلاها من ركود اقتصادي، انتشرت الدورات الجامعية عبر دول العالم الناطق بالإنكليزية، وباتت المجموعة التي أسست لها ستراينج تابعة لرابطة الدراسات الدولية البريطانية

4 ترد هذه العبارة في دراسة محمد حمشي ضمن هذا العدد، ينظر: محمد حمشي، "نظريات العلاقات الدولية وجائحة كورونا: أئبذة معتقة في قنات جديدة ونببذ لما يُعقّق"، سياسات عربية، العدد 50 (أيار/ مايو 2021)، ص 19.

5 تُحاجّ ستراينج بأنها تعمدت - هي وروبرت كوكس - تجنب أي إغراء لتأسيس مدرسة قائمة بذاتها؛ تقول إنها كتبت قبل بضعة أعوام مقدمة لمجموعة محررة من المقالات بعنوان: "مسارات إلى الاقتصاد السياسي الدولي"، دافعت فيها بقوة عن الانفتاح في تطوير ما كان لا يزال يُنظر إليه على أنه فرع جديد من العلاقات الدولية. واقترحت أنه من الأفضل أن تظل دراسة الاقتصاد السياسي الدولي "نطاقاً مفتوحاً، مثله مثل الغرب المتوحش القديم، يمكن الوصول إليه - كما كانت عليه الدراسة الكلاسيكية للاقتصاد السياسي - بمجرد أن يعرف الناس جميعهم على اختلاف مناهجهم وميولهم السياسية القراءة والكتابة"، يُنظر: Susan Strange, "An Eclectic Approach," in: Craig N. Murphy et al. (eds.), *The New International Political Economy* (Basingstoke: Macmillan, 1991), p. 33.

بكثير من محض أزمة صحية لما يتعلق الأمر بتفشي الأوبئة، كما تتناول السياقات الاقتصادية والأخلاقية والمالية والسياسية للأوبئة.

في مثل هذه اللحظات الحرجة، تتزايد مستويات الغموض المعرفي من جراء سُحّ المعلومة، وارتباك الإدراك، ويصعب معها فهم مسار الأحداث. وتعود المشكلة في جزء مهم منها إلى استعصاء الظاهرة الدولية أمام أدوات التحليل المتاحة؛ لذا يجب التسليم من البداية بأن الهدف من المسعى المعرفي هو الاقتراب من الحقيقة وليس الوصول إليها؛ حينها فقط، يجد الباحث نفسه أكثر تحرراً في استفزاز الأدوات التحليلية المتوافرة، وجعلها تتنافس من أجل إشباع حدسه البحثي، وهو ما يحاول الجزء الأول من الدراسة أن يتصدى له؛ إذ لا يدعي الاقتصاد السياسي الدولي أن الاقتصاد يقع في قلب كل حدث أو توجّه أو عملية في الساحة الدولية، وإنما هو ذلك التحليل الذي يُنكر الفصل بين السياسة والاقتصاد والمجتمع؛ تسعى مدارسه لصقل رؤى فكرية، والقفز إلى أعلى قليلاً للكشف عن مكامن الخلل في تحليل حالة تفشي فيروس كورونا الذي أوقف العالم أمام شدته ووحشيته، مخلقاً وراءه دماراً بدأنا للتو في فهمه على نحو غير مكتمل.

لم تكدمضي أشهر على انتشار فيروس كورونا الذي تمخض عنه أسوأ ركود اقتصادي عرفه العالم منذ الكساد الكبير (1929)، حتى انبرى الباحثون والمتخصصون للتهافت على التنظير لنهاية النيوليبرالية، وتقديم سردية ضعيفة مستلهمة من أطروحات كينزية، يحاولون من خلالها استشراف تداعيات جائحة كورونا على شكل النموذج الذي سيحكم النظام العالمي، وأثرها في دور الدولة ووظيفتها تحديداً. وبناء عليه، يُناصح الجزء الثاني من الدراسة عن فرضية مفادها أن الدولة كانت ولا تزال حاضرة في قلب الرأسمالية النيوليبرالية، وأنها حافظت على قواعدها ضمن تيار نيوليبرالي هيثرووكسي، تتجه فيه نحو نيوليبرالية أكثر سلطوية، وترتحل فيه من نيوليبرالية السوق إلى نيوليبرالية الدولة.

ويحاول الجزء الثالث من الدراسة إخبارنا بأن ثمّة إدراكاً بين الأوساط الأكاديمية يلقى قبولاً في خطابات الصحة العالمية، يُفيد أن الظروف الصحية لا يجدر اختزالها في العوامل البيولوجية؛ لذا، نفترض أن الصحة يجب أن تُفهم ضمن السياق الاجتماعي الذي يحدده الاقتصاد السياسي الدولي إلى حد بعيد. بعبارة أخرى، على الاقتصاد السياسي للصحة أن يكون مركزياً في البحوث الصحية؛ ما دامت الصحة مسألة عابرة للحدود، تتحاييل على الحدود الإقليمية، أو تقوضها، أو تتجاهلها. وإذ يفتح الحقل نقاشاً بشأن التفسيرات الممكنة للكشف عن تغيّر العلاقة التقليدية بين الدولة والسوق والتفكير في كيفية تحسين الوضع الصحي العالمي، فإنه يدفع أيضاً

وأغلبهم أمريكيون ومعظمهم من كليات وجامعات خاصة (هارفارد، وستانفورد، وكولومبيا، وجامعة كاليفورنيا في بيركلي ... إلخ)، فيما أوردت المدرسة البريطانية قائمة باحثيها ضمن "القراءات المقترحة"، وكان من بينها كتاب ريتشارد ستابس Richard Stubbs وجيفري أندرهيل Jeff Underhill: الاقتصاد السياسي والنظام العالمي المتغير⁽¹⁰⁾.

وفي حين تبدو مدرسة التنظيم الدولي أكثر اهتمامًا بالنقاشات الأكثر تمحورًا حول طرائق دراسة العلاقات الدولية، فإن المدرسة البريطانية أكثر تركيزًا على أسئلة العولمة والتغيرات المحتملة، وكذلك على السياسات المثيرة للجدل المتعلقة بالجنس والطبقة والعرق والبيئة. اشتغلت الدورية في بداياتها بموضوعات ذات صلة بمنظمة الأمم المتحدة، مثل دراسات المناطق. ومع ترسخ الحقل، انتقل التركيز نحو المفاهيم التي أنتجها النقاش الثالث في العلاقات الدولية (خاصة الواقعية مقابل الليبرالية، والعقلانية مقابل البنائية)⁽¹¹⁾. وفي فترات لاحقة، شهدت الدورية خروجًا عن موضة سنوات الرئيسين رونالد ريغان Ronald Reagan (1981-1989) وجورج بوش الأب George H.W. Bush (1989-1993)؛ بحيث وفّرت لعلماء السياسة جسرًا فكريًا لتجديد مفهوم الأنظمة الدولية ومناقشة أشكال التعددية والتعاون الاقتصادي والسياسي. وفي أوائل التسعينيات، تحوّل التركيز مرةً أخرى إلى ما عدّ تطبيقًا غير رسمي، نسبيًا، للأفكار المستقاة من نظرية المباريات إلى المساومة على الصعيدين المتعددي الأطراف وضمن حكومات الدول الديمقراطية الليبرالية القوية. وحاليًا، يجري تضمين بعض الأفكار والمصطلحات من البنائية الاجتماعية في العلاقات الدولية، ومن علوم اجتماعية أخرى⁽¹²⁾.

بعد ثلاثة عقود، أو نحو ذلك من ظهور الاقتصاد السياسي الدولي بوصفه فرعًا من فروع حقل العلاقات الدولية، يبدو أن طبيعته وحدوده وأصوله الفكرية لا تزال محل خلاف. في بدايات إطلاق دورية الاقتصاد السياسي الدولي، كانت هناك دعوة موجهة لمجموعة من الباحثين في الحقل لتحديد مفهومه. وكانت إسهاماتهم شاهدة على حدة الانقسام الذي عرفه هذا الحقل، فضلًا عن افتقارهم إلى اتفاق حيال "المبادئ الأولية". وفي الواقع، حتى التسمية نفسها لا تزال محل خلاف؛ إذ يفضل رونام بالان، مثلًا، استخدام مصطلح الاقتصاد السياسي العالمي GPE، والساحة العالمية على الساحة

BISA، وأنشئ قسم مماثل في رابطة الدراسات الدولية ISA، فتأسس الحقل على جانبي المحيط الأطلسي⁽⁶⁾.

انقسم الحقل بين مدرستين: المدرسة البريطانية أو الاقتصاد السياسي الدولي النقدي، والمدرسة الأميركية أو مدرسة التنظيم الدولي للاقتصاد السياسي الدولي. وتكمن المفارقة في أن كلتا المدرستين تندرجان ضمن الهيئودوكسية، في مقابل الأرتوذكسية التي تقوم على تقليص تدخل الدولة⁽⁷⁾، عند مقارنتهما بمعايير علم السياسة أو علم الاقتصاد (المجال الذي يرغبون في بناء جسر نحوه)، أو حتى بالتقاليد السائدة في حقل العلاقات الدولية. للمدرسة البريطانية دورياتها الرئيسة: دورية الاقتصاد السياسي الدولي *Review of International Political Economy*، والاقتصاد السياسي الجديد *New Political Economy* (شرعت في الصدور عام 1996). وفي المقابل، ينافح مؤسسو المدرسة الأميركية عن الاقتصاد السياسي الدولي تأصل في دورية التنظيم الدولي *International Organization* منذ عام 1971، حين تولى روبرت كيوهان Robert Keohane رئاسة تحرير الدورية، بمشاركة جوزيف ناي Joseph Nye، وعدد من الباحثين من جيل كيوهان ممن كانوا طلاب دراسات عليا في جامعة هارفارد⁽⁸⁾.

في ذكرى الاحتفال بدور مدرسة التنظيم الدولي في تنمية حقل الاقتصاد السياسي الدولي، أقرّ كيوهان وزملاؤه بالأدوار المهمة التي أدتها ستراينج وروبرت كوكس Robert W. Cox في تطوير الحقل من خلال دورية التنظيم الدولي نفسها⁽⁹⁾. ومع ذلك، لم يكن هناك أي استشهاد؛ لا بأعمال كوكس، ولا ستراينج في العدد الخاص المكون من 415 صفحة، والذي كان هدفه تقديم تصورات حول حالة الحقل وتطوره. فقد كشف العدد عن الباحثين البارزين في الحقل،

6 Craig N. Murphy & Douglas R. Nelson, "International Political Economy: A Tale of Two Heterodoxies," *British Journal of Politics and International Relations*, vol. 3, no. 3 (2001), p. 393.

7 تتبنى مدرسة التنظيم الدولي للاقتصاد السياسي الدولي تيارًا "أرتوذكسيًا" تقليديًا، يُؤمن إيمانًا راسخًا بضرورة تقليص دور الدولة لصالح اقتصاد السوق، إلا أن النزعة لعبور التخصصات التي ميزت الحقل من جهة، والهيمنة الأميركية، وهيمنة مدرسة التنظيم الدولي عليه من جهة أخرى، خلقت فرصًا لأولئك الذين ابتعدوا عن أرتوذكسية الحقل، بسبب ارتباط الخطاب داخل جامعة هارفارد، خاصة بضرورة الالتزام بإدراج المعايير الاجتماعية في دراسة السوق من قبل شخصيات بارزة في المدرسة، أبرزهم كيوهان. ويوصف الهيئودوكسية تيارًا غير تقليدي، يُنافح في بحوثه عن أهمية الارتحال بين التخصصات، قد يعدّه بعضهم تيارًا مُواجهًا للأرتوذكسية (نيوليبرالية الأسواق)، فإن الحقيقة تفيد أنه يبحث في أدوارها مستندًا إلى حجج تبدو ماركسية؛ لأنها تبحث في الأنساق الاجتماعية والفئات المهمشة. وواقع الحال، أن كلا التيارين لا يرفض رفضًا قاطعًا الصورة التي تظهر بها الدولة.

8 Murphy & Nelson, p. 394.

9 Peter J. Katzenstein et al., "International Organization at Its Golden Anniversary," *International Organization*, vol. 52, no. 4 (1998), pp. xv-xviii, accessed on 22/1/2021, at: <https://bit.ly/3sGWZGC>

10 Murphy & Nelson, p. 395.

11 للمزيد بشأن النقاش الثالث في حقل العلاقات الدولية، يُنظر: Darryl S.L. Jarvis (ed.), *International Relations and the Third Debate* (Westport: Greenwood Publishing Group, 2002).

12 Murphy & Nelson, pp. 396-398.

نتيجة لذلك، لا تُعدّ نقاشات حقل العلاقات الدولية حجر الزاوية في خطوط الانقسام الرئيسة للاقتصاد السياسي الدولي المعاصر الذي بات أكثر اشتغلاً بقضايا ونقاشات تخص الاقتصاد السياسي والعلوم الاجتماعية بعامّة.

1. محاولة التملص من ثنائيتي الدولة/ السوق، والسياسة/ الاقتصاد

تقليدياً، يُعنى الاقتصاد السياسي الدولي بالدراسة والبحث في مؤسستين مركزيّتين في العالم الحديث: الدولة والشركات المتعددة الجنسيات، أو الدولة والسوق كما يحب أن يصفها بعضهم. وهنا، تجدر الإحالة إلى تعريف الاقتصاد السياسي الذائع الصيت الذي صاغه روبرت غيلبين Robert Gilpin، حين أشار إلى أن "الوجود المتوازي والتفاعل المتبادل بين (الدولة) و(السوق) في العالم الحديث يخلق (الاقتصاد السياسي) [...]، في غياب الدولة، سُنقَد نتائج الأنشطة الاقتصادية من خلال آلية الأسعار وقوى السوق؛ سيكون هذا هو العالم النقي لعالم الاقتصاد. في غياب السوق، ستقوم الدولة أو ما يعادلها بتخصيص الموارد الاقتصادية، وسيكون هذا هو العالم النقي لعالم السياسة"⁽¹⁶⁾.

يبدو أن افتراض غيلبين أن السياسة والاقتصاد عالمان منفصلان، بل في الواقع متوازنان، غير مرضٍ جداً. فالتحدي الذي واجهه الحقل، أساساً، هو التغلب على التمييز التقليدي بين السياسة والاقتصاد، والتوصل حقيقةً إلى مقارنة متكاملة للاقتصاد السياسي. يدفعا هذا التحدي النظري - الذي لا يقتصر على الاقتصاد السياسي الدولي والذي يخص مجال الاقتصاد السياسي بأكمله - إلى الطريق نحو ضرورة إعادة المواءمة النظرية.

على الرغم من أن معظم إسهامات الحقل لا تزال تسيطر عليها ثنائية الدولة والسوق والعلاقة بينهما، فإن الجدل القائم يعود أساساً إلى العقدين الماضيين أو نحو ذلك، بعد أن تطوّر المحتوى الموضوعي للاقتصاد السياسي الدولي إلى حدّ بعيد؛ فالعلاقة بين الدول والأسواق شهدت تغيرات بسبب إعادة الهندسة العميقة لبيئة التراكم عبر العولمة الاقتصادية. وفي الوقت ذاته، بات واضحاً أن الاقتصاد السياسي الدولي لا يمكنه البقاء معزول عن مجموعة من النقاشات المهمة التي تجري في مجالات متنوعة، مثل علم السياسة والاقتصاد والجغرافيا البشرية ودراسات الأعمال وعلم الاجتماع والصحة"⁽¹⁷⁾.

الدولية. ومع أن التسميتين تُستخدمان مترادفتين، فإن اعتماد تسمية الاقتصاد السياسي الدولي يكون عادة من أولئك الذين يرون أنه مجال فرعي ضمن حقل العلاقات الدولية، في حين يعد الاقتصاد السياسي العالمي التسمية المفضلة لدى أولئك الذين ينظرون إليه على أنه حقلٌ عابراً للتخصصات، وأقرب إلى الاقتصاد السياسي منه إلى العلاقات الدولية"⁽¹³⁾.

لكن يبدو أن الطريق نحو تحديد مفهومٍ أقرب إلى هذا التخصص محفوف بالمخاطر؛ فالجغرافيون مثلاً يميزون بين مفهومي التخوم والحدود. والمقصود بالحدود Borders هو الحدود المرسمة سياسياً لخلق التمايز بين سيادات الدول، أما التخوم Frontiers فالمقصود بها هو الفضاءات الطبيعية المشتركة على طرفي الحدود السياسية التي تمرّ عبرها الخطوط المرسمة لتلك الحدود"⁽¹⁴⁾. في السياق ذاته، يقدم لنا لايديس كريستوف Ladis Kristof مفهوماً أدق؛ إذ يقول: "تكون [التخوم] عادة متوجهة نحو الخارج Outer-oriented، واهتمامها الرئيس موجه نحو المناطق النائية التي تشكّل مصدرًا للخطر والطمع في الآن ذاته [...] أما الحدود، على العكس من ذلك، فمتوجهة نحو الداخل Inner-oriented، يتم إنتاجها والحفاظ عليها من خلال إرادة الحكومة المركزية؛ ليس لها حياة خاصة، ولا حتى وجود مادي"⁽¹⁵⁾.

ما الذي تعنيه ثنائية الحدود والتخوم هذه لحقل الاقتصاد السياسي الدولي؟ إنها تدفعنا إلى اعتقاد مفاده أن علينا ألا نفكر في هذا الحقل المعرفي على أنه يقع ضمن نظام الحدود، وإنما ضمن نظام التخوم؛ أي بوصفه تخصصاً متوجهاً إلى الخارج أكثر منه إلى الداخل، وأن انتباهه مشدود دائماً نحو المناطق النائية، حيث يتداخل مع التخصصات الأخرى، خاصة إذا افترضنا أن هويته المميّزة له لا تُشكلها بضع افتراضات أساسية مشتركة، بل تتشكل على تخوم مساحات تتشابه فيها التخصصات.

وفي حين لا تزال أغلب نصوص الاقتصاد السياسي الدولي تعطي انطباعاً متمثلاً بأنه مجال منحصر فيما يسمى "البراديغمات الثلاثة"؛ أي الواقعية والليبرالية والبنوية، فإنه لا يمكن إنكار النقلة النوعية التي حققها الحقل، الذي يبدو أنه فقد ما يربطه إلى حدّ ما بحقل العلاقات الدولية، وأثث مقره الجديد على تخوم حقول العلوم الاجتماعية إثر حالة التشابك المعرفي والنسيج القيمي المتداخل بينها.

13 Ronen Palan, *Global Political Economy: Contemporary Theories* (London/ New York: Routledge, 2000), pp. 2-3.

14 محمد حمشي، "المغرب العربي بوصفه إقليمًا بلا إقليمية"، سياسات عربية، العدد 43 (آذار / مارس 2020)، ص 161.

15 Quoted in: Palan, p. 2.

16 Ibid., p. 3.

17 Ibid.

الخصائص الرئيسية لهذا النظام، وأن الهيمنة تفرض استقراراً كافياً للنظام للسماح بازدهار نظام تجاري دولي.

في حين يُفهم من الليبراليين، أو التعدديين، أنهم أولئك الذين لا ينظرون إلى الدولة على أنها كيان إرادي وحدوي، وإنما بوصفها أداةً لتحقيق الأهداف المجتمعية. ومع أن الليبرالية على مستوى العلاقات الدولية تبدو "منظوراً" مختلفاً عن الواقعية، فإن ليبراليي العلاقات الدولية غالباً ما يصلون إلى الاستنتاجات التي يصل إليها الواقعيون نفسها. فعلى سبيل المثال، يوضح ستيفان كراسنر Stephen Krasner، من بين آخرين، أن نظرية الاستقرار بالهيمنة، في الحقيقة، تعود جذورها إلى نظرية الخيار العقلاني، أو الاقتصاد السياسي مدفوعاً بكلاسيكيته الجديدة. كما أن أعمال كيوهان وناي، هي الأخرى، كانت شاهدة على التمازج بين الواقعية والليبرالية في وقت مبكر من سبعينيات القرن الماضي. وبالمثل، قدّم غيلبين مزيجاً بين الواقعية والاقتصاد الكلاسيكي الجديد، وكان من المنطقي أن يتبنى كل من الواقعيين والليبراليين الأدوات الأكثر صرامة لدى المنهجية العقلانية؛ لذلك بات من الصعب على نحوٍ متزايد الحفاظ على خطوط التقسيم التي تفصل بين الواقعية والليبرالية الجديدة⁽²¹⁾.

تمثل البنيوية كذلك، بحسب إيمانويل فالرشتاين Immanuel Wallerstein، مغالطة في التسمية؛ إذ يعدّها إشكالية تخص المدرسة النيوماركسية التي تُعرف أيضاً بـ "نظرية النظام-العالم"⁽²²⁾. وقد أثبتت هذه النظرية نجاعتها في تطوير تفسير اقتصادي - سياسي للبيئة الدولية لا يستند كلياً إلى مفهوم نظام الدولة التعددي. على العكس تماماً؛ تصوّر نظرية النظام-العالم الاقتصاد الرأسمالي بوصفه نظاماً موحدًا يأخذ فيه نظام الدولة دوراً ثانوياً. وفي حين رحبت الأدبيات الماركسية بالتحول المفاهيمي من نظام الدولة إلى النظام الرأسمالي، فإن التحليل التاريخي والبنيوي المفرط لتاريخ النظام-العالم فسح المجال لمقاربات أكثر دقة⁽²³⁾.

أنتجت هذه التطورات، إعادة مواءمة للاقتصاد السياسي الدولي من العلاقات الدولية إلى جذوره في الاقتصاد السياسي، لكن عودة الاقتصاد السياسي هذه لا تخلو من مشكلات؛ مثل انقسامه بين ثلاث مدارس فكرية على الأقل، نجت كل منها من الصدمة التي لحقت بالاقتصاد السياسي في أواخر القرن التاسع عشر وظهور التخصصات الحديثة للاقتصاد وعلم السياسة وعلم الاجتماع. ومن ثم، فإن (بقايا) تقاليد الاقتصاد السياسي القديمة تقع في قلب تجديد فكر الاقتصاد السياسي الدولي. نجحت أولى بقايا الاقتصاد السياسي هذه

ومع ذلك، فإن الحقل يتطلع إلى ما وراء الدولة والسوق والعمولة؛ ما يوحي بأن العلاقة بين الدول والشركات (السوق) وبيئة التراكم (العمولة) لا تطرح مسألة إمبريقية فحسب، بل تثير أسئلة مهمة أيضاً. ففي كل نقطة من النقاش، نجد أنفسنا في مواجهة أسئلة حاسمة تتعلق بطبيعة السلطة ورأس المال والعمل؛ إذ تُطرح مسألة القوة عندما يتعلق الأمر بالفاعلية Agency المرتبطة تقليدياً بالسياسة والدولة. ويرفض ستيفانو غوزيني Stefano Guzzini (وآخرون) الاعتراف بثنائية الدولة/ السلطة، والسوق/ رأس المال، ويرونها غير مقبولة ولا يمكن المناقشة عنها، لأن السلطة ورأس المال يظهران في كل من الدولة والسوق؛ ما يستدعي الحاجة إلى تحليلات رصينة للشكل السياسي والاقتصادي. كما أنهم يزعمون، من جهة أخرى، امتلاكهم مفتاح فشل الاقتصاد السياسي الدولي - إن كان يمكن أن نسميه فشلاً - في إنتاج أطره النظرية الخاصة به. السلطة بلا شك هي المفهوم المركزي في الاقتصاد السياسي الدولي، كما أوضح شمشون بيشلر Shimshon Bichler؛ ذلك أنها لا تنتمي ببساطة إلى الدولة أو على الجانب السياسي الآخر من المعادلة، بل هي في قلب الجانب الاقتصادي. ومع ذلك كما يوضح غوزيني، فإن تصور السلطة لا يزال بعيد المنال كما كان دائماً. وعلى الرغم من أن الاقتصاد السياسي الدولي هو أكثر فروع الاقتصاد السياسي اهتماماً بعلاقات السلطة/ القوة، فإنه لا يزال يفتقد تصوراً واضحاً عنها⁽¹⁸⁾.

2. إمكانية التحرر من حقل العلاقات الدولية

تعزو المسلمات التقليدية في حقل العلاقات الدولية الاقتصاد السياسي الدولي إلى ثلاث مدارس فكرية: الواقعية (الماركنتيلية)، والتعددية (الليبرالية)، والبنيوية (الماركسية)⁽¹⁹⁾؛ حيث سيطرت الواقعية أو الواقعية السياسية على تخصص العلاقات الدولية. ويجادل بعضهم بأنها لا تزال تهيمن على مجال الاقتصاد السياسي الدولي؛ لأنها مبنية على فرضية أن الدول هي كيانات عقلانية (ومن ثم تفترض غالباً أنها فواعل وحدوية⁽²⁰⁾ Unitary)، تسعى وراء مصالحها الأنانية من دون تكبد عناء تحمل أي مسؤولية أخلاقية. ولأن جميع الدول تسعى لتحقيق مصالحها، فإن العامل الوسيط الوحيد في السياسة الدولية هو القوة. على هذا الأساس، تفترض النظرية الواقعية في تحليلها للاقتصاد السياسي الدولي أن توزيع القوة في النظام الدولي يحدد

18 Ibid., p. 4.

19 لا يمكن التفصيل في هذا الموضوع بسبب حدود مساحة التحرير، إلا أن القارئ يمكنه العودة إلى افتراضات بالان وحججه في هذا الشأن، يُنظر: Palan.

20 يقصد بذلك في تقاليد الفكر الواقعي أن الدولة تواجه الخارج، وتتصرف بوصفها وحدة واحدة.

21 Ibid., p. 6.

22 عن "نظرية النظام-العالم"، يُنظر: حمشي، "نظريات العلاقات الدولية"، ص 30-31.

23 Palan, p. 6.

أيضاً التدرجات الهرمية الكولونيالية، ومن ثم العنصرية، إضافةً إلى التدرجات الهرمية الجندرية. ونتيجة لذلك، فإن تفرّد السياسات الاستغلالية القائمة على الطبقة التي تعود للماركسية التقليدية، تفسح المجال لأشكال متعددة الأوجه وأحياناً خاضعة للسياسات الاستغلالية، بما في ذلك الأساليب الخطابية المختلفة التي يُنظر إليها على أنها تعبيرات عن علاقات القوة. يعتقد آخرون أن الاقتصاد السياسي الدولي الجديد فرع انتقائي "ما بعد عقلائي" من الاقتصاد السياسي العالمي، تتخذ فيه القوة والاستغلال والهيمنة أشكالاً عديدة، ليست كلها مادية بحتة أو ذات طبيعة اقتصادية⁽²⁶⁾.

في واقع الأمر، لا يدّعي الحقل أن الاقتصاد و/ أو المصالح المادية تقع في قلب كل حدثٍ أو توجّهٍ أو عمليةٍ في الساحة الدولية/ العالمية؛ فهو لا يمنح الاقتصاد امتيازاً، بل يميز أساليب التحليل السياسية - الاقتصادية، أو ذلك التحليل الذي يُنكر الفصل بين السياسة والاقتصاد والمجتمع. وهذا ما يضيف على الاقتصاد السياسي الدولي ميزة تحليلية، لكنه في الوقت ذاته يضعه في مأزق بيداغوجي. على المستوى التحليلي، يتطور الاقتصاد السياسي الدولي (أو هذا ما نأمل منه) إلى مجال دراسة غير تقليدي، يُعنى بالممارسة، بقدر ما هي مسألة مبدأ؛ أي بوصفها شكلاً من أشكال التحليل منذ البداية. ولكن نتيجة لذلك، فإن النقاشات في الاقتصاد وعلم الاجتماع والجغرافيا وعلم السياسة والأنتروبولوجيا والفلسفة والبيولوجيا والتجارة ونظرية التنظيم والعلاقات الدولية وحتى علم النفس، وما تنطوي عليه من تنوع في المواقف الإبيستيمولوجية والمنهجية التي تستند إليها، تظل كلها ذات صلة بالاقتصاد السياسي الدولي. وبناء عليه، يظل حجم الأدبيات وعمقها محض تحدّ حتى لأكثر الباحثين اجتهاداً في الاقتصاد السياسي الدولي؛ إذ يقع على عاتقه في تحليله لقضايا تدرج ضمن حقول معرفية أخرى - مثلما هي الحال مع جائزة كورون التي تبقى موضوعاً تتصدره منابر العلوم الطبية والبيولوجية - فهم الأحداث غير الطبيعية والتصرف بناءً عليها. وفي حين تنشغل أغلب أدبيات حقل العلاقات الدولية بعملية إنتاج الأفكار، فإن مجال اهتمام الاقتصاد السياسي الدولي هو تجسيد تلك الأفكار، بمعنى الاشتغال بالكيفية التي تجعلها تأخذ شكلاً مادياً *How the Ideational Materializes*. في أوقات الأزمات، نجد أنفسنا في حاجة ملحة إلى فهم أفضل للآليات التي تقود (أو لا تقود) إلى التغيير؛ لذا تبرز مهمة الاقتصاد السياسي الدولي الحقيقية في الانتقال من المعارك الفكرية نحو تمكين الدول والمؤسسات الدولية من التأثير في العالم أو تثبيطها في تحقيق ذلك⁽²⁷⁾.

في تقليد الفكر النفعي الذي يسهم في الوقت الحاضر، بحسب هودجسون، في إمبريالية الاقتصاد الكلاسيكي الجديد. هنا، يتم استخدام المفاهيم والمنهجيات الكلاسيكية الجديدة، مثل المنفعة الحدية *Marginal Utility*، والتحسين *Optimization*، والتوازن، والاختيار العقلاني، على نحو متزايد لتقديم تفسيرات محدّدة لصنع السياسة الدولية.

نتيجة لذلك، ازدهرت في السنوات الأخيرة مدارس الاقتصاد السياسي الدولي ذات التأثير المنهجي القائم على الفردانية، لا سيما في الولايات المتحدة⁽²⁴⁾، بحيث أدرج التفاعل الاستراتيجي ومقاربات نظرية المباريات للاقتصاد السياسي الدولي، ونظريات اقتصاديات تكلفة المعاملات المؤسسية الجديدة في الاقتصاد السياسي الدولي. ويهتم هذا الفرع، في المقام الأول، بالعلاقات فيما بين الدول وصنع السياسات، ولا يزال يرى نفسه يعمل في مجال دراسة ما يسمى الاقتصاد السياسي الدولي⁽²⁵⁾.

”

في أوقات الأزمات، نجد أنفسنا في حاجة ملحة إلى فهم أفضل للآليات التي تقود (أو لا تقود) إلى التغيير؛ لذا تبرز مهمة الاقتصاد السياسي الدولي الحقيقية في الانتقال من المعارك الفكرية نحو تمكين الدول والمؤسسات الدولية من التأثير في العالم أو تثبيطها في تحقيق ذلك

“

يثير الاهتمام المتجدد بالجذور الفلسفية للاقتصاد السياسي مسألة الحدود الموضوعية؛ إذ يرجع الفضل إلى ميشيل فوكو Michel Foucault الذي أعاد صياغة شعار الديمقراطية الاجتماعية القديم، "المعرفة قوة"، بطريقة جديدة. يتحدى جس الفوكوي (الذي يسبق فوكو بالطبع) الخطابات العقلانية والنمط التقليدي لتفسيرات الحقيقة وعلاقتها بالهرمية والممارسات الإقصائية. فضلاً عن أنه لا يتحدى الطبقة في التدرجات الهرمية فحسب، بل يتحدى

26 Ibid.

27 Ibid., p. 8.

24 Ibid.

25 Ibid., p. 7.

ثانيًا: ما هي نهاية النيوليبرالية، إن هو إلى انتصار مؤقت للهيثروودوكسية في زمن جائحة كورونا

بيرند بونفريت [وآخرون] بأنها "محض تعبير عن العديد من الأزمات المتوطنة التي كانت تنتظر حدوثها بالفعل"⁽²⁹⁾.

في خطاب تنصيبه الشهير عام 1981، قال الرئيس رونالد ريغان في Ronald Reagan (1911-2004)، مؤكِّدًا ترسُّخ الفكر النيوليبرالي: "الحكومة ليست حلًّا لمشكلاتنا، الحكومة هي المشكلة". وقد قوَّض منذ ذلك الوقت دور الدولة، وحزَّرت الأسواق، واستنفدت الأخيرة قدراتها فيما يسمى "الكفاءة الفائقة للسوق" في التصدي للعواقب الوخيمة التي أفرزتها جائحة كورونا، والتي دفعت الجميع - مجتمعةً وأسواقًا وبنوكًا - إلى الاستغاثة بالحكومات للتدخل. لم يكن ذلك كله سوى فرصة أخرى متجددة لتعالى أصوات اليساريين، وعودة الأمل لمناهضي العولمة، علَّهم يكسبون رهانهم الذي خسروه سابقًا، بعد خروج الليبرالية منتصرةً بعد أزمة 2008⁽³⁰⁾.

لا عجب إذًا أن المزاج الفكري/ الأيديولوجي للجُمهور، حاليًا، إنما يدفعُ خارج "كنيسة" النيوليبرالية. وقد بلغ الأمر مبلغه مع مناشدة اليمين البريطاني رئيس الوزراء، بوريس جونسون Boris Johnson (2019-)، "تبنى الاشتراكية على الفور" من أجل تجنب الكارثة. وتعليقًا على حقيقة أن البنوك المركزية العالمية قد ضحَّت، مع حلول منتصف نيسان/ أبريل 2020، ما قيمته 8 تريليونات دولار لدرء الانهيار الاقتصادي، خلص جورج سارافيلوس George Saravelos⁽³¹⁾ الذي يتبنى فكرًا راديكاليًا، إلى أنه "لم يعد يوجد شيء اسمه أسواق حرة بعد اليوم". وفي السياق ذاته، توقع أن "الدولة من المرجح أن تؤدي دورًا مختلفًا تمامًا في الاقتصاد"، مشيرًا إلى أن "التاريخ يثبت أن التأثيرات ستكون دائمة". وقد أعلن الرئيس إيمانويل ماكرون Emmanuel Macron (2017-)، مضيِّقًا صوته إلى السرديات السابقة، في مقابلة له مع صحيفة فاينانشيال تايمز، أن "الوقت قد حان للتفكير فيما لا يمكن تصوره [...] في حين أن الاشتراكية ربما لم تنجح في بلد ما، فإن ما لا يمكن تصوره في جميع البلدان يجبرنا على إعادة اختراع أنفسنا"⁽³²⁾.

تظل كلُّ هذه الأصوات أقل حدةً من أصوات أولئك الذين يؤمنون بالنيوليبرالية، ويحدِّثون منها في الوقت نفسه؛ فقد قال ريتز زيتلمان

تساعد التبرُّرات التي تُزودنا بها دراسات الاقتصاد السياسي الدولي⁽²⁸⁾، في الإجابة عن أسئلة عدَّة تتجاوز مجرد الوصف التقني لكيفية عمل النظام الاقتصادي الدولي. ويطفو سؤال محوري إلى السطح - في محاولة من باحثي الحقل متابعة حالة عدم الاستقرار الحالي عن كثب - يتعلق بطبيعة النموذج الاقتصادي الذي يمكن أن تؤسَّس له جائحة كورونا؛ إذ لم يعد شك في أنها باتت تجرُّ العالم إلى كسادٍ اقتصادي ثقيل الوطأة، في حين تناقش أسئلة أخرى: أكان ينبغي فهم جائحة كورونا على أنها صدمة خارجية لنظام الاقتصاد السياسي الدولي، أم منبثقة من داخله؟

في تشرين الأول/ أكتوبر 2019، نظمت شبكة أبحاث الاقتصاد السياسي النقدي التابعة للوكالة الاجتماعية الأوروبية ورشة عمل بعنوان "ماذا بعد؟ الاقتصاد السياسي النقدي في ظل نهاية النيوليبرالية". يقول بيرند بونفريت: "لم تكن النيوليبرالية أقرب من لحظة انحسارها مما هي عليه اليوم. لم تكن ندرك مدى قربنا من ذلك". أيديولوجيًا، لاقت النيوليبرالية ترحيبًا لدى العديد من المؤسسات الدولية؛ مثل صندوق النقد الدولي IMF، والبنك العالمي WB، ومنظمة الصحة العالمية WHO، وفرضت نفسها على نحو غير مسبوق على المؤسسات والحكومات عبر العالم. ومع انتشار الآثار الصحية والاقتصادية بسبب تفشي جائحة كورونا، وانهايار مبدئي حرية السوق والاعتماد المتبادل، تأجَّج النقاش في مراكز التفكير الاقتصادي، في حين سارع بعض باحثي الحقل إلى تقديم مُسوِّغات تُصوِّر الجائحة على أنها "صدمة خارجية" للاقتصاد العالمي، وصفها

28 تُعنى دراسات الاقتصاد السياسي الدولي بالبحث في صحة الأسواق وضبطها، وبدرجة أقل تنظر إلى النظم الصحية العالمية على أنها مرتبطة ارتباطًا وثيقًا بعمليات الاقتصاد السياسي الدولي وفواعله التي حدِّدها ستراينج في أربعة هياكل رئيسية، هي: التمويل، والمعرفة، والإنتاج، والأمن. فدراسات التمويل، على سبيل المثال، تتبَّع على نحوٍ مُجدِّ توسعات منطق التمويل وممارساته في الإنتاج الزراعي والغذائي العالمي، واستخلاص الأدوار المهمة التي تؤديها البنوك الاستثمارية في دعم أشكال الزراعة الصناعية والإنتاج الحيواني التي وفرت أرضًا خصبة للأمراض؛ مثل إنفلونزا الطيور H5N1، والخنازير H1N1، ومؤخرًا كوفيد-19. تلجُّ ستراينج على عاملين رئيسيين يهددان الحضارة الإنسانية: تهديد قصير المدى أسمته "رأسمالية الكازينو" Casino Capitalism، وتهديد طويل المدى يتعلق بالمشكلات البيئية. أعادت جائحة فيروس كورونا الاقتصاد السياسي الدولي إلى جادته الأولى، من خلال أعمال سوزان ستراينج وغيرها من باحثي الحقل، لكشف الاختلالات التي يواجهها الاقتصاد العالمي وتحليلها، يُنظر:

Malcolm Campbell-Verduyn, "Towards Post-Pandemic International Political Economy," *Political Economy and Economic Recovery*, p. 4, accessed on 24/1/2021, at: <https://bit.ly/3bWJUID>

29 Bernd Bonfert et al., "Political Economy and Politics- Covid-19, Critical Political Economy, and the End of Neoliberalism?" *The European Sociologist*, 2/6/2020, accessed on 16/1/2021, at: <https://bit.ly/3qcmPw>

30 Miloš Šumonja, "Neoliberalism is not Dead - On Political Implications of Covid-19," *Sage Journals*, 28/12/2020, accessed on 28/1/2021, at: <https://bit.ly/303gnRY>

31 رئيس قسم أبحاث الصرف الأجنبي في بنك دويتشه (البنك الألماني).

32 Quoted in Šumonja.

الرأسمالية نظام حماية الأجور على غرار نظام كورزارييت الألماني⁽³⁶⁾، والتوجه نحو التأميم الجزئي أو الكامل للعديد من المؤسسات الصناعية، بما في ذلك العديد من شركات الطيران؛ مثل شركة أليطاليا الإيطالية، والمستشفيات الخاصة في إسبانيا، وشبكة السكك الحديدية في بريطانيا، واعتماد صندوق بقيمة 100 مليار يورو في ألمانيا لاستخدامها مباشرة في شراء أسهم الشركات الألمانية المتعثرة. هذه التدابير كلها وغيرها تتعارض بشكل أساسي مع المبدأ النيوليبرالي لحماية "السوق الحرة" وتوسيعها⁽³⁷⁾.

إلى غاية الآن، تبدو النيوليبرالية مُنتَقَدَةً نظريًا، لكنها تظلّ منتصرة واقعيًا؛ فلو أن كل من حاول أن يُجْهز على النموذج النيوليبرالي، تكبد عناء التحزّي عن حالة تطور الحقل - في حال افتراض أن الحقل معني بهذا النقاش، بل يقع في صميم اختصاصه - لأدرك، لا محالة، أن قوة النظام الاقتصادي الليبرالي تكمن في تنوع مدارسه؛ فالليبرالية المنظمة Ordoliberalism، على سبيل المثال، تؤكد ضرورة أن تقوم الدولة بإيجاد بيئة قانونية ملائمة للاقتصاد، وأن تحافظ على مستوى صحي من المنافسة من خلال تدابير تلتزم بمبادئ السوق⁽³⁸⁾. كما أعادت النيوليبرالية هي الأخرى تشكيل نفسها، حين حوِّظ على قواعدها بنماذج بديلة ضمن التيار الهيثروودوكسي. ويُدرّك الاقتصاديون غير الأرثوذكس من كلتا المدرستين أن الدولة مركزية في إنشاء جميع ضوابط السوق وتكييفها. ولا ينكر التيار السائد نفسه - الذي يقع ضمن تقاليد المدرسة الأميركية التي تتبنى نهجًا نيوليبراليًا أرثوذكسيًا - أن الأسواق لا يمكن أن تعمل من دون أن توفر الدولة "العملية القانونية المؤسسية لنشاط السوق"؛ صحيح أنه لا يسمح بدورٍ للدولة يتجاوز الحد الأدنى من الوظائف لإنتاج الإطار المؤسسي وإنفاذه، على نحو يحمي اقتصاد السوق الحر. وفي المقابل، يشهد التيار الهيثروودوكسي تطورًا ملحوظًا؛ إذ بات باحثو الحقل يدفعون

Rainer Zitelmann: "اليوم، علينا توخّي المزيد من الحذر. فقبل اثني عشر عامًا، نجح المناهضون للرأسمالية في المغالطة بإعادة تأطير الأزمة المالية على أنها أزمة الرأسمالية. وقد رسّخت هذه الرواية الخاطئة في أذهان الكثيرين تلك الرواية القائلة إن الأزمة حدثت نتيجة فشل السوق وإلغاء القيود عليها. واليوم، ها هم المثقفون اليساريون، مرّةً أخرى، يبذلون قصارى جهودهم في إعادة تأطير أزمة كورونا لتبرير نداءاتهم لإطلاق العنان لقوة الدولة. لسوء حظنا، إن فرص نجاحهم هذه المرة عاليةٌ جدًّا"⁽³³⁾.

يعتقد مفكرو الاقتصاد السياسي (الجديد) أن النموذج النيوليبرالي لا يملك من إجراءات مواجهة الأزمات سوى تلك الروتينية منها؛ فالاستجابات السياسية لجائحة كورونا مشابهة لتلك التي جرى تبنيها في أعقاب الأزمة الاقتصادية العالمية لعام 2008. لقد ضحّت الحكومات مبالغ طائلة من الأموال في قطاعات اقتصادية فاشلة؛ إذ أعلنت إدارة الرئيس دونالد ترامب (Donald Trump) (2017-2021) عن حزمة تتجاوز تريليوني دولار؛ أي حوالي 10 في المئة من الناتج المحلي الإجمالي للولايات المتحدة، وتضمنت الحزمة أيضًا 500 مليار دولار من القروض للشركات الخاصة، و150 مليار دولار للمستشفيات والعاملين في مجال الرعاية الصحية، و370 مليار دولار من القروض والمنح للمؤسسات الصغيرة والمتوسطة⁽³⁴⁾. في حين أعلن الاحتياطي الفدرالي عن التزامه بالتمسك بالكمي غير المحدود. وبالمثل، أعلنت ألمانيا عن حزمة تضمنت منح سيولة غير محدودة للشركات الألمانية. كما أعلنت اليابان عن حزمة تحفيز اقتصادي تبلغ 20 في المئة من الناتج الاقتصادي الوطني⁽³⁵⁾.

تُعِيد هذه الإجراءات تشكيل الاقتصاد "الحقيقي"، بحسب منظري الاقتصاد السياسي الجديد، خاصة بعد أن تبنت معظم البلدان

36 يُترجم مصطلح Kurzarbeit، على نحو فضفاض، بأنه "العمل لوقت قصير"، تسمح به الحكومة للأشخاص الذين يتلقون دعمًا في الأجور بالقيام بعمل إضافي من دون أي معوقات مالية، يُنظر:

Audrey Dufour, "L'Allemagne prolonge le chômage partiel jusqu'en 2022," *La Croix*, 26/8/2020, accessed on 12/2/2021, at: <https://bit.ly/3mUMZru>

37 Michael Nienaber, "Germany Launches 750 Billion Euro Package to Fight Coronavirus," *Reuters Journal*, 23/3/2020, accessed on 22/3/2021, at: <https://reut.rs/3x3m5T8>

38 الليبرالية المنظمة هي نسخة ألمانية من الليبرالية، وقد سُميت في بدايات تبلورها، بعد الحرب العالمية الثانية، اقتصاد السوق الاشتراكي، كما تُعرف بالنيوليبرالية الألمانية. للاستزادة حول الليبرالية المنظمة، يُنظر:

Josef Hien & Christian Joerges (eds.), *Ordoliberalism, Law and the Rule of Economics* (Oxford: Hart Publishing, 2017).

وحول تنويعات الليبرالية، يُنظر:

Wendy Brown, "American Nightmare: Neoliberalism, Neoconservatism, and De-Democratization," *Political Theory*, vol. 34, no. 6 (2006).

33 Ibid.

34 تكشف هذه الإجراءات عن الفجوة بين الخطاب الليبرالي والممارسة التدخلية في سياسات مواجهة الجائحة، وهي الخلاصة نفسها التي ينتهي إليها عبد الكريم أمناكي في دراسته عن الانقسام بين خطاب الرئيس ترامب الشعبي والتدابير الاعتيادية التي انتهجتها إدارته في مواجهة الجائحة، والتي لا تختلف عن التدابير التي انتهجتها أي حكومة غير شعبية أخرى، ينظر في هذا العدد: عبد الكريم أمناكي "شعبوية السلطة وجائحة كورونا: بين اعتيادية التدابير وخصوصية الخطاب، حالة الولايات المتحدة تحت إدارة دونالد ترامب"، سياسات عربية، العدد 50 (أيار/ مايو 2021)، ص 86-107.

35 Lauren Hirsch, "Trump Pushes Back Against Congressional Oversight for \$500 Billion Bailout Fund," *CNBC Markets*, 28/3/2021, accessed on 4/4/2021, at: <https://cnb.cx/2Qx52YX>

”

إن الدرس الأساسي الذي تُعلّمنا إياه جائحة كورونا، مرة أخرى، هو أن النيوليبرالية لا تجدي نفعًا في أوقات الأزمات، وعلى الرغم من أنها هي نفسها قد تقود دوماً إلى أزمات، فإنها سرعان ما تستفيد منها في نهاية المطاف، وتستعيد عافيتها، إلى أن تأتي أزمة جديدة

“

إن الدرس الأساسي الذي تُعلّمنا إياه جائحة كورونا، مرة أخرى، هو أن النيوليبرالية لا تجدي نفعًا في أوقات الأزمات، وعلى الرغم من أنها هي نفسها قد تقود دوماً إلى أزمات، فإنها سرعان ما تستفيد منها في نهاية المطاف، وتستعيد عافيتها، إلى أن تأتي أزمة جديدة، وهكذا دواليك. فكلما حدثت أزمة كبرى، تدخلت الدولة حتى في حالة الدول الأكثر ليبرالية في العالم، كما هو حال الولايات المتحدة، سعيًا لإعادة المنظومة النيوليبرالية السائدة إلى سكّتها التي حادت عنها وقت الأزمة. فالدول التي تسود فيها "أصولية" ليبرالية تتدخل في أوقات الأزمات لإنقاذ المنظومة النيوليبرالية كما حدث في عامي 2008 و2009 مع الأزمة الاقتصادية العالمية، وكما يحدث منذ عام 2020 مع أزمة جائحة كورونا. والواضح أن الدول مقتنعة بأن النيوليبرالية تنفع في وقت السلم الاجتماعي والاقتصادي، على الرغم من تكاليفها الاجتماعية (مثل تعميق الفوارق الاجتماعية، واللاعدالة في توزيع عائدات النمو، ورفع دعم الدولة لأسعار المواد واسعة الاستهلاك، وتسريح العمال لاعتبارات مالية، وليست اقتصادية)، فإنها لا تنفع في أوقات الأزمات؛ ما يجعل "السّم"، أي تدخل الدولة في الأوقات العادية، "ترياقًا" في أوقات الأزمات. من هذا المنظور، يمكن القول إن قوة المنظومة النيوليبرالية تكمن في توظيفها الدولة بحسب المصلحة، وبالتحديد في خصصتها للأرباح بينما تلقي بحمل الخسائر على الجميع؛ لأن تدخل الدولة في أوقات الأزمات في الدول الليبرالية هو طريقة لتوزيع أعباء الأزمة وليس لتقويض النيوليبرالية التي تخرج سالمة من أزماتها؛ لأنها لا تتحمل وزرها، أو هكذا يدعي من يحملون لواءها.

نحو ضرورة توجيه الدولة للتطور الاقتصادي من خلال تصميم المؤسسات ورعايتها، والتي تضمن قدرًا أكبر من المساواة والعدالة الاجتماعية والتوظيف الكامل؛ ومن ثم فهم يطالبون بإعادة صياغة مفاهيمية عميقة للرؤية السائدة للدولة الدنيا مع مشاركة علاجية قليلة في الاقتصاد⁽³⁹⁾.

يخبرنا وليد عبد الحي، في هذا الشأن، أن تبني الصين الدعوة إلى التسريع في العولمة يدل على التحول من "نيوليبرالية السوق" إلى "نيوليبرالية الدولة"؛ ما يعني الانتقال من رأسمالية تنظمها آليات السوق إلى رأسمالية تنظمها الدولة. وذلك انتصار جديد للاقتصاد على السياسة؛ إذ أضحت البراغماتية الاقتصادية هي دالة الفكر السياسي. لذا، أصبحت دعوات الحوار والانفتاح وتعزيز فلسفة مؤسسات بریتون وودز وحرية التجارة والتمدد في رحم الاقتصاديات النامية تحلّ محلّ فلسفة ماو تسي تونغ القائلة إن السلطة تنبع من فوهة البندقية، وإن القوى الكبرى مُورّ من ورق، وإن الطبقات الرأسمالية هي آفة التطور الإنساني، وأصبحت نيوليبرالية الدولة تراحم نيوليبرالية السوق على مركزية النظام الرأسمالي⁽⁴⁰⁾.

حتى الآن، قدمت جائحة كورونا أدلة قوية تؤكد صحة فرضية المنظور الاقتصادي النقدي، لكن سيكون من الخطأ توهمُ نهايةً للنيوليبرالية، بسبب "كينزية طارئة"⁽⁴¹⁾، خاصة أن الدولة- الأمة كانت - ولا تزال - حاضرة دوماً في قلب الرأسمالية النيوليبرالية، لضمان هيمنتها من خلال التدخلات الانتقائية في اللحظات الحرجة. وقد صاحبت هذه التدخلات تدابير سلطوية شديدة، كالحجّر الجماعي، وإغلاق عواصم ومدن كبرى. وأبانت الدولة عن قوتها الهائلة في السياسة الاجتماعية بجمع المعلومات من خلال البيانات عن طريق الهواتف المحمولة، بهدف مراسلة الأشخاص الذين احتكّوا عن غير قصد بشخصٍ تأكدت إصابته بفيروس كورونا، ولسان حالها يقول: نحن لا نعرف موقعك فحسب، بل نحيط علمًا أيضًا بمن تحتكّ بهم قصدًا أم عن غير قصد. الواقع أن هذه السلطوية تتماشى تمامًا مع الأيديولوجيا النيوليبرالية المهيمنة في العقود الأربعة الماضية ولا تزال إلى الآن.

39 Tae-Hee Jo, Lynne Chester & Carlo D'Ippoliti, "The State of the Art and Challenges for Heterodox Economics," in: Tae-Hee Jo et al. (eds.), *The Routledge Handbook of Heterodox Economics: Theorizing, Analyzing, and Transforming Capitalism* (London/ New York: Routledge, 2018), pp. 1-3.

40 وليد عبد الحي، "التحول الأعمق في الاقتصاد السياسي الدولي المعاصر"، صفحة وليد عبد الحي، فيسبوك، 2018/10/4، شوهد في 2021/2/12، في: <https://bit.ly/3tx0SP8>

41 Šumonja.

ثالثًا: الصحة العالمية: أهى حقًا النقطة العمياء في برنامج عمل الاقتصاد السياسي الدولي؟

أنه من المفيد تجنب التورط وإطلاق أحكام مسبقية من شأنها أن تحصر اهتمامات حقل الاقتصاد السياسي الدولي، بيد أن مراجعة جايي إيكهارت وكيلي لي لبعض الأبحاث التي صدرت ضمن الحقل، في فترات عانت خلالها دول العالم مخاطر الأوبئة، قد تبدو غير كافية. إلا أنه بات واضحًا أن فناديل باحثي الحقل وُجّهت لتضيء قبيلتهم فحسب (قضايا الاقتصاد العالمي): أي النظام التجاري الدولي، والنظام النقدي الدولي، ودور الشركات متعددة الجنسيات، والتحديات المستمرة للتنمية الاقتصادية، مع بعض الاستثناءات النادرة؛ إذ لم تشكّل الصحة سوى قضية تندرج ضمن اختصاص الحكومات الوطنية⁽⁴⁶⁾.

وقد حظيت مؤخرًا بعض قضايا الصحة باهتمام مُسوَّغ ضمن مقاربات الاقتصاد السياسي الدولي، من ضمنها: دراسات تتعلق بتفاعلات نظام البراءات العالمي والوصول إلى الأدوية⁽⁴⁷⁾؛ والأبعاد الاقتصادية للأمننة البيولوجية⁽⁴⁸⁾؛ وأبحاث أخرى تتعلق بالسياسة النيوليبرالية في بناء سياسات صحية عالمية⁽⁴⁹⁾؛ والتدخل في عدد من المجالات النقدية، مثل العدالة الصحية وعدم المساواة في الدخل⁽⁵⁰⁾؛ والمقاربات العابرة التخصصات لفهم التجارة والصحة⁽⁵¹⁾؛ فضلًا عن أدبيات الصحة العامة حول المحددات الاجتماعية للصحة التي تركز على كيفية تشكيل نتائج عدم المساواة والتهميش والفقير⁽⁵²⁾؛ وقد قدمت جميع هذه الأدبيات إسهامات لافتة في مجال الصحة العالمية⁽⁵³⁾.

46 Jappe Eckhardt & Kelley Lee, "The International Political Economy of Health," in: *Handbook of Contemporary International Political Economy* (London: Palgrave Macmillan, 2019), p. 2.

47 Ellen. F.M. 't Hoen, *The Global Politics of Pharmaceutical Monopoly Power: Drug Patents, Access, Innovation and the Application of the WTO Doha Declaration on TRIPS and Public Health* (Diemen, The Netherlands: AMB Publishers, 2009).

48 Stefan Elbe, "Haggling Over Viruses: The Downside Risks of Securitizing Infectious Disease," *Health Policy and Planning*, vol. 25, no. 6 (2010), pp. 476-485.

49 Ronald Labont'e et al., *Globalization and Health: Pathways, Evidence and Policy* (New York: Routledge, 2009); Simon Rushton & O.D. Williams, "Frames, Paradigms and Power: Global Health Policy-making Under Neoliberalism," *Global Society*, vol. 26, no. 2 (2012), pp. 147-167, accessed on 12/2/2021, at: <https://bit.ly/2Po8mEV>

50 Michael Marmot et al., "Closing the Gap in a Generation: Health Equity Through Action on the Social Determinants of Health," The Commission on Social Determinants of Health, 8/11/2008, accessed on 20/2/2021, at: <https://bit.ly/381QXZ6>

51 Sharon Friel et al., "A New Generation of Trade Policy: Potential Risks to Diet-Related Health from the Trans Pacific Partnership Agreement," *Globalization and Health*, vol. 9, no. 46 (2013), at: <https://cutt.us/XjckS>

52 Paul E. Farmer, "Structural Violence and Clinical Medicine," *PLOS Medicine*, 24/10/2006, accessed on 12/1/2021, at: <https://bit.ly/3062WRd>

53 Sell & Williams, p. 2.

لا مُشاحة في أهمية ما تقدّمه الدراسات العابرة للتخصصات في مجال الصحة العالمية، خاصة بعد موجة الوعي المتزايد بتأثير الأبعاد السياسية والاقتصادية للعولمة في صحة الإنسان. فضلًا عن التحولات العميقة التي بات يعرفها الحقل على نحوٍ خاص؛ هذا الأخير الذي يحاول فهم الروابط الجديدة ومعالجتها بين الاقتصاد العالمي والأمراض المعدية⁽⁴²⁾، مثل التهديدات الوجودية التي تُشكّلها الظروف الناشئة عن انتشار فيروسات فتاكة مثل فيروس نقص المناعة البشرية AIDS، وزيكا Zika virus، وإيبولا Ebola Virus، والتهاب الجهاز التنفسي الحادّ وإنفلونزا الطيور H5N1⁽⁴³⁾. كما وضعت الصحة العالمية لنفسها أجندات بحثية جديدة حول سياسات الصحة العالمية، والحوكمة الصحية، والدبلوماسية الصحية. وتعمل علوم ما بعد الجينوم The Post-genomics⁽⁴⁴⁾، هي أيضًا، على إعادة تشكيل العلاقات الاجتماعية للصحة، بما في ذلك العلاقات بين الدولة والشركة والمواطن⁽⁴⁵⁾؛ إذ تطرح أسئلة عميقة حول طبيعة جسد الإنسان، وإعادة تعريف الجسد بوصفه سبيلًا جديدًا للتراكم الرأسمالي، بينما أولت الدراسات الدولية الديناميات السياسية Political والسياساتية Policy للصحة اهتمامًا.

صحيح أن الاقتصاد السياسي الدولي مجال بحثي عابر للتخصصات، إلا أن اهتمامه بقضايا الصحة العالمية لا يزال ناشئًا وفتيًا. وصحيح كذلك

42 Susan K. Sell & Owain D. Williams, "Health under Capitalism: A Global Political Economy of Structural Pathogenesis," *Review of International Political Economy*, 9/9/2019, pp. 2-3, accessed on 12/2/2021, at: <https://bit.ly/3bSUMRH>

43 Sophie Harman, "Ebola and the Politics of a Global Health Crisis," *E-International Relations*, 20/10/2014. accessed on 22/2/2021, at: <https://bit.ly/3rbrQup>

44 منذ أعوام قليلة، أنجز مشروع الجينوم البشري؛ إذ توصل العلماء إلى معرفة تركيب الجينات أو المورثات ورسم خريطتها على الكروموزومات داخل نواة الخلية، وهو الأمر الذي سهّل معرفة وظيفة كل منها. بعد إنجاز هذا المشروع، ندخل في عصر الجينوميات وتأثيرها في حياتنا، أفرادًا وأسراً؛ إذ ثمة صعوبة في إيجاد علاقة سببية بين التغييرات في المحتوى الوراثي فوق الجيني والإصابة بالأمراض. ومعرفة هذه التغييرات ضرورية إذا كنا نريد فهم آلية المرض الكامنة، ووضع علاج لها. ومن خلال كمّ البيانات الجديدة، يمكن للتغير الثابت في المحتوى الوراثي فوق الجيني أن يعرفنا إلى الجينات المطلوب دراستها، والمسارات التي تحتاج إلى مزيد من المتابعة، يُنظر: جينا سميت، *عصر علوم ما بعد الجينوم: كيف تحول تكنولوجيا علوم دنا طريقة حياتنا وكيف تحول كينونتنا؟* ترجمة مصطفى إبراهيم (مصر: المركز القومي للترجمة، 2010).

45 يُنظر في هذا الشأن أيضًا: M.A. Petersand & P. Venkatesan, "Biocapitalism and the Politics of Life," *Geopolitics, History and International Relations*, vol. 2, no. 2 (2010), pp. 100-122.

جانب القدرة المحدودة للقطاع العام، أسباباً منطقية استخدمها البنك الدولي وصندوق النقد الدولي ومانحون آخرون للضغط على الحكومات لسنّ سياسات خصخصة القطاع الصحي⁽⁵⁴⁾.

3. اتجاه نحو تدويل الرعاية الصحية التي غذتها الخدمات والتمويل العابران للحدود: شهد القطاع نمواً ملحوظاً في توفير الخدمات الطبية للمرضى خارج الحدود الوطنية، فيما يُعرف "بالسياحة الطبية"، ومن المتوقع أن تنمو هذه التجارة عام 2025 بقيمة تريليون دولار، مع حركة 3-4 في المئة من سكان العالم إلى خارج دولهم لتلقي العلاج. وتُعدُّ هجرة الطواقم الطبية سبباً كافياً لإدراج منظمة الصحة العالمية 57 دولة يُرَجَّح أنها تعاني "عجزاً حاداً وحرَجاً"؛ نتيجة "الاختلالات الهيكلية في تخصيص الموارد وهيكل الحوافز العالمية". وتشثي مُراجعة هذه الاتجاهات الثلاثة بوجود نقاش واسع حول علاقة التأثير بين الدولة والسوق، في سبيل تفعيل الرعاية الصحية. ويكاد هذا التحول - نحو دور متنامٍ للسوق منذ أواخر القرن العشرين - يُلازم التحليلات النقدية لمختلف باحثي الصحة العامة⁽⁵⁵⁾.

2. الملكية الفكرية في مقابل إتاحة اللقاح

تكشف جائحة فيروس كورونا، مرة أخرى، عن حدة الأزمات البنوية التي لم تُصَب النظام التجاري العالمي فحسب، بل عزت الصفقة الفاونسية التي أنتجها الاتحاد فيما بين الملكية الفكرية والتجارة العالمية أيضاً؛ ما وضع الصحة العامة على المحك. إن إقدام منظمة التجارة العالمية على تبني اتفاقية حقوق الملكية الفكرية وإدارتها، وهي ذات أبعاد تجارية TRIPS، وتحمي براءات الاختراع، وحقوق التأليف، والعلامات التجارية، قد حدّ كثيراً من قدرة أعداد ضخمة من الأفراد في الدول الأكثر فقراً على الحصول على تلك الأدوية/ اللقاحات الأساسية، خاصة في سياق ما اصطلح عليه في وقت سابق بـ "القائلات الكبرى" (الإيدز والسل والملاريا). فموجب اتفاقية تريبس تدم براءة الاختراع - وهي حق حصري مؤقت مُنح لمخترع مُنتج أو عملية جديدة - عشرين عاماً، وتستفيد من براءة الاختراع المخابر وشركات تطوير الدواء العامة أو الخاصة على حد سواء؛ ما يعني أن شركة الأدوية المتبكرة يمكنها رفض إتاحة منتج دوائي جنيس⁽⁵⁶⁾ منخفض السعر ومنعه من دخول السوق. وبالنظر إلى طابع التركيز العالي في

يتصور أغلب باحثي حقلي العلاقات الدولية والاقتصاد السياسي الدولي الصحة العالمية بوصفها تتناول مجموعة من الأمراض المُحددة. ومع العلم بسرعة انتشار هذه الأمراض، أو تهديدها المُحتمل، بسبب عمليات العولمة، هناك وعيٌ محدود بدور اقتصادات العولمة وسياساتها في خلق عبء المرض العالمي، بما في ذلك أنواع الأمراض ومُعدلاتها، وكذا الآثار غير العادلة في دول العالم ومجتمعاتها. يناقش هذا الجزء ما يمكن أن يقدمه الحقل من تفسيرات للكشف عن تغير العلاقة التقليدية بين الدولة والسوق، والتفكير في كيفية تحسين وضع الصحة العالمية، كما يدفع نحو مزيدٍ من الاهتمام بوضع تصورات للعلاقة بين الملكية الفكرية والحق في إتاحة الدواء/ اللقاح لارتهاان حيوات البشر ومصائرهم بقدرة الشركات على إنتاج اللقاح وترخيص الدول الغنية الوصول إليه.

1. الدور المتغير للدولة والسوق في تحسين الرعاية الصحية

تاريخياً، تقع مسؤولية الرعاية الصحية على عاتق الحكومات الوطنية؛ لذلك فهي تُعد مجالاً خارج حدود الاقتصاد السياسي الدولي. ومع ذلك، فإن فهم الحقل للصحة العامة يدفعه إلى الخوض في مسألة: أكان ينبغي التخطيط للرعاية الصحية، أم يجب أن تخضع لقوى السوق؟ وفي حين أن الإجابة عن هذا السؤال، من حيث المبدأ، هي مسؤولية الحكومات، فمن الناحية العملية، ومنذ أواخر القرن العشرين، أدت ثلاث قوى اقتصادية وسياسية دوراً مؤثراً في تشكيل ثلاثة اتجاهات نحو إصلاحات الرعاية الصحية:

1. اتجاه نحو التسويق للرعاية الصحية: لا يتعلق الأمر بإنشاء أسواق داخلية في تقديم الرعاية الصحية فحسب، بل قادت الممارسات أيضاً نحو التحول إلى إشراك قوى السوق بوصفها آلية لتخصيص موارد الرعاية الصحية. تشمل هذه الممارسات إنشاء شركات بين القطاعين العام والخاص، والتنافس على تقديم الرعاية الصحية، وتفويض الميزانيات ومنح استقلالية أكبر لمقدمي الخدمات.

2. اتجاه نحو خصخصة القطاع الصحي بوصفه وسيلة سياسية لتخفيف الضغط على المالية العامة من خلال تقليص دور الدولة: جرى سنُّ ذلك ببيع مرافق الرعاية الصحية لمستثمرين من القطاع الخاص (الرعاية طويلة الأجل)؛ وتمويل القطاع الصحي بخطط تأمين من القطاع الخاص. وفي البلدان المنخفضة والمتوسطة الدخل، لهذه الأسباب وغيرها، كانت القيود المفروضة على الموارد المحلية ومساعدات التنمية الصحية، إلى

54 Eckhardt, pp. 3-4.

55 Ibid., p. 3.

56 الدواء الجنيس Generic هو منتج صيدلاني بديل للدواء الأصلي الذي يحظى بعلامة تجارية مسجلة وحماية قانونية، وهو في الغالب يحتوي على مكونات الدواء الأصلي نفسها، ويكون له المفعول نفسه، ولا يُشَرَع في تصنيعه إلا بعد نهاية مدة سريان حقوق الملكية الفكرية لدى الشركة الصيدلانية التي ابتكرت الدواء الأصلي، وسجلته باسمها.

والسؤال المطروح هو: لماذا تُحجِم الشركات الكبرى عن الدخول في السباق لتطوير اللقاح⁽⁶⁰⁾؟

يبدو أن سبب ذلك يعود إلى أن الأوبئة المستجدة غالبًا ما تتفشى ثم تختفي أو يُسيطر عليها بطرائق لا تضمن التلقيح، وقد حدث ذلك بالفعل مع فيروسات سارس SARS وميرس MERS-CoV وزيكا Zika؛ ما يفقد الشركات الرغبة في المغامرة باستثمارات ضخمة قد يكون مآلها الإفلاس. ولا تتوقع هذه الشركات سوى خيبة أمل من الاستثمار في لقاحات هذا النوع من الأمراض؛ فما إن يصح التفشي تحت مجهر وسائل الإعلام حتى يتزايد اهتمام الرأي العام، ليبدأ بعدها الضغط على الحكومات التي تبدأ بإطلاق مشاريع لتمويل تطوير اللقاح، ويبدأ الجميع بالاندفاع لتحصيل المكاسب التي تُعدُّ بها الحكومات، وما إن ينحسر الوباء ويُسيطر عليه بطريقة ما حتى تخفت الأصوات، وتبدأ الحكومات بالتخلي عن دعم مشاريع اللقاحات ومتابعتها⁽⁶¹⁾.

الأهم من ذلك هو أنه مع نجاح تجارب اللقاح ضد فيروس كورونا والشروع في توزيعه، تزيد الحاجة إلى ضرورة التعاون الدولي في البحث وتطوير الأدوية حفظًا للأرواح، بعيدًا عن منطق الأرباح، فضلًا عن إضفاء مرونة أكبر في تنفيذ قانون براءات الاختراع الصيدلاني. فإذا كانت الأبحاث ممولة من القطاع العام التابع للدولة، فكيف لا يُتاح الدواء في الأزمات الاستثنائية ذات الطابع العالمي؟ نحن فعلاً صرنا في أمس الحاجة إلى إعادة التفكير في نظام براءات الاختراع في حال الأوبئة والأمراض القاتلة⁽⁶²⁾.

3. تأثير جائحة كورونا في التجارة الدولية وقانون المشتريات

يمكن تتبع تفشي جائحة كورونا، من خلال ملاحظة التغيير أو الاستمرارية في أنماط الإنتاج والتوزيع، وكذا إدارتها. وتُشير نادين فولكنر إلى أن ظهور الفيروس يتعلق بتحويلات اقتصادية هيكلية عميقة ترتبط أساسًا بالتحويلات الواسعة النطاق نحو إنتاج الغذاء الصناعي والزراعة المعولة الذي بات مرتبطًا هو الآخر بتطور الفيروسات وانتقالها بين الحيوانات، في حين أن التدهور غير

60 يعقوب الأشهب، "الأرباح أم سلامة البشرية.. لماذا عجزت الحكومات بكامل عتادها عن تطوير لقاح كورونا؟"، الجزيرة، 2020/6/29، شوهد في: 2021/3/2، في: <https://bit.ly/3uQhUZC>

61 المرجع نفسه.

62 Naomi Klein & Neil Smith, "The Shock Doctrine: A Discussion," *Environment and Planning D: Society and Space*, vol. 26, no. 4 (2008), p. 584, accessed on 22/2/2021, at: <https://bit.ly/3e9tcCB>

حصص السوق من الصناعة الصيدلانية العالمية، وعدم امتلاك قطاع واسع من الدول قاعدةً تكنولوجيةً وصناعيةً ملائمةً للبحث والتطوير في هذا المجال، فإن دولاً كثيرة ستكون غير قادرة على استيراد أدوية مكافئة (جنيسة) أو إنتاجها أو بيعها⁽⁵⁷⁾ بأسعار منخفضة⁽⁵⁸⁾.

ويبدو أنه من حسن حظ الدول الفقيرة⁽⁵⁹⁾ أن من مصلحة الدول المتقدمة مساعدتها للتخلص من الجائحة وإلا سيبقى الخطر قائماً؛ لأنه خطر عالمي في الأساس، ولا يمكن الاحتفاء بتحصيده في أجزاء من العالم دون أخرى. فافتقادات الدول المتقدمة هي الأكثر تضرراً من حالة الإغلاق الذي تسببه الجائحة. لذا، فلها مصلحة ملحة في العودة إلى فتح الحدود التجارية مجدداً.

وتمثل جائحة كورونا فرصة أمام المجتمع الدولي نحو تبني خطة تُسهّل الوصول إلى الدواء/ اللقاح، ليس من أجل العلاج فحسب، بل للكشف، والوقاية، والعزل أيضاً. وقد واجهت منظمة التجارة العالمية دعوات تقودها الهند وجنوب أفريقيا للتنازل عن حقوق الملكية الفكرية للقاحات ضد فيروس كورونا، وهي فكرة ترفضها شركات الأدوية العملاقة وبلدانها رفصاً قطعياً. واللافت للانتباه، ضمن قائمة 78 مشروعاً مُعلنًا عنه، غياب أسماء الشركات الكبرى المعروفة بقدراتها الكبيرة على تطوير اللقاحات وإنتاجها؛ مثل جلاكسو سميث كلاين Glaxo Smith Kline وميرك آند كو Merck & Co وسانوفي Sanofi، باستثناء شركتي جونسون آند جونسون Johnson & Johnson وفايزر Pfizer المعروفتين، فمعظم الشركات التي دخلت السباق هي شركات تطوير لقاحات ناشئة.

57 أثبتت إشكالية العلاقة القائمة بين براءات الاختراع والأدوية أول مرة في مجلس اتفاقية حقوق الملكية الفكرية ذات العلاقة بالتجارة في حزيران/ يونيو 2001، بطلب من مجموعة دول أفريقية وبدعم من عدد من الدول النامية، أهمها البرازيل والهند، بعد أن استفحلت فيها الأمراض والأوبئة الفتاكة التي ذهب ضحيتها عدد كبير من المواطنين؛ إذ تعذّر عليها الاعتماد على وعود اتفاقية تريبس لمواجهة تلك المشكلات الصحية، وتأكّدت أكثر تلك العلاقة في إعلان الدوحة عام 2001، المسمى TRIPS and Public Health Declaration، الذي نصّ على ضرورة ألا تمنع الاتفاقية الدول الأعضاء من اتخاذ الإجراءات الضرورية لحماية الصحة العامة، يُنظر:

Ellen F.M. 't Hoen, "TRIPS, Pharmaceutical Patents and Access to Essential Medicines: Seattle, Doha and Beyond," *Chicago Journal of International Law*, vol. 27 (2002), p. 44.

58 Meir Perez Pugatch, *The International Political Economy of Intellectual Property Rights* (Cheltenham, U.K.: Edward Elgar Cheltenham, 2004), pp. 16-18.

59 وُصف هذه الفئة من الدول بأنها "فقيرة" يبقى أمراً نسبياً؛ إذ إن المشكلة بالنسبة إليها لا تكمن في الفقر فحسب، ولا تكمن في الفقر دائماً، فاستشراء الفساد في معظمها حال. خلال العقود الأخيرة، دون الاستثمار في مجال البحث العلمي (في حين تُخصّص مليارات الدولارات للسلاح على سبيل المثال).

”

يبدو جلياً أن إسهامات الحقل في مجال الصحة لا تزال متخلفة إلى حد بعيد. ربما يرجع ذلك إلى اهتمام الباحثين ضمن الحقل بجزء ضيق من قضايا الصحة العالمية، لميلهم نحو قبول تفوق المقاربة الطبية - الحيوية في الاستجابة العلمية والتقنية للمشكلات الصحية

“

سواءً اختلفنا أو اتفقنا، يبدو جلياً أن إسهامات الحقل في مجال الصحة لا تزال متخلفة إلى حد بعيد. ربما يرجع ذلك إلى اهتمام الباحثين ضمن الحقل بجزء ضيق من قضايا الصحة العالمية، لميلهم نحو قبول تفوق المقاربة الطبية - الحيوية في الاستجابة العلمية والتقنية للمشكلات الصحية⁽⁶⁵⁾. من جهة أخرى، يهتم باحثو الاقتصاد السياسي الدولي، في الغالب، بتأثير بعض المشكلات الصحية العالمية في الأمن القومي أو الثروة (مثل آثار فيروس نقص المناعة البشرية في الاقتصادات أو الجيوش، والتكاليف الاقتصادية لمرض سارس، وخطر الإرهاب البيولوجي)، أو بتغذية النقاش حول الحوكمة، خاصة ما يتعلق بالشركات العامة - الخاصة⁽⁶⁶⁾. وبالإشارة إلى حقل العلاقات الدولية عامة، يجادل كولين ماكينز وكيلي لي بأن التركيز على تحليل السياسة الخارجية والأمنية يحجب قضايا مهمة عن الصحة العامة⁽⁶⁷⁾، وأنه بسبب الانشغال بالأوبئة المعدية والإرهاب البيولوجي، ظهرت جائحة كورونا لتشكّل مخاوف صحية كانت مهمة في حقل العلاقات الدولية، وهو ما يدعو إلى ضرورة توسيع موضوعاته ووضع استراتيجيات لتعزيز الصحة العالمية⁽⁶⁸⁾.

65 Sandra J. MacLean & David R. MacLean, "The Political Economy of Global Health Research," in: Sandra J. MacLean, et al., *Health for Some: The Political Economy of Global Health Governance* (London/ New York: Palgrave Macmillan, 2009), p. 178.

66 للمزيد حول قضايا الحوكمة والشبكات العامة - الخاصة، يُنظر: James Rosenau & Ernst-Otto Czempiel, *Governance Without Government: Order and Change in World Politics* (Cambridge, England/ New York: Cambridge University Press, 1992); Michael Barnett & Raymond Duvall, *Power in Global Governance* (New York: Cambridge University, 2005).

67 بشأن النقاشات المتعلقة بالصحة العامة والعلاقات الدولية، يُنظر: ديفيد ب. فيدلر، "الأمراض والفوضى المعهولة: مقاربات نظرية للصحة العالمية"، ترجمة سارة إسماعيل، *سياسات عربية*، العدد 50 (أيار/ مايو 2021)، ص 109-124.

68 Quoted in: MacLean & MacLean, p. 167.

المسبوق للمواطن البيئية للحياة البرية والاتصال الوثيق المتزايد بين الحيوانات والبشر قد وفّر ظروفًا مهيأة للأمراض الحيوانية Zoonotic Diseases.

يشدد أيضًا باحثو الاقتصاد السياسي الدولي على أهمية تتبع سلاسل القيمة التي باتت أكثر ترابطاً من أي وقت مضى. وبتتبع انتقال الفيروس منذ ظهوره أول مرة في الصين، نلاحظ انتقاله مباشرة إلى أكثر المناطق الصناعية، لا سيما تلك المتصلة عالمياً، مثل شمال إيطاليا وجنوب ألمانيا، قبل المدن السياحية منها، مثل روما وبرلين. ضمنت السرعة غير المسبوقة للتبادل التجاري الدولي "في الوقت عينه" Just-in-time انتشار الفيروس على نحو أسرع مما يمكن أن تستجيب له السلطات. ويبدو أن تثمين "الكفاءة" في الإنتاج العالمي، والتجارة، والصحة قد كفل وجود فيروس فعّال وانتشاره بالقدر نفسه⁽⁶³⁾.

تكشف جائحة كورونا أن نظام التجارة الحرة، القائم على تراكم الأرباح والنزعة الاستهلاكية، لا يؤدي إلى تعميق التفاوتات بين الشمال والجنوب العالمي فحسب، بل فيما بين بلدان الشمال نفسها أيضاً. وخارج الاتحاد الأوروبي، يثير فرض العديد من البلدان قيوداً تجارية مخاوف من "تأثير مضاعف"؛ إذ يؤدي تقييد الصادرات لدولة ما نحو بلد آخر إلى آثار اجتماعية واقتصادية وخيمة، بما في ذلك الوصول إلى موردي الأغذية والأدوية. وقد شهدنا مستوى غير مألوف من حظر التصدير، بما في ذلك الحظر على تصدير معدات الحماية الطبية من قبل الاتحاد الأوروبي (شمل 80 دواءً، بما في ذلك الأنسولين والمورفين والباراسيتامول من المملكة المتحدة، وأقنعة الوجه من ماليزيا وتايلند)، فضلاً عن الضغوط على الإمدادات الغذائية في عدة بلدان؛ حيث خلقت سلاسل التوريد العالمية⁽⁶⁴⁾ شبكات معقدة من الإنتاج والتوزيع، من المحتمل أن تتأثر بالقيود المفروضة على السفر والاستيراد والتصدير والسياسات الزراعية، التي فضلت إنتاج الصادرات على الاكتفاء الذاتي الغذائي، والتي تهيمن عليها الشركات عبر الوطنية الكبرى.

63 Malcolm Campbell-Verduyn et al., "The Covid-19 Pandemic: Continuity and Change in the International Political Economy," *Research Gate* (August 2020), p. 6, accessed on 12/2/2021, at: <https://bit.ly/3bZgNOP>

64 أجبر فيروس كورونا المصانع في جميع أنحاء العالم على إبطاء الإنتاج أو وقفه؛ ما عطل سلاسل التوريد والإمداد العالمية التي تحافظ عادة على تزويد البلدان بالأدوية وغيرها من المنتجات. يشير جيفري غيرتز إلى "أن هناك الكثير من نقاط الاختناق، حيث يتركز إنتاج سلع معينة بشكل كبير في بلد واحد، وأحياناً في مدينة واحدة أو حتى شركة واحدة، وهذا ما يخلق مخاطر"؛ ويضيف قائلاً: "نحن بالتأكيد نرى ذلك مع الصين، إن هذا الوباء بالفعل يؤكد حاجتنا إلى زيادة الاستثمار في مرونة وتنوع سلاسل التوريد"، يُنظر: ليندا وانغ، "كيف يمكن أن يغير فيروس كورونا سلاسل التوريد؟"، *شيراميركا*، شوهد في 2021/1/19، في: <https://bit.ly/3bUFATZ>

رابعاً: الانعتاق من الوبائية نحو التعددية: ما يمكن تعلمه من النمذجة الاقتصادية في تفسير جائحة كورونا

نادراً ما تحظى الأبحاث العلمية في مجال النمذجة الاقتصادية⁽⁶⁹⁾ بالاهتمام لدى الأوساط السياسية. ومع ذلك، فإن الفحص المتأن للنماذج المحاكية لطرق انتشار الأوبئة أحالنا إلى الكشف عن تباينها؛ لاختلاف الفرق الأكاديمية التي تعكف على تطويرها لسنوات. بيد أنها تتشابه في المبادئ الرياضية التي تقوم عليها؛ فهي تستند إلى محاولة فهم كيفية انتقال الأفراد بين ثلاث حالات رئيسة، ورصد السرعة التي يتم بها الانتقال بين هذه الحالات؛ ذلك أن الأفراد إما مُعرَّضون للإصابة بالعدوى الفيروسية ويُرمز إليهم بالحرف (S)، وإما مصابون بالعدوى ويُرمز إليهم بالحرف (I)، وإما متعافون من العدوى ويُرمز إلى هذه المجموعة بالحرف (R)، وإما متوفون.

يُفترض أن تكتسب مجموعة المتعافين (R) مناعةً ضد الإصابة بالفيروس مرةً أخرى. ومن ثم تنتفي القدرة على نقل العدوى. وتضمُّ هذه المجموعة أيضاً الأشخاص الذين يتمتعون بمناعة طبيعية ضد الإصابة بالعدوى، فإذا نظرنا إلى هذه النماذج التصنيفية للعدوى (بفئاتها الثلاث: القابلة للإصابة، والإصابة، والتعافي)، وتُعرف اختصاراً بنماذج (SIR)، وجدنا أن أبسط هذه النماذج ينطلق من مجموعة افتراضات أساسية، مثل الافتراض أن جميع الأشخاص يملكون حظوظاً متساوية في التقاط العدوى من الشخص المصاب؛ لأنَّ السكان جميعهم مختلطون اختلاطاً تاماً، بالدرجة نفسها⁽⁷⁰⁾.

في هذا السياق، تُزوّد النماذج الأكثر تقدماً في النمذجة الاقتصادية صانعي السياسات بالتنبؤات الكمية التي يحتاجون إليها لمواجهة جائحة ناشئة، مثلما تفعل الدراسة المستفيضة التي نشرها بول ولفنز في دورية علم الاقتصاد الدولي والسياسات الاقتصادية *International Economics and Economic Policy*، أو مثلما

69 النمذجة الاقتصادية هي أداة تزود المحللين الاقتصاديين وصانعي السياسات الاقتصادية ببيانات حول مدخلات مقترحة تسمح لهم باستخلاص نتائج يمكن البناء عليها. يتعامل النموذج الاقتصادي مع مشكلة اقتصادية معينة، ويعبّر عنه في الغالب بصيغ ومعادلات رياضية ليمثل علاقة قابلة للقياس كمياً بين مختلف العوامل والمتغيرات والظروف المحيطة بتلك المشكلة، على نحو يمكن من إيجاد حل لها بطرائق رياضية. ويعرف طلاب الاقتصاد أنَّ للنماذج الاقتصادية العالمية تاريخاً طويلاً، ولكن منذ أوائل السبعينيات حتى الوقت الحاضر، ومع تقدم تقنيات النمذجة والحاسوب، ظهرت أساليب مختلفة، واستُخدمت على نطاق واسع لدعم صنع السياسات الوطنية والدولية.

70 Ian Cooper et al., "A SIR Model Assumption for the Spread of COVID-19 in Different Communities," *Chaos, Solitons & Fractals*, vol. 139 (October 2020), accessed on 25/1/2021, at: <https://bit.ly/3qauqr>

تفعل أبحاث فريق إمبريال كوليدج، أو ما توصلت إليه فرقة بحث جامعة جونز هوبكنز في تحليلها لسرعة انتشار الجائحة وتأثيراتها.

عندما أشارت البيانات المحيئة في نموذج فريق إمبريال كوليدج إلى أن الجهاز الصحي في بريطانيا في طريقه إلى التعرُّض لطوفانٍ من حالات الإصابة الشديدة بفيروس كورونا، وأنَّ بريطانيا قد تشهد أكثر من 500 ألف حالة وفاة إذا لم تتخذ الحكومة أيَّ إجراءات لصدِّ الجائحة، سارع رئيس الوزراء البريطاني، بوريس جونسون، إلى إعلان قيود صارمة جديدة على حركة الأشخاص. وحدّر النموذج نفسه الولايات المتحدة، إن لم تتخذ أيَّ تدابير، فربما تصل حصيلة الوفيات فيها من جرّاء تفشي الجائحة إلى 2.2 مليون حالة وفاة. وجرّت مشاركة نتائج النموذج مع البيت الأبيض، فما كان من الإدارة الأميركية إلا أن سارعت هي الأخرى إلى إصدار توجيهاتٍ جديدة بشأن التباعد الاجتماعي⁽⁷¹⁾.

ترتبط التحديات الرئيسية في ظل الجائحة بالعبء الذي يتحمّله النظام الصحي والمستشفيات. إذا اقترب النظام الصحي وقدرة المستشفيات إلى مرحلة حرجة في بيئة وبائية، فإن أرقام الوفيات سترتفع بسرعة. لذلك في كل سيناريو وبائي، تعمل تدابير السياسة الصحية على تأجيل ذروة العدوى، ومن ثم خفض مستوى الضغط على المستشفيات إلى مستوى يمكن التحكم فيه؛ إذ من المهم أن تتحوّل السياسة الصحية الذروة من M1 إلى M2 على محور الزمن، وفي هذا السياق غالباً ما يكون إجراء الاختبارات والحجر الصحي الواسع أمراً بالغ الأهمية⁽⁷²⁾ (يُنظر الشكل 1).

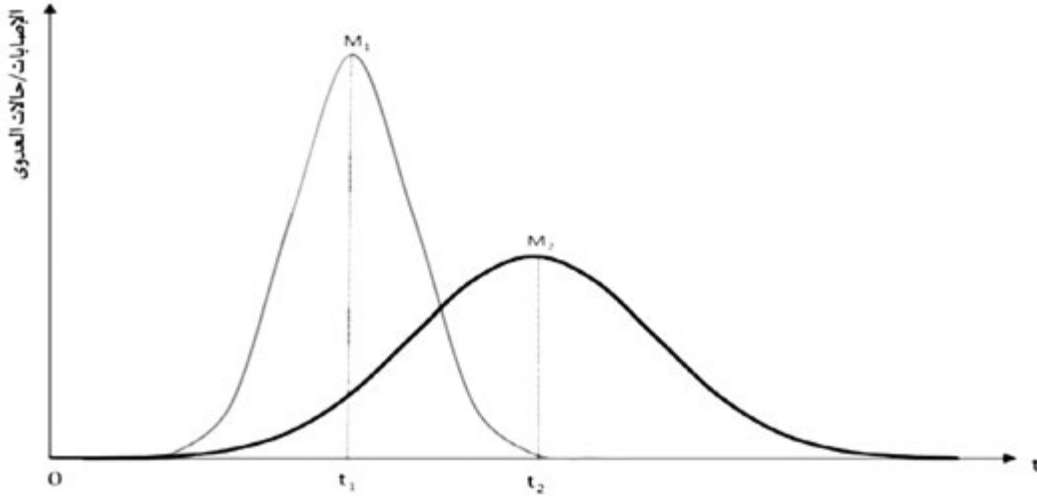
كانت نتائج نموذج إمبريال كوليدج في أوائل آذار/ مارس 2020، هي الأخرى، عاملاً حاسماً في دفع الحكومة البريطانية إلى تغيير سياستها بشأن الجائحة. فقد قدّر الباحثون في البداية أن 15 في المئة من حالات الحجز بالمستشفيات ستحتاج إلى تلقّي العلاج في وحدات العناية المركزة، قبل أن يعدّلوا النسبة فيما بعد لتصل إلى 30 في المئة؛ وهي النسبة التي تضمّنها أول إعلان عام عن نتائج عمل فريق البحث في 6 آذار/ مارس. وأظهر هذا النموذج أن الجهاز الصحي

71 Paul J.J. Welfens, "Macroeconomic and Health Care Aspects of the Coronavirus Epidemic: EU, US and Global Perspectives," PMC US National Library of Medicine, 23/5/2020, pp. 14-16, accessed on 19/1/2021, at: <https://bit.ly/3uPZQis>

72 Ibid., pp. 17-18.

الشكل (1)

تأثير تدخل السياسة الصحية لحظة ذروة الوباء



المصدر:

Paul J.J. Welfens, "Macroeconomic and Health Care Aspects of the Coronavirus Epidemic: EU, US and Global Perspectives," PMC US National Library of Medicine, 23/5/2020, p. 18, accessed on 19/1/2021, at: <https://bit.ly/3uPZQis>

يلفت الشكل (2) انتباهنا إلى أن موقع كل من روسيا والصين وإيطاليا وإسبانيا ضعيف إلى حد ما في المؤشر العام. ومع ذلك، حتى بعض البلدان ذات الدخل المرتفع، مثل سويسرا، لا تظهر موقعاً قوياً أيضاً (يُنظر الشكل 2). لذلك، من المهم فهم الصلة بين مؤشر الأمن الصحي العالمي (مؤشر الجودة) ودخل الفرد. تُعدّ دول الاتحاد الأوروبي أكثر الدول تغطيةً لنفقات التأمين الصحي، في حين يمثّل الخوف من عدم القدرة على دفع الفواتير الصحية هاجساً لدى الفرد الأميركي. وما بين 18 و25 في المئة من ديون الأميركيين هي ديون طبية، و56 مليوناً أميركياً دون الـ 65 عاماً واجهوا مشكلة في دفع الفواتير الطبية في عام 2013. وترجع أغلب حالات الوفاة التي شهدتها الولايات المتحدة في مرحلة الذروة إلى عدم خضوع المواطنين للاختبارات المبكرة، خوفاً من ارتفاع تكاليف الأمن الصحي. لذلك، لا يعني ارتفاع دخل الفرد الحقيقي بالضرورة تغطيةً أمنية جيدة⁽⁷³⁾ (يُنظر الشكل 3).

اهتم ولفنز بتأثير الجائحة في الأفراد والمجتمع، كما تحمّل عبء رصد تأثير الجائحة في تطورات الإنتاج الدورية على المدى المتوسط، والنمو الاقتصادي. يمكن أن يكون من المفيد إلقاء نظرة سريعة على نموذج ولفنز المعدّل بشكل كافٍ بدل النموذج الكلاسيكي. هناك مسألة

في بريطانيا، بما يضمّ من أسرة عناية مركزة، يتجاوز عددها 4000 تقريباً، سيتعرض لضغط كبير يفوق طاقته الاستيعابية⁽⁷³⁾.

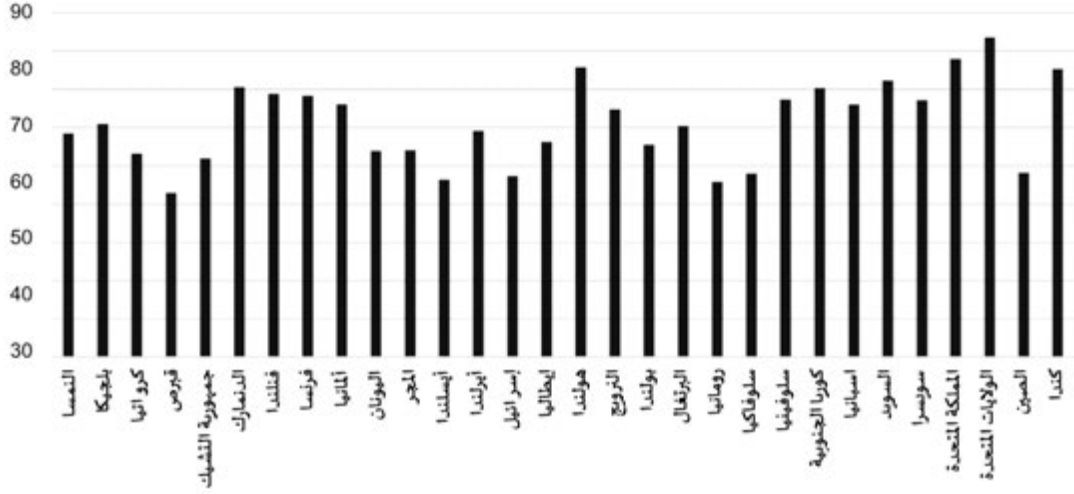
أما فيما يتعلق بمؤشر الأمن الصحي العالمي، والنتائج التي توصلت إليها جامعة جونز هوبكنز بشأن الاستعداد للتعامل مع الأوبئة، وتصنيف الأنظمة الصحية، فإن العديد من دول الاتحاد الأوروبي تحظى بترتيب متواضع إلى حد ما، وتقع في المجموعة الوسطى من بين 195 دولة مدرجة في مؤشر الأمن الصحي العالمي كلاً من إيرلندا ولوكسمبورغ وسلوفاكيا واليونان وجمهورية التشيك وإيطاليا ورومانيا والمجر وليتوانيا؛ وفي المجموعة الأضعف، إستونيا (بعد جنوب أفريقيا). وهذا ما يشير إلى أن الاتحاد الأوروبي، حتى الآن، لا ينظر بما يكفي إلى الحد الأدنى من جودة النظام الصحي بوصفه شرطاً لعضوية الاتحاد الأوروبي، بحسب تقرير الجامعة عنه⁽⁷⁴⁾ (يُنظر الشكل 2).

73 Davis Adam, "Special Report: The Simulations Driving the World's Response to COVID-19: How Epidemiologists Rushed to Model the Coronavirus Pandemic," *Nature research journal*, 2/4/2020, accessed on 23/1/2021, at: <https://go.nature.com/3qaCuk6>

74 Welfens, p. 24.

الشكل (2)

مؤشر الأمن الصحي العالمي: بلدان مختارة



المصدر: Ibid., p. 23.

الشكل (3)

الرصيد العام للأمن الصحي العالمي لعام 2019



المصدر: Ibid., p. 24.

خامساً: ترتيبات التعاون الدولي في مجال الصحة العالمية: نظام عالمي تشكّله الصفقات لا القواعد

من يمكنه معرفة متى تنتهي الجائحة؟ مع أن الإجابة عن هذا السؤال تُعدّ رجماً بالغيب، فإن منظمة الصحة العالمية هي التي تقع على عاتقها المسؤولية الدولية عن تقديم تقديرات؛ سواء بشأن بداية الجائحة، أو نهايتها. وكانت هذه المؤسسة قد مُنحت السلطة الحصرية لإعلان بدايات طوارئ الصحة العامة ذات الانشغال الدولي ونهاياتها بعد جائحة فيروس المتلازمة التنفسية الحادة سارس في عام 2002، بالنظر إلى اضطلاعها بملفات مكافحة الأمراض المعدية التي تضمنتها اللوائح الصحية الدولية⁽⁷⁹⁾. وقد تمّت مراجعة هذه اللوائح آخر مرة في عام 2005؛ لإنشاء حوكمة في إطار المنظمة تهدف إلى "الوقاية من الأمراض المعدية ومكافحتها وتوفير استجابة صحية عالمية، مع تجنب التداخل غير الضروري مع الحركة التجارية الدولية وحقوق الإنسان" (المادة 2)⁽⁸⁰⁾. وفي خضم تهديد جائحة عالمية، باتت تجدد النزعة القومية بقوّس قيادة منظمة الصحة العالمية، ويشدد على تحفيز الانعزالية⁽⁸¹⁾.

1. الواقعيون في صدارة المشهد

في كل مرة يُواجه فيها العالم أزمةً عالمية، تجد الباحثين متحمّسين في الإقبال على تجريب الأدوات التحليلية التي تُرودنا بها نظريات العلاقات الدولية. في قياس درجة التعاون الدولي بعد تفشي جائحة كورونا، قد لا يكون هناك باحثون في الحقل يشعرون بالنشوة التي يشعر بها الواقعيون، الذين توقّعوا منذ بداية انتشار الفيروس عودة السياسة القومية، ومبدأ الاعتماد على النفس، ومبدأ "نحن أولاً" في الإدارة الدولية للأزمة. كما بدوا غير مفاجئين بتنكر الاتحاد

79 اللوائح الصحية الدولية هي اتفاق يضم 196 بلداً عضواً في منظمة الصحة العالمية، وينص على "العمل معاً سعياً إلى تحقيق الأمن الصحي العالمي". كما ينص على الاتفاق بشأن "تعزيز قدرة [الدول] على الكشف عن أحداث الصحة العمومية وتقييمها والتبليغ عنها. وتتولى منظمة الصحة العالمية دور التنسيق في اللوائح الصحية الدولية، وتعمل مع شركائها على مساعدة البلدان على تعزيز قدراتها". وتنص هذه اللوائح أيضاً على "التدابير المحددة التي ينبغي اتخاذها في الموانئ والمطارات والمعابر البرية من أجل الحد من انتشار المخاطر الصحية في البلدان المجاورة، ومنع فرض القيود غير المبررة على السفر والتجارة؛ من أجل الحد من تعطيل حركة المرور والتجارة إلى أدنى قدر ممكن". يُنظر: موقع منظمة الصحة العالمية، شوهد في 2021/3/18، في: <https://bit.ly/2QSIbHI>

80 World Health Organization, "International Health Regulations," 2005, accessed on 18/3/2021, at: <https://bit.ly/2NyQtCQ>

81 Caitlin R. Williams et al., "Populist Nationalism Threatens Health and Human Rights in the COVID-19 Response," PMC US National Library of Medicine, 12/2020, accessed on 7/2/2021, at: <https://bit.ly/3lxhZgN>

حاسمة تتعلق بتغطية التأمين الصحي المُشار إليها بـ (h) وتأثيرها في الناتج المحتمل والرفاهية الاقتصادية. في هذا الجزء، لا يمكن تحليل سوى عدد قليل من الجوانب؛ إلى أي حدّ يمكن أن يؤثر الوباء أو موجات الأوبئة، في المدى الطويل لمسار النمو ومعدل نمو دخل الفرد المُشار إليه بـ (y)، في الحالة المستقرة؟

لنفترض أن (h) لديه تأثير سلبي في مسار النمو الاقتصادي، فإن ارتفاعه في سياق تحديث النظام الصحي - الذي عازمت على انتهاجه عدة دول - سيعني أن السكان سيواجهون تدهوراً "قصير المدى" على مستوى نصيب الفرد من الدخل العام؛ لأن الدول ستزيد من نفقات الرعاية الصحية، ومن ثم تخفض من الدخل الفردي، في مقابل زيادة مطّردة في المدى الطويل في (y). إعداد المعلّمة بهذا الشكل، يجعل المنتخبين - حال الانتخابات الأميركية - أقل مغامرة للدفع نحو توسيع نسبة تغطية التأمين الصحي⁽⁷⁶⁾. ومع ذلك يمكن أن يقرر النظام السياسي إصلاح (h) عند نسبة مناسبة أو مساوية للوحدة. ترفع نسبة تغطية التأمين (h) حالة استقرار نصيب الفرد من الدخل y . ومن ثم، يحدث نمو اقتصادي في المدى الطويل يُشار إليه بـ (g_y)، فتظهر المعادلة كما يلي⁽⁷⁷⁾:

$$g_y = a + n'(1 - C''(1 - h''h))$$

تستند الحكومات حول العالم إلى التوقعات التي تقدّمها النماذج الرياضية، للمساعدة في توجيه قراراتها الرامية إلى التصدي للجائحة. وبحسب ما يشير إليه نيل فيرجسون، اختصاصي النمذجة الرياضية للأوبئة في جامعة إمبريال كوليدج في لندن، فإن المحاكاة لا تمثل سوى جانب واحد من تحليلات البيانات التي أجرتها فرق تصميم النماذج على هذه الأزمة، غير أنه صار يحظى بأهمية متنامية في عملية وضع السياسات. لكنّ فيرجسون وغيره من واضعي هذه النماذج يُنبهون إلى أن كمّاً مهماً من المعلومات عن كيفية انتشار فيروس كورونا لا يزال مجهولاً. ومن ثم، يكون اللجوء إلى تقدير تلك المعلومات، أو افتراضها، وهو أمرٌ يحدّ من دقة التوقعات؛ إذ يقول فيرجسون في السياق ذاته: "إننا نبني صوراً مبسطة للواقع، فالنماذج ليست بلوراتٍ سحرية"⁽⁷⁸⁾.

76 Ibid., p. 39.

77 Ibid., p. 42.

78 Neil M. Ferguson et al., "Report 9: Impact of Non-pharmaceutical Interventions (NPIs) to Reduce COVID19 Mortality and Health Care Demand," Imperial College of London, 16/3/2020, accessed on 22/3/2021, at: <https://bit.ly/32mnc2b>

الواقعيين الكلاسيكيين الجدد حول دور الأيديولوجيا المحلية في تشكيل سياسات الدول الخارجية⁽⁸⁴⁾.

2. المؤسسات الدولية: أي استعداد للمواجهة؟

بعد إعلان إدارة الرئيس ترامب فرض قيود على المسافرين القادمين من الصين، في بدايات كانون الثاني/ يناير 2020، وإتباعها بحظر فجائي على المسافرين من أوروبا في منتصف آذار/ مارس، تكررّ الترتيبات نفسها في بلدان أخرى، وهو ما خلف آثاراً كارثية مماثلة في أغلب الدول. وتكمن المفارقة في أن الحالة نفسها شهدتها العالم في أثناء تفشي وباء إيبولا في عام 2014، إلا أن إدارة الرئيس باراك أوباما Barack Obama (2009-2017) - لأنه كان يرى أنّ الولايات المتحدة هي القائد في صناعة القرار العالمي - قرّرت عدم غلق الحدود أمام دول غرب أفريقيا. وبدلاً من ذلك، أنشأت مجموعات من الأشخاص المصابين بالعدوى في المطارات ونقاط تفتيشٍ أخرى، وهو القرار الذي تبنته بقية الدول، على إثر التقرير الذي أعدّ في فترة إدارة أوباما عام 2016، وقد تضمن تفاصيل نهج استجابة الولايات المتحدة في مواجهة تفشي فيروس إيبولا، إضافة إلى العمليات الافتراضية لمحاكاة إجراءات الطوارئ الحكومية لمكافحة أي وباء⁽⁸⁵⁾.

تعطي عمليات الإغلاق عادةً وهماً بالعمل الحازم، من دون تغيير على أرض الواقع؛ فهي لم تُوقِف انتشار الفيروس الذي كان ينتقل بالفعل من شخص لآخر داخل الدول ذاتها. وثمة حجج مفادها أنه كان من الممكن تجنب حالة الفوضى والارتباك في اتخاذ قرارات غلق الحدود التي بدأتها الولايات المتحدة، وتلتها بقية الدول، لو حصل تشاور، أو جرى التفكير في العواقب على نحوٍ مشترك. فلو تدخلت المؤسسات الدولية لإدارة عملية الحظر، وجرى الإغلاق بأكثر سلاسة، لربما كانت الاستجابة أكثر فعالية، وكان من الممكن وضع مكابح مؤقتة وغير شاملة على السفر الدولي وحتى المحلي، ولم يكن من المقبول أن يكون الإغلاق فجائياً ليحدث كارثة إنسانية، عدا تبعاته الاقتصادية. ولكن ربما علينا أن نتساءل عما إن كانت المؤسسات الدولية مستعدة فعلاً لهذه المهمة.

في الواقع، على تعدّد المؤتمرات الدولية، والأوراق العلمية والبيانات، فإن المؤسسات الدولية لم تكن غير مستعدة للتعامل مع حالة عدم

الأوروبي لمبادئ التعاون المقدسة ومعاييرهِ ولوائحهِ (قانون المنافسة، والانضباط المالي، وحرية التنقل)، مع اتجاه العواصم الأوروبية إلى إغلاق حدودها، وحظر التنقل دوماً تشاورٍ مع البرلمان الأوروبي، فضلاً عن سنّ قرارات حظر تصدير المواد الصيدلانية؛ ما أترّف روح السوق الموحدة⁽⁸²⁾.

ولم يكن قرار إدارة الرئيس ترامب، واستراتيجيته الحمائية لمجابهة الوباء، إلا تأكيداً لمزاعم الواقعيين، وهم يُتابعون عودة سياسة التنافس الدولي، ومحاولات الرئيس ترامب الحثيثة لإغراء شركات الدواء - مثل الشركة الألمانية كيورفاك CureVac التي كانت قريبة من إنتاج لقاح فيروس كورونا - بنقل نشاطها إلى الولايات المتحدة واستكمال أبحاثها هناك. وواصل سياساته الحمائية بمنع شركة مقرها في الولايات المتحدة من بيع الأتقنة إلى كندا، على الرغم من التوصل إلى حلّ توافقي في وقت لاحق. من جهة أخرى، عملت الولايات المتحدة، شأنها شأن اليابان، على إعادة هيكلة سلاسل التوريد العالمية بغية تجاوز الاعتماد على الصين.

في علاقة الدول بالمؤسسات الدولية، يشدّد الواقعيون مجدداً على حالة الفوضى الدولية، التي ستدفع لا محالة نحو ساحةٍ للمنافسة الصفرية، تتعارض أو تتناغم المصالح فيها ليس إلا، ولا تشكل فيها المؤسسات الدولية سوى أداة لتعظيم القوة والمصلحة. تجد هذه الفرضية سندها في تسييس منظمة الصحة العالمية في ذروة تفشي الجائحة. ظهر ذلك جلياً بعد نجاح التجربة التايوانية في درء خطر فيروس كورونا، وتجاهل المنظمة الكامل لها بوصفها تجربة رائدة تستحق تضمين استراتيجياتها في إدارة الوباء في تقاريرها حول "جهود البحث العالمية حول كوفيد-19". لكنّ خضوعها لضغوط الصين - التي ترفض الاعتراف بها بوصفها دولة قومية ذات سيادة ومستقلة دبلوماسياً - منعها من ذلك⁽⁸³⁾. وهذا ما يدعم حجة

82 Rajesh Basrur & Frederick Kliem, "Covid-19 and International Cooperation: IR Paradigms at Odds," *SN Social Science*, vol. 1 (2021), p. 3.

83 في لقاء عقده بروس أيلوارد، كبير مستشاري الأمين العام لمنظمة الصحة العالمية مع قناة RTKH في هونغ كونغ، فوجئ بسؤال، من الصحافية إيفون تونغ، يتعلق بما إذا كانت منظمة الصحة العالمية تدرس السماح لتايوان أخيراً بالوصول على عضوية المنظمة، بعد دورها الكبير في مواجهة فيروس كورونا. كان سؤال تونغ صادماً إلى درجة دفعت أيلوارد إلى الصمت لبضع ثوانٍ قبل أن يطلب صراحةً من مضيفته أن تُوجّه إليه سؤالاً آخر. تُسلط هذه الواقعة الضوء على العلاقة المعقدة التي تجمع بين تايوان ومنظمة الصحة العالمية؛ إذ ترفض المنظمة الدولية انضمام تايبيه إليها منذ أن صوتت الأمم المتحدة للاعتراف بالجمهورية الشعبية (الصين) بوصفها ممثلاً وحيداً للأراضي الصينية في عام 1971، وهي أزمة فرضت نفسها مجدداً بفعل تفشي فيروس كورونا المستجد، وإتباع تايوان سياسة مستقلة تماماً عن بكين في مكافحة الفيروس، معتمدةً على نفسها من دون الحصول على مساعدة من أي جهة. وثمة دعوات كثيرة لمنح تايوان عضوية منظمة الصحة العالمية، بعد أن أثبتت قدرًا كبيراً من الشفافية والمسؤولية مقارنةً بجارتها الكبرى الصين، يُنظر: ميرفت عون، "دبلوماسية تايوان الصحية"، الجزيرة، 2020/5/6، شوهد في 2021/3/18، في: <https://bit.ly/3gvm1Wj>

84 Basrur & Kliem, pp. 4-6.

85 Anne Applebaum, "When the World Stumbled COVID-19 and the Failure of the International System," in: Hall Brand & Francis J. Gavin (eds.), *COVID-19 and World Order: The Future of Conflict, Competition, and Cooperation* (Baltimore: Johns Hopkins University Press, 2020), pp. 223-224.

أورسولا فون دير لاين، رئيسة المفوضية الأوروبية يومها، إلى فيروس كورونا، في مؤتمر صحفي استعرضت من خلاله أول مئة يوم لها في المنصب، كما لم يتم الالتفات إلى دعوات الحكومة الإيطالية المتمثلة بضرورة اتخاذ تدابير طارئة⁽⁸⁷⁾.

وقد وُفِّرت إيطاليا على العالم صدام العدّ والإحصاء، واستعاض فيها الاتحاد الأوروبي عن "الوفاء بالحياة بالوعد بالجنازة"؛ إذ عبّر 88 في المئة من الإيطاليين في استطلاع للرأي، في أوائل أيار/ مايو، عن خيبة أملهم حيال فشل أوروبا في دعمهم. على الرغم من أن الاتحاد الأوروبي في وقت لاحق، بعد أسابيع من الارتباك والركود، أثبت تحسناً في استجابته؛ إذ سلّمت ألمانيا وفرنسا كميات كبيرة من المعدات إلى إيطاليا، أكثر بكثير في مجموعها مما قدمته الصين التي أثارت انتباه العالم ما إن نزلت طائراتها على أرضية مطار روما، كما التزمت فرنسا وألمانيا بصندوق إنعاش أوروبي واسع النطاق، وصفه بعضهم بصفقة "هاميلتونية"⁽⁸⁸⁾. كذلك، فعّل الاتحاد الأوروبي آليات مشتركة حتى لا تضطر الدول الأعضاء إلى التنافس فيما بينها. وعلى الرغم من كل هذه الجهود، فإن إخفاقات الاتحاد الأوروبي السابقة تركت انطباعاً سيئاً في نهاية المطاف⁽⁸⁹⁾.

كي نكون منصفين؛ لا الاتحاد الأوروبي، ولا مجموعة الدول الصناعية السبعة G7، ولا حتى مجموعة العشرين G20، أنشئت للتعامل مع الأوبئة. لا تُعدّ مجموعة السبعة أكثر من نادٍ للدول الغنية تجتمع فيه لحل بعض المشكلات الاقتصادية، لكن منظمة الصحة العالمية هي الهيئة التي أنشئت على نحو صريح للتعامل مع الأوبئة والجوائح العالمية. لذا، بدا صادمًا أن تفشل هذه المؤسسة في درء خطر فيروس كورونا عن البشرية، وهي التي تمتلك سجلاً تاريخياً من النجاحات⁽⁹⁰⁾.

نُدرِك أن انتقاد منظمة الصحة العالمية مثل جزءاً من السياسة الأميركية؛ إذ علّقت عليها إدارة الرئيس ترامب إخفاقاتها وجعلت

87 Applebaum, p. 225.

88 يُنظر: جاسيك روستوفسكي وأرناب داس، "هل تشهد أوروبا لحظة هاميلتونية أم تخوض معركة فورت سمر محتملة؟"، ترجمة معاذ حجاج، مؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم للمعرفة، 2020، شوهد في 2021/2/12، في: <https://bit.ly/32uh1ZZ>

89 Ulrich Krotz & Lucas Schramm, "An Old Couple in a New Setting: Franco-German Leadership in the Post-Brexit EU," *Politics and Governance*, vol. 9, no. 1 (2021), pp. 48-49.

90 نجحت منظمة الصحة العالمية وشركاؤها في مواجهة داء الملاريا القاتل في شمال شرق نيجيريا وغينيا الجديدة، وقدمت استجابات يُشهد لها في جعل تايلند خالية من داء الكلب، فضلاً عن التخفيف من وطأة الانتشار الإقليمي للطاعون في مدغشقر، وكانت مسؤولة عن القضاء على الجدري وقمع عدة أمراض أخرى. يُنظر: منظمة الصحة العالمية، "تحقيقات 2017"، شوهد في 2021/2/12، في: <https://bit.ly/2SvIMB0>

الاستقرار السياسي والاقتصادي المفاجئ فحسب، بل إنها لم تتمكن حتى من المساعدة في توفير معدات الحماية الشخصية أو تنسيق الاتصالات فيما بين الدول أيضاً. وبدا فشل المؤسسات الدولية حاداً، ولم يتعلق الأمر بمنظمة الصحة العالمية فحسب، بل يتعلق كذلك بمؤسسات الاتحاد الأوروبي، وبالأمم المتحدة ومجلس الأمن؛ فإذا لم تكن فعّالة لهذا الغرض وفي هذه اللحظة بالذات، لحظة أزمة عالمية حقيقية يفرضها وباء جديد، وبسرعة انتشار، فإنها قد تهلك الجميع عبر العالم، فما الجدوى منها إذًا؟

”

في الواقع، على تعدّد المؤتمرات الدولية، والأوراق العلمية والبيانات، فإن المؤسسات الدولية لم تكن غير مستعدة للتعامل مع حالة عدم الاستقرار السياسي والاقتصادي المفاجئ فحسب، بل إنها لم تتمكن حتى من المساعدة في توفير معدات الحماية الشخصية أو تنسيق الاتصالات فيما بين الدول أيضاً. وبدا فشل المؤسسات الدولية حاداً، ولم يتعلق الأمر بمنظمة الصحة العالمية فحسب، بل يتعلق كذلك بمؤسسات الاتحاد الأوروبي، وبالأمم المتحدة ومجلس الأمن

“

كان الفشل واحداً، لكن الطرائق والأسباب متعددة. خلال المرحلة الأولى من بداية الوباء، عانى الاتحاد الأوروبي مما لا يمكن وصفه إلا بإخفاقٍ مبكرٍ، ومردّد ذلك هو حادثة تجربته في التعامل مع الأوبئة، على عكس الدول الآسيوية التي سبق أن خبرت أمواجاً عدة منها⁽⁸⁶⁾.

فقد قلل أغلب السياسيين والمحليين من تقدير الخطر، حتى في الاجتماعات والقمم الدولية (المنتدى الاقتصادي العالمي في دافوس، ومؤتمر ميونيخ للأمن). وقلّما حظي خطر الفيروس بنقاش كافٍ، إلى غاية 9 آذار/ مارس، وحين بدأ بالانتشار الفعلي في إيطاليا، أشارت

86 حول أثر الذاكرة المؤسسية والمجتمعية في استجابات الدول الآسيوية لجائحة كورونا، يُنظر: "وباء فيروس كورونا المستجد: نماذج من استجابات الدول للوباء وتداعياته على الاقتصاد العالمي"، تقارير، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2020/4/1، ص 9-3، شوهد في 2021/3/18، في: <https://bit.ly/3syiGJz>

من خلال تغييرات أوسع في الأفكار والأيدولوجيا؛ فلا يمكن إنكار كراهية ترامب الفطرية للحلفاء والتحالفات والمؤسسات الدولية⁽⁹³⁾. ما من فرق كبير بين الديمقراطيين والجمهوريين، فهم يتقاسمون لغة الديمقراطية والحقوق العالمية في خطابهم، لكن الفرق الذي أحدثه الرئيس ترامب، ضمن طائفة الفروق المستقاة بين أشخاص المؤسسة المستقرة سياسياً، هو أنه تغنى بالسيادة لإنكار شرعية المؤسسات الدولية. وذلك ما تضمنه خطابه أمام الأمم المتحدة مشدداً فيه على أنه "لا مستقبل للعولمة [...] المستقبل للوطنيين، المستقبل ملكاً للدول المستقلة وذات السيادة، التي تحمي مواطنيها وتحترم جيرانها وتحترم الاختلافات التي تجعل كل دولة مميزة ومتفردة [...] مارست العولمة جاذبيةً دينيةً على القادة السابقين؛ ما دفعهم إلى تجاهل مصالحهم الوطنية. لقد ولت تلك الأيام"⁽⁹⁴⁾.

لا يشكل هذا الغياب لأي شعور بالقيم السياسية المشتركة خلفيةً لعدم اهتمام الولايات المتحدة بمصر حلفائها الأوروبيين خلال أزمة فيروس كورونا فحسب، بل إنه يشي أيضاً بتغير أيديولوجي قد تصير مآلاته وخيمة حين تستخدمه الدول الاستبدادية لتبرير خروقتها؛ ففي الواقع، لماً يحتج شخص ما على جرائم القتل خارج نطاق القضاء التي يرتكبها النظام الإيراني، على سبيل المثال، أو قمع الحكومة الصينية لشعب هونغ كونغ، فإن تلك الأنظمة ستصرخ محتجة بالسيادة نفسها التي تحتج بها الولايات المتحدة. وتقرن عودة هذه النزعة القومية كذلك بصعود الخطاب الشعبي⁽⁹⁵⁾، وهو اقتزان من اليسير ملاحظته في سياقات مختلفة، فما بالك بسياق تفشي جائحة كورونا؟

4. الشعبوية القومية بوصفها مقوِّصاً للتعاون الدولي في مواجهة جائحة كورونا

يعزو الباحثون في الاقتصاد السياسي الدولي صعود الشعبوية إلى الإفراط في العولمة، مع تحرير للتدفقات المالية الدولية، وتباطؤ في النمو الاقتصادي العالمي، إلى جانب تفاقم مشكلة عدم المساواة في

منها كبش فداء⁽⁹¹⁾، لكن من المهم أن نتذكر، بغض النظر عن بعض الخطابات المبالغ فيها، أنه لا يمكن إلا أن نتكشف أمامنا جوانب الفشل الذريع الذي أبانته المنظمة في بدايات مراحل الوباء. أولاً، التزامها الوثيق جداً برواية الحكومة الصينية التي سعت منذ البداية لإخفاء طبيعة فيروس كورونا ومدى انتشاره؛ ثانياً، تجاهلها الأدلة الواردة من تايوان وهونغ كونغ المتمثلة بأن فيروس كورونا يمكن أن ينتقل من شخص إلى آخر، ومن ثم لم تأخذ تلك الأدلة على محمل الجد؛ ثالثاً، إصرارها على عدم وجوب ارتداء أقنعة الوجه لانتفاء أهميتها في درء خطر الانتقال، حتى بعد التأكد من ضرورتها لقطع سبيل انتقال الفيروس؛ وأخيراً، انتظارها إلى غاية 11 آذار/ مارس لإعلان فيروس كورونا جائحةً، وإصدارها تقريراً يشيد بالصين لـ "طرحها ربما أكثر الجهود طموحاً واحتواءً للمرض عبر التاريخ"، ولم تتجاهل القمع المبكر للمعلومات فحسب، بل إنها قللت أيضاً من أهمية التكاليف النفسية والاقتصادية لحظر مدينة ووهان وانتهاكات حقوق الإنسان⁽⁹²⁾. ولم تكن البيروقراطيات الدولية المتراخية على مستوى المهمة فعلاً. وعلى الرغم من أن بعض جوانب هذا التصور قد تكون غير منصفة، فإنها ليست خاطئة تماماً. وإن اختلفت مصادر الخلل الوظيفي في المؤسسات الدولية، ففشلها مشترك.

3. لماذا حدث ذلك؟

كان الفشل المركزي البارز، المتمثل بتخلي إدارة الرئيس ترامب عن القيادة العالمية وغياب الصوت الأميركي، لافتاً للنظر منذ بداية الأزمة. يخبرنا كارل بيلدت Carl Bildt (1991-1994) - رئيس الوزراء السويدي في التسعينيات، ومبعوث الأمم المتحدة في أثناء حرب البوسنة، ووزير الخارجية طوال سنوات عديدة بعد ذلك - أنه بالنظر إلى حياته المهنية التي استمرت ثلاثين عاماً، لم يتذكر أزمة دولية واحدة لم يكن للولايات المتحدة وجود عالمي فيها على الإطلاق؛ إذ يقول: "عادة، عندما يحدث شيء ما، مثل حرب أو زلزال، ينتظر الجميع ما يفعله الأميركيون، ثم تكون ردّة فعلهم بناءً على ذلك"، لكن الأميركيين، هذه المرة، لم يفعلوا شيئاً يمكن أن يُحتذى. ويرجع الغياب الأميركي جزئياً إلى حالة الفوضى التي سادت البيت الأبيض في إدارة الرئيس ترامب، وتفاقمت بسبب محاولاته التستر على انتشار الفيروس، خشية أن تضرّ باحتمالات إعادة انتخابه. لكن غياب الولايات المتحدة عن المسرح الدولي خلال الأسابيع اللاحقة يمكن تفسيره أيضاً

93 Ibid., p. 227.

94 Michael Hernandez, "Trump Hits at Globalism, Embraces Nationalism at UN," *Anadolu Agency*, 24/9/2019, accessed on 16/2/2021, at: <https://bit.ly/3qtis5S>

95 عن مفهوم الشعبوية، يُنظر: كاس موده وكريستوبل روفيرا كالتواسر، مقدمة مختصرة في الشعبوية، ترجمة سعيد بكار ومحمد بكار (الدوحة/ بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2020)؛ عزمي بشارة، في الإجابة عن سؤال: ما الشعبوية؟ (الدوحة/ بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2019)؛ عزمي بشارة، "الشعبوية والأزمة الدائمة للديمقراطية"، سياسات عربية، العدد 40 (أيلول/ سبتمبر 2019)؛ ويُنظر: أمناكي، ص 88-91.

91 Robert Hart, "Fauci Praises World Health Organization's Pandemic Leadership, Says U.S. Will Rejoin," *Forbes*, 21/1/ 2021, accessed on 12/3/2021, at: <https://bit.ly/3fq5CM>

92 Applebaum, pp. 226-227.

العديد من مؤسسات التعاون متعددة الأطراف بالنخب والنخبوية يجعل الشعبويين مشككين في مؤسسات الحوكمة الإقليمية والدولية، وغالبًا ما يصفون المؤسسات العالمية بالتقنية والنخبوية والمناهضة للديمقراطية.

بعيدًا عن معاداة النخبوية، تشير الأدبيات إلى وجود عدد قليل من البنى لمعتقدات قوية أخرى تتبناها الحركات الشعبوية، هي القومية. يمكن أن تكون القومية نتيجة طبيعية للشعبوية إذا توقف تعريف القائد الشعبوي أو الحركة الشعبوية لـ "الشعب" عند الحدود الوطنية. هذا هو السبب في أن القومية غالبًا ما تكون خادمة للشعبوية. ويستشهد كويلوفيتش وبيفهاوس بتعريف شعبوي أميركا اللاتينية في السبعينيات لدعواتهم ضد النخب على أنها حركة ضد النظام النيوليبرالي المدعوم من الغرب. واستنادًا إلى هذه الحجة، يمكن اعتبار القومية متغيرًا قد يكون حاضرًا في الحركات الشعبوية أو قد لا يكون كذلك. ومع ذلك، فإن وجود عبارة "القومية الشعبوية" وانتشارها يشيران إلى وجود علاقة وثيقة بين الاثنين⁽⁹⁶⁾.

على نقيض أهداف الحوكمة العالمية، تسعى القومية إلى توجيه الدول نحو الداخل، مع منح المصالح الوطنية الأولوية على حساب المصالح العالمية المشتركة (أو لنقل متعددة الأطراف). وتُعد الشعبوية استراتيجية سياسية مبنية على تأليب "الشعب" ضد "النخبة" لتوطيد السلطة. وقد هاجم السياسيون الشعبويون من اليسار واليمين الخبراء لحشد الدعم للسياسات القومية، بعد أن وُصِف المدافعون عن حقوق الإنسان والمتخصصون في الصحة العامة بأنهم جزء من النخبة العالمية القابعة خارج الحدود الوطنية. وعلى الرغم من أن الشعبوية والقومية ليستا سلطويتين بطبيعتهما، فإن لكليتهما نزعات معادية للديمقراطية، استخدمها قادة من ذوي الميل الاستبدادي في الدول الديمقراطية؛ مثل الرئيس ترامب، والرئيس البرازيلي جاير بولسونارو (Jair Bolsonaro 2019-). لانتزاع السلطة من المؤسسات التي قد تحدّ من سلطتهم وتؤيد الحُكم بالقانون.

من جهة أخرى، تدفع معاداة النخب Anti-elite - لا محالة - إلى معاداة الخبراء Anti-expert، وقد أبانت جائحة كورونا هذا الجانب من الشعبوية بوضوح تام؛ إذ شجب القادة الشعبويون وأتباعهم بشكل رتيب جماعات الخبراء (ما نسميه في حقل العلاقات الدولية الجماعات المعرفية/الإبستمية)، فهذه الجماعات المعرفية المتشكلة من العلماء والمهنيين الطبيعيين، تعمل غالبًا وتتواصل بصفة عابرة

الدخل والثروة. ومع ذلك تتشارك هذه الأيديولوجيا دولًا مزدهرة ودولًا راكدة اقتصاديًا على حدٍ سواء⁽⁹⁶⁾.

يسود لدى الشعبويين اعتقاد متمثل بضرورة رفض انسياق حكومات الدول خلف رغبات النخب السياسية، والخضوع - بدلًا من ذلك - لإرادة الشعوب. ومع أن ذلك يدفع في الغالب إلى وضع القوى السياسية المحلية التي تمثل الجماهير، أو الحركات القومية الشعبوية التي اكتسبت دعمًا كبيرًا مؤخرًا، أمام تهمة احتمال تفويض عمليات التعاون الدولي، فإنه يمكن أن نعدّ البلدان التي تشكل موطئًا للحركات الشعبوية أقل احتمالًا في دعم الجهود الدولية في مواجهة الوباء. يعرض جون بيفهاوس ثلاثة مؤشرات محلية توحى برغبة الدول (أو عدم رغبتها) في التعاون دوليًا: مدى تقبُّل الإشارات المعلوماتية من الفواعل الدولية؛ ودرجة الاستعداد للتخلي عن السيادة الوطنية بتفويض السلطة إلى المؤسسات الدولية؛ والمخاوف بشأن توزيع مكاسب التعاون (على الصعيدين المحلي والدولي). ويفترض، في المقابل، أن الشعبويين من المرجح أن يقاوموا إشارات باقي الفواعل الدولية، وأنهم متحمّطون خصوصًا على تفويض السيادة الوطنية، إلى جانب رفضهم السياسات التي تؤدي إلى مكاسب للنخب والأجانب عندما يقترن الأمر بالقومية. وبناء على ذلك، فإن احتمال أن تشكل الأيديولوجيا الشعبوية حواجز أمام التعاون الدولي أمرٌ وارد⁽⁹⁷⁾.

في صيف 2020، نشرت صحيفة نيويورك تايمز مقالًا عن الوباء بعنوان: "أينما انتشر الفيروس أكثر، فثمة بلدان يحكمها قادة شعبويون غير ليبراليين"⁽⁹⁸⁾. وقد عدّد المقال من خلال منحى بياني أربع دول سجلت أعلى معدلات إصابة: الولايات المتحدة، وبريطانيا، والبرازيل، وروسيا، وكلها ترزح تحت إدارة زعماء شعبويين، تضمنت استراتيجياتهم رفض أشكال التعاون الدولي.

تُعدّ معاداة النخب جوهر خطاب القادة الشعبويين ومزاج الجماهير ذات التوجه الشعبوي. وبالنظر إلى التصور الشائع المتمثل بأن مصالح السياسة الخارجية ذات النزعة القومية هي مصالح تحددها النخب، فلا ينبغي أن نُفاجأ حين نجد الحركات الشعبوية غالبًا ما تكون مشكّكة في المشاركة الدولية. من جهة أخرى، فإن ارتباط

96 Dani Rodrik, "Populism and the Economics of Globalization," *Journal of International Business Policy* (2018), p. 3, accessed on 12/2/2021, at: <https://bit.ly/3foDm2E>

97 Jon C.W. Pevehouse, "The COVID-19 Pandemic, International Cooperation, and Populism," *International Organization*, vol. 74, no. S1 (2020), pp. 191-192.

98 David Leonhardt & Lauren Leatherby, "Where the Virus Is Growing Most: Countries With 'Illiberal Populist' Leaders," *The New York Times*, 2/6/2020, accessed on 7/2/2021, at: <https://nyti.ms/3s8Ejj5>

أن حذر الطبيب لي وين ليانغ Li Wenliang الذي عمل في مستشفى ووهان المركزي بالصين زملاءه من احتمال تفشي فيروس على نحو غير محدد، أجبره المسؤولون الصينيون على توقيع خطاب يعترف فيه بـ "الإدلاء ببيانات كاذبة تخلّ بالنظام العام"، و"أقال الرئيس بولسونارو وزير صحته بسبب حديث له عن تدابير وقائية تهدف إلى إبطاء انتشار المرض في المجتمع، لكنها تقوض انتهاكات حقوق الإنسان التي ترعاها الدولة أو تتغاضى عنها سيادة القانون، وتقوض المعايير الديمقراطية، وتضعف ثقة الجمهور الضرورية للاستجابة الفعالة للوباء"⁽¹⁰²⁾.

خاتمة

يُنسب إلى رجل الدولة النمساويّ كليمنس فون مترنيش Klemens von Metternich (1859-1773) قوله: "عندما تعطسُ باريس، تصاب بقية أوروبا بالعدوى"⁽¹⁰³⁾. وبعد انقضاء الحرب العالمية الثانية، وخروج الولايات المتحدة منتصرة، ذاعت عبارة: "إذا عطست أميركا، فإنّ العالم برمته يشعر بالحمى"⁽¹⁰⁴⁾. وبعد جائحة كورونا، ربما تعيّن استبدال ذلك بعبارة: "إذا اعتلت الصين، تداعى لها سائر اقتصاد العالم". وقد بدا ذلك جلياً من حالة الركود الاقتصادي العالمي والخلل الذي أحدثته الجائحة في سلاسل الإنتاج العالمية، فور لحظة الصدمة المفاجئة التي واجهها الاقتصاد العالمي. في هذا السياق، توجهت "دبلوماسية الأفعنة الطبية" الصينية وجهةً جديدةً في العلاقات العامة جديرةً بالملاحظة، سعت من خلالها بيجين إلى كسب الاعتراف العالمي بأنها المزود الأول بالإمدادات الطبية - على الرغم من شدة تأثرها في المراحل الأولى لتفشي الجائحة - في ظل غياب القيادة الأميركية، محاولةً من خلال ذلك إعادة نسج رواية للعالم تتسخ الرواية الأميركية التي تسمّها بأنها البلد مصدر الفيروس.

إذا عُدنا إلى دراسات الاقتصاد السياسي الدولي، وجدنا أنها تُعنى، من دون شك، بالبحث في العلاقة بين الدولة والسوق، لكنها تنظر بدرجة أقل إلى النظم الصحية العالمية على أنها مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بعمليات الاقتصاد السياسي الدولي وفواعلها. وقد اتضح لنا من خلال النقاش المحتمل بين باحثي الحقل على اختلاف تياراتهم، بهدف رصد الآثار الأنطولوجية والمعرفية للاقتصاد السياسي الدولي المتغيّر، سعيهم

للحدود، فمن السهل إلى حدٍّ ما رؤيتها على أنها جزء من النخبة، سواء كانت القضية تتعلق بالصحة العالمية أو حتى بتغير المناخ⁽¹⁰⁰⁾.

وقد وجد القادة القوميون الشعبويون سبباً مشتركاً لرفضهم الأدلة العلمية، وهو جزء من رفض أكبر للحقيقة عندما لا يكون ذلك ملائماً سياسياً. كما قلل السياسيون الشعبويون - بمن فيهم رئيس المكسيك أندريس مانويل لوبيز أوبرادور Andrés Manuel López Obrador (2018-)، ورئيس وزراء باكستان عمران خان Imran Khan (2018-)، ورئيس وزراء بريطانيا بوريس جونسون - من أهمية الفيروس لتسويغ الإجراءات والتعاضد عن التصرف، وهو ما يتعارض على نحو مباشر مع بيانات الأمراض المعدية والخبراء. وذهب الرئيس ترامب إلى أبعد من ذلك، فقد دعا إلى ترك الحياة تمشي على عواهنها في الولايات المتحدة، كما تمعّد منع نشر البيانات، مُنتهكاً حقاً من حقوق الإنسان في المعلومة والحقيقة العلمية؛ خوفاً من أن الأدلة العلمية يمكن أن تقوّض أهداف سياسته أو مكانته السياسية.

لم ينكر القوميون الشعبويون التوصيات الوبائية والممارسات الصحية الملائمة فحسب، بل يتخذ الكثير منهم إجراءات تضر مباشرة بالصحة أيضاً. فعلى سبيل المثال، سلطَ المُقرّر الخاص للأمم المتحدة، الذي يُعنى بقضايا الفقر وحقوق الإنسان، الضوء على معوقات السياسات التنشيفية وعدم جدواها في استجابة الدول للأوبئة. ومع ذلك، رفض القادة القوميون الشعبويون من جميع الأطياف السياسية (في الإكوادور والبرازيل على سبيل المثال) إجماع الخبراء العالميين، من خلال الاستمرار في إلغاء تمويل البنى التحتية للصحة العامة وتفكيك شبكات الأمن الاجتماعي، وصياغة التنشيف بوصفه الاستجابة المناسبة لجائحة كورونا⁽¹⁰¹⁾.

أخيراً، على الرغم من أن جهود مواجهة تفشي الجائحة قد تكون انتهكت الحقوق في العديد من الدول فإن ردود الأفعال القومية الشعبوية كانت قمعية متعمدة؛ فهي تضع المجموعات المهمشة في الواجهة، وتستغل الفوضى لتوطيد السلطة، وتعاقب أولئك الذين يجروؤن على مواجهة المواقف الرسمية. شجع السياسيون من الولايات المتحدة إلى بولندا صراحةً العنصرية وكرهية الأجانب؛ ما أثار التمييز والعنف في الاستجابة للجائحة. وباستخدام سلطات الطوارئ، سعى القادة الشعبويون في المجر والهند إلى ترسيخ هيكل الحكم الاستبدادي، وهو أمر زاد من تقييد الحقوق والحريات. وبعد

102 Pevehouse, p. 195.

103 "Propos tenu en 1830. de Klemens Wenzel von Metternich-Winneburg," *dicotations*, accessed on 22/3/2021, at: <https://bit.ly/2Qo2zhj>

104 Colin Read, *Global Financial Meltdown: America Sneezes and the World Catches a Cold* (London: Palgrave Macmillan, 2009), p. 144.

100 Ibid., pp. 193-194.

101 Ulrike M. Vieten, "The 'New Normal' and 'Pandemic Populism': The COVID-19 Crisis and Anti-Hygienic Mobilisation of the Far-Right," *School of Social Sciences*, 22/9/2020, pp. 5-6, accessed on 12/3/2021, at: <https://bit.ly/3we2e31>

الرئيسية، أو لنقل أهم ستّة موضوعات؛ تشير إلى الاختلاف بين الكبار والصغار، باستثناء مجال تكلفة الرعاية الصحية.

وفي مبحث ترتيبات التعاون الدولي، يجري - من المنظور الاقتصادي - تأكيد أن الحماية من الأوبئة مرتبطة بالمصلحة العامة الدولية؛ ما يجعل العمل في إطار المؤسسات الدولية ضرورياً. وقد حاولت هذه الدراسة أن تفسّر تباين السياسات الاقتصادية الوطنية بوصفها حجر عثرة أمام إمكانية التعاون الدولي، إلى جانب صعود الشعوبية القومية في السنوات الأخيرة. لكن يمكننا أن نضيف عاملاً آخر لا يقل أهمية، ويجدر لفت الانتباه إليه، إن ما يصعب تفعيل تعددية الأطراف وترتيبات الحوكمة العالمية، في ضوء الاختلاف الوظيفي في أدوار الدولة، هو عدم التمييز بين التهديدات الوجودية والتهديدات العالمية الأخرى التي لا يمكن التعامل معها إلا من خلال جهود دولية مشتركة. ولو نظرنا في استطلاع المؤشر الأوروبي Eurobarometer⁽¹⁰⁶⁾، لوجدنا أن أكبر المخاوف في الاتحاد الأوروبي هي الهجرة (34 في المئة)، وتغير المناخ (24 في المئة)، والوضع الاقتصادي (18 في المئة)، والإرهاب (15 في المئة). وفي المقابل، إن المسح الذي أجراه مركز أبحاث بيو يلخص ثلاثة مخاوف في منطقة آسيا والمحيط الهادئ وأميركا اللاتينية: الهجمات الإلكترونية وتغير المناخ والإرهاب⁽¹⁰⁷⁾، في حين تخشى منطقة أفريقيا الصعوبات الاقتصادية بنسبة أكبر. ووفقاً لمسح مبكر لمركز أبحاث بيو بعد تفشي الجائحة في الولايات المتحدة، كان الأميركيون يخشون الأمراض المعدية (79 في المئة) يليها الإرهاب (73 في المئة)، والأسلحة النووية (73 في المئة)، والهجمات الإلكترونية (72 في المئة)، وصعود الصين (62 في المئة)، وتغير المناخ (60 في المئة)⁽¹⁰⁸⁾.

هذه التحديات العالمية ليست مختلفة من حيث الجوهر فحسب، بل إنها تختلف من حيث النوع أيضاً؛ إذ لا تتعلق بعدد الضحايا ولا نوع الجاني (الدولة أو الفرد أو الطبيعة)، بل تتعلق بالقدرة على تهديد وجود البشرية؛ وتمثلها ثلاثة تهديدات، هي: تغير المناخ، والأمراض الشديدة العدوى، والأسلحة النووية. إن ما يهدد البشرية هو ما يستدعي حشد الجهود الدولية وجوباً.

أخيراً، هناك حاجة إلى مزيد من التعاون في السياسة الصحية الدولية - وهو مجال نادراً ما يحظى بالاهتمام في العديد من البلدان -

الحديث للانعتاق من وحدوية تحليل الظواهر المعقدة وفهمها، عبر الارتحال بين مجموعة من الحقول المعرفية، وكسر الحدود المفهومية بين السياسة والاقتصاد أو بين الدول والشركات. كما سمحت لنا التقاليد الراسخة في الحقل بالتقاط عمليات التغيّر الحالية؛ إذ تكشف عن حالة تحول في النظام العالمي من خلال هندسة جديدة له، يبدو أنها تنقله من "نيوليبرالية السوق" إلى "نيوليبرالية الدولة"، وهو ما يعني الانتقال من رأسمالية تنظمها آليات السوق إلى رأسمالية تنظمها الدولة، وهذا الأمر يُعدّ انتصاراً جديداً للاقتصاد على السياسة. وبدلاً من تقويض آليات العولمة، سنشهد - على الأغلب - مطالباً بتسريع وتيرتها.

من الواضح أن العولمة الاقتصادية، وبالتأكيد التجارة في المنتجات الوسيطة Intermediate Products، تواجه عدة مخاطر، يتعلق جزءٌ منها بالخدمات اللوجستية، وترتبط في جزئها الآخر بمخاطر الوباء بين البلدان المنتجة والبلدان التي تشكل جزءاً من سلسلة اللوجستيات. من خلال مؤشر الأمن الصحي العالمي، طورت مجموعة أبحاث في جامعة جونز هوبكنز مؤشراً مفيداً جداً؛ ليس مهماً لفهم جودة الأنظمة الصحية في معظم دول العالم فحسب، بل يمكن أن يكون مفيداً أيضاً لفهم أفضل للمخاطر التي تتعرض لها سلاسل الإنتاج الدولية والمخاطر التي يواجهها المستثمرون الأجانب في مختلف البلدان المضيفة.

ينبغي دراسة الروابط بين ديناميات الاقتصاد الكلي والصحة. ففي المجتمعات المسنّة مثلاً، التي عانت من جراء الجائحة، سيرتفع الإنفاق على الرعاية الصحية في دول منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية. وفي الصين، هناك كذلك، على المدى الطويل، مجموعة من الأدبيات التي تبحث في ديناميات الضمان الاجتماعي والتوظيف والنمو وعجز الميزانية، ولكن هناك مجالات مهمة من حيث تحليل النظام الصحي والاقتصاد الكلي الحديث. علاوة على ذلك، أُجريت أبحاث قليلة حول الاقتصاد السياسي لإصلاح الرعاية الصحية.

قد تواجه المجتمعات المسنّة في الديمقراطيات صراعات معينة في التمويل الحكومي، وتحديداً فيما يتعلق بمدى تصميم التحويلات الحكومية لصالح توسيع الرعاية الصحية أو توسيع أنظمة المعاشات التقاعدية. وثمة تضارب بنيوي في المصالح بين الأجيال الشابة والأجيال الأكبر سنّاً، يطرُق إشكالات خاصة لدى الدول الغربية. فقد أظهر استطلاع (مركز بيو للأبحاث 2020)⁽¹⁰⁵⁾ أن أولويات السياسة

106 "Autumn 2019 Standard Eurobarometer: Immigration and Climate Change Remain Main Concerns at EU Level," European Commission, 20/12/2019, accessed on 22/2/2021, at: <https://bit.ly/2QIp0jd>

107 "Climate Change Still Seen as the Top Global Threat, but Cyberattacks a Rising Concern," Pew Research Center, 10/2/2019, accessed on 22/2/2021, at: <https://pewsr.ch/3gnm8TI>

108 "A Year of US Public Opinion on the Coronavirus Pandemic."

105 "A Year of US Public Opinion on the Coronavirus Pandemic," Pew Research Center, 5/3/2021, accessed on 4/4/2021, at: <https://pewsr.ch/2RPs0r>

المراجع

العربية

أمناكي، عبد الكريم. "شعبويو السلطة وجائحة كورونا: بين اعتيادية التدابير وخصوصية الخطاب، حالة الولايات المتحدة تحت إدارة دونالد ترامب". *سياسات عربية*. العدد 50 (أيار/ مايو 2021).

بشارة، عزمي. "الشعبوية والأزمة الدائمة للديمقراطية". *سياسات عربية*. العدد 40 (أيلول/ سبتمبر 2019).

_____ . في الإجابة عن سؤال: ما الشعبوية؟ بيروت/ الدوحة: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2019.

حمشي، محمد. "المغرب العربي بوصفه إقليمًا بلا إقليمية". *سياسات عربية*. العدد 43 (آذار/ مارس 2020).

_____ . "نظريات العلاقات الدولية وجائحة كورونا: أنبذة معتقة في قنآن جديدة ونبيذ لما يُعتق" *سياسات عربية*. العدد 50 (أيار/ مايو 2021).

روستوفسكي جاسيك، وأرناب داس. "هل تشهد أوروبا لحظة هاملتونية أم تخوض معركة فورت ستمر محتملة؟". ترجمة معاذ حجاج. مؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم للمعرفة. 2020. في:

<https://bit.ly/32uh1ZZ>

سميث، جينا. *عصر علوم ما بعد الجينوم: كيف تحول تكنولوجيا علوم دنا طريقة حياتنا وكيف تحول كينونتنا؟* ترجمة مصطفى إبراهيم. مصر: المركز القومي للترجمة، 2010.

فيدر، ديفيد ب. "الأمراض والفوضى المعومة: مقاربات نظرية للصحة العالمية". ترجمة سارة إسماعيل. *سياسات عربية*. العدد 50 (أيار/ مايو 2021).

منظمة الصحة العالمية. "تحقيقات 2017". في:

<https://bit.ly/2SvlMB0>

موده، كاس وكريستوبل روفيرا كالتواسر. *مقدمة مختصرة في الشعبوية*. ترجمة سعيد بكار ومحمد بكار. بيروت/ الدوحة: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2020.

موقع منظمة الصحة العالمية. في: <https://bit.ly/2QSIbHI>

وانخ، ليندا. "كيف يمكن أن يغير فيروس كورونا سلاسل التوريد؟". *شيرأميركا*. في: <https://bit.ly/3bUFATZ>

ويمكن أن يكون نمط التعاون الأكثر رسمية كافيًا. إن دور منظمة الصحة العالمية حاسم، وهذا في الواقع جزء لا يتجزأ من النظام متعدد الأطراف الذي يجب أن يُدافع عنه في مجموعة العشرين وما بعدها. قد يكون من المفيد جدًا إنشاء شبكة بحثية عابرة للتخصصات Interdisciplinary Research Network حول النظم الصحية الفعالة والمبتكرة، يمكن أن تُمولها بصفة مشتركة مجموعة العشرين، على أن يُفتح مجال الحرية الكاملة للكادر العلمي في استحداث هذه الشبكة.

Handbook of Contemporary International Political Economy. London: Palgrave Macmillan, 2019.

Elbe, Stefan. "Haggling Over Viruses: The Downside Risks of Securitized Infectious Disease." *Health Policy and Planning*. vol. 25, no. 6 (2010).

Farmer, Paul E. "Structural Violence and Clinical Medicine." *PLOS Medicine*. 24/10/2006. at: <https://bit.ly/3062WRd>

Ferguson, Neil M. et al. "Report 9: Impact of Non-pharmaceutical Interventions (NPIs) to Reduce COVID19 Mortality and Health Care Demand." Imperial College of London. 16/3/2020. at: <https://bit.ly/32mnc2b>

Friel, Sharon et al. "A new Generation of Trade Policy: Potential Risks to Diet-Related Health from the Trans Pacific Partnership Agreement." *Globalization and Health*. vol. 9, no. 46 (2013). at: <https://cutt.us/XjckS>

Harman, Sophie. "Ebola and the Politics of a Global Health Crisis." *E-International Relations*. 20/10/2014. at: <https://bit.ly/3rbrQup>

Hart, Robert. "Fauci Praises World Health Organization's Pandemic Leadership, Says U.S. Will Rejoin." *Forbes*. 21/1/2021. at: <https://bit.ly/3fq5CM>

Hien, Josef & Christian Joerges (eds.). *Ordoliberalism, Law and the Rule of Economics*. Oxford: Hart Publishing, 2017.

Hoen, Ellen F.M. 't. *The Global Politics of Pharmaceutical Monopoly Power: Drug Patents, Access, Innovation and the Application of the WTO Doha Declaration on TRIPS and Public Health*. Diemen, The Netherlands: AMB Publishers, 2009.

_____. "TRIPS, Pharmaceutical Patents and Access to Essential Medicines: Seattle, Doha and Beyond." *Chicago Journal of International Law*. vol. 27 (2002).

Jarvis, Darryl S.L. (ed.). *International Relations and the Third Debate*. Westport: Greenwood Publishing Group, 2002.

وحدة الدراسات السياسية. "وباء فيروس كورونا المستجد: نماذج من استجابات الدول للوباء وتداعياته على الاقتصاد العالمي". تقارير. المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات. 2020/4/1. في:

<https://bit.ly/3syiGJj>

الأجنبية

"A Year of US Public Opinion on the Coronavirus Pandemic." Pew Research Center. 5/3/2021. at: <https://pewrsr.ch/2RPsp0r>

Adam, Davis. "Special Report: The Simulations Driving the World's Response to COVID-19: How Epidemiologists Rushed to Model the Coronavirus Pandemic." *Nature Research journal*, 2/4/2020. at: <https://go.nature.com/3qaCuk6>

Barnett, Michael & Raymond Duvall. *Power in Global Governance*. New York: Cambridge University, 2005.

Basrur, Rajesh & Frederick Kliem. "Covid-19 and International Cooperation: IR Paradigms at Odds." *SN Social Science*. vol. 1 (2021).

Bonfert, Bernd et al. "Political Economy and Politics – Covid-19, Critical Political Economy, and the End of Neoliberalism?" *The European Sociologist*, 2/6/2020. at: <https://bit.ly/3qcmaPw>

Brand, Hall & Francis J. Gavin (eds.). *COVID-19 and World Order: The Future of Conflict, Competition, and Cooperation*. Baltimore: Johns Hopkins University Press, 2020.

Brown, Wendy. "American Nightmare: Neoliberalism, Neoconservatism, and De-Democratization." *Political Theory*. vol. 34, no. 6 (2006).

"Climate Change Still Seen as the Top Global Threat, but Cyberattacks a Rising Concern." Pew Research Center. 10/2/2019. at: <https://pewrsr.ch/3gnm8TI>

Cooper, Ian et al. "A SIR Model Assumption for the Spread of COVID-19 in Different Communities." *Chaos, Solitons & Fractals*. vol. 139 (October 2020). at: <https://bit.ly/3qaquir>

- Pevehouse, Jon C.W. "The COVID-19 Pandemic, International Cooperation, and Populism." *International Organization*. vol. 74, no. S1 (2020).
- Pugatch, Meir Perez. *The International Political Economy of Intellectual Property Rights*. Cheltenham, U.K.: Edward Elgar Cheltenham, 2004.
- Read, Colin. *Global Financial Meltdown: America Sneezes and the World Catches a Cold*. London: Palgrave Macmillan, 2009.
- Rodrik, Dani. "Populism and the Economics of Globalization." *Journal of International Business Policy*. (2018). at: <https://bit.ly/3foDm2E>
- Rosenau, James & Ernst-Otto Czempiel. *Governance Without Government: Order and Change in World Politics*. Cambridge, England/ New York: Cambridge University Press, 1992.
- Rushton, Simon & O.D. Williams. "Frames, Paradigms and Power: Global Health Policy-making Under Neoliberalism." *Global Society*. vol. 26, no. 2 (2012). at: <https://bit.ly/2Po8mEV>
- Sell, Susan K. & Owain D. Williams. "Health under Capitalism: A Global Political Economy of Structural Pathogenesis." *Review of International Political Economy*. 9/9/2019. at: <https://bit.ly/3bSUMRH>
- Murphy, Craig N. et al. (eds.), *The New International Political Economy*. Basingstoke: Macmillan, 1991.
- Šumonja, Miloš. "Neoliberalism is not dead – On political implications of Covid-19." *Sage Journals*. 28/12/2020. at: <https://bit.ly/303gnRY>
- Verduyn, Malcolm Campbell et al. "The Covid-19 Pandemic: Continuity and Change in the International Political Economy." *Research Gate*. (August 2020). at: <https://bit.ly/3bZgNOP>
- Jo, Tae-Hee et al. (eds.). *The Routledge Handbook of Heterodox Economics: Theorizing, Analyzing, and Transforming Capitalism*. London/ New York: Routledge, 2018.
- Katzenstein, Peter J. et al. "International Organization at Its Golden Anniversary." *International Organization*. vol. 52, no. 4 (1998). at: <https://bit.ly/3sGWZGC>
- Klein, N. & N. Smith. "The Shock Doctrine: A Discussion." *Environment and Planning D: Society and Space*. vol. 26, no. 4 (2008). at: <https://bit.ly/3e9tcCB>
- Krotz, Ulrich & Lucas Schramm. "An Old Couple in a New Setting: Franco-German Leadership in the Post-Brexit EU." *Politics and Governance*. vol. 9, no. 1 (2021).
- Labont'e, Ronald et al. *Globalization and Health: Pathways, Evidence and Policy*. New York: Routledge, 2009.
- Le Dictionnaire des Citations*. at: <https://bit.ly/2Qo22hj>
- MacLean, Sandra J. et al. *Health for Some: The Political Economy of Global Health Governance*. London/ New York: Palgrave Macmillan, 2009.
- Marmot, Michael et al. "Closing the Gap in a Generation: Health Equity Through Action on the Social Determinants of Health." the Commission on Social Determinants of Health. 8/11/2008. <https://bit.ly/381QXZ6>
- Mauro, Bertani & J. Claude Zancarini. *Lectures de Michel Foucault*. vol. 1: A Propos de "Il Faut Défendre la Société". Lyon: ENS Editions, 2001.
- Murphy, Craig N. & Douglas R. Nelson. "International Political Economy: A Tale of Two Heterodoxies." *British Journal of Politics and International Relations*. vol. 3, no. 3 (2001).
- Palan, Ronen. *Global Political Economy: Contemporary Theories*. London/ New York: Routledge, 2000.
- Petersand, M.A. & P. Venkatesan. "Biocapitalism and the Politics of Life." *Geopolitics, History and International Relations*. vol. 2, no. 2 (2010).

Verduyn, Malcolm Campbell. "Towards Post-Pandemic International Political Economy." *Political Economy and Economic Recovery*. at: <https://bit.ly/3bWJUID>

Vieten, Ulrike M. "The 'New Normal' and 'Pandemic Populism': The COVID-19 Crisis and Anti-Hygienic Mobilisation of the Far-Right." *School of Social Sciences*. 22/9/2020. at: <https://bit.ly/3we2e31>

Welfens, Paul J.J. "Macroeconomic and Health Care Aspects of the Coronavirus Epidemic: EU, US and Global Perspectives." *PMC US National Library of Medicine*. 23/5/2020. at: <https://bit.ly/3uPZQis>

Williams, Caitlin R. et al. "Populist Nationalism Threatens Health and Human Rights in the COVID-19 Response." *PMC US National Library of Medicine*. 12/2020. at: <https://bit.ly/3lxhZgN>

World Health Organization. "International Health Regulations." 2005. at: <https://bit.ly/2NyQtCQ>

عبد الكريم أمناكي | Abdelkarim Amengay*

شعبويو السلطة وجائحة كورونا بين اعتيادية التدابير وخصوصية الخطاب: حالة الولايات المتحدة تحت إدارة دونالد ترامب

Populists in Government and the Covid-19 Pandemic: Between the Normality of Measures and the Singularity of Discourse - The Case of the Trump Administration

منذ الأشهر الأولى التي أعقبت إعلان وباء كورونا جائحةً عالمية، برز نقاش بين دارسي الشعبوية حول أثرها المحتمل في هذا التيار السياسي الذي حقق خلال العشرية الماضية تقدماً انتخابياً غير مسبوق في العديد من دول العالم. من جهة، ثمة الموقنون أن الجائحة ستمثل مفترق طرق في هذا المنحى التصاعدي، وستكون بداية تقهقر الشعبويين، خصوصاً الماسكين منهم بالحكم في الديمقراطيات الليبرالية. ومن جهة أخرى، ثمة القائلون إن الشعبوية، بوصفها ظاهرة سياسية تتغذى بالأزمات لن تتأثر سلبياً، هذا إن لم تخرج منها أكثر قوة. تنطلق هذه الدراسة من هذا النقاش، من خلال التركيز على حالة الحكومات الشعبوية اليمينية في الديمقراطيات الغربية، وخصوصاً إدارة الرئيس الأميركي السابق دونالد ترامب، لتبين محدودية الموقفين. فعلى عكس التصور السائد، لا تختلف المقاربة التدييرية ولا الحصيلة البشرية للحكومات الشعبوية في مواجهة جائحة كورونا، في مجملهما، عن تلك التي سجلتها حكومات تقليدية. ولكن لا يعني هذا عدم وجود خصوصية شعبية في زمن جائحة كورونا تكمن، من وجهة نظرنا، في طبيعة الخطاب الموظف أثناء الجائحة الذي تقسمه إلى قسمين؛ أولاً، "خطاب الانفصام" الذي تميز بالقدرة على الجمع بين التهوين من حقيقة الجائحة، واتخاذ الإجراءات التدييرية العملية لمواجهةها، وثانياً، "خطاب الإثبات" الذي وُظفت فيه الجائحة لتعزيز مشروعية أحد أهم عناصر الخطاب الشعبوي وهو الخطر الخارجي.

كلمات مفتاحية: الشعبوية، جائحة كورونا، دونالد ترامب، الخطر الخارجي.

The potential impact of the Covid-19 pandemic on populist governments has been the subject of a heated debate among specialists. There are scholars for who the pandemic will negatively impact populist governments. Here, populist governments are perceived as ill-equipped to respond to the multifaced challenges risen by the complexity of the pandemic. Conversely, many scholars that argue that the pandemic will strengthen populist governments because populism flourishes during crises. This article contests these two narratives. It asserts that any evaluation of the impact of the pandemic on populist governments should distinguish between their actions and their discourse. Thus, the study undertakes an analysis of US president Trump's discourse, demonstrating that during the first year of the pandemic, it is twofold. First appears a "disconnected discourse" that continuously questions the reality of the pandemic, despite the important proactive actions taken by his government to mitigate the pandemic's economic, social, and sanitary impacts. Second, a "demonstrative discourse" arises, in which the pandemic was instrumentalized to enhance the legitimacy of one of the most important and controversial elements of the populist discourse: the idea of external threat.



Keywords: Populism, Covid-19, Pandemic, Donald Trump, External Threat.

* أستاذ مساعد، برنامج العلوم السياسية والعلاقات الدولية، معهد الدوحة للدراسات العليا.

مقدمة

للوفيات⁽⁴⁾ الناتجة من فيروس كورونا. فضلاً عن ذلك، ذهب بعض الباحثين إلى اعتبار أن وجود حكومة شعبية في بلد معين يمكن اعتباره من العوامل التي ساعدت على انتشار الفيروس بين مواطنيه⁽⁵⁾. في حين شكك فريق آخر في هذه المقولة، على أساس أن جائحة كورونا "لن تقتل الشعبوية [فمن جهة] لم تكن الطريقة التي تعامل بها الشعبويون مع فيروس كورونا موحدة"⁽⁶⁾. بعبارة أخرى، يصعب الحديث عن وجود ما يسمى "طريقة شعبية للتعامل مع جائحة كورونا". ومن جهة أخرى، تبين استطلاعات الرأي أن مفترق الطرق الذي يشير إليه المنتهون بالأقول الحتمي للزعماء الشعبويين بسبب جائحة كورونا، ما يزال يبدو بعيداً؛ فعلى الرغم من هزيمة دونالد ترامب Donald Trump (2017-2021)، "نجم" الشعبويين الذين وصلوا إلى السلطة خلال العقد الأخير، خلال الانتخابات الرئاسية الأمريكية في تشرين الثاني/ نوفمبر 2020، فإن كثيراً منهم ارتفع سهم شعبيته خلال الجائحة⁽⁷⁾.

تتبنى هذه الدراسة موقفاً مختلماً في هذا الجدل، فلا هي تنطلق من النظرة المعيارية لأصحاب الموقف الأول التي تنظر إلى الشعبويين بوصفهم نسيجاً أيديولوجياً متجانساً ذا موقف لاعقلاني من الجائحة، ترتبت عليه عواقب كارثية على المواطنين في البلدان التي يسكنون فيها بزمام السلطة، ولا هي تعتبر أنه إذا كان عدد من الشعبويين الماسكين بزمام السلطة تعاملوا مع الجائحة بالآليات التديرية نفسها التي تبنتها الحكومات التقليدية يكفي للقول بغياب أي خصوصية لهم، مثلما يذهب إلى ذلك أصحاب الموقف الثاني.

تحتاج هذه الدراسة بأن أي تحليل للشعبوية في زمن جائحة كورونا يجب أن يميز بين مستويين من التحليل. المستوى الأول هو تحليل مقارن لطبيعة التدابير التي اتخذتها الحكومات الشعبية لمواجهة الجائحة وحصيلتها في الدول التي تُسَيِّرُها هذه الحكومات، في مقابل الدول التي تُسَيِّرُها حكومات غير شعبية. أما المستوى الثاني فهو

في أعقاب الانتشار العالمي لوباء كورونا، وإعلانه جائحةً عالمية من طرف منظمة الصحة العالمية، سارع عدد من الباحثين إلى اعتبار أن الجائحة "ستشكل مفترق طرق بالنسبة إلى الشعبوية"⁽¹⁾ التي حققت خلال العقود الأخيرة تقدماً انتخابياً غير مسبوق في عدد من الديمقراطيات الغربية، كان أبرز تجلياته، على سبيل المثال لا الحصر، وصول أحزاب وزعماء شعبيين إلى سدة الحكم في الولايات المتحدة الأمريكية وهنغاريا واليونان. وفي هذا الإطار، ذهب البعض إلى أن أفول نجم الشعبوية سيكون أحد المخلفات السياسية للجائحة، مستدلين على ذلك بحجتين أساسيتين على الأقل؛ أولاً أن الجائحة هي بمنزلة ذلك الاختبار الإمبريقي الذي سقط فيه الادعاء الشعبوي بتحوّل مؤسسات الدولة في الديمقراطيات الليبرالية إلى أداة خادمة لمصالح النخب الاقتصادية المعوملة المتحكمة في حكوماتها. بعبارة أخرى، من شأن الجائحة أن تمثل "فرصة ذهبية" للتذكير بالدور المحوري للدولة، بوصفها إطاراً مؤسساتياً راعياً لمصالح المواطنين، على اعتبار أن "الجائحة سجلت عودة الدولة القوية"⁽²⁾، "القادرة على حماية مواطنيها"⁽³⁾. فالقرارات التي اتخذتها الحكومات منذ مطلع عام 2020، تجاوزت التدابير الصحية الهادفة إلى الحد من انتشار الجائحة، بل شملت أيضاً حزمة من الإجراءات الاقتصادية والاجتماعية التي استهدفت فئة المواطنين العاديين الذين دأبت القوى الشعبية على القول إن النخب السياسية التقليدية لا تُعير أي اهتمام لمصالحها.

أما الحجة الثانية، فمفادها أن تدبير الجائحة وتعقيدها، والقدرة على تقديم حلول لها، يتطلبان مهارات تديرية ودراية بالأبجديات التي تحكم صياغة سياسات عامة ناجعة، قلما اشتملت عليها الأحزاب الشعبية وقياداتها التي عُرِفَ عنها رؤيتها التبسيطية لحل المشاكل المتشعبة التي تعانها مجتمعات الدول المتقدمة. فكثير من الزعماء الشعبويين تنقصهم التجربة التديرية لمؤسسات الدولة، ولعل أهم مظهرات انعدام الكفاءة، بحسب مارتن ماكي وآخرين، أن البلدان التي يُسَيِّرُها زعماء شعبيون كانت من أكثر البلدان تسجيلاً

4 Martin McKee et al. (eds.), "Are Populist Leaders Creating the Conditions for the Spread of COVID-19? Comment on 'A Scoping Review of Populist Radical Right Parties' Influence on Welfare Policy and Its Implications for Population Health in Europe," *International Journal of Health Policy and Management*, vol. 10, no. 10 (2020), p. 1.

5 Ibid., p. 2.

6 Giorgos Katsambekis & Yannis Stavrakakis, "Populism and the Pandemic: A Collaborative Report," *POPULISMUS Interventions*, no. 7 (June 2020), pp. 6-7.

7 Gabriel Felbermayr & Holger Görg, "Implications of Covid-19 for Globalization," in: Gabriel Felbermayr (ed.), *The World Economy after Coronavirus Shock: Restarting Globalization* (Kiel, Germany: Kiel Institute for the World Economy, 2020), p. 91.

1 Beatrice Magistro & Victor Menaldo, "Populism: A Tale of Political and Economic Catastrophe," *APSA Comparative Politics*, vol. 30, no. 2 (2020), p. 43.

2 Hans-Georg Betz, "Covid-19, Deglobalization and the (Potentially) Bright Future of Radical Right-Wing Populism," (2020), p. 3, accessed on 5/7/2021, at: <https://bit.ly/3xmRuQg>

3 Ibid., p. 7.

أولاً: ما الشعبوية؟

إذا كانت الشعبوية قد صارت من أبرز مفاهيم العلوم السياسية حضوراً في الإعلام الغربي في أعقاب وصول الرئيس الأميركي دونالد ترامب إلى سدة الحكم، وكذلك الصدمة التي شكّلها في كثير من الديمقراطيات الأوروبية تصويت الشعب البريطاني لمصلحة خروج بريطانيا من الاتحاد الأوروبي سنة 2016، فإن هذا الحضور الإعلامي لا يمثل إلا نسبة قليلة جداً فيما يتعلق بالدراسة التي حظيت بها الشعبوية لدى علماء السياسة في الغرب خلال العقود الأربعة الأخيرة. فمنذ بروز ما اصطُح عليه الموجة الثالثة من الشعبوية⁽⁸⁾ في ثمانينيات القرن العشرين⁽⁹⁾، حُصص للشعبوية كمّ هائل من الكتب والمقالات المحكّمة والأطروحات والمؤتمرات العلمية بلغ درجة التضخم فيما يشبه "الصناعة المصغرة"⁽¹⁰⁾. ورغم هذا الكمّ الهائل من الإنتاج العلمي، فإن الإشكالات البحثية، المطروحة إلى الآن حول الشعبوية، قلّما تخرج عن إطارين أساسيين: إشكالية التعريف، وإشكالية المحددات البنوية والفردية للنجاحات الانتخابية للشعبوية. فتعريف الشعبوية، ظلّ أحد أهم التحديات التي يواجهها الباحثون في الموضوع، حيث إنّ الوصول إلى تعريف متفق عليه ما يزال عصياً، والنقاشات الأكاديمية مستمرة بشأنه.

ومع غياب الإجماع وتعدد التعريفات، فإن المتداول منها لا يكاد يخرج عن ثلاث مقاربات، نبّنها فيما يلي.

1. المقاربة المتعلقة بالأفكار

تنطلق المقاربة المتعلقة بالأفكار Ideational Approach من تحليل البرامج الانتخابية والبيانات السياسية الصادرة عن الأحزاب الشعبوية وخطابات زعمائها، لتصد الأفكار التي يميز بها الشعبويون من غيرهم من التيارات السياسية ذات المرجعية الليبرالية أو الاشتراكية. وتمثّل المقاربة المتعلقة بالأفكار التوجه الغالب اليوم بين دارسي الشعبوية، وتدور تعريفاتها المنبثقة من هذه المقاربة في فلك تعريف

تحليل الخطاب الذي اعتمده الحكام الشعبويون أثناء فترة تفشّي الجائحة. ويؤدي التركيز على أحد المستويين دون الآخر، كما جنح إلى ذلك أغلب الدراسات السابقة، بالضرورة، إلى تكوين صورة جزئية عن الظاهرة قيد الدراسة؛ ومن ثم إلى استنتاجات منقوصة، إن لم تكن خاطئة. وللوصول إلى هذا المبتغى، فُسمت هذه الدراسة إلى أربعة محاور. يناقش المحور الأول مفهوم الشعبوية والجدال القائم حول تعريفه، وخاصة ما بين أنصار المقاربة المتعلقة بالأفكار من جهة، وأنصار المقاربتين التواصلية - الخطابية والاستراتيجية من جهة أخرى. ولا يكمن الهدف في الوقوف على الصعوبة التي يطرحها التعامل مع مفهوم الشعبوية فحسب، بل أيضاً في تأكيد أن أيّ تحليل يسعى إلى الخروج بتعميمات حول الشعبوية وجائحة كورونا سيكون محدوداً بالضرورة، لكون طبيعة التعريف المعتمد تؤثر بالضرورة في نوع الاستنتاجات المتوصل إليها. أما المحور الثاني فيقدّم تحليلاً إمبريقياً للحصيلة البشرية لجائحة كورونا في مجموعة من الديمقراطيات المتقدمة اقتصادياً، بهدف المقارنة بين حصيلة الدول التي تُسيّر حكومات شعبية، وأخرى تُسيّر حكومات تقليدية من خلال معطيات تغطي سنة 2020 بأكملها، على خلاف جل الدراسات المنشورة إلى الآن التي تركز على الأشهر الأولى من سنة الجائحة. في حين يقف المحور الثالث على ما ميّز تعامل إدارة الرئيس ترامب مع جائحة كورونا، على اعتباره "النموذج المثالي"، بالمعنى الفيبري للمصطلح، للزعماء الشعبويين الذين صادف انطلاق الجائحة وجودهم في السلطة في الديمقراطيات الغربية الليبرالية. ونبين في هذا الصدد أن ما ميّز تعامل ترامب مع الجائحة ليس طبيعة الإجراءات التدبيرية التي اتخذتها إدارته، بل عناصر الخطاب التي وظّفها؛ إذ كان ثمّة "خطاب منقسم" يناقض الإجراءات العملية التي استُخدمت لمواجهة الجائحة، من جهة. وكان ثمّة، من جهة أخرى، "خطاب الإثبات" الذي وظّف فيه "الأصل الأجنبي" لجائحة كورونا لتعزيز المشروعية السياسية لبعض الأفكار الأكثر جدلاً للشعبوية، على وجه الخصوص فكرة "الخطر الخارجي الوجودي المحقق بالوطن" المتمثل بالحالة الأميركية في "الخطر الصيني". هذا العنصر الأخير سيتم التطرق إليه بتفصيل في المحور الرابع الذي سيستعرض الطريقة التي جرى من خلالها توظيف عناصر "خطاب الإثبات" من جانب إدارة ترامب على مستوى السياسة الخارجية الأميركية تجاه الصين، والتي كان أحد تمظهراتها تهجّمه على منظمة الصحة العالمية.

8 يجمع علماء السياسة والمؤرخون على أن الشعبوية ليست ظاهرة سياسية جديدة على المجتمعات السياسية، بل هي كما يشير إلى ذلك عزمي بشارة "من تجليات ما يمكن تسميته أزمة دائمة للديمقراطية"، أي إنها مرتبطة ارتباطاً عضوياً بطبيعة النظام الديمقراطي الليبرالي. ينظر: عزمي بشارة، "الشعبوية والأزمة الدائمة للديمقراطية"، سياسات عربية، العدد 40 (أيلول/ سبتمبر 2019)، ص 9.

9 بدايةً في فرنسا مع حزب الجبهة الوطنية بقيادة جان ماري لوين Jean-Marie Le Pen، والنمسا مع حزب الحرية النمساوي بزعمامة يورغ هايدر Jörg Haider.

10 Kai Arzheimer & Elisabeth Carter, "How (not) to Operationalise Subnational Political Opportunity Structures: A Critique of Kestilä and Söderlund's Study of Regional Elections," *European Journal of Political Research*, vol. 48, no. 3 (2009), p. 335.

للشعب مرتبط بالشعبوية اليمينية القومية، أو ما يصطلح عليه غالبًا اليمين الراديكالي، وأحيانًا اليمين المتطرف؛ وهو يمين شعبي ذو طابع إقصائي، ارتبط تاريخيًا بظهور الشعبوية في أوروبا، مع أحزاب مثل الجبهة الوطنية في فرنسا وزعيمها مارين لوبان Marine Le Pen. في حين أن التصور الثاني للشعب مرتبط بالشعبوية اليسارية ذات الطابع الاشتراكي التي كانت دول أميركا اللاتينية مجالًا خصبًا لنموها منذ أربعينيات القرن العشرين، مع زعماء شعبيين، مثل الرئيس الأرجنتيني خوان بيرون Juan Perón، وفي تسعينيات القرن نفسه مع الرئيس الفنزويلي الراحل هوغو تشافيز Hugo Chávez (1999-2013)⁽¹³⁾.

ترتبط الشعبوية، إذًا، ارتباطًا وثيقًا بالتنديد بالمؤسسات الديمقراطية الليبرالية؛ ما يترتب عليه عداوة للتعددية ورفض للتوافقات السياسية⁽¹⁴⁾. وتزيد عليها الشعبوية اليمينية عناصر "الشوفينية القومية" ومعاداة العولمة في تجلياتها المختلفة⁽¹⁵⁾. وبحسب روجرز بروبكر، فإنه "يصعب [في الواقع] الفصل بين الشعبوية والقومية [...] فكلتاهما تشكلان الشعبوية [...] وأي محاولة للتفريق بين العنصرين تضيّع الالتباس والتناقض الداخلي [الذي يميز] الخطاب الشعبي"⁽¹⁶⁾. وفي الواقع، لا تقتصر القومية بالضرورة على الشعبوية اليمينية، وإنما هي حاضرة لدى كثير من الشعبويين اليساريين أيضًا، وخصوصًا في البلدان النامية. فلا غرابة، إذًا، في أن تلتقي تشكيلات يسارية شعبية، مثل "بوديموس" الإسباني Podemos و"سيريزا" اليوناني Syriza مع تشكيلات يمينية شعبية، مثل التجمع الوطني الفرنسي National Rally و"حزب البريكست" The Brexit Party و"إصلاح المملكة المتحدة" البريطانيين في مهاجمتهم للاتحاد الأوروبي على اعتباره سلطةً فوق وطنية تُمسّ سيادة الأمم وتقوّض الإرادة الشعبية، ويرون فيه أداة للمؤسسات المعولمة التي أفقرت المواطنين البسطاء وساهمت في تزايد الفوارق الطبقيّة؛ فكلتا الفريقين ينظران إلى الاتحاد الأوروبي بوصفه عدوًّا للسيادة الشعبية التي تسعى الأحزاب الشعبوية إلى استرجاعها.

كاس موده⁽¹¹⁾ لها بأنها "أيديولوجيا محدودة" Thin Ideology ترتكز على فكرتين أساسيتين ومتلازمتين: أولاهما، كون المجتمع مقسمًا إلى فريقين متعارضين في طبيعتهما ومصالحهما: "الشعب النقي" في مقابل "النخبة الفاسدة"، أي إن الركيزة الأساسية للشعبوية هي تلك النظرة المانوية لمجتمع سياسي منقسم إلى مجموعتين غير قابلتين للتوافق؛ نخبة لا تسعى إلا لخدمة مصالحها، مهملة ومتجاهلة للشعب وقيمه الأخلاقية الخيرة. وثانيتها، ضرورة أن تكون السياسة تعبيرًا عن الإرادة الشعبية؛ فالشعب هو مصدر السيادة التي لا تقبل التفويض، وأي محاولة للالتفاف عليها هي خيانة للديمقراطية الحقيقية. فالشعبوية تقدّس الاستفتاء الشعبي بوصفه آلية لاتخاذ القرارات السياسية، وتحتقر الديمقراطية الليبرالية القائمة على فكرة التمثيلية، على اعتبار أن ما تنتجه من منتخبيين هم جزء من النخبة الفاسدة التي تسطو على الإرادة الشعبية، وتلتفّ عليها بدلًا من أن تكون خاضعة لها.

يؤكد موده أن الشعبوية، وإن كانت أيديولوجيا، فهي لا تعدو أن تكون "أيديولوجيا محدودة"، على اعتبار أن حملتها الفكرية تبقى بسيطة جدًا مقارنة بالأيديولوجيات التقليدية الأكثر تبلورًا، نحو الليبرالية والاشتراكية، التي ترتكز على تراث فكري طوّر مشروعًا سياسيًا ومجتمعياً متكاملًا. هذا الضعف الفكري للشعبوية، فرض عليها التزاوج، أو الارتباط، بعناصر من هاتين الأيديولوجيتين؛ إذ إن الشعبويين ينهلون من مفاهيم وأفكار مرتبطة باليمين أو اليسار في مشروعهم السياسي. بعبارة أخرى، لا وجود لما يسمى أيديولوجيا شعبية بمعزل عن الأيديولوجيات التقليدية؛ فالشعبوية إما يمينية وإما يسارية⁽¹²⁾. وبناءً عليه، فإن الادعاء الذي تتبناه كثير من التيارات الشعبوية على أنها ليست من اليسار ولا من اليمين هو مجرد شعار لا أكثر.

إن أهم اختلاف بين شعبوية اليمين وشعبوية اليسار يتمظهر في التصور الذي تتبناه كل منهما لمفهوم الشعب، أو بمعنى أدق المعيار الذي يحكم انتماء الفرد إلى الشعب؛ فإما أن يتصور الشعب جسمًا متجانسًا إثنياً وثقافياً، أي إن أساس الانتماء إليه هو السمات الموروثة، ويُقصى منه بذلك الأشخاص ذوو الأصول الأجنبية والمهاجرون والجماعات الإثنوثقافية المخالفة لسمات الأغلبية، وإن كانت أصيلة في البلد، مثل جماعات الغجر في بعض الدول الأوروبية، وإما أن يكون الشعب هو تلك الطبقة الكادحة المغبونة حقوقها السوسيو-اقتصادية بغض النظر عن أصولها الإثنوثقافية. فالتصور الأول

13 Cas Mudde & Cristóbal Rovira Kaltwasser, "Exclusionary vs. Inclusionary Populism: Comparing Contemporary Europe and Latin America," *Government and Opposition* (London), vol. 48, no. 2 (2013), pp. 147-174.

14 Magistro & Menaldo, p. 39.

15 Alex Mason, "Europe's Future: The Impact of Covid-19 on Populism," International Development Research Network (May 2020), p. 4, accessed on 5/7/2021, at: <https://bit.ly/3qSjJAG>

16 Rogers Brubaker (2020), p. 61, quoted in: Anna Casaglia et al., "Interventions on European Nationalist Populism and Bordering in Time of Emergencies." *Political Geography*, vol. 82 (2020), p. 1.

11 Cas Mudde, "The Populist Zeitgeist," *Government and Opposition*, vol. 39, no. 4 (2004), pp. 541-563.

12 ظهرت خلال الأعوام الأخيرة أحزاب وقيادات سياسية في بعض دول أوروبا الوسطى والشرقية توصف بنتيها خطابًا شعبيًا يتموقع في وسط المحور السياسي.

2. المقاربتان التواصلية والاستراتيجية

توظيف مثل هذا النمط الخطابي لا يقتصر على الشعبويين، لكنهم، بخلاف الفرقاء السياسيين التقليديين، يقومون بذلك بمستوى يبلغ الممارسات التبشيرية⁽²¹⁾. فذلك الارتباط المنشود بين الزعيم والشعب تؤدي فيه العوامل السيكولوجية؛ من قبيل الميل السلطوي للأفراد، والهالة الشخصية للزعيم الشعبوي، وتهيج مشاعر الخوف من "الآخر"، وتجييش الغضب وعناصر اللاوعي، دوراً محورياً. وبحسب المقاربة التواصلية، يعتبر التوظيف الحاد لهذه العناصر سمةً مشتركةً بين جميع الزعماء الشعبويين الذين نجحوا في التاريخ الحديث، والخاصة المميزة لهم من السياسيين التقليديين، مثل "البلوجنية" في فرنسا، وحزب الشعب الأمريكي في القرن التاسع عشر، و"البرونية" في الأرجنتين في أواسط القرن العشرين، و"التشافيزية" في فنزويلا، وزعامات شعبية معاصرة، مثل الزعيم السابق لحزب البريكست البريطاني نايجل فراغ Nigel Farage، والرئيس الأمريكي السابق دونالد ترامب، أو حتى الرئيسين الحاليين للفلبين والبرازيل، رودريغو دوتيري Rodrigo Duterte وجاير بولسونارو Jair Bolsonaro، وما يجمع كل هؤلاء هو هذا النمط الخطابي الفريد الذي يُعدُّ مفتاحاً لفهم النجاح الانتخابي والشعبية اللذين حققوهما في بلدانهم؛ لأن الأفكار التي يدافعون عنها، في نهاية المطاف، ليست جديدة أو محصورة في النطاقات الجغرافية التي برزوا ونجحوا فيها. فليس هناك أي شعبية نجحت في غياب هذا النوع من النمط الخطابي، وليس هناك أي تيار شعبي في التاريخ السياسي المعاصر لم يرتبط نجاحه بزعيم سياسي ذي كاريزما خاصة. والدليل على ذلك أنه بمجرد اختفاء أو غياب ذلك الزعيم الكاريزمي المفوّه، يكون مصير تياره السياسي التراجع الانتخابي، هذا إن لم يختفِ تماماً من الساحة السياسية.

انطلاقاً من المقاربة التواصلية للشعبوية، وتأثير من مفكرين سياسيين يساريين، مثل إرنستو لاكلو Ernesto Laclau وشانتال موف Chantal Mouffe، تطوّر تصور جديد للشعبوية باعتبارها استراتيجيةً. وتعرّف موف الشعبوية بوصفها "استراتيجية تؤكد الحاجة إلى رسم حدود سياسية بين الشعب والأوليغارشية، وتتحدى وجهة نظر ما بعد السياسة التي تماثل بين الديمقراطية والإجماع"⁽²²⁾. فهي، إذًا، "استراتيجية سياسية يستخدمها نوع خاص من الزعماء الذين يسعون إلى الحكم اعتماداً على مساندة مباشرة من الشعب،

رغم أن المقاربة المتعلقة بالأفكار مكّنت الباحثين من تحديد الأسس الأيديولوجية التي تبني التيارات الشعبوية أطروحاتها السياسية عليها، فإنها في الحقيقة لا تخلو من إشكاليات. إن التعريفات الفكرية للشعبوية، وإن انطلقت كلها من اعتبار التضاد بين "الشعب النقي" و"النخب الفاسدة" بمنزلة المبدأ الناظم للفكر الشعبوي، تنتهي - لا محالة - إلى التركيز على العناصر الأيديولوجية المرافقة لهذه الفكرة. فمن جهة، "يصعب اعتبار الإشارة إلى الشعب أيديولوجيا جديدة"⁽¹⁷⁾، يمكن على أساسها تعريف تيار سياسي. ومن جهة أخرى، من شأن التركيز على الأفكار التي تتغذى منها الشعبوية، سواء من اليمين أو اليسار، من قبيل القومية ومعاداة المهاجرين والتنديد بالعملة والمطالبة بالعدالة الاجتماعية وغيرها، أن يؤدي لا محالة إلى جعل التضاد بين الشعب والنخبة عنصراً هامشياً عند محاولة استعمال المفهوم في تفسير سبب نجاح هذه التيارات. بعبارة أخرى، إن التحليلات التي تنظر إلى الشعبوية بوصفها مجموعة أفكار ذات حمولة أيديولوجية، لا توفر إجابة مقنعة عن السؤال الأساسي التالي: هل نجاح الأحزاب الشعبوية مرتبط بالعنصر الشعبوي الكامن في جدلية الشعب مقابل النخب، أم في طبيعة المشروع السياسي والمجتمعي المرافق له؟ هذه الإشكالية هي ما تحاول الإجابة عنها المقاربة التواصلية التي تعتبر الشعبوية نمطاً خطابياً⁽¹⁸⁾ يقوم على وجود ترابط مباشر بين زعيم سياسي مفوّه و"جماهير" ترى فيه مظهرًا للإرادة الشعبية.

تُعتبر الشعبوية، بحسب عزمي بشارة، "نمطاً من الخطاب السياسي [...] يقدم حملةً [هذا] الخطاب أنفسهم بوصفهم الممثلين 'الحقيقيين' للشعب، باعتبار ما عداهم ممثلين زائفين"⁽¹⁹⁾. فالشعبوية، بوصفها نمطاً خطابياً، تقوم على استخدام الزعيم السياسي "ذخيرة مكونة من مجموعة من الاستعارات والإيماءات والمواقف"⁽²⁰⁾ بهدف تجييش العواطف، من قبيل الغضب والخوف والأمل، واستهداف اللاوعي بعيداً عن النموذج التقليدي للمواطن العقلاني. صحيح أن

17 Jan Jagers & Stefaan Walgrave, "Populism as Political Communication Style: An Empirical Study of Political Parties' Discourse in Belgium," *European Journal of Political Research*, vol. 46, no. 3 (2007), p. 322.

18 في المقاربة التواصلية، يمكن كذلك إدراج تعريف يان ياغر وستيفان فالغريف اللذين يعتبران أن الشعبوية هي "نمط تواصل سياسي توظف فيه الإشارة إلى الشعب". ينظر: Ibid., p. 3.

19 عزمي بشارة، في الإجابة عن سؤال: ما الشعبوية؟ (الدوحة/ بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2019)، ص 17.

20 Rogers Brubaker, "Paradoxes of Populism during the Pandemic," *Thesis Eleven*, vol. 164, no. 1 (2021), p. 2.

21 Klaus Wahl, *The Radical Right: Biopsychosocial Roots and International Variations* (Cham: Springer International Publishing, 2020), p. 24.

22 Chantal Mouffe, *For a Left Populism* (London/ New York: Verso Books, 2018), p. 82.

مركزية في الدراسات الحديثة عن الشعبوية، رغم أنها لا تخلو من إشكالات متعددة، تبرز بمجرد محاولة فهم نجاح التيارات الشعبوية أو فشلها عبر العالم؛ أي بمجرد محاولة تحديد وزن الشعبوية، بوصفها فكرةً جوهرها التضاد بين الشعب والنخب، في النجاح الانتخابي للشعبيين، مقابل دور العناصر الأيديولوجية الأخرى التي يدفعون بها لاستمالة الناخبين. ومن جهة أخرى، يلاحظ أن الباحثين، وإن اختلفوا حول ماهية الشعبوية، فإنهم، في المقابل، قلما يختلفون في تحديد التيارات والزعامات التي يمكن وضعها ضمن لائحة الشعبويين. بعبارة أخرى، في مقابل ضبابية المفهوم، ثمة شبه إجماع على من يمكن اعتباره شعبويًا⁽²⁴⁾.

ثانياً: أداء الشعبويين في مواجهة جائحة كورونا: محدودية التعميم

رغم أن وصول الشعبويين إلى الحكم ليس ظاهرةً سياسيةً جديدة، فإنه لم يسبق أن حصل أن تزامن هذا الكمّ من الحكومات الشعبوية في الأنظمة الديمقراطية (الشكل 1). ولعل أبرز تجليات ذلك هو انتخاب دونالد ترامب رئيساً للولايات المتحدة الأمريكية في تشرين الثاني/ نوفمبر 2016. فعند إعلان منظمة الصحة العالمية وباء كورونا جائحةً عالمية، كان ما لا يقل عن سبع عشرة ديمقراطية انتخابية في أوروبا والأميركتين وآسيا مُسيّرةً من طرف حكومات شعبية يسارية أو يمينية⁽²⁵⁾، في حين أن عددها لم يكن يتجاوز أربع دول في مطلع تسعينيات القرن الماضي. المنحى التصاعدي للقوة الانتخابية للشعبيين خلال الثلاثين سنة الأخيرة، واتساع المجال الجغرافي لحضورهم القوي، جعل ألكسندر سميث Alexander Smith يصف العصر الذي نعيشه بـ "عصر الشعبوية"⁽²⁶⁾. وفي هذا المناخ السياسي الخاص، ومع بدء الانتشار السريع لفيروس كورونا، ونظراً إلى التحديات التي فرضها ذلك على جميع الحكومات عبر العالم، سارعت بعض التحليلات إلى اعتبار أن الجائحة ستكبح هذا الصعود المطرد

24 يترجم هذا الأمر، في الواقع، تحديات إستيمولوجية ومنهجية حقيقية.

25 يتضمن هذا العدد الحكومات التي يرأسها زعماء شعبيون أو تشارك فيها أحزاب شعبية بوصفها شريكة أساسية في الحكومة. يتعلق الأمر بالولايات المتحدة الأمريكية، وإيطاليا، والمكسيك، ونيكاراغوا، وفنزويلا، والبرازيل، وبيلاروسيا، وبولندا، وجمهورية التشيك، وهنغاريا، وصربيا، وبلغاريا، وتركيا، والهند، وإسرائيل، وسلانكا، والفلبين. ينظر: Brett Meyer, "Populists in Power: Perils and Prospects in 2021," Tony Blair Institute for Global Change (January 2021), accessed on 21/6/2021, at: <https://bit.ly/3dQZ6CQ>

26 Alexander Smith, "Divided Nations: Democracy in an Age of Populism: A Special Collection of Articles for The Sociological Quarterly," *The Sociological Quarterly*, vol. 59, no. 1 (2018), pp. 3-4.

من دون حاجة إلى هيئات وساطة⁽²³⁾ من قبيل المؤسسات التمثيلية. بهذا المعنى، تصير الشعبوية أداةً لتحقيق مكاسب انتخابية من خلال توظيف العناصر التي حدّتها المقاربة التواصلية بوصفها مميزات للنمط التواصلية الشعبوي.

”

النقاش الدائر حول تعريف الشعبوية لم يُحسم بعد. فمن جهة، اكتسبت المقاربة المتعلقة بالأفكار مكانة مركزية في الدراسات الحديثة عن الشعبوية، رغم أنها لا تخلو من إشكالات متعددة، تبرز بمجرد محاولة فهم نجاح التيارات الشعبوية أو فشلها عبر العالم ومن جهة أخرى، يلاحظ أن الباحثين، وإن اختلفوا حول ماهية الشعبوية، فإنهم، في المقابل، قلما يختلفون في تحديد التيارات والزعامات التي يمكن وضعها ضمن لائحة الشعبويين

“

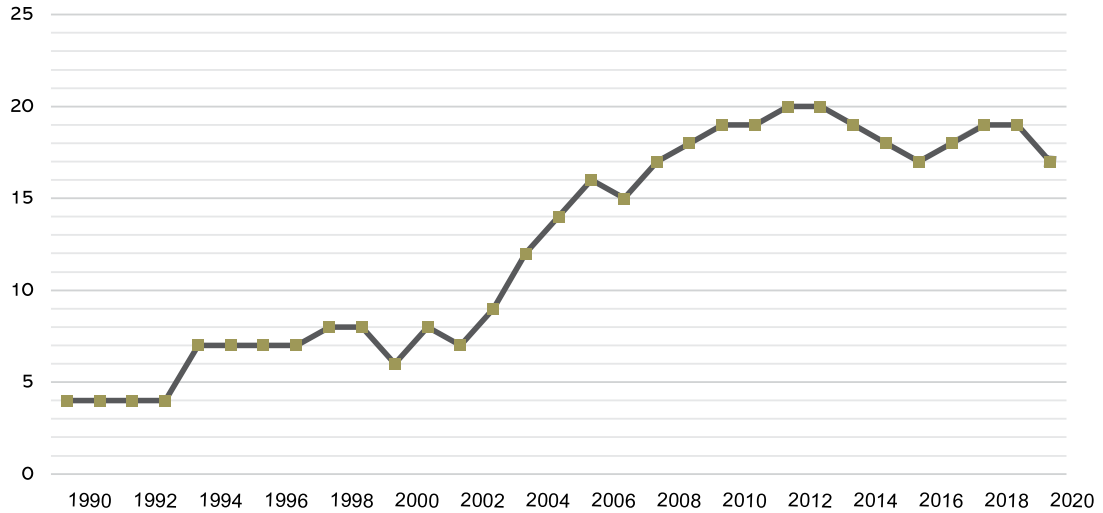
بعبارة أخرى، تتقاطع المقاربة التواصلية والاستراتيجية من حيث تظهورهما في الممارسة السياسية. ففي حين أن الأولى تعتبر العناصر المشار إليها سابقاً مرتبطة بتيارات سياسية معيّنة تميزها من التيارات التقليدية، فإن الثانية لا تستبعد إمكانية استخدام هذه العناصر الخطابية في طرف أي فاعل سياسي بمجرد الوعي بفاعليتها لتحقيق مكاسب سياسية، وخصوصاً دور العواطف في التأثير في التفضيلات الانتخابية للأفراد. أي إن الشعبوية، بوصفها استراتيجية، هي لائحة من الأدوات فحسب، يمكن أي سياسي واعٍ بقدرته على توظيفها أن يقوم بذلك لتحقيق أهدافه. ويدخل في هذا الإطار مجموعة من الزعماء السياسيين الذين لم يُعرّف عنهم بالضرورة أنهم شعبيون، ولكن في مرحلة معيّنة من حكمهم أو في خضمّ سعيهم إلى الحكم عملوا على تجنيد الشعبوية لبلوغ مُناهجهم.

يُستخلص مما سبق أن النقاش الدائر حول تعريف الشعبوية لم يُحسم بعد. فمن جهة، اكتسبت المقاربة المتعلقة بالأفكار مكانة

23 Patrick Tandoh-Offin & Wisdom Kofi Adzakor, "Covid-19 Exposes the Limits of Political Populism and Parochial Nationalism," *Africa Journal of Public Sector Development and Governance*, vol. 3, no. 1 (2020), p. 158.

الشكل (1)

زيادة عدد الدول التي يُسَرِّها زعماء شعبيون في المدة 1990-2020



المصدر:

Jordan Kyle & Brett Meyer, "High Tide? Populism in Power, 1990-2020," Tony Blair Institute for Global Change (February 2020), accessed on 5/7/2021, at: <https://bit.ly/3ywK1hK>

أقلّ الشعبويين إنكاراً لحقيقة الجائحة أنها صنّعة مختبرات صينية لا وليدة طفرة فيروسية ناتجة من انتقال الفيروس من الحيوان إلى الإنسان كما ذهب إلى ذلك المختصون، أي إنها مؤامرة صينية تدخل في إطار صراع النفوذ الدولي بين القوى الكبرى. اعتبر بعض المحللين أن هذا الموقف اللاعقلاني لغالبية الشعبويين تجاه جائحة كورونا، المناقض للحقيقة المادية الملموسة للجائحة التي يراها المواطنون في حياتهم اليومية، سيضرب في الصميم صدقية الشعبويين، وسيضعف - لا محالة - الدعم الانتخابي الذي يحظون به، وخصوصاً إذا أخذنا في الاعتبار أن دولاً، مثل إيطاليا والبرازيل والولايات المتحدة التي تسرّرها حكومات يتحكم فيها شعبيون بدرجات متفاوتة، كانت من أولى الدول التي تُحصي آلاف الوفيات من جراء الجائحة. بعبارة أخرى، إن القائلين بأفول الشعبويين بوصفه أثراً حتمياً لجائحة كورونا، يعتبرون أن الطريقة التي تعامل بها الحكام الشعبويون مع الجائحة، والحصيلة البشرية الكارثية لهذا التعامل، ستكشفان لمن دأبوا على مساندتهم والتصويت لهم عن عدم قدرتهم على تقديم حلٍّ عمليٍّ لهذه الأزمة الحادة التي تواجهها مجتمعاتهم.

رغم أن الموقف القائل بالتضرر الحتمي للشعبوية من جائحة كورونا يبدو جذاباً، فإنه في الحقيقة لا يخلو من التهافت. وتبرز عناصر

للشعبوية، على الأقل، فيما يصطلح عليه بالديمقراطيات الليبرالية، هذا إن لم تكن الجائحة إعلاناً عن تحولٍ تاريخي، سيؤدي إلى أفول نجمها في هذه البلدان. وحتّتهم الرئيسة في ذلك أن جائحة كورونا ستكشف مكامن قصور الشعبوية، الفكرية والتدبيرية.

منذ الإعلان عن ظهور الحالات الأولى للإصابة بفيروس كورونا خارج الصين في كانون الثاني/ يناير 2020⁽²⁷⁾، راوحت مواقف الشعبويين عبر العالم بين إنكار وجوده أو التهوين من خطورته تارة، ومهاجمة خبراء الصحة العامة وتحذيراتهم من الكارثة الوبائية التي سيكون على الإنسانية مواجهتها إذا لم تتحرك الحكومات بسرعة لفرض القيود الصحية اللازمة للحد من انتشاره تارة أخرى. وذهب بعضهم أبعد من ذلك فروّجوا لنظرية المؤامرة، نحو القول إن جائحة كورونا كذبة إعلامية تقف وراءها أجهزة "الدولة العميقة"⁽²⁸⁾. بينما اعتبر

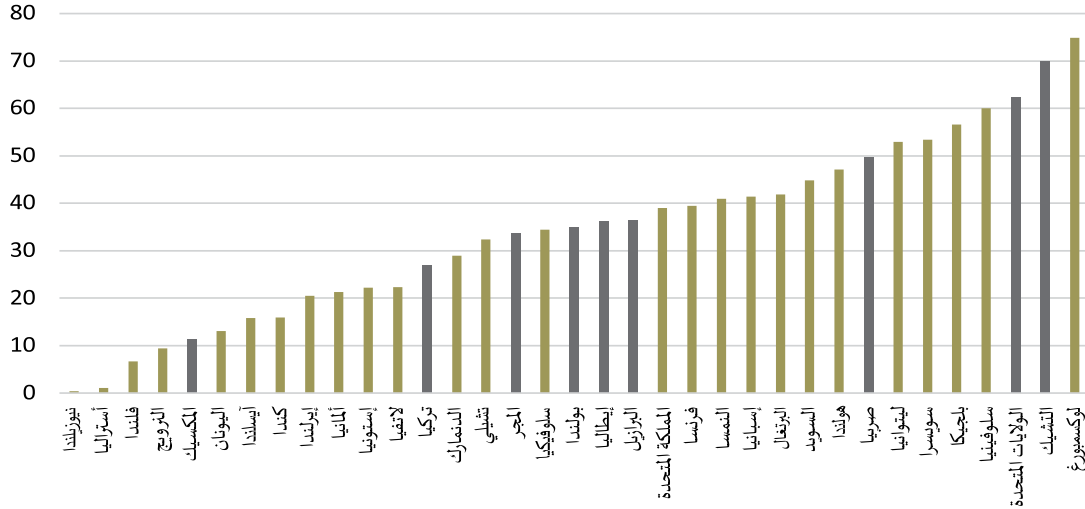
27 تم الإعلان رسمياً عن أول حالة إصابة بفيروس كورونا خارج الصين في 13 كانون الثاني/ يناير 2021، وقد سجلت في تايلند. ينظر:

"Archived: WHO Timeline - COVID-19," World Health Organization, 27/4/2020, accessed on 21/6/2021, at: <https://bit.ly/2T11L5F>

28 Jakob-Moritz Eberla, Robert A. Huber & Esther Greussing, "From Populism to the 'Plandemic': Why populists believe in COVID-19 conspiracies," *Journal of Elections, Public Opinion and Parties*, vol. 31, no. sup. 1 (2021), p. 273.

الشكل (2)

المعدل التراكمي للإصابات بفيروس كورونا لكل ألف نسمة في نهاية سنة 2020



المصدر: من إعداد الباحث اعتماداً على:

"Data on 14-Day Notification Rate on New COVID-19 Cases and Deaths," European Centre for Disease Prevention and Control (2020), accessed on 21/6/2021, at: <https://bit.ly/2TVbomC>

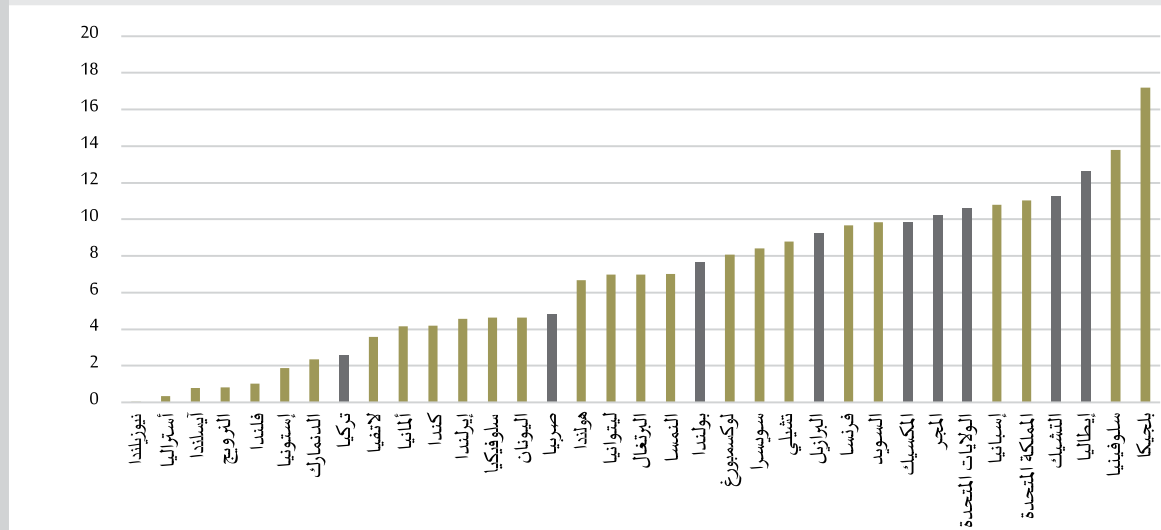
يقدم الشكلان (2) و(3) الحصيلة البشرية لجائحة كورونا في الدول الأعضاء في منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية، إضافة إلى البرازيل⁽²⁹⁾، اعتماداً على مؤشرين، هما: المعدل التراكمي لعدد الإصابات بفيروس كورونا لكل ألف نسمة، والمعدل التراكمي للوفيات لكل عشرة آلاف نسمة حتى نهاية سنة 2020. إن الاقتصار على دول هذه المنظمة، التي تُقدّم عادة على أنها تجمّع للدول الأكثر تقدماً في العالم، تبرره الرغبة في حصر المقارنة بين بلدان لها قدرات اقتصادية متقاربة؛ أي التحكم في مستوى النماء الاقتصادي الذي يمكن أن يكون متغيراً مستقلاً مهماً في تحديد قدرة أي حكومة على التعامل الفعال مع الجائحة. ومن جهة أخرى، تتشابه هذه الدول إجمالاً فيما يخص هرم الأعمار فيها، على اعتبار أن ارتفاع نسبة الشيخوخة يُعتبر من العوامل التفسيرية القوية لارتفاع نسبة الوفيات الناجمة عن جائحة كورونا في كل بلد.

قصور هذا الموقف في ثلاثة مستويات: أولها، أن مجمل التحليلات التي تنبأت بتضرر الشعبوية من جائحة كورونا تنطلق من فكرة أساسها أن الخطاب الشعبوي المنفصم عن الواقع الذي تبناه عدد من الزعامات الشعبوية تجاه الجائحة هو بالضرورة تمظهر لغياب تدابير عملية، أي إنه انطلاقاً من طبيعة الخطاب الذي تبناه، يمكن الحكم على حصيلتهم الفعلية في مواجهة الجائحة. ويؤدي عدم التمييز بين الخطاب والفعل بالضرورة إلى استنتاج أن الحصيلة التديرية للحكومات الشعبوية في مواجهة جائحة كورونا هي بالضرورة كارثية، على اعتبار أن خطاب التهوين من خطورة الجائحة الذي اعتمده الشعبويون يعني بالضرورة عدم التعامل الجدي معها. ويضاف إلى ذلك، أنه حتى في حالة ما إذا توافرت هذه الرغبة، فإن افتقار أغلب القيادات الشعبوية للخبرة السياسية والتديرية سيؤدي إلى النتيجة نفسها. ولكن واقع الحال أن مقارنة إمبيريقية بين حصيلة الحكومات الشعبوية والحكومات غير الشعبوية تبين أن الصورة ليست بهذه البساطة، وأن العلاقة السببية التي تُبنى عليها التنبؤات السالفة الذكر تنقصها الدقة، إن لم نقل إنها مغلوطة تماماً.

29 تم إدماج البرازيل في المقارنة، بوصفها من أكبر القوى الاقتصادية في العالم - وإن لم تكن عضواً في منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية - في حين تم استبعاد كولومبيا من اللائحة؛ لكونها لم تنضم إلى هذه المنظمة إلا سنة 2020، علماً أن عدم إضافة الصين يرجع إلى الطبيعة غير الديمقراطية لنظامها السياسي، عكس كل الدول الواردة في المقارنة التي رغم اختلافها في مؤشر الديمقراطية، فإن حكوماتها منتخبة شعبياً.

الشكل (3)

المعدل التراكمي للوفيات الناتجة من فيروس كورونا لكل عشرة آلاف نسمة في نهاية 2020



المصدر: المرجع نفسه.

تُسيّرها حكومات شعبية (إيطاليا، والتشيك، والولايات المتحدة، وهنغاريا، والمكسيك) والدول التي تُسيّرها حكومات غير شعبية (بلجيكا وسلوفينيا والمملكة المتحدة وإسبانيا والسويد).

بل أبعد من ذلك، إنّ الدولتين اللتين سجّلتا أكبر معدل تراكمي للوفيات مع نهاية عام 2020 من بين دول منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية، أي لوكسمبورغ وبلجيكا، لا تُسيّرهما أيّ حكومة شعبية. وتبيّن هذه المعطيات أن الارتباط السببي بين الطبيعة الشعبية للحكومة والفشل في تدبير جائحة كورونا، على الأقل فيما يتعلق بحصيلتها البشرية، إن لم يكن مغلوّطاً، ليس بذلك الترابط القوي أو التلقائي، بل من المحتمل أن تكون ثمة متغيرات مستقلة أخرى لها قوة تفسيرية أكبر من الطبيعة الشعبية أو غير الشعبية للحكومة الماسكة بزمام الأمور خلال تفشي الجائحة. أكثر من ذلك، حتى بعض الباحثين الذين دافعوا عن وجود مثل هذا الارتباط السببي، أقرّوا بضعفه⁽³¹⁾.

عنصر القصور الثاني الذي يغلب على التحليلات القائلة بالتأثير السلبي لجائحة كورونا في الشعبية هو مقارنة الشعبويين بوصفهم وحدة أيديولوجية منسجمة ومتسقة سلوكياً. بعبارة أخرى، عدم

تشير الأعمدة في الشكلين (2) و(3) باللون الأسود إلى الدول التي تُسيّرها حكومات شعبية، في حين تشير الأعمدة باللون الأخضر⁽³⁰⁾ إلى الدول التي تُسيّرها حكومات تقليدية (غير شعبية).

يتبين من خلال تحليل المعطيات الواردة في الشكلين أنه من الصعب الجزم بأن الدول التي تُسيّرها حكومات شعبية كانت لها، بالضرورة، حصيلة أكثر سلبية في مواجهة الجائحة مقارنةً بالدول التي تُسيّرها حكومات غير شعبية. فمثلاً، فيما يخص المعدل التراكمي لعدد الإصابات بفيروس كورونا، نلاحظ أنّ من بين الدول التي تحتل المراتب الخمس عشرة الأولى دولتين فحسب تُسيّرهما حكومتان شعبيتان؛ هما، على التوالي، جمهورية التشيك في أوروبا، والولايات المتحدة في أميركا الشمالية. في حين أن المعدل التراكمي للوفيات مع نهاية عام 2020 يبرز أن قائمة الدول العشر الأولى، ذات الحصيلة البشرية الأسوأ نتيجة الجائحة، مقسمة بالتساوي بين الدول التي

30 كما ورد في المحور الأول من الدراسة، رغم أن مسألة تعريف الشعبية موضوع نقاش كبير بين المختصين، فإنه عندما يتعلق الأمر بتحديد الفرقاء السياسيين الذين يقعون تحت خانة الشعبية، يؤول الخبراء إلى نوع من الإجماع. اعتمدنا في هذه الدراسة تصنيف كاي و ماير الذي لا يصنف رئيس الحكومة البريطاني بورييس جونسون ضمن لائحة الحكام الشعبويين، وهو التوجه الغالب لدى الدارسين للشعبوية الذي نعتبره صائباً. ينظر:

Jordan Kyle & Brett Meyer, "High Tide? Populism in Power, 1990-2020," Tony Blair Institute for Global Change (February 2020), accessed on 5/7/2021, at: <https://bit.ly/3ywK1hK>

31 Kerim Can Kavakli, "Did Populist Leaders Respond to the COVID-19 Pandemic More Slowly? Evidence from a Global Sample," *Working Paper* (June 2020), p. 2, accessed on 5/7/2021, at: <https://bit.ly/3xpzCE7>

أما عنصر القصور الثالث الذي تعانیه التنبؤات بنهاية الشعبوية بوصفه نتيجةً حتميةً لجائحة كورونا، فهو عدم التمييز بين الشعبويين في السلطة والشعبويين في المعارضة. وستكون أي محاولة لتحديد معالم تعامل الشعبويين مع الجائحة لا تأخذ في الاعتبار هذا العنصر، بالضرورة، تبسيطية. فمن ناحية، الديناميات التي تحكم مواقف أي إطار حزبي حول القضايا العامة تتأثر بمحله في اللعبة السياسية، وخصوصاً موقعه في السلطة: ماسك بها، أو مساند لها، أو معارض لها. ومن ناحية أخرى، ليس ثمة أي سبب، على الأقل نظرياً، يدعو إلى اعتبار أن عمل الأحزاب الشعبوية داخل المنظومة السياسية لنظام ديمقراطي تحكمه ديناميات مغايرة لتلك التي تحكم عمل الأحزاب الأخرى. وانطلاقاً من هذا، من البديهي أن يتوقع المرء وجود نوع من الاختلاف بين الطريقة التي تتجارب بها شعوبية السلطة مع الجائحة، والمواقف التي تبناها الشعبويون القابعون في مواقع المعارضة، بغض النظر عن الوزن السياسي لهذه المعارضة الشعبوية الذي يمكن أن يختلف من بلد إلى آخر؛ فالصنف الأول من الشعبويين، أولئك الماسكون بزمام الحكم في دولهم، وجب أن يتعاملوا مع الجائحة باتخاذ قرارات عملية لها تأثير مباشر في حياة المواطنين، بهدف الحد من أثارها الصحية والاقتصادية والاجتماعية، وإن في بعض الحالات على نحو متأخر، مقارنةً بما جرى في دول أخرى. في حين أنه يسهل على الصنف الثاني، المتكون من الشعبويين المعارضين لحكومات بلدانهم، تبني خطاب الإنكار أو التهوين، وحتى المؤامرة في مواجهة الجائحة، من دون الخوف من أي تبعات سياسية أو انتخابية. فموقعهم في المعارضة يجعلهم غير مطالبين بالتعامل اليومي مع الجائحة أو بتحقيق التغيير الفوري الذي يُنتظر من الحاملين للمسؤولية، أي الحكومة، على اعتبار أن منطق الممارسة السياسية في الديمقراطيات الانتخابية يقتضي أن الفرقاء السياسيين يحركهم هاجس البقاء في السلطة؛ ما يدفعهم، في كثير من الأحيان، إلى اتخاذ قرارات مغايرة لقناعاتهم الفكرية والشخصية ما دامت هذه القرارات مطلباً مجتمعياً يمكن أن يضمن لهم المحافظة على شعبيتهم، فقلماً يمكن لحكام انثخوبوا ديمقراطياً أن يتجاهلوا هذه الخاصية النازمة للديمقراطيات. إن أخذ عنصر الاختلاف هذا في الاعتبار هو ما يمثل، في اعتقادنا، مدخلاً لفهم السؤال: لماذا كانت استطلاعات الرأي، بحلول منتصف عام 2020، أي بعد مرور نحو ستة أشهر على بدء تفشي الجائحة، تشير إلى أن شعبية كثير من الحكام الشعبويين عبر العالم - باستثناء الرئيس البرازيلي غاير بولسونارو - ازدادت بنسب متفاوتة، مثل ترامب في الولايات المتحدة

الأخذ في الاعتبار التنوع الذي يميز الشعبويين على الأقل فيما يتعلق بمسألتين جوهريتين لهما تأثير حاسم فيما يتعلق بتدبير الجائحة: الموقف من الخبرة العلمية، ومسألة الحرية الفردية. فقد أثبتت دراسات عديدة في الولايات المتحدة أن القاعدة الانتخابية اليمينية للحزب الجمهوري التي هي الحاضنة الشعبية لترامب تتميز بمستوى عالٍ من الارتياح وعدم الثقة بالعلم والخبرة العلمية، وخصوصاً تلك المتعلقة بالصحة والبيئة. وقد بينت الدراسات نفسها أن الأشخاص ذوي الميول اليسارية أو الليبرالية لديهم مستوى أعلى من الثقة بالعلم وآراء الخبراء⁽³²⁾. ويترب على هذا الأمر أن الثقة برأي الخبراء القائلين بوجود الجائحة بصفتها حقيقة علمية، وبشرعية الإجراءات التي يقترحونها للتعامل معها، مرتبطة بالقناعات الأيديولوجية المزوجة للأفكار الشعبوية، وخصوصاً إذا ترتب على هذه التدابير القائمة على الحجج العلمية إجراءات تحد من الحريات الفردية، مثل حرية التنقل. فموقف الأفراد من هذه القضية غالباً ما يكون ذا خلفية أيديولوجية بلا منازع، وذلك لارتباطها بمسألة حدود سلطة الدولة. فاليمينيون الشعبويون الليبراليون، مثل ترامب وقاعدته الانتخابية، يقدسون الحرية الفردية، وهم في سعي دائم للحد من تدخل الدولة في الحياة الفردية، في حين أن غالبية اليمينيين الشعبويين في أوروبا، مثل رئيس الوزراء الهنغاري فيكتور أوربان Viktor Orbán وحزب القانون والعدل الحاكم في بولندا، هم من أنصار الدولة القوية، ومن المحترقين للحريات الفردية التي يعتبرونها مظهراً للقيم الليبرالية المنحطة لمجتمعات غرب أوروبا. فمثلاً، منذ بداية الجائحة، جنح أوربان إلى تقوية سطوته الأمنية على البلاد⁽³³⁾، الأمر الذي كان متوقعاً على اعتبار أن كثيراً من الدراسات السابقة حول طريقة تدبير الحكومات للأوبئة أظهرت تفضيل الأنظمة السلطوية للإجراءات الردعية، مثل الحجر أو حتى الاعتقال، في حين أن الأنظمة الليبرالية تفضل إجراءات من قبيل الحث على احترام التدابير الصحية⁽³⁴⁾. خلاصة القول، من يسمون الشعبويين هم تيارات مختلفة، وهذه الاختلافات تجعل بالضرورة أي تعميم مرتبط بأثر الجائحة في المستقبل السياسي للشعبوية محاولةً يجب أن يحكمها قدر كبير من الحذر المعرفي.

32 Laurence C. Hamilton, "Conservative and Liberal Views of Science: Does Trust Depend on Topic?" Carsey School of Public Policy, University of New Hampshire, *Regional Issue Brief*, no. 45 (2015), pp. 1-10.

33 حول هذا الموضوع ينظر: Elisabeth Zerofsky, "How Viktor Orbán Used the Coronavirus to Seize More Power," *The New Yorker*, 9/4/2020, accessed on 21/6/2021, at: <https://bit.ly/3hBDJ9q>

34 Zylberman, p. 37.

انطلاقاً من هذا، نحرص في المحور الثالث على الوقوف على حالة دونالد ترامب، باعتباره "النموذج المثالي" (بالمعنى الفيبري للمصطلح) للحكام الشعبويين في الديمقراطيات الليبرالية خلال العقد الماضي الذي صادف انطلاق الجائحة مع فترة حكمه، ووجب أن يتعامل معها طوال السنة الأخيرة من فترته الرئاسية.

ثالثاً: ترامب وجائحة كورونا: ما بين التدابير الاعتيادية وخصوصية الخطاب

شاءت المصادفات أن تتزامن أكبر جائحة صحية تعرفها الإنسانية خلال السنوات المئة الأخيرة مع فترة رئاسة دونالد ترامب، الرئيس الخامس والأربعين للولايات المتحدة الذي يصعب أن يختلف اثنان على كونه يدخل في خانة الرؤساء الأميركيين الأكثر إثارة للجدل الذين عرفهم هذا البلد⁽³⁶⁾. ولكن رغم الجدل الذي أثارته رئاسته، أو بالأحرى، شخصيته الفريدة من نوعها، فإنه لا يمكن القول إن التدابير التي اتخذتها إدارته للتعامل مع جائحة كورونا تميزت بخصوصية معينة. وحتنا في ذلك مبنية على تتبع الخط الزمني لزمرة القرارات التي اعتمدها الحكومة الأميركية خلال الأشهر الأولى من الجائحة، وخصوصاً إذا ما قورنت بالإجراءات التي اعتمدها حكومات تقليدية في ديمقراطيات مشابهة، ذات نظام فدرالي تقسم فيه الحكومة الاتحادية وحكومة الولايات المسؤولين التدبيرية.

36 على عكس الاعتقاد الشائع، فإن ترامب ليس أول رئيس شعبي للولايات المتحدة، ولا الشعبوية هي ظاهرة سياسية مستجدة في هذا البلد. وبرزت أولى مظهرات الشعبوية في أميركا، بوصفها قوة سياسية وازنة، منذ العقد الثالث من القرن التاسع عشر؛ إذ يعتبر كل من الرئيس الأميركي السابع أندرو جاكسون (1829-1837) وحزب الشعب المثاليين التقليديين على التنازل التاريخي للشعبوية في الولايات المتحدة. فالأول، الذي انتخب خلال ولايتين رئاسيتين متتاليتين - والذي علّق ترامب صورة له في المكتب البيضاوي - يقدّم على أنه الأب الروحي للخطاب المعادي للحكومة الفدرالية ومؤسساتها، والذي بات متجذراً في أوساط قواعد اليمين الأميركي. ويعتبر جاكسون أيضاً أول من بنى أسلوب الحملات الانتخابية الموجهة إلى العامة. ينظر: Walter Russell Mead, "The Tea Party and American Foreign Policy: What Populism Means for Globalism," *Foreign Affairs*, vol. 90, no. 2 (2011), p. 33. كما يعتبر جاكسون المدافع الشرس عن مبدأ سمو "السيادة الشعبية" في الديمقراطية الأميركية إلى حدّ لم يسبقه إليه أحد من الرؤساء قبله. ينظر:

Sean Wilentz, *Andrew Jackson: The American Presidents Series: The 7th President, 1829-1837* (New York: MacMillan, 2007), p. 11.

أما حزب الشعب، فهو المنهل التاريخي للشعبوية اليسارية في أميركا. ففي أواخر القرن التاسع عشر، تمكن حزب الشعب من تجييش العمال والفلاحين حول مطالب اقتصادية، محققاً بذلك انتصارات انتخابية ذات أهمية، ثمّ أقلّ نجمه في بضع سنوات. ينظر:

Joseph Lowndes, "Populism in the United States," in: Rovira Kaltwasser et al. (eds.), *The Oxford Handbook of Populism* (Oxford: Oxford University Press, 2017), p. 233.

وناريندرا مودي Narendra Modi (2014-) في الهند، وأوربان في هنغاريا؟⁽³⁵⁾

”

أي محاولة للخروج باستنتاجات عامة حول "المصير المحتوم" الذي ستواجهه الشعبوية من جراء تفشي جائحة كورونا، ستكون لا محالة ذات محدودية كبيرة، إن لم نقل خاطئة بالجملة؛ لعدم أخذها في الاعتبار التعدد الذي يميز الشعبويين حول العالم؛ من حيث التعدد في توجهاتهم الأيديولوجية، واختلاف في وزنهم داخل النظام السياسي لبلدانهم، وتباين في القدرة الفعلية على التأثير في قرارات الدولة، وتفاوت في حجم الإكراهات المرتبطة بالممارسة الفعلية للسلطة والناجمة عن مستوى الضغط الشعبي الذي يتعين على الحكام مواجهته

”

مما تقدم، يمكن الوصول إلى خلاصة مفادها أن أيّ محاولة للخروج باستنتاجات عامة حول "المصير المحتوم" الذي ستواجهه الشعبوية من جراء تفشي جائحة كورونا، ستكون لا محالة ذات محدودية كبيرة، إن لم نقل خاطئة بالجملة؛ لعدم أخذها في الاعتبار التعدد الذي يميز الشعبويين حول العالم؛ من حيث التعدد في توجهاتهم الأيديولوجية، واختلاف في وزنهم داخل النظام السياسي لبلدانهم، وتباين في القدرة الفعلية على التأثير في قرارات الدولة، وتفاوت في حجم الإكراهات المرتبطة بالممارسة الفعلية للسلطة والناجمة عن مستوى الضغط الشعبي الذي يتعين على الحكام مواجهته. وفي الحيلة، فالأولى بأيّ بحث يسعى إلى الوقوف على ما يميز الشعبوية من غيرها من التيارات السياسية في زمن جائحة كورونا أن يركّز على دراسة حالة معينة للشعبوية، بعيداً عن أيّ ادعاءات تعميمية.

35 Michael Bayerlein & Győző Gyöngyösi, "The Impact of COVID-19 on Populism: Will It Be Weakened?" in: Felbermayr (ed.), p. 91.

1. تمظهرات اعتيادية القرارات لدى حكومة ترامب

عقب تزايد عدد الإصابات الناتجة من فيروس كورونا، أعلن ترامب حالة الطوارئ الوطنية في 13 آذار/ مارس 2020 بعد أن كانت الولايات المتحدة قد سجلت أولى الوفيات الناجمة عن الإصابة بفيروس كورونا في 29 شباط/ فبراير. وقد مكن هذا القرار من توجيه مليارات الدولارات لمواجهة الجائحة، وترتب عليه توسيع حظر ولوج الأراضي الأمريكية، ليشمل مواطني ستة وعشرين بلداً أوروبياً؛ فقد أصبحت أوروبا بحلول شباط/ فبراير 2020 أهم بؤرة عالمية للوباء بعد أن تربعت عدة دول، مثل إيطاليا وبعدها إسبانيا، على رأس قائمة الدول الأكثر تسجيلاً للإصابات والوفيات في العالم.

بحلول 17 آذار/ مارس، طلب ترامب من الكونغرس بدء صرف المنح المالية لمساعدة الأمريكيين المتضررين اقتصادياً من الجائحة. وفي اليوم التالي، حثّ ترامب مواطنيه على تجنب التجمعات التي يفوق عددها عشرة أشخاص، وتلا ذلك توقيعه على "قانون المساعدة والإغاثة والأمن الاقتصادي لمواجهة فيروس كورونا" Coronavirus Aid, Relief, and Economic Security Act (CARES) في 27 آذار/ مارس. ومع توالي تفاقم الجائحة، وحين بدأ يتأكد أن الطريق الوحيدة للقضاء على الجائحة نهائياً لن تكون إلا عن طريق التلقيح، شكّلت إدارة ترامب في 15 أيار/ مايو 2020 فريقاً خاصاً للسهر على تسريع عملية تطوير لقاح مضاد لفيروس كورونا وإنتاجه وتوزيعه⁽⁴⁰⁾. وقد وضع ترامب لهذا الفريق هدف البدء في تلقيح الأمريكيين مع مطلع سنة 2021؛ وهو ما تحقق فعلاً؛ إذ إنّ عمليات التلقيح الواسعة النطاق بدأت قبل ذلك في الولايات المتحدة بحلول كانون الأول/ ديسمبر 2020⁽⁴¹⁾.

إن التدابير والإجراءات العملية التي اتخذتها حكومة ترامب الشعبي لا تختلف في حقيقة الأمر عن تلك التي اتخذتها حكومات غير شعبية في ديمقراطيات غربية أخرى؛ لا من حيث طبيعتها، ولا من حيث الحيز الزمني الذي اتخذت فيه. فكما يبين الجدول (1)، الذي يلخص أهم القرارات التي اتخذتها حكومة ترامب خلال الأشهر الثلاثة الأولى من سنة 2020، مقارنة بتلك المعتمدة من طرف حكومتَي كندا وأستراليا الفدراليتين، يصعب الجزم أن الطبيعة الشعبية لإدارة ترامب قد أدت إلى اختلاف ضمني، أو تلقائي في نوع القرارات التي جرى تفضيلها عند بروز الجائحة. بل أكثر من ذلك، كانت الولايات المتحدة سباقة إلى إغلاق حدودها في وجه غير

بعد مرور عشرة أيام فقط على إعلان السلطات الصينية عن أول وفاة من جراء فيروس كورونا في 11 كانون الثاني/ يناير 2020، سجلت الولايات المتحدة أول حالة إصابة بفيروس كورونا في 21 من الشهر نفسه، لمواطن أميركي مقيم في ولاية واشنطن، على الساحل الغربي للبلاد، كان قادماً من مدينة ووهان الصينية من حيث بدأ الوباء في الانتشار انطلاقاً من خريف 2019. وفي اليوم نفسه، ظهر ترامب على وسائل الإعلام مصرحاً بأنها حالة واحدة فحسب، وأن الوضع الوبائي في البلاد تحت السيطرة. وبعد أسبوع فقط من ذلك، أي في 29 كانون الثاني/ يناير، عيّن ترامب ما سمي "فريق عمل البيت الأبيض لمواجهة فيروس كورونا" The White House Coronavirus Task Force الذي حُددت مسؤوليته في التعامل مع الأزمة. ووضع على رأس هذا الفريق كاتب الدولة للصحة أليكس عازار Alex Azar وعيّن فيه أحد أكبر الخبراء الأمريكيين المختصين في الأمراض المعدية الذي يحظى باحترام كبير في الأوساط العلمية والسياسية الأمريكية، العالم أنطوني فاوتشي Anthony Fauci. وفي 31 كانون الثاني/ يناير، أي في الشهر نفسه الذي ظهرت فيه أول إصابة بفيروس كورونا داخل التراب الأميركي، وفي حين لم يتجاوز عدد الإصابات المسجلة رسمياً ست حالات⁽³⁷⁾، تمّ فرض حالة الطوارئ الصحية وحظر دخول الأجانب جميعاً الذين زاروا الصين خلال الأربعة عشر يوماً الأخيرة، وإلزام كل المواطنين الأمريكيين والمقيمين القادمين من ولاية ووهان الصينية بالعزل الصحي مدة أسبوعين.

كان هذا القرار، الذي أعلنه ترامب شخصياً، الأول من نوعه خلال الخمسين سنة الأخيرة⁽³⁸⁾، وتزامن مع قرارات مشابهة اتخذتها دول تُسبّر حكومات تقليدية، مثل أستراليا وألمانيا، كما أن حالة الطوارئ الصحية Public Health Emergency دخلت حيز التنفيذ في البلاد في 3 شباط/ فبراير 2020، أي بعد ثلاثة أيام فقط من إعلان منظمة الصحة العالمية حالة الطوارئ الصحية العالمية⁽³⁹⁾.

37 DC Health Department, "Update and Interim Guidance on Novel Coronavirus (2019-Cov) Outbreak," Government of District of Columbia, 31/1/2020, accessed on 21/6/2021, at: <https://bit.ly/36k5PkW>

38 David Jackson, "Trump Administration Declares Coronavirus Emergency, Orders First Quarantine in 50 Year," USA Today, 31/1/2020, accessed on 21/6/2021, at: <https://bit.ly/3wL1Nx7>

39 حول التدابير التي اتخذتها إدارة الرئيس ترامب للتعامل مع الجائحة، ينظر: "تعامل ترامب مع جائحة فيروس كورونا المستجد وتأثيرها المحتمل في حظوظه الانتخابية"، تقرير موقوف، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، وحدة الدراسات السياسية، 2020/3/23، <https://bit.ly/3wRUzY3>، في: 2021/7/5، شوهد في

40 "Trump Administration Announces Framework and Leadership for 'Operation Warp Speed'," Health and Human Services, 15/5/2020, accessed on 21/6/2021, at: <https://bit.ly/3wRSPOK>

41 "Covid-19: First Vaccine Given in US as Roll-out Begins," BBC, 14/12/2020, accessed on 21/6/2021, at: <https://bbc.in/3qop59B>

2. تدبير الجائحة بين حكومة ترامب الفدرالية وحكام الولايات

إن طبيعة النظام الفدرالي الأمريكي هي بمنزلة عنصر إضافي يدفع إلى التريث قبل الخروج بأي استنتاجات حول وجود علاقة سببية بين الطبيعة الشعبوية للإدارة الأمريكية، خلال فترة حكم ترامب، والحصيلة البشرية التي خلّفتها الجائحة في هذا البلد. فبحسب أغنيو، يعتبر حكام الولايات الأمريكية الخمسون أصحاب القرار الفعليين في قضايا الصحة العامة، وفرض الحجر الصحي المحلي والإغلاق، وفرض ارتداء الأقنعة، إلى غير ذلك من التدابير الصحية. وتتنحصر قدرة الحكومة الاتحادية على فرض مثل هذه التدابير عملياً في الأشخاص والواجين إلى التراب الأمريكي عبر المنافذ الحدودية، أو الموجودين داخل المؤسسات الحكومية الفدرالية، أو الأراضي الخاضعة للسلطة الفدرالية، مثل المحميات الوطنية؛ بمعنى أن الرئيس الأمريكي يمكن أن يُصدر قراراً تنفيذياً يلزم كل شخص يعمل أو يريد الولوج إلى بناية تابعة لسلطة الحكومة الفدرالية ارتداء الكمامات أو التزام قواعد التباعد الاجتماعي، ولكن هذا الشخص غير ملزم بقرارات الرئيس فور خروجه من المبنى الفدرالي إذا كانت حكومة الولاية التي يقع فيها ذلك المبنى لا تفرض هذا الإجراء في الفضاء العام. هذا العنصر هو الذي يفسر التباين الكبير في الإجراءات بين الولايات التي يُسيّرّها حكام

مواطنيها، رغم أن أولى الحالات سُجّلت تقريباً في الأسبوع نفسه في الدول الثلاث.

ومن دون الذهاب إلى حدّ ادعاء أن الاستنتاجات التي وصل إليها ماكي [وأخرون]، التي مفادها أن "الحكومات التي يرأسها زعماء شعبيون كانت تدابيرها لمواجهة جائحة كورونا أقل قوة من تلك التي اتخذتها الحكومات غير الشعبوية"⁽⁴²⁾، يمكن القول إن ما قدّمناه يحدّد من قوة التعميم الذي جنحوا إليه حول وجود اختلاف جوهري في تعامل الحكومات الشعبوية مع جائحة كورونا في مقابل الحكومات التقليدية. ففي كثير من الحالات كانت "استجابة بعض الزعماء الشعبويين للأزمات جدّ فعالة"⁽⁴³⁾ مقارنة بعدد كبير من حكومات غير شعبية فيما يسمى الديمقراطيات العريقة. فمثلاً، يكفي ذكر الخيارات غير التقليدية في الأشهر الأولى للجائحة التي اتبعتها الحكومة السويدية المكونة من تحالف يهيمن عليه الحزب الاجتماعي الديمقراطي، والتي فضلت استراتيجية تسمح بانتشار المرض بين مواطنيها قصد الوصول إلى المناعة الجماعية، أو ما يعرف بـ "مناعة القطيع". وقد تبينت محدودية هذا الخيار مع توالي الشهور، لما كان له من تكلفة بشرية على مستوى عدد الوفيات؛ ما اضطرّها في النهاية إلى اعتماد التدابير الاعتيادية نفسها التي لجأت إليها غالبية الدول الأوروبية الأخرى منذ بداية الجائحة.

(الجدول 1)

مقارنة الخط الزمني للتدابير المتخذة لمواجهة جائحة كورونا في كندا وأستراليا في مقابل الولايات المتحدة

الحدث	الولايات المتحدة	كندا	أستراليا
الإعلان عن أول حالة	21 كانون الثاني/يناير 2020	27 كانون الثاني/يناير 2020	25 كانون الثاني/يناير 2020
تشكيل لجنة حكومية خاصة	29 كانون الثاني/يناير 2020	4 آذار/مارس 2020	13 آذار/مارس 2020
حظر دخول الأجانب	31 كانون الثاني/يناير 2020	16 آذار/مارس 2020	20 آذار/مارس 2020
فرض العزل الصحي على المسافرين	31 كانون الثاني/يناير 2020	25 آذار/مارس 2020	27 آذار/مارس 2020
إعلان حالة الطوارئ الصحية	كانون الثاني/يناير 2020	25 آذار/مارس 2020	18 آذار/مارس 2020
تسجيل أول وفاة	29 شباط/فبراير 2020	8 آذار/مارس 2020	1 آذار/مارس 2020

المصدر: من إعداد الباحث اعتماداً على ما يلي:

"First Travel-Related Case of 2019 Novel Coronavirus Detected in United States," Centers for Disease Control and Prevention, 22/1/2020, accessed on 21/6/2021, at: <https://bit.ly/3hp0dny>; "Prime Minister Creates Committee on COVID-19," Prime Minister of Canada, 4/3/2020, accessed on 22/6/2021, at: <https://bit.ly/3hp7aNf>; Stephen Duckett & Anika Stobart, "Australia's COVID-19 Response: The Story So Far," Grattan Institute, 11/6/2020, accessed on 22/6/2021, at: <https://bit.ly/3zjFU3f>; Rebecca Storen & Nikki Corrigan, "COVID-19: A Chronology of State and Territory Government Announcements," *Research Papers 2020-2021*, Parliament of Australia, 22/10/2020, accessed on 22/6/2021, at: <https://bit.ly/3gLKRRRE>; "A Timeline of Canada-19 in Canada," *The National Post*, 24/1/2021, accessed on 23/6/2021, at: <https://bit.ly/2Skbt9c>

42 McKee et al. (eds.), p. 9.

43 Mir Mohd Mustafa Shahjhan, "COVID-19: Global Implications and Response," *International Journal of Research and Analytical Reviews*, vol. 7, no. 2 (2020), pp. 156-157.

كورونا "شيء قاتل"، وبعدها بثلاثة أيام فقط، يسوق لفرضية مفادها أن الفيروس سيختفي من تلقاء نفسه، لأن الحرارة ستقضي عليه⁽⁴⁷⁾.

وفي 26 شباط/ فبراير 2020، وصف ترامب فيروس كورونا بأنه "عبارة عن زكام؛ [...] مجرد زكام"⁽⁴⁸⁾، واستطرد بعدها بيوم بالقول: "إنه سيختفي. في يوم من الأيام، سيختفي، مثل المعجزة". ومع مطلع آذار/ مارس، أعرب عن شكّه في قدرة أيّ لقاح على القضاء على الفيروس، قبل أن يُنشئ لجنة للعمل على مواجهته. وبعدها بيومين إذا به يصرح بأنّ وضعية المصابين بالفيروس، في كثير من الحالات، ستتحسن بمجرد العودة إلى وظائفهم، قبل أن ينكر في 5 آذار/ مارس أنه قال مثل ذلك أصلاً! هوس الرجل بصحة الاقتصاد الأمريكي، ومسألة توفير الوظائف - وهي المفتاح لإعادة انتخاب أيّ رئيس أمريكي - لم يتغيرا مع تفشي الجائحة؛ ما الذي جعل بعضهم يتهمه بكونه "أكثر اهتماماً بالأنشطة الاقتصادية من اهتمامه [بالحفاظ] على الأرواح"⁽⁴⁹⁾.

سواء كان ذلك صحيحاً أم لا، حقيقة الأمر أن المتتبع لتصريحات ترامب لا يمكن إلا أن يقف على قدرة الرجل على الجمع بين التناقضات. هذا الأمر لم يكن خاصاً بفترة الجائحة، بل يُعتبر من سمات فترة حكمه، ومن السمات المميزة لترامب بوصفه زعيماً شعبوياً. يضاف إلى هذا تزامن الجائحة مع فترة الحملة الانتخابية في الانتخابات الرئاسية الأمريكية، وهو ما جعل بعضهم يعيب عليه أنه أمام "أكبر تحدٍّ يواجهه رئيساً أمريكياً خلال جيل من الزمن [...] ظل مركزاً على إعادة انتخابه في تشرين الثاني/ نوفمبر 2020، بدلاً من التعامل مع الأزمة التي بين يديه"⁽⁵⁰⁾.

وبناءً عليه، إذا كان ثمة شيء يميز إدارة ترامب في زمن جائحة كورونا، فهو وجود عناصر خطاب خاصة، وهي نوعان: أولهما، "الخطاب المنفصم"، وهو الذي وقفنا عليه في الفقرات السابقة، متمثلاً بالقدرة على الجمع بين التصريحات المتعارضة والتدابير العملية الاعتيادية. ولا يمكن فهم هذا الخطاب من دون الأخذ في الاعتبار "الطبيعة الفريدة" لشخصيته، وكون الجائحة صادفت عام الانتخابات الرئاسية، وسعيه منذ الأيام الأولى للجمع بين قبعة الرئيس التي أوجبت أن يتخذ الإجراءات العقلانية اللازمة لمواجهة الجائحة، وقبعة المرشح الرئاسي الذي يبعث الرسائل لقواعده الانتخابية التي يُعدُّ أكثرها من

جمهوريون من جهة، الذين مالوا إلى عدم فرض التدابير الاحتياطية، والحكام الديمقراطيون، من جهة أخرى، الذين جنحوا إلى فرض مثل تلك التدابير واتهمهم في ذلك خصومهم السياسيون "باستغلال أو خلق أزمة جائحة كورونا لتوسيع سلطات الولاية وتجميد الحقوق وتعميم المراقبة بطريقة غير شرعية"⁽⁴⁴⁾ على المواطنين، على نحو يتعارض مع الثقافة السياسية الأميركية التي تمجّد الحريات الفردية، وتتوجس من أيّ تغوّل لسلطة الدولة. صحيح أن أشد الانتقادات التي وُجّهت إلى الحكومة الفدرالية الأميركية على هذا المستوى هي غياب رؤية استراتيجية واضحة للتعامل مع الجائحة على المستوى الوطني، وعدم توفير الدعم المالي المحلي الكافي للولايات والمقاطعات لتمكينها من مواجهة الجائحة كما يجب⁽⁴⁵⁾، ولكن هذا لا يكفي في نظرنا لاستنتاج أن هذا التهاون، أو التحفظ المالي، مرتبط بالطبيعة الشعبوية لإدارة ترامب. فالرئيس الأمريكي وأعضاء حكومته هم أيضاً من أنصار الليبرالية الاقتصادية التي يعتمدها الحزب الجمهوري، والتي تعتبر الإنفاق الحكومي على القطاعات الاجتماعية، وخصوصاً الصحة، مسؤوليةً فردية لا حكومية.

لكن هل يعني عدم اختلاف التدابير العملية التي اتخذتها إدارة ترامب للتعامل مع الجائحة عن تلك التي اتخذتها حكومات غير شعبية، وصعوبة اعتبار إدارته المسؤولة الوحيدة عن تدبير الجائحة، أنه لم يكن ثمة أيّ خصوصية في المقاربة "الترامبية" للجائحة؟ الحقيقة أننا نجد في مقابل اعتيادية الإجراءات المتبعة من طرف الحكومة الأميركية الرئيس ترامب قد تميّز بخطاب منفصم في كثير من الأحيان عن الواقع، أو بصورة أدق، بخطاب مفعم بالتناقضات على طريقتة المعتادة بين الحقيقة والزيغ⁽⁴⁶⁾. فمنذ الأيام الأولى للجائحة، وترامب ينتقل بين تصريح رسمي يدعو فيه الأميركيين إلى الالتزام بالإجراءات الاحترازية، كما أشرنا إلى ذلك سابقاً، وبين تغريدة في اليوم نفسه على منصات التواصل الاجتماعي، يقلل فيها من حقيقة خطورة الوضع؛ فها هو يصرّح، في 7 شباط/ فبراير 2020، في حوار صحافي، بأن فيروس

44 Brubaker, "Paradoxes of Populism," p. 7.

45 John Agnew, "American 'Populism' and the Spatial Contradictions of US Government in the Time of COVID-19," *Geopolítica(s): Revista de estudios sobre espacio y poder*, vol. 11 (2020), p. 2.

46 "A Timeline of COVID-19 Developments in 2020," *The American Journal of Managed Care*, 2/1/2021, accessed on 23/6/2021, at: <https://bit.ly/3jiKnUT>; Derrick Bryson Taylor, "A Timeline of the Coronavirus Pandemic," *The New York Times*, 17/3/2021, accessed on 23/6/2021, at: <https://nyti.ms/3jVWpDU>

47 Eugene Kiely et al., "Timeline of Trump's COVID-19 Comments," FactCheck.org, 2/10/2020, accessed on 23/6/2021, at: <https://bit.ly/3qifdyj>

48 United States Congressman Lloyd Dogget, "Timeline of Trump's Coronavirus Responses," 6/4/2021, accessed on 23/6/2021, at: <https://bit.ly/3jTHWbj>

49 Shahjhan, p. 155.

50 Agnew, p. 11.

المطالبون بإيجاد حلول، واتخاذ تدابير صائبة للخروج من الأزمة. ومن هذا المنطلق، وفّرت جائحة كورونا فرصة ذهبية أمام الشعبويين، وخصوصاً اليمينيين منهم الماسكين بزمام السلطة في عدد من الديمقراطيات الليبرالية الغربية، لتوظيف الجائحة في إثبات صلاحية نظرتهم المثنوية إلى العالم، وخاصة فكرة الخطر القادم من الخارج التي اتّخذت في السياق الأميركي شكل الخطاب المعادي للصين.

أنصار الإنكار والتهوين وتقديم صحة الاقتصاد على صحة المواطنين. ثانيهما، "خطاب الإثبات"، وهو التوظيف السياسي للجائحة لتثبيت مشروعية فكرة الخطر الخارجي الوجودي الذي يهدد الوطن، والتي نعتقد أنها هي المميز الأساسي لخطاب الشعبويين في زمن جائحة كورونا على اختلاف مشاربهم.

رابعاً: خطاب سياسة ترامب الخارجية في زمن جائحة كورونا: الصين، ومنظمة الصحة العالمية، والمهاجرون

إذا كان النظر إلى العالم عبر مسبار التضاد بين "نحن" و"هم" هو ركيزة الشعبوية في الزمن السياسي العادي، فإن حضور هذا التضاد في الخطاب الشعبوي يزداد حدة في زمن الأزمات. وبحسب بينجمان موفيت، يسعى الزعماء الشعبويون إلى استغلال الأزمات عبر عدة آليات، لعل أهمها على الإطلاق، على الأقل في نظرنا، تحميل "الآخر" المسؤولية عن المعاناة التي يواجهها الشعب⁽⁵¹⁾ من جراء الأزمة. هذا "الآخر" المسؤؤل عن الأزمة في الخطاب الشعبوي، ليس فقط النخب الحاكمة المتهمة بالتقصير في توفير الحل، بل كذلك كل العناصر التي لا تنتمي إلى "الشعب الخالص"، سواء أكانت داخلية أم محلية أم خارجية، والتي يخضع مدى التركيز على أحدها للسياسات المكانية والزمانية الخاصة بالأزمة، وكذلك طبيعة الأيديولوجيا التي تترافق الخطاب الشعبوي. فالآخر إما أن يكون عدواً داخلياً كالطبقة البرجوازية، أو ملاك الأراضي، أو فئات إثنية معينة، كالمهاجرين أو اللاجئين المقيمين في البلد أو المسلمين أو الغجر، وإما أن يكون عدواً خارجياً من قبيل دولة أو مجموعة دول أجنبية أو منظمات دولية، وخصوصاً تلك التي تحظى بنفوذ كبير داخل الدول (مثل صندوق النقد الدولي)، أو تعتبر تظهراً للمبادئ الليبرالية على الصعيد الدولي، سواء أكانت ليبرالية اقتصادية أم اجتماعية، من دون نسيان الشركات المتعددة الجنسيات الوازنة والمؤسسات فوق الوطنية (الاتحاد الأوروبي مثلاً)، حيث إن معاداة مظاهر العولمة صارت إحدى الأفكار الحاضرة بقوة في الأدبيات الشعبوية خلال العقدین الأخيرين.

يكتسي التركيز على هذا "الآخر"، من غير النخب الحاكمة، أهمية خاصة لدى الشعبويين حين يكونون في السلطة، لأن هذا الأمر في كثير من الحالات يكون السبيل الوحيدة لتحويل الانتباه عن المسألة التي قد يتعرضون لها، على اعتبار أنهم، بحكم مسؤولياتهم الحكومية، هم

” إذا كان النظر إلى العالم عبر مسبار التضاد بين "نحن" و"هم" هو ركيزة الشعبوية في الزمن السياسي العادي، فإن حضور هذا التضاد في الخطاب الشعبوي يزداد حدة في زمن الأزمات

“

لقد منحت فكرة أن الصين هي مصدر الجائحة الرئيس ترامب مجالاً لمناكفتها خارجياً وتوظيف حضورها القوي في سرديّة جائحة كورونا داخلياً. وليست مهاجمة ترامب لهذا العملاق الآسيوي وليدة ظرفية الجائحة، فقد دأب على بناء صورة الخطر الصيني المحدق بالولايات المتحدة منذ حملته الانتخابية الأولى سنة 2016، وجعل من العداء لها، أو على الأقل الجنوح للتوتر الدائم معها، أحد أكثر عناصر سياسته الخارجية استقراراً، رغم ما هو معروف عنه من تقلبات مستمرة في موافقه. داخلياً، وظّف ترامب التوجس من التنامي المتطرد للقوة الاقتصادية والسياسية الصينية في العالم، وجعل من "استعادة فرص الشغل في قطاع الصناعة التي سرقتها الصين"⁽⁵²⁾ أحد أهم الوعود الانتخابية في طريقه إلى البيت الأبيض وحجر الزاوية في مشروعه القاضي بـ "جعل أميركا عظيمة مرة أخرى"، وهو الأمر الذي يفسر، إلى حد بعيد، دخول الولايات المتحدة في حرب تجارية مع الصين تقريباً طوال فترة رئاسته.

وبناءً عليه، لا عجب أن ترامب - بمجرد تأكد الحالات الأولى للوباء في الولايات المتحدة - لم يعتمد هو وإدارته إلى الإمعان في استعمال "مصطلح الفيروس الصيني لربط الصين بانتشار الوباء"⁽⁵³⁾ فحسب، بل أيضاً إلى التشكيك في الرواية الصينية حول المصدر الحيواني لفيروس

52 Agnew, p. 7.

53 Florian Bieber, "Global Nationalism in Times of the COVID-19 Pandemic," *Nationalities Papers* (2020), p. 6.

51 Benjamin Moffit (2015), cited in: Dennis Tourish, "Introduction to the Special Issue: Why the Coronavirus Crisis Is Also a Crisis of Leadership," *Leadership*, vol. 16, no. 3 (2020), pp. 265-266.

وعنصريةٍ ضد "ذوي العيون الضيقة" بغض النظر عن جنسياتهم، وهو ما كان يصطلح عليه بـ "الخطر الأصفر".

تبدو محاولة استغلال الجائحة لشرعة العنصرية، أو تعزيز الخطاب المعادي للمهاجرين بمعنى أدق، ثاني عناصر خطاب الإثبات الذي ميّز شعبيّ السلطة منذ الأسابيع الأولى للجائحة؛ فقد وجد كثير منهم في الجائحة، وخصوصاً المتشعبين بأفكار اليمين الراديكالي، فرصةً لتحقيق أحد أقرب الأشياء إلى قلوبهم، ألا وهو إغلاق الحدود. وكما هو معلوم؛ أثناء سعيها لمنع الفيروس من ولوج أراضيها، اتخذت معظم حكومات العالم قرارات إغلاق حدودها في وجه الوافدين من الدول الأكثر تضرراً بوصف هذا الإجراء مرحلةً أولى، قبل أن يصبح خيار الإغلاق التام للدخول أو الخروج من البلد هو القاعدة. هذا القرار الذي اتخذته معظم الحكومات بغض النظر عن تركيباتها الأيديولوجية، اعتبره الشعبويون اليمينيون "دليلاً على مشروعية مطلبهم التقليدي"⁽⁵⁴⁾ بضرورة وقف "سياسة الأبواب المشرعة" أمام حركة الأفراد الذين يمثلون مصدر كل الأخطار التي تواجهها دولهم؛ إذ لم يتردد مثلاً، أوروبان، أحد أكثر رؤساء الحكومات الشعبوية إثارة للجدل في أوروبا، في "ادعاء أن انتشار الوباء مرتبط بالهجرة"⁽⁵⁷⁾.

كانت مهاجمة سياسة الحدود المفتوحة أكثر حضوراً لدى الشعبويين في دول الاتحاد الأوروبي، وخصوصاً في البلدان المشكّلة لفضاء شنغن، باعتباره فضاءً جغرافياً يسمح بحرية التنقل للأشخاص بين دوله ويلغى آليات المقاربة الأمنية والجمركية على الحدود بين أعضائه. وقد مثل تعطيل العمل باتفاقية شنغن، وإعادة فرض المراقبة على الحدود أحد أهم المطالب السياسية للتيارات الشعبوية اليمينية في أوروبا منذ دخول هذه الاتفاقية حيز التنفيذ في تسعينيات القرن الماضي، ويُذكر أنه زادت حدة هذه المعاداة لفضاء شنغن وما يمثله من حرية تنقل مع وصول أفواج اللاجئين السوريين منذ عام 2012.

جرى استغلال الجائحة، إذًا، لترسيخ هذا الخطاب، وتقديمها على أنها الحجة الدامغة على رجاحة الموقف المطالب بالتحكم في ولوج الأراضي الأوروبية. بطبيعة الحال، لم يجرؤ شعبيو أوروبا على تبني خطاب معادٍ للعلاقات الصيني كما فعلت الحكومة الأميركية؛ ليس بالضرورة لأنهم أقل توجساً من صعود الصين أو أقل إيماناً بفكرة "الخطر الأصفر"، بل لأن العدو المباشر في تصورهم هو أقرب إليهم، وهو متمثل - من جهة - بالاتحاد الأوروبي نفسه، بوصفه منظومة مؤسساتية فوق وطنية تهيمن عليها نخب غير منتخبة ذات توجهات ليبرالية وغير خاضعة للإرادة الشعبية، وهي المسؤولة في نظرهم عن

كورونا، وهي الرواية التي أقرتها منظمة الصحة العالمية. كان هذا الأمر كافيًا لمهاجمة ترامب منظمة الصحة العالمية واتهامها بالانحياز إلى الرواية الرسمية الصينية. وقد جنح إلى تبني نظرية المؤامرة التي مفادها أن فيروس كورونا طُوّر في مختبرات تابعة للحكومة الصينية، وأنه ليس نتاج طفرة جينية لفيروس حيواني حصلت بمحض المصادفة، ثم انتقل إلى البشر. أدى هذا بتراجم إلى اتخاذ قرار انسحاب بلاده من منظمة الصحة العالمية، وتجميد التمويل الأميركي لها في فترة كانت في أمس الحاجة إليه، الأمر الذي ردت عليه الصين بتقديم هبة بقيمة 86 مليون دولار لهذه المنظمة⁽⁵⁴⁾. ويرى وودس [وآخرون] أنّ التصعيد في التنافس الصيني الأميركي، الذي زادت حدته أثناء الجائحة، هو تعبير عن صراع تؤدي فيه الأيديولوجيا القومية دوراً أساسياً، وهو لا يقل ضراوةً عن النزاع القومي أيام الحرب الباردة مع الاتحاد السوفياتي⁽⁵⁵⁾. إلى أي حد يمكن اعتبار هذه المقارنة صائبة؟ هذه مسألة قابلة للنقاش، لكن الأكيد هو أن تراجم عمل على توظيف الجائحة لإثبات مشروعية أحد أهم مكونات خطابه الشعبوي المتمثل في "الخطر الصيني" بصفته تمظهرًا لذلك "الأخر"، أو "الشماعة" التي تعلق عليها كل الأزمات، والتي تحتاج إليه كل أممات الشعبوية، بغض النظر عن الحقائق الإمبريقية التي تحدّد في ضوئها المسؤوليات. لم يكن جعل الصين هي ذلك "الأخر" في سياق الجائحة أمرًا يتطلب مجهودًا كبيرًا من تراجم؛ ليس لأنها منشأ الفيروس فحسب، بل أيضًا لتوافر عناصر عداء تاريخية في البلاد تجاه الآسيويين تعود إلى القرن التاسع عشر، في إثر هجرة آلاف العمال الصينيين للعمل في بناء خطوط السكة الحديدية، فضلًا عمّا مثّلته الحرب العالمية وحرب الولايات المتحدة ضد اليابانيين من عداءٍ

54 Shahjhan, p. 156.

الرئيس ترامب ليس الشعبوي الوحيد الذي انتقص من دور منظمة الصحة العالمية؛ إذ هدّد رئيس البرازيلي الشعبوي، جاير بولسونارو، في حزيران/ يونيو 2020، بالانسحاب من المنظمة، متهمًا إياها بأنها منظمة "سياسية"، قائلًا: "لقد انسحبت الولايات المتحدة. فلماذا أن نعمل منظمة الصحة العالمية من دون أي تحيزات أيديولوجية وإما أننا سنخرج منها"، فنحن "سنا في حاجة إلى أي شخص من الخارج ليقدم لنا نصائح حول الصحة هنا". ينظر:

"Bolsonaro Calls WHO 'Political,' Threatens Brazil Exit," *Reuters*, 6/6/2020, accessed on 6/12/2021, at: <https://reut.rs/3wOpLHC>; "Bolsonaro Threatens Brazilian Withdrawal from WHO, Following US," *Deutsche Presse-Agentur International*, 6/6/2020, accessed on 6/12/2021, at: <https://bit.ly/3q5mxgm>

وفي السياق نفسه، سبق أن دعا تارو أسو (Taro Aso)، رئيس وزراء اليابان السابق ورئيس الحزب الليبرالي الديمقراطي (مع أنه لا يُصنّف شعبيًا)، إلى إعادة تسمية منظمة الصحة العالمية كما يلي: "منظمة الصحة الصينية"، متهمًا إياها بالانصياع للرواية الصينية بشأن فيروس كورونا. ينظر:

"Rename WHO as Chinese Health Organization: Japan Slams UN Body for 'Giving into China's Spin,'" *The Print*, 4/2/2020, accessed on 6/12/2021, at: <https://bit.ly/3xvhwAl>

55 Eric Taylor Woods et al., "COVID-19, Nationalism, and the Politics of Crisis: A Scholarly Exchange," *Nations and Nationalism*, vol. 26, no. 4 (2020), p. 809.

56 Ibid., p. 7.

57 Bieber, p. 6.

تقوم استراتيجية "أميركا أولاً" على مبدأ أن الولايات المتحدة يجب أن تتوقف عن دعم الحكومات الأخرى "بلا مقابل"؛ ما يعني "تغييراً حاسماً في الرؤية الأميركية التقليدية القائمة على أن التعاون الدولي غاية في حد ذاته، ودوره في توفير المنافع العامة العالمية بهدف ضمان هيبة الولايات المتحدة وهيمنتها". لذلك، فإن الشعبية، وإن اعتُبرت خطاباً أو أيديولوجيا محدودة فحسب، قد يكون لها تأثير في محتوى المفاوضات الدولية ونتائجها، مثلما حدث في اجتماع قمة مجموعة السبع G7 عام 2018 في كندا، ومثلما حدث مع اتفاقية الشراكة عبر المحيط الهادئ في عهد الرئيس باراك أوباما، في سنة 2016 (حيث تزامنت المفاوضات حول هذه الاتفاقية مع هجمة شعبية مزدوجة شنتها عليها ترامب من اليمين وبارني ساندرز من اليسار، وانتهت بعدم تقديمها للكونغرس للتصديق عليها): "وفي وقت سابق، أدت انتقادات ترامب الاقتصادية القاسية لحلفاء الناتو، واحتقاره الترتيبات التجارية طويلة الأمد كاتفاقية التجارة الحرة لأميركا الشمالية، إلى شقاقٍ إقليميٍّ وعبر أطلسيٍّ كبيرٍ"⁽⁶⁰⁾.

”
يصعب الجزم بأن شعبيّتي السلطة تمكّنوا
من تقويض آليات التعاون الدولي لمواجهة
الجائحة كاملاً، رغم الضغط الذي مارسوه
عليها؛ وإن الضعف الذي حل بهذه الآليات
مرتبط بعناصر تفسيرية عديدة، الشعبية
أحدها، لكنها ليست الوحيدة

ويخلص ستنجل [وآخرون] إلى أنّ الشعبويين الموجودين في السلطة يمكنهم التأثير في عدد كبير من الظواهر الدولية، مثل تسييس السلطة الدولية وتقويض شرعية المنظمات والترتيبات الدولية⁽⁶¹⁾؛ حتى إن كان هذا التأثير لا يبدو فورياً (لا يحدث بمجرد تبني الشعبويين خطاباً معادياً للتعاون الدولي) ولا شاملاً (لا يمس كل جانب من جوانب التعاون الدولي). وهذا لا ينفي، من ناحية أخرى، أنّ اتجاهات التعاون الدولي الكبرى تظل قوية رغم الضغط الذي يمارسه شعبيو

60 ينظر: فرانك أ. ستنجل وديفيد ب. ماكدونالد ودريك نابرس (محررون)، الشعبية والسياسة العالمية، ترجمة محمد حمشي (الدوحة/ بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2021 [يصدر قريباً]).

فقدان السيادة القومية، بما في ذلك التحكم في الحدود، وممثل - من جهة أخرى - بخطر "الغزو الثقافي" الذي يمثله المهاجرون القادمون من شمال أفريقيا والشرق الأوسط وأفريقيا جنوب الصحراء. فخلف خطاب جائحة كورونا والتحكم في الحدود، تتخفى المعاداة التقليدية للمهاجر؛ ذلك "الآخر" التي تتغذى الشعبويّة بالخوف منه، والتي سعى الزعماء الشعبويون اليمينيون لتوظيف جائحة كورونا لإثبات مشروعيتها.

سواء أخذنا فكرة الخطر الخارجي المترص بالوطن في زمن جائحة كورونا المتمثلة بالعداء للصين، كما هو الشأن في الحالة الأميركية، أم أخذنا الانتقاد الحاد للاتحاد الأوروبي كما حصل في أوروبا، فإن الحويلة تظل واحدة؛ هي أن مواقف الشعبويين هذه التي تمظهرت في السياسات الخارجية لدولهم، مثلت ضغطاً على آليات التعاون الدولي في مواجهة الجائحة. هذا الأمر ليس غريباً، على اعتبار أن وجود مؤسسات للتعاون الدولي يبقى مرتبطاً بالتصور الليبرالي للعلاقات الدولية⁽⁵⁸⁾. فمن جهة، تنظر المقاربة الليبرالية إلى العلاقات بين الأمم إلى المنظمات الدولية، مثل منظمة الصحة العالمية والاتحاد الأوروبي⁽⁵⁹⁾، على أنها إحدى أهم أدوات الدفع بالتعاون بين الدول وفضاءً مستمر للمفاوضات المتعددة الأطراف الهادفة إلى التوفيق بين المصالح المتضاربة للبلدان، وآلية لتحقيق المصالح المشتركة، بعيداً عن المنظور الهوبزي (نسبة إلى توماس هوبز) للعلاقات الدولية، الذي تتبناه النظرية الواقعية التي ترى في القوة أهم ناظم للفضاء الدولي. ومن جهة أخرى، يعتبر الشعبويون، على اختلاف مشاربهم، المنظمات والترتيبات الدولية المنبثقة من التقليد الليبرالي عدواً للشعوب، وإن اختلفوا في تبريرهم لهذا العداء على أسس أيديولوجية تتأرجح بين اعتبارات قومية يمينية وأخرى سوسيو-اقتصادية يسارية، مثلما يفعل ذلك المتأثرون بأطروحات نظرية التبعية.

يتفق ذلك مع ما ذهب إليه فرانك ستنجل وآخرون، فقد جادلوا بأن العديد من الشعبويين (وليس كلهم)، على الرغم من الاختلافات الجلية في آرائهم، "يتقاربون بشأن ضرورة تقويض التعاون والتكامل الدوليين، والأنظمة الإقليمية والعالمية". ومن هنا، تأتي دلالة الشعارات الشعبوية من قبيل "أميركا أولاً" (شعار حملة ترامب الانتخابية) و"نيوزيلندا أولاً" (اسم حزب قومي شعبي في نيوزيلندا)، حيث

58 ينظر في هذا العدد: محمد حمشي، "نظريات العلاقات الدولية وجائحة كورونا: أنبذة معقّقة في فنان جديدة ونبيذ لما يُعقّق"، سياسات عربية، العدد 50 (أيار/ مايو 2021)، ص 17-38؛ شهرزاد خير، "الاقتصاد السياسي الدولي وجائحة كورونا: تأملات نظرية ومساءلات مبكرة"، سياسات عربية، العدد 50 (أيار/ مايو 2021)، ص 58-85.

59 بغض النظر عن مدى صحة توصيف الاتحاد الأوروبي بالمنظمة الدولية والجدال الدائر حول طبيعته.

التعامل مع هذه الجائحة، فيجب البحث عنه على مستوى الخطاب، وليس على مستوى التدابير المتخذة لمواجهةها. ثم طبّقنا هذه المقاربة على حالة الرئيس دونالد ترامب للوقوف على عناصر الخطاب الترامبي خلال الجائحة، وتبين أنها تتأرجح بين نوعين من الخطاب: "خطاب الانقسام" الذي حمل سرديّة تخالف واقع الإجراءات العملية التي اتخذها لمواجهة الجائحة، و"خطاب الإثبات" الذي وُظفت فيه الجائحة لتعزيز مشروعية فكرة الخطر الخارجي.

إلى أي مدى يرتبط النوع الثاني من الخطاب بكل الزعامات الشعبية في زمن جائحة كورونا؟ هذا سؤال يحتاج إلى دراسة أعمق من خلال تحليل حالات إضافية. ولكن المؤشرات الأولية الآتية من دول الاتحاد الأوروبي تصبّ في هذا الاتجاه. فقد واجه الاتحاد الأوروبي، منذ بداية الجائحة، انتقادات حادة من طرف الشعبويين باعتباره مسؤولاً عن سياسة الحدود المفتوحة، وقد زادت حدة هذه الاتهامات مع الصعوبات المتعلقة بتوفير اللقاحات وتوزيعها لكل دوله الأعضاء، في الوقت الذي كان محدوداً لذلك. لم يكن مفاجئاً أنّ أشد الانتقادات حدة أتت من حكومات دول يرأسها شعبيون، مثل هنغاريا وجمهورية التشيك اللتين كانتا سبّاقتين إلى اللجوء إلى اقتناء اللقاح خارج الآليات الأوروبية، وخصوصاً اللقاح الصيني الذي كانت هنغاريا أولى دول الاتحاد الأوروبي التي استعملته. وبالنسبة إلى كثير من الشعبويين الماسكين بزمام الحكم في دول الاتحاد الأوروبي، وخاصة في دول المعسكر الشرقي السابق، ليست الصين بتلك الخطورة التي نجدها في الخطاب الشعبي الأمريكي، إنما الخطر الخارجي الحقيقي هو الذي يكمن في سياسات فتح الحدود وعزّابها الاتحاد الأوروبي، وما يترتب عليها من حرية تنقل الأشخاص بين الدول الأعضاء، وتسهيل مرور المهاجرين، وتقاسم العبء الناجم عن استقبال آلاف اللاجئين.

السلطة على المنظمات والترتيبات الدولية من خلال الاستثمار في خطاب الإثبات الذي استعرضناه سابقاً. ففي حالة منظمة الصحة العالمية مثلاً، لم يحلّ تجميد التمويل الأمريكي للمنظمة والهجوم القوي الذي تعرضت له من ترامب وإدارته، وكذلك تجييش موجة دولية منتقدة لها وتشكك في أهميتها أو شرعيتها، دون منعها من مواصلة عملها، رغم الصعوبات التي واجهتها في ذلك. وقد أظهرت الجائحة أنه على الرغم من النزوع الفردي لعدد من الديمقراطيات الغربية الغنية في التعامل مع الجائحة، وخصوصاً في مسألة الاستئثار باللقاحات المضادة لفيروس كورونا، فإن مجمل صانعي القرار عبر دول العالم وصلوا إلى قناعة مفادها أن الحل النهائي للأزمة الناجمة عن تفشي الجائحة لا يكون إلا عبر خروج جماعي لدول العالم منها؛ أي إن انحسار الجائحة لا يمكن أن يتم إلا عبر التعاون الدولي وفق مقاربة شاملة تؤدي فيها منظمة الصحة الدولية دوراً محورياً، وخصوصاً أن ما اصطُح عليه "دبلوماسية اللقاحات" المتمركزة حول الدول State-Centric التي كانت الهند والصين أبرز روادها، أظهرت محدوديتها وقدرتها على توفير ما يكفي من اللقاحات للدول النامية لمواجهة الجائحة وغلقت أبوابها بصفة نهائية. في المقابل، صار يُنظر إلى آلية كوفاكس COVAX⁽⁶²⁾، التي سهرت على إنشائها منظمة الصحة العالمية من أجل توفير اللقاح للدول النامية بتمويل من الدول الغنية، باعتبارها الحل الوحيد القادر على ضمان وصول عادل للقاحات المضادة لفيروس كورونا في الدول غير القادرة على ذلك. وهكذا، يمكن القول إنه يصعب الجزم بأن شعبيّة السلطة تمكّنوا من تقويض آليات التعاون الدولي لمواجهة الجائحة كاملاً، رغم الضغط الذي مارسوه عليها؛ وإن الضعف الذي حل بهذه الآليات مرتبط بعناصر تفسيرية عديدة، الشعبية أحدها، لكنها ليست الوحيدة.

خاتمة

سعيًا من خلال هذه الدراسة إلى المساهمة في النقاش الدائر حول الشعبية في زمن جائحة كورونا، وبيئاً أن أي محاولة تحليلية لا تأخذ في الاعتبار التنوع الكبير في التيارات الشعبية، سواء من حيث الأيديولوجيا المرافقة للخطاب الشعبي أو من حيث موقعها في السلطة، ستقع بالضرورة في تعميمات تعارضها الحجج الإمبريقية. بعد ذلك، اعتبرنا أنه إذا كان ثمة شيء يميز الزعماء الشعبيين في

62 حول هذه الآلية، ينظر: "كوفاكس: العمل من أجل إتاحة لقاحات كوفيد-19 على الصعيد العالمي بشكل منصف"، منظمة الصحة العالمية، شوهد في 2021/6/5، في: <https://bit.ly/3qiqGxP>

of Regional Elections." *European Journal of Political Research*. vol. 48, no. 3 (2009).

Betz, Hans-Georg. "Covid-19, Deglobalization and the (Potentially) Bright Future of Radical Right-Wing Populism." (2020).

Bieber, Florian. "Global Nationalism in Times of the COVID-19 Pandemic." *Nationalities Papers* (2020).

Brubaker, Rogers. "Paradoxes of populism during the pandemic." *Thesis Eleven*. vol. 164, no. 1 (2020).

Casaglia, Anna et al. "Interventions on European Nationalist Populism and Bordering in Time of Emergencies." *Political Geography*. vol. 82 (2020).

"Data on 14-Day Notification Rate on New COVID-19 Cases and Deaths." European Centre for Disease Prevention and Control (2020). at: <https://bit.ly/2TVbomC>
DC Health Department. "Update and Interim Guidance on Novel Coronavirus (2019-CoV) Outbreak." Government of District of Colombia. 31/1/2020. at: <https://bit.ly/36k5Pkw>

Duckett, Stephen & Stobart, Anika. "Australia's COVID-19 Response: The Story So Far." Grattan Institute. 11/6/2020. at: <https://bit.ly/3zJFU3f>

Eberla, Jakob-Moritz, Huberb, Robert A. & Greussing, Esther. "From Populism to the 'Plandemic': Why populists believe in COVID-19 conspiracies." *Journal of Elections, Public Opinion and Parties*, vol. 31, no. sup. 1 (2021).

Felbermayr, Gabriel (ed.). *The World Economy after Coronavirus Shock: Restarting Globalization*. Kiel, Germany: Kiel Institute for the World Economy, 2020.

"First Travel-Related Case of 2019 Novel Coronavirus Detected in United States." Centers for Disease Control and Prevention. 22/1/2020. at: <https://bit.ly/3hP0dny>

Hamilton, Laurence C. "Conservative and Liberal Views of Science: Does Trust Depend on Topic?" Carsey School

المراجع

العربية

بشارة، عزمي. "الشعبوية والأزمة الدائمة للديمقراطية". *سياسات عربية*. العدد 40 (أيلول/ سبتمبر 2019).

_____ . في الإجابة عن سؤال: ما الشعبوية. الدوحة/ بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2019.

"تعامل ترامب مع جائحة فيروس كورونا المستجد وتأثيرها المحتمل في حظوظه الانتخابية". *تقدير موقف*. المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات. وحدة الدراسات السياسية. 2020/3/23. في:

<https://bit.ly/3wRUzY3>

حمشي، محمد. "نظريات العلاقات الدولية وجائحة كورونا: أنبذة معتقة في قنات جديدة ونبذ لما يُعتق". *سياسات عربية*. العدد 50 (أيار/ مايو 2021).

خير، شهرزاد. "الاقتصاد السياسي الدولي وجائحة كورونا: تأملات نظرية ومساءلات مبكرة". *سياسات عربية*. العدد 50 (أيار/ مايو 2021).

ستنجل، فرانك أ، وديفيد ب. ماك دونالد وديرك نابرس (محررون). *الشعبوية والسياسة العالمية*. ترجمة محمد حمشي. الدوحة/ بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2021 [يصدر قريباً].

الأجنبية

"A Timeline of Canada-19 in Canada." *The National Post*. 24/1/2021. at: <https://bit.ly/2SktB9c>

"A Timeline of COVID-19 Developments in 2020." *The American Journal of Managed Care*. 2/1/2021. at: <https://bit.ly/3jiKnUT>

Agnew, John. "American 'Populism' and the Spatial Contradictions of US Government in the Time of COVID-19." *Geopolítica(s): Revista de estudios sobre espacio y poder*. vol. 11 (2020).

"Archived: WHO Timeline – COVID-19." World Health Organization. 27/4/2020. at: <https://bit.ly/2T11L5F>

Arzheimer, Kai & Carter, Elisabeth. "How (not) to Operationalise Subnational Political Opportunity Structures: A Critique of Kestilä and Söderlund's Study

- Meyer, Brett. "Populists in Power: Perils and Prospects in 2021." Tony Blair Institute for Global Change (January 2021). at: <https://bit.ly/3dQZ6CQ>
- Mouffe, Chantal. *For a Left Populism*. London/ New York: Verso Books, 2018.
- Mudde, Cas & Kaltwasser, Cristóbal Rovira. "Exclusionary vs. Inclusionary Populism: Comparing Contemporary Europe and Latin America." *Government and Opposition* (London). vol. 48, no. 2 (2013).
- Mudde, Cas. "The Populist Zeitgeist." *Government and Opposition*. vol. 39, no. 4 (2004).
- "Prime Minister Creates Committee on COVID-19." Prime Minister of Canada. 4/3/2020. at: <https://bit.ly/3hp7aNf>
- Shahjhan, Mir Mohd Mustafa. "COVID-19: Global Implications and Response." *International Journal of Research and Analytical Reviews*. vol. 7, no. 2 (2020).
- Smith, Alexander. "Divided Nations: Democracy in an Age of Populism: A Special Collection of Articles for The Sociological Quarterly." *The Sociological Quarterly*. vol. 59, no. 1 (2018).
- Storen, Rebecca & Corrigan, Nikki. "COVID-19: A Chronology of State and Territory Government Announcements." *Research Papers 2020-2021*. Parliament of Australia. 22/10/2020. at: <https://bit.ly/3gLKRRE>
- Tandoh-Offin, Patrick & Wisdom Kofi Adzakor. "Covid-19 Exposes the Limits of Political Populism and Parochial Nationalism." *Africa Journal of Public Sector Development and Governance*. vol. 3, no. 1 (2020).
- "Timeline of Trump's Coronavirus Responses." United States Congressman Lloyd Dogget. 6/4/2021. at: <https://bit.ly/3jTHWbj>
- Tourish, Dennis. "Introduction to the Special Issue: Why the Coronavirus Crisis Is Also a Crisis of Leadership." *Leadership*. vol. 16, no. 3 (2020).
- of Public Policy. University of New Hampshire. *Regional Issue Brief*. no. 45 (2015).
- Jagers, Jan & Walgrave, Stefaan. "Populism as Political Communication Style: An Empirical Study of Political Parties' Discourse in Belgium." *European Journal of Political Research*. vol. 46, no. 3 (2007).
- Kaltwasser, Rovira et al. (eds.). *The Oxford Handbook of Populism*. Oxford: Oxford University Press, 2017.
- Katsambekis, Giorgos & Stavrakakis, Yannis. "Populism and the Pandemic: A Collaborative Report." *POPULISMUS Interventions*. no. 7 (June 2020).
- Kavakli, Kerim Can. "Did Populist Leaders Respond to the COVID-19 Pandemic More Slowly? Evidence from a Global Sample." *Working Paper* (June 2020). at: <https://bit.ly/3xpzCE7>
- Kiely, Eugene et al. "Timeline of Trump's COVID-19 Comments." *FactCheck.org*. 2/10/2020. at: <https://bit.ly/3qifdyj>
- Kyle, Jordan & Meyer, Brett. "High Tide? Populism in Power, 1990-2020." Tony Blair Institute for Global Change (February 2020). at: <https://bit.ly/3ywK1hK>
- Magistro, Beatrice & Menaldo, Victor. "Populism: A Tale of Political and Economic Catastrophe." *APSA Comparative Politics*. vol. 30, no. 2 (2020).
- Mason, Alex. "Europe's Future: The Impact of Covid-19 on Populism." International Development Research Network (2020). at: <https://bit.ly/3qSjJAG>
- McKee, Martin et al. (eds.). "Are Populist Leaders Creating the Conditions for the Spread of COVID-19? Comment on 'A Scoping Review of Populist Radical Right Parties' Influence on Welfare Policy and Its Implications for Population Health in Europe." *International Journal of Health Policy and Management*. vol. 10, no. 10 (2020).
- Mead, Walter Russell. "The Tea Party and American Foreign Policy: What Populism Means for Globalism." *Foreign Affairs*. vol. 90, no. 2 (2011).

Wahl, Klaus. *The Radical Right: Biopsychosocial Roots and International Variations*. Cham: Springer International Publishing, 2020.

Wilentz, Sean. *Andrew Jackson: The American Presidents Series: The 7th President, 1829-1837*. New York: MacMillan, 2007.

Woods, Eric Taylor et al. "COVID-19, Nationalism, and the Politics of Crisis: A Scholarly Exchange." *Nations and Nationalism*. vol. 26, no. 4 (2020).

Zerofsky, Elisabeth. "How Viktor Orbán Used the Coronavirus to Seize More Power." *The New Yorker*. 21/6/2020. at: <https://bit.ly/3hBDJ9q>



دراسة مترجمة

Translation

ديفيد ب. فيدلر | David P. Fidler*

ترجمة سارة إسماعيل | Sara Ismael**

الأمراض والفوضى المعولمة: مقاربات نظرية للصحة العالمية***

Disease and Globalized Anarchy: Theoretical Perspectives on the Pursuit of Global Health

تزايد بروز مكانة الصحة العامة في السياسة العالمية بسبب الأوبئة، مثل فيروس نقص المناعة المكتسبة "الإيدز"، وحدّة التوترات بين الصحة العامة والتجارة الدولية، بما في ذلك التوترات المتعلقة ببراءات الاختراع وإمكانية الحصول على الأدوية الأساسية. وتثير الدعوة إلى وضع الصحة العامة على الأجنداث الدبلوماسية أسئلة نظرية جوهرية حول الصحة العامة: لماذا ينبغي أن تتصدر الصحة العامة الأجنداث الدبلوماسية العالمية؟ وكيف ينبغي ضبط المساعي الهادفة إلى بلوغ صحة عامة أفضل وتنفيذها على صعيد عالمي؟ تبحث هذه الدراسة عن إجابات لهذه الأسئلة التي طرحتها النظرية التقليدية بشأن الصحة العامة، وتحلل المشكلات التي يفرضها السياق الفوضوي للعلاقات الدولية على مثل هذه الإجابات. ويستعين جزء كبير من هذا التحليل بنظريات من حقل العلاقات الدولية، الواقعية والمؤسسية والليبرالية والبنائية الاجتماعية، لإلقاء الضوء على تحديات نظرية تواجه الدعوة إلى دعم قضايا الصحة العالمية من أجل إضفاء أهمية أكبر على الصحة العامة في السياسة العالمية. وتساعد هذه النظريات في تحديد المعضلة النظرية التي تواجه حقل الصحة العامة، وتتطر هذه الدراسة في سبيل سثنى للتعامل مع هذه المعضلة في ظل الرغبة في تعزيز الدور الذي تؤديه الصحة العامة في العلاقات الدولية.

كلمات مفتاحية: الصحة العالمية، نظرية العلاقات الدولية، الفوضى، الصحة العامة، الحوكمة، العولمة.

The visibility of public health in world politics has increased due to epidemics such as HIV/AIDS, and tensions between public health and international trade, including those related to patents and access to essential medicines. Advocacy for raising the profile of public health on diplomatic agendas raises fundamental theoretical questions about public health: why should public health be higher on global diplomatic agendas? How should the pursuit of better public health globally be structured and implemented? This article explores answers to these questions provided by traditional theory on public health and analyzes the problems the anarchical context of international relations poses for such answers. A major part of this analysis utilizes theories from the discipline of international relations – using realism, institutionalism, liberalism, and social constructivism to illuminate theoretical challenges global health advocacy faces in making public health more important in world politics. These theories help identify a theoretical conundrum faced by public health, and the article considers various ways in which to handle this in light of the desire to increase the role public health plays in international relations.



Keywords: Global Health, International Relations Theory, Anarchy, Public Health, Governance, Globalization.

* أستاذ فخري، كلية الحقوق، جامعة إنديانا.

** مترجمة أردنية.

Jordanian Translator.

*** هذا النص ترجمة لـ:

David P. Fidler, "Disease and Globalized Anarchy: Theoretical Perspectives on the Pursuit of Global Health," *Social Theory & Health*, vol. 1 (2003), pp. 21-41.

مقدمة (1)

تحقيق ذلك الهدف؟ وفي حين أن التنوع هو ما يميز نظرية الصحة العامة من أسباب سعي المجتمعات لتحقيق الصحة العامة، فإن ثمة توافقاً في الآراء بشأن كيفية ضبط المجتمعات وتنفيذها سياسات الصحة العامة.

غالبًا ما تغفل محاولات تعريف مفهوم الصحة العامة عن سؤال لماذا تُعدّ الصحة العامة مهمة. فمثلاً، يُعرّف معهد الطب الصحة العامة بأنها "ما نقوم به جماعياً، بوصفنا مجتمعاً، لتأمين الظروف التي يمكن أن يعيش فيها البشر بصحة جيدة". ويفترض هذا التعريف أن صحة السكان هدفٌ يفسر نفسه بنفسه، كما يشير إلى أهمية الحد من الوفيات وتحسين جودة الحياة⁽⁵⁾، ولكنه لا يبحث في أسباب أهمية الحد من الوفيات وتحسين جودة الحياة. وقد حاجّ إيفانز قائلاً إنه "على الرغم من تأكيد النقاشات الدائرة حول الصحة مراراً أن الصحة الجيدة لا يمكن تحقيقها إلا ضمن إطارٍ من التنظيم الاجتماعي، فإن هذه الملاحظة لطالما افتقرت إلى أيّ أساس يبرّر اهتماماً أكبر بالصحة"⁽⁶⁾.

ثمة أساسان منطقيان يبرران أهمية الصحة العامة، لكن على نحو مختلف. الأساس المنطقي الأول هو النفعية. وهي ترى في الصحة العامة أداةً لإنتاج منفعة اجتماعية كلية. وقد تجلّت النفعية على مر التاريخ في أشكال عديدة: شكّلت صحة السكان عاملاً في: 1. الحسابات الميركنتيلية لقوة الدولة⁽⁷⁾؛ 2. المخاوف حيال صحة العمالة الاستراتيجية (مثل عمال المناجم والجنود)⁽⁸⁾؛ 3. المخاوف من أن تشكل الأمراض المنتشرة في صفوف الفقراء تهديداً للنظام الداخلي⁽⁹⁾؛ 4. المساعي البنثامية [نسبة إلى بنثام] لتحقيق أعظم منفعة ممكنة لأكبر عدد ممكن من السكان⁽¹⁰⁾؛ 5. الحجج القائلة إن الصحة تُنتج بدورها الثروة والرخاء⁽¹¹⁾؛ 6. المزاعم التي تؤكد أن الصحة العامة

على مرّ التاريخ، لم تكن الصحة العامة جزءاً من "السياسة العليا" في العلاقات الدولية. ومع أن الصحة العامة انطوت على التعاون الدولي⁽²⁾، فإنها في الأساس لم تشكّل في السياسة الخارجية سوى انشغال ثانوي. لقد ظلت بعيدةً عن الأضواء، على الرغم من إنجازات القرن العشرين؛ مثل زيادة متوسط العمر المتوقع⁽³⁾، والقضاء على مرض الجدري. ويسعى الاهتمام الناشئ بـ "الصحة العالمية" إلى تعزيز أهمية الصحة العامة في السياسة العالمية⁽⁴⁾. وقد باتت الصحة العامة أشد وضوحاً في "السياسة العليا" لحقل الدبلوماسية بسبب الأوبئة؛ مثل فيروس نقص المناعة المكتسبة "الإيدز"، وحدّة التوترات بين الصحة العامة والتجارة الدولية، بما في ذلك تلك المتعلقة ببراءات الاختراع وإمكانية الحصول على الأدوية. أمّا بالنسبة إلى أنصار الصحة العالمية، فإن وضوح هذه الأهمية المتزايدة لا يزال غير وافٍ وهشاً؛ ما يتطلب ترسيخ مكانة صحة السكان وتعزيزها في السياسة العالمية.

تثير الدعوة إلى إيلاء مزيد من الاهتمام السياسي بالصحة العامة سؤالين نظريين أساسيين: 1. لماذا ينبغي أن تكون الصحة العامة في صدارة الأجندات الدبلوماسية العالمية؟ 2. كيف ينبغي ضبط المساعي الهادفة إلى تحسين الصحة العامة عالمياً؟ تستكشف الدراسة هذه الأسئلة عبر تحليل الدعوة إلى النهوض بالصحة العامة في العلاقات الدولية من خلال النظريات التي جرى تطويرها في حقل العلاقات الدولية.

أولاً: نظرية الصحة العامة

إن استكشاف الأسباب التي جعلت الصحة العامة تحظى بأهمية أكبر في السياسة العالمية وكيفيته يبدأ بفحص الأجوبة التي تقدمها نظرية الصحة العامة عن سؤالين هما: لماذا تُعتبر الصحة العامة هدفاً سياسياً في المجتمع؟ وكيف ينبغي تنظيم المجتمع في سبيل

5 Fenner (ed.), p. 1.

6 T. Evans, "A Human Right to Health?" *Third World Quarterly*, vol. 23, no. 2 (2002), p. 198.

7 G. Rosen, *A History of Public Health* (New York: MD Publications, 1958), p. 90.

8 Ibid., pp. 68-72; J.F. Hutchinson, *Champions of Charity: War and the Rise of the Red Cross* (Boulder, CO: Westview Press, 1996), pp. 348-349.

9 D. Porter, *Health, Civilization, and the State: A history of Public Health from Ancient to Modern Times* (London: Routledge, 1999), pp. 87-96.

10 Ibid., pp. 58-61.

11 L.I. Dublin, *Health and Wealth: A Survey of the Economics of World Health* (New York: Harper & Brothers Publishers, 1928), p. 361; C.E.A. Winslow, *Health is Wealth* (Geneva: World Health Organization, 1953), p. 46.

1 تلقى العمل على هذه الدراسة، بحثاً وتأييماً، دعماً من خلال منحة Fulbright New Century Scholar. ويشكر المؤلف زملاءه في New Century Scholar على مساهماتهم ونصائحهم بشأن مسودة سابقة لهذه الدراسة.

2 David P. Fidler, "The Globalization of Public Health: The First 100 Years of International Health Diplomacy," *Bulletin of the World Health Organization*, vol. 79 (2001), pp. 842-849.

3 F. Fenner (ed.), *Smallpox and its Eradication* (Geneva: World Health Organization, 1988).

4 Altman, Dennis, "Understanding HIV/AIDS as a Global Security Issue," in: K. Lee (ed.), *Health Impacts of Globalization: Towards Global Governance* (London: Palgrave Macmillan, 2003), pp. 33-46.

المسؤولية الأساسية عن صحة السكان. ويعتبر الخبراء الصحة العامة "سلعة عامة"، وموردًا أو خدمةً لا يجري إنتاجها على نحو كافٍ إلا بتدخل الحكومة⁽¹⁶⁾. وفي المقابل، يفتقر الأفراد إلى الموارد اللازمة للتمويل، وإلى السلطة الضرورية لضبط الصحة العامة وتنظيمها. وعلى نحو مماثل، لا تتيح "السوق" للمؤسسات الخاصة حوافز أو صلاحيات لتوفير السلع العامة. وتنعكس تواريخ الصحة العامة أسبقية دور الحكومات، لأنها تتبع السياسات الحكومية⁽¹⁷⁾. ومن الناحية النظرية، تُعدُّ الحكومة عاملاً مركزيًا في كيفية سعي المجتمعات لتحقيق الصحة العامة وتعزيزها⁽¹⁸⁾. ولا تعني هذه النظرية أن الحكومة توفر جميع عناصر نظام الصحة العامة، لكنها تؤكد أن مسؤوليات الحكومة تجاه صحة السكان حاسمة وشاملة ومتواصلة.

تستند نظريات الصحة العامة المذكورة آنفًا إلى إطار دولة واحدة، ولا تحلل الصحة العامة بعيدًا عن الدولة منفردًا. ومع ذلك، فإن الدعوة إلى الصحة العالمية إنما تفكر في الصحة العامة باعتبارها هدفًا لا يمكن قصره على دولة واحدة معزل عن بقية الدول. وتدفع هذه الدعوة نظرية الصحة العامة إلى مواجهة المعضلة النظرية الرئيسة التي تواجهها السياسة خارج نطاق الدول ذات السيادة: مشكلة الفوضى.

ثانيًا: مشكلة الفوضى ونظرية الصحة العامة

تفترض نظرية الصحة العامة أن سبب امتلاك المجتمعات لحكوماتٍ هو تنظيم العلاقات الاجتماعية وإنشاء سلطات سياسية عليا. وهي تركز على مبدأ مفاده أن الحكم داخل الدولة يتسم ببنية هرمية⁽¹⁹⁾. ورغم ذلك، فمن شأن العلاقات بين دولتين أو أكثر أن تنشأ في ظل الفوضى حيث الدول ذات السيادة لا تعترف بسلطةٍ سياسيةٍ عليا⁽²⁰⁾. وتجري السياسة الدولية في بيئة فوضوية مختلفة تمامًا عن السياق السياسي الذي تتناوله عادةً نظرية الصحة العامة. وبعيدًا عن الدولة،

عاملٌ أساسي في تحقيق التنمية الاقتصادية⁽¹²⁾. وبحسب المنطق النفعي، فإن تحسين الصحة العامة يخدم الأهداف الاجتماعية الكلية؛ مثل زيادة قوة الدولة، أو التقليل من حدة الاضطراب الاجتماعي. ومن ثم، فإن الصحة العامة ما هي إلا وسيلة، وليست غاية في حد ذاتها، كما أنها تستمد مبرراتها من الأهداف التي تساعد في تحقيقها.

أما الأساس المنطقي الثاني، فيأتي من الفكر الديونطولوجي الذي يرى أن الصحة العامة ضرورية لضمان حق الفرد في الصحة. ولوجهة النظر هذه أصل تاريخي عريق، حيث برزت حين أدرج الثوار الفرنسيون الصحة ضمن حقوق الإنسان⁽¹³⁾. وقد تضمّن هذا المفهوم الأصلي للحق في الصحة "حقًا مدنيًا في المساواة بموجب قانون الحماية من الأمراض"⁽¹⁴⁾. ولاحقًا، صار الحق في الصحة أوسع نطاقًا، مثلما يتضح من بيان منظمة الصحة العالمية⁽¹⁵⁾؛ إذ جاء فيه أن "الحصول على أعلى مستوى يمكن بلوغه من الصحة هو أحد الحقوق الأساسية لكل إنسان". ومراعاهً للحق في الصحة، ينبغي للمجتمعات السعي لتحقيق الصحة العامة، لأن صحة الفرد وصحة مجموع السكان ترتبطان ارتباطًا وثيقًا. ولا يزال دور الصحة العامة ذا طبيعة نفعية، لأن المجتمعات تسعى لتعزيزها من أجل حماية الحقوق. ومع ذلك، فإن الغاية ليست منفعةً اجتماعية كلية، لكنها حمايةً للحقوق الفردية. إن المنظور الديونطولوجي يجعل من الصحة العامة مسألة مركزية لاحترام الكرامة الإنسانية.

يكشف تاريخ الصحة العامة عن غياب توافق واسع حول أسباب أهمية الصحة العامة. ولا يعني غياب مثل هذا التوافق بالضرورة أن له آثارًا مدمرةً في مجتمعٍ ما؛ وذلك لأن المقاربات القائمة على المنفعة والحقوق تدعم الصحة العامة بوصفها هدفًا اجتماعيًا. وربما يساعد هذا التقارب حول أهمية الصحة العامة في تفسير سبب تجاهل نظرية الصحة العامة في كثير من الأحيان مسألة السبب الكامن خلف ضرورة تعزيز الصحة العامة.

ومن جهةٍ أخرى، تُظهر نظرية الصحة العامة إجماعًا بشأن سبل السعي لتحقيق الصحة العامة؛ حيث تقع على عاتق الحكومات

16 Fenner (ed.), p. 7; L.O. Gostin, *Public Health Law* (Berkeley, CA: University of California Press, 2000), p. 4.

17 Rosen; Porter; P. Baldwin, *Contagion and the State in Europe, 1830-1930* (Cambridge: Cambridge University Press, 1999).

18 Gostin, pp. 5-11.

19 Kenneth Neal Waltz, *Theory of International Politics* (Reading, MA: Addison-Wesley, 1979), p. 113; T. Dunne & B.C. Schmidt, "Realism," in: J. Baylis & S. Smith (eds.), *The Globalization of World Politics* (Oxford: Oxford University Press, 2001), p. 143.

20 Dunne & Schmidt, p. 143.

12 World Bank, *Health* (Washington, DC: World Bank, 1975), p. 83; World Bank, *World Development Report 1993: Investing in Health* (Washington, DC: World Bank, 1993), p. 329; Commission on Macroeconomics and Health, *Macroeconomics and Health: Investing in Health for Economic Development; Report of the Commission on Macroeconomics and Health* (Geneva: World Health Organization, 2001), p. 200.

13 Porter, p. 57.

14 Ibid., p. 63.

15 World Health Organization, "Constitution," in: *Basic Documents*, 4th ed. (Geneva: World Health Organization, 1946), pp. 1-18.

هذا المنظور، من الناحية المنطقية، أن إنتاج الصحة العامة بعيداً عن الدولة هو عملية ما بين حكومية Intergovernmental. ويتبنى هذا الموقف نموذج الصحة العامة الدولية المذكور سابقاً. ومع أن نظرية الصحة العامة تجسّد النزعة ما بين الحكومية، فإن خبراء الصحة العامة لم يعيروا التعاون الدولي في ظل الفوضى اهتماماً نظرياً كافياً. وكما سيتبين لاحقاً، يتحدى الاهتمام المتنامي بـ "الصحة العالمية" الافتراضات الحكومية/ ما بين الحكومية التي تقوم عليها نظرية الصحة العامة. إن عدم اهتمام الصحة العامة بمشكلة الفوضى يوئد بدوره الحاجة إلى استكمالها بأطر مفهومية تركز على هذه المشكلة، ويمكن العثور على مثل هذه الأطر في حقل العلاقات الدولية.

ثالثاً: مشكلة الفوضى، والصحة العامة، ونظرية العلاقات الدولية

1. تقاليد من الإهمال المتبادل

يجمع بين حقلي الصحة العامة والعلاقات الدولية تاريخٌ مشتركٌ من الإهمال المتبادل. وعلى الرغم من أن العديد من مشكلات الصحة العامة تتطلب اتخاذ إجراءات خارج نطاق الدولة، فإن خبراء الصحة العامة ودارسيها لم يستندوا، في الغالب، إلى مفاهيم العلاقات الدولية لتقييم التحدي الذي تفرضه مشكلة الفوضى. وعلى النحو نفسه، وعلى الرغم من التاريخ الدولي الطويل الذي تحظى به الصحة العامة، تجاهل دارسو العلاقات الدولية مسألة الصحة العامة على نطاق واسع⁽²¹⁾. وتتحدى الدعوة إلى الصحة العالمية هذا الإهمال المتبادل، وتدفع بضرورة التفكير في الصحة العامة: 1. بعيداً عن إطار النظرية التقليدية للصحة العامة؛ 2. باعتبارها موضوعاً مهماً في التحليل النظري للسياسة العالمية. وخلافاً لنظرية الصحة العامة، تركز نظرية العلاقات الدولية على مشكلة الفوضى. ويقوم هذا الجزء من الدراسة بتحليل أربع نظريات رائدة في حقل العلاقات الدولية (الواقعية، والمؤسسية، والليبرالية، والبنائية)، وأفكارها المتعلقة بمشكلة الفوضى، وكيفية ارتباط تلك النظريات بالصحة العامة. وفي حين أن الصحة العامة لم ترد كثيراً في هذه النظريات - هذا إن وردت أصلاً - فإنها كلّها تقدّم إطاراً لتحليل الأسباب التي تُضفي على الصحة العامة أهمية في السياسة العالمية، والكيفية التي ينبغي من خلالها أن يصير الفعل الجماعي المرتبط بالصحة العامة أفضل في ظلّ الفوضى.

تجابه الصحة العامة مشكلة الفوضى وما تخلقه من مصاعب للسعي خلف أهداف اجتماعية.

لطالما أدرج حقل العلاقات الدولية الصحة العامة باعتبارها قضية من قضاياها البحثية، ويمكن استشفاف نماذج مختلفة للصحة العامة بعيداً عن الدولة، مثل النموذج الإمبريالي والدولي والعالمي. ويمثل النموذج الإمبريالي جهود الصحة العامة التي بذلتها القوى الإمبريالية في الأقاليم الخاضعة لسيطرتها Domains. أما النموذج الدولي فانطوي على الدول ذات السيادة التي تتعاون بشأن الصحة العامة تعاوناً مباشراً، أو عبر المنظمات الدولية ما بين الحكومية. في حين يشدد النموذج العالمي على أن الصحة العامة بعيدة عن الدولة تنطوي على مشاركة الفاعلين غير الحكوميين، مثل الشركات المتعددة الجنسيات والمنظمات غير الحكومية. ومع ذلك، كثيراً ما يغلب على الخطاب بشأن الجوانب الدولية للصحة العامة الطابع الوصفي، إضافة إلى افتقاره إلى التحليل النظري للكيفية التي تؤثر بها مشكلة الفوضى في مساعي تحقيق الصحة العامة.

يستكشف هذا الجزء الكيفية التي تثير بها بيئة الفوضوية، التي تجري فيها السياسة بين الدول، مشكلات بالنسبة إلى نظرية الصحة العامة؛ إذ تعقد مشكلة الفوضى الجهود الهادفة إلى: 1. التوصل إلى اتفاق بشأن الأسباب التي تجعل الصحة العامة مسألة مهمة؛ 2. إنتاج الصحة العامة باعتبارها "سلعة عامة".

كما هو مبين من قبل، لا يوجد إجماع حول الأسباب التي تستقي منها الصحة العامة أهميتها، وهو ما يعكس الخلاف القائم؛ ليس داخل الدولة الواحدة فحسب، بل فيما بين الدول أيضاً. فداخل الدول، يتخلل الخلاف حول الأغراض الأساسية للصحة العامة عملية حكم هرمية تحدد بدورها سياسات الصحة العامة. أما ما بين الدول، فتتفاقم مشكلة الفوضى الخلاف بشأن الصحة العامة، لأن السلطة السياسية تتسم باللامركزية. ويتطلب التعاون في ظل الفوضى وجود مصالح مشتركة، والتي يصعب بناؤها حين لا يكون ثمة توافق في الآراء بشأن الأسباب التي تجعل الصحة العامة مهمة. ولم تُبدِ نظرية الصحة العامة اهتماماً كبيراً بمسألة الفوضى والكيفية التي تجعل بها الوصول إلى توافق في الآراء بشأن أغراض الصحة العامة مسألة معقدة جداً. وحتى حين يكون ثمة تقارب في رؤى دولتين بشأن الصحة العامة، فإن الفوضى تعقد قدرتهما على التعاون؛ ما يُضفي إلى وضع يمكن أن تغلب فيه سياسة التفاعل الفوضوي على القيم المشتركة بين الدولتين.

تصف نظرية الصحة العامة الصحة العامة بأنها "سلعة عامة" يجري إنتاجها أساساً من خلال السلطة الحكومية والحكم الهرمي. ويعني

21 K. Lee & A. Zwi, "A Global Political Economy Approach to AIDS: Ideology, Interests and Implications," in: Lee (ed.), p. 13.

وبقائها. أما العنصر الأهم في القوة المادية فهو القوة العسكرية، ومع ذلك تدرك الدول مدى أهمية القوة الاقتصادية إضافة إلى أنواع أخرى من القدرات المادية⁽³¹⁾. تفترض الواقعية أن ديناميات السياسة الخارجية هذه موجودة بسبب البنية الفوضوية للسياسة الفوضوي، وهي تسري على الأنظمة الديمقراطية والدكتاتورية على حد سواء.

بحسب الواقعية، تدير القوى العظمى في السياسة الدولية الفوضى من خلال توازن القوة⁽³²⁾. وترى الواقعية أن المنظمات الدولية لا تشكل آليات للحكومة، لأن نجاحها - أو فشلها - يعتمد على دعم القوى الكبرى أو معارضتها لها⁽³³⁾. وعلى النحو نفسه، ترفض الواقعية اعتبار الفاعلين من غير الدول لاعبين مهمين، لأن بنية النظام الدولي تجعل من الدول الفواعل الوحيدة المهيمنة. كما تصرف الواقعية النظر عن العوامل الداخلية للدول، مثل نوع النظام السياسي، باعتبارها متغيرات سببية مستقلة في تفسير العلاقات الدولية⁽³⁴⁾. وبهذا، تُعتبر نظرية الحوكمة الواقعية أفقيّة، لأنها تركز حصراً على العلاقات بين الدول.

ب. الواقعية والصحة العامة

تشير هذه اللوحة العامة إلى أن الصحة العامة والواقعية قلما تقاطعتا حتى حين يجري تحليلهما معاً، ويرفض المحللون الواقعية لما يتعلق الأمر بالتفكير في الصحة العامة⁽³⁵⁾. ولم تكثر الصحة العامة كثيراً بمشكلة الفوضى، غير أن هذه المشكلة، بالنسبة إلى الواقعية، تظل في حد ذاتها مسوغ القيام بالتنظير نفسه. وتاريخياً، لم تشغل الواقعية بالصحة العامة، لأن التهديدات الصحية لم تتجّل في شكل تهديدات مادية لأمن القوى العظمى وبقائها؛ مع أن بعض القضايا المتعلقة بالصحة العامة، مثل ضبط انتشار الأمراض المعدية عبر الحدود، تقع ضمن مسائل السياسة الخارجية، لكنها لم تمثل أي انشغال من

2. موقف الواقعية من الفوضى والصحة العامة

أ. موقف الواقعية من الفوضى

تهيمن الواقعية على حقل نظريات العلاقات الدولية⁽²²⁾. وهي تتخذ أشكالاً مختلفة؛ بدءاً بالواقعية الكلاسيكية⁽²³⁾، وصولاً إلى الواقعية البنوية⁽²⁴⁾. وعلى الرغم من اتسامها ببعض التنوع، فإن الواقعية تفسر تأثير الفوضى في سلوك الدولة باستخدام مجموعة من الافتراضات الأساسية. وتفترض الواقعية أن الفوضى تفرض ديناميات سياسية معينة على الفاعلين المهمين؛ أي الدول. وتشمل هذه الديناميات التنافس على السلطة/ القوة والنفوذ والأمن والبقاء⁽²⁵⁾. وفي خضم هذا السياق الذي تسوده حالة من الفوضى والتنافس والخطر المحدق وانعدام الأمن، تركز الدول على القدرات المادية في علاقاتها بالدول الأخرى؛ مثل القوة العسكرية والاقتصادية⁽²⁶⁾. ويفضي التنافس على القدرات المادية، في ظل الفوضى، إلى حالة من اللاتيقن والخوف وانعدام الثقة؛ ما يحدّ من قدرات الدول على التعاون، فيظل احتمال نشوب النزاع واستخدام العنف وارداً دائماً⁽²⁷⁾. لذلك، فإن الواقعية نظرية قائمة ومتشائمة حين يتعلّق الأمر بالسياسة الدولية⁽²⁸⁾.

إن المبدأ الموجه لسياسة الدولة الخارجية، من منظور الواقعية، هو القوة التي تحددها قدراتها المادية⁽²⁹⁾. وكما يرى مورغنتاؤ، فإن "رجال الدولة يفكرون ويتصرفون بناءً على المصالح المعروفة بالقوة"⁽³⁰⁾. ولحسابات القوة بُعدان اثنان؛ إذ تبحث الدول عن 1. فرص لزيادة قوتها المادية مقابل الدول الأخرى المنافسة لها؛ 2. عن التهديدات التي قد تشكلها الدول الأخرى لقوتها ومصالحها وأمنها

22 B. Frankel, "Restating the Realist Case," in: B. Frankel (ed.), *Realism: Restatements and Renewal* (London: Frank Cass, 1996), p. 9; Dunne & Schmidt, p. 145.

23 H. Morgenthau, *Politics Among Nations*, 5th ed. (New York: Knopf, 1978).

24 Waltz.

25 Frankel, p. 15; Dunne & Schmidt, p. 150.

26 Waltz, p. 131; J.W. Legro & A. Moravcsik, "Is Anybody still A Realist?" *International Security*, vol. 24, no. 2 (1999), p. 18.

27 Waltz, p. 102.

28 J.J. Mearsheimer, "The False Promise of International Institutions," *International Security*, vol. 19, no. 3 (1994), pp. 9, 95.

29 S.L. Lamy, "Contemporary Mainstream Approaches: Neo-realism and Neo-liberalism," in: Baylis & Smith (eds.), p. 185.

30 Morgenthau, p. 5.

31 Waltz, p. 131.

32 H. Bull, *The Anarchical Society* (London: Macmillan, 1977), pp. 101-126, 200-229.

33 Mearsheimer, pp. 13, 95.

34 A.-M. Slaughter, "International Law and International Relations," *Recueil des Cours*, T. 285, Hague Academy of International Law (2000), pp. 33-34.

35 D. Pirages, "Ecological Theory and International Relations," *Indiana Journal of Global Legal Studies*, vol. 5, no. 1 (1997), p. 55; A. Price-Smith, *The Health of Nations: Infectious Disease, Environmental Change, and their Effects on National Security and Development* (Cambridge, MA: MIT Press, 2002), p. 183.

يقوّض التعاون بين الدول⁽⁴⁰⁾. وتحتاج المؤسساتية بأن بناء المنظومات قد يساعد الدول، في بعض الظروف، على التعاون من أجل تحقيق نتائج أفضل لا يمكن تحقيقها لو تصرفت فرادى من دون التنسيق فيما بينها⁽⁴¹⁾.

وبحسب المؤسساتية، تعمل المنظومات على تسهيل التعاون بين الدول من خلال توفير المعلومات، وخفض تكاليف تنسيق المعاملات فيما بينها، وإضفاء صدقية أكبر على التزامات الدول، كما أنها تُنشئ مسارات التنسيق. وعمومًا، تهيئ الظروف اللازمة لجعل المعاملة بالمثل سلوكًا مستدامًا⁽⁴²⁾. وتعدّ شفافية المنظومات مسألة محوريةً بالنسبة إلى المؤسساتية، فالمؤسسات تزود الدول العقلانيةً بمعلومات ومعارف أفضل مما تمتلكه كلّ منها على حدة؛ ما يساعدها على حساب فوائد التنسيق والتعاون وما تعود عليها من منافع ذاتية على نحو أكثر فاعلية. وتدّعي المؤسساتية أن المنظومات قادرة على "تلطيف حدة الفوضى بما يكفي للسماح بتعاونٍ طويل المدى بين الدول من أجل تحقيق مصالحها المشتركة"⁽⁴³⁾. وعلى الرغم من أن مقارنة الحوكمة التي تتبناها المؤسساتية إزاء الفوضى متمركزةً حول الدولة وأفقيّةً تمامًا مثل الواقعية، فإن المؤسساتية تحتاج بأن المنظومات تعمل بوصفها متغيرات مستقلة في التقليل من حدة الفوضى.

ب. المؤسساتية والصحة العامة

يعجّ تاريخ الصحة العامة بالمنظومات الدولية⁽⁴⁴⁾؛ ما يجعل المؤسساتية وثيقة الصلة بصدام الصحة العامة مع مشكلة الفوضى. ولم يركز أخصائيو العلاقات الدولية، ممن يهتمون بتطبيقات المؤسساتية، كثيرًا على منظومات الصحة العامة، لكن عدد هذه الأنظمة وتنوعها يشيان بأهمية المؤسساتية في التفكير بشأن الصحة العامة بعيدًا عن الدولة. ويتسم تركيز المؤسساتية على الوظائف التي تقوم بها المنظومات في توفير المعلومات والمعارف بصلته الوثيقة بالصحة العامة، وهو ما اعتبره الخبراء مسعى تقنيًا أكثر من كونه سياسيًا. فعلى سبيل المثال، يؤكّد الباحثان شتلين وكوبر الدور الذي أدته المعرفة العلمية في تسهيل الاتفاقيات الدولية حول الأمراض

انشغالات الأمن القومي⁽³⁶⁾ الذي يشكّل محور تركيز الواقعية ومناط اهتمامها الرئيس.

لا تندرج الصحة العامة ضمن الواقعية إلا إذا امتدت التهديدات المحدقة بصحة السكان إلى قوة الدول المادية وعرضتها للخطر؛ ما يُفضي إلى إضعاف قدرتها على التنافس والمحافظة على بقائها في السياسة الدولية. فمثلًا، تهدد الأسلحة البيولوجية قوة الدول العسكرية والاقتصادية. وتوضح الجهود الحالية في الولايات المتحدة الهادفة إلى تعزيز قدرة الصحة العامة الوطنية على التصدي للأسلحة البيولوجية أن في إمكان الواقعية إدراج الصحة العامة بوصفها جزءًا من قدرات الدول المادية⁽³⁷⁾. وثمة طريقة أخرى يمكن الواقعية من خلالها حساب أهمية الصحة العامة، تتمثل في اعتبار تفشي الأمراض البوائية مقوّمًا لقوة الدولة الاقتصادية واستقرارها الاجتماعي. ويبين الدمار الاقتصادي والاجتماعي الذي خلفه فيروس نقص المناعة المكتسبة في جنوب الصحراء الكبرى بأفريقيا مدى إمكانية إقحام تهديد معين للصحة العامة عالم الواقعية القائم⁽³⁸⁾.

3. موقف المؤسساتية من الفوضى والصحة العامة

أ. موقف المؤسساتية من الفوضى

النظرية الثانية الرائدة في حقل نظريات العلاقات الدولية هي المؤسساتية. وكما يشي به اسمها، تركز مقاربتها للفوضى على "المؤسسات"، وهي منظومات Regimes تتألف من مبادئ وقواعد ومسارات لصنع القرار (عادةً ما تتجسد في المنظمات الدولية) من شأنها أن تسهّل التعاون بين الدول⁽³⁹⁾. ومن هذه الناحية، تختلف المؤسساتية عن الواقعية. ومن المفارقة أن المؤسساتية تصل إلى موقف نظري مختلف عن الواقعية مستخدمةً الافتراضات نفسها. فمثلها مثل الواقعية، تقرّ المؤسساتية بأن الفوضى تجعل من الدول الفواعل الأساسية وتجبرها على التصرف على نحو يخدم مصالحها الذاتية، كما أنها [أي الفوضى] تخلق بيئة مفعمة بانعدام الثقة؛ ما

40 R.O. Keohane & L.L. Martin, "The Promise of Institutional Theory," *International Security*, vol. 20, no. 1 (1995), p. 39.

41 Ibid., p. 40.

42 Ibid., pp. 41-42.

43 Slaughter, p. 37.

44 David P. Fidler, *International Law and Public Health* (Ardsley, NY: Transnational Publishers, Inc., 2000).

36 David P. Fidler, "Public Health and National Security in the Global Age: Infectious Diseases, Bioterrorism, and Realpolitik," *George Washington International Law Review*, vol. 35 (2003) (in press).

37 Ibid.

38 Ibid.

39 S. Krasner, "Structural Causes and Regime Consequences: Regimes as Intervening Variables," *International Organization*, vol. 36, no. 2 (1982), p. 185.

بحسب الليبرالية، ليست عائقاً بنويًا دائماً؛ فالفاعلون غير الدول يشكّلون الفوضى وفقاً لتفضيلاتهم المحددة على الصعيد الداخلي، وليست الفوضى هي ما يشكّل سلوك الدول وعلاقاتها فيما بينها من منظور عقلائي ومادي ضيق. وكما يرى سلوتر، فإن الليبرالية "هي رؤية من الأسفل إلى الأعلى، لا من الأعلى إلى الأسفل"⁽⁵¹⁾. وفي حين تفصل الواقعية والمؤسسية بين ما هو محلي وما هو دولي، تفترض الليبرالية أن السياقات السياسية والاجتماعية، الداخلية والدولية، التي أنشأها الفاعلون غير الحكوميين هي متغيرات حاسمة في فهم العلاقات الدولية.

ومن منظور الليبرالية، ثمة مسألتان تهيمنان على السياق الداخلي: حماية الحقوق الفردية، ووجود حكومات ديمقراطية. وتنبع أهمية الحقوق المدنية والسياسية من افتراض النظرية الليبرالية أن سلوك الدولة في ظل الفوضى يحدده الأفراد والجماعات الخاصة⁽⁵²⁾. ويشير عدم احترام الحقوق المدنية والسياسية في دولة ما إلى كيفية قيام تلك الدولة بتحديد سياستها تجاه الدول الأخرى. إن تركيز الليبرالية على ما يحدث داخل الدول من شأنه تحويل السمة المجردة لـ "الدولة"، الموجودة التي تقوم عليها تصورات الواقعية والمؤسسية، إلى موضع اهتمام بالغ بشأن أنواع الحكومات وأنماطها في النظام الدولي.

ويتصل هذا التركيز على العامل الداخلي بتأكيد الليبرالية أن "تشكيل تفضيلات الدول المرتبطة بعضها ببعض هو ما يحدد سلوك الدولة"⁽⁵³⁾. وبحسب الليبرالية، يخلق الأفراد والجماعات الخاصة، مثل التجار والشركات، تفضيلات الدولة المرتبطة بالدول الأخرى، من خلال التجارة والتبادل التجاري. وترى الليبرالية أنه من الضروري تشجيع مثل هذا الترابط وتحفيزه، لأنه "كلما كانت الروابط التجارية العابرة للحدود الوطنية وبنى الإنتاج أشد تنوعاً وتعقداً، كان الإكراه [من دولة ضد أخرى] أقل تكلفة"⁽⁵⁴⁾. وأخيراً، تربط استراتيجية الليبرالية العمودية لحوكمة الفوضى بين الفرد وطبيعة الحكومة والترابط الدولي العابر للحدود، باعتبارها العناصر الأساسية لنظرية العلاقات الدولية.

ب. الليبرالية والصحة العامة

تحديد صلة الليبرالية بالصحة العامة مسألة غير هيّنة. وقد رفض أحد الباحثين الرأي القائل إن الليبرالية ذات صلة شبيهة بصلة

المعدية أواخر القرن التاسع عشر⁽⁴⁵⁾. ومنذئذ، صارت المنظومات الدولية المرتبطة بالصحة العامة تحمل على عاتقها جمع المعلومات والمعارف والخبرات التقنية وتحليلها ونشرها. وتتضمن العديد من وظائف منظمة الصحة العالمية توفير الخدمات المتعلقة بالمعلومات/المعارف وتعزيزها لفائدة الدول الأعضاء⁽⁴⁶⁾. وتبرز أيضاً أهمية المؤسسية في التأثير الذي تحدته منظومات دولية أخرى - مثل منظمة التجارة العالمية WTO - في الصحة العامة⁽⁴⁷⁾. ويوضح الجدول الدائر حول تأثير منظمة التجارة العالمية في الصحة العامة الارتباط النظري بين المؤسسية والسعي للصحة العامة في ظل الفوضى. وتحتاج المؤسسية بأن تسهيل الاتصال مؤسسيًا وتدفع المعلومات والتعاون التقني من شأنه كلاً أن يخفف من حدة تضارب المنظومات، مثلما يحدث مع التوتر بين التجارة والصحة العامة. وتقدم المؤسسية أيضاً إطاراً لفهم العمليات التي يؤثر فيها تشكّل المنظومة وعملها سلبياً في الصحة العامة داخل الدول.

4. موقف الليبرالية من الفوضى والصحة العامة

أ. موقف الليبرالية من الفوضى

نظرية العلاقات الدولية الأساسية الثالثة هي الليبرالية، وهي تختلف عن الواقعية والمؤسسية. فبينما تقتسم الواقعية والمؤسسية كثيراً من الافتراضات بشأن الفوضى، تتبنى الليبرالية افتراضات مختلفة تميزها من النظريات الأخرى. وتعتقد الليبرالية أن الفاعلين الأساسيين في العلاقات الدولية هم الأفراد، والجماعات الخاصة، وليس الدول⁽⁴⁸⁾. ويعني هذا الموقف أن الليبرالية لا تنظر إلى حوكمة الفوضى من منظور أفقي متمركز حول الدولة، بل من منظور عمودي متمركز حول الفاعلين من غير الدول⁽⁴⁹⁾، حيث إن تفضيلات الفاعلين من غير الدول هي ما يحدد طبيعة العلاقات بين الدول⁽⁵⁰⁾. الفوضى،

45 A.A. Stein, "Coordination and Collaboration: Regimes in an Anarchic World," *International Organization*, vol. 36, no. 2 (1982); R. Cooper, "International Cooperation in Public Health as a Prologue to Macroeconomic Cooperation," *Brookings Discussion Paper in International Economics*, no. 44 (1986).

46 World Health Organization, "Constitution," pp. 2-3.

47 R. Horton, "The Casualties and Compromises of Renewal," *The Lancet*, vol. 359, no. 9317 (2002).

48 A. Moravcsik, "Taking Preferences Seriously: A Liberal Theory of International Politics," *International Organization*, vol. 51, no. 4 (1997), p. 516.

49 Slaughter, p. 41.

50 Moravcsik, p. 518.

51 Slaughter, p. 41.

52 T. Dunne, "Liberalism," in: Baylis & Smith (eds.), p. 164.

53 Moravcsik, p. 52.

54 Ibid., p. 53.

التجارة بالصحة العامة (مثل سياسات التجارة الأمريكية التي تعزز صادرات التبغ إلى البلدان النامية).

5. موقف البنائية من الفوضى والصحة العامة

أ. موقف البنائية من الفوضى

تعتبر البنائية نظرية العلاقات الدولية الأصعب من حيث وصفها وبناء صلة بينها وبين الصحة العامة. وتبدأ الصعوبات بالمحاجة القائلة إن البنائية ليست نظرية، بل أنطولوجيا؛ أي إنها ليست إلا طريقة لرؤية العالم⁽⁶⁰⁾. وعلى الرغم من هذا الانشغال، فإن البنائية بزغت باعتبارها نظرية رائدة في حقل العلاقات الدولية⁽⁶¹⁾. وتمثل المقاربة التي تتبناها البنائية إزاء الفوضى وجهة نظرٍ جديرةً بالاهتمام عند التفكير في أهمية الصحة العالمية.

وكما يشي به اسم البنائية نفسها، فإن البناء الاجتماعي للأفكار هو جوهر هذه النظرية. وترفض البنائية الافتراضات العقلانية والمادية للواقعية والمؤسساتية، وتحتاج بأن الأفكار والكيفية التي تُبنى بها اجتماعيًا هي أفضل ما يقدم رؤية ثابتة عن طبيعة عمل العلاقات الدولية. ووفقاً لوجهة النظر هذه، فإن الفوضى ليست واقعاً بنيويًا ومادياً دائماً أو خارجي المنشأ، مثلما تدعي الواقعية والمؤسساتية، بل إن الفوضى هي "ما تصنعه منها الدول"، كما عبر عنها فيندت⁽⁶²⁾. وما "الفوضى" إلا مجرد فكرة، وليست بنيةً مادية، وهي مشكلة متعلقة بالأفكار وليست واقعاً موضوعياً وثابتاً لا يتغير⁽⁶³⁾. وتتميز الأفكار بأنها أكثر قابلية للتغيير من البنى المادية؛ ما يعني أن البنائية تفتح أبواب الفضاء الفكري أمام الباحثين على عكس الواقعية والمؤسساتية اللتين تحرمانهم منه. ويركز البنائيون، مستلهمين علم الاجتماع، على العمليات البنائية التي يبني من خلالها الفاعلون معاني الأفكار، ويفككونها ويعيدون بناءها⁽⁶⁴⁾. ويكمن مفتاح المعرفة في تفسير السبل التي يقوم الفاعلون عبرها ببناء الأفكار اجتماعياً، وهي [أي الأفكار المبنية اجتماعياً] التي تحدد طبيعة علاقاتهم. ويحاج البنائيون

الواقعية بمشكلات الصحة العامة العالمية⁽⁵⁵⁾. كما حاج باحث آخر بأن الليبرالية أكثر ملاءمة للتفكير في الخطر العالمي الذي تشكّله الأمراض المعدية، مقارنة بالواقعية⁽⁵⁶⁾. وتثبت هذه المواقف المتباينة أن إقحام الصحة العامة ضمن الليبرالية أمرٌ معقدٌ جداً.

إن تركيز الليبرالية على الحقوق الفردية لا يتضمن "الحق في الصحة" ضمن جملة الحقوق المدنية والسياسية⁽⁵⁷⁾. كما أن اهتمامها بالديمقراطية لا يركز على الصحة العامة، حيث إن الديمقراطية عملية تهدف إلى تلبية العديد من الأهداف التي يحددها المحكومون. وعلاوة على ذلك، يعني وضع الفاعلين من غير الدول في قلب عملية تشكيل تفضيلات الدول أن الصحة العامة هي أساساً في أيدي الأفراد والجماعات الخاصة، لا الحكومات. فالحكومات تعكس التفضيلات التي تشكّلها العمليات الداخلية وعبر الوطنية بين الفواعل الخاصة. وكما حاج معهد الطب بشأن الصحة العامة الأمريكية، فقد "بات الناس يعتبرون نجاح الصحة العامة أمراً مفروغاً منه"⁽⁵⁸⁾. وتؤكد الليبرالية أن اعتبار الصحة العامة مسؤولية من مسؤوليات الحكومة، على الصعيدين الوطني والدولي، هو تفكير خاطئ وغير سليم.

وتفسر الليبرالية تدني مستوى الصحة العامة في البلدان غير الديمقراطية باعتباره انعكاساً لانعدام احترام الحقوق المدنية والسياسية والحكم الديمقراطي واقتصاد السوق. وقد عبر توماس جيفرسون عن هذا الرأي حين حاج بأن "مجتمعات السكان المريضة هي نتاج نظم سياسية مريضة"⁽⁵⁹⁾. ووفقاً لهذا الرأي، فإن لـ "الحكومة الجيدة"، من خلال التكيف البيئي السياسي والاقتصادي، الأولوية على الصحة العامة، لأن استدامة هذه الأخيرة تتوقف على الأولى. وبناءً عليه، تصير الصحة العامة مشتقة من أجنات سياسية وفلسفية أوسع.

أخيراً، يجعل تركيز الليبرالية على الترابط العابر للحدود الصحة العامة مدعاةً للقلق حين تجتمع تهديدات الصحة العامة مع التهديدات المتعلقة بالتجارة في آنٍ واحد. وتحدد الاستجابات المرتبطة بالحكومة من خلال الكيفية التي يشكّل بها الأفراد والجماعات الخاصة تفضيلاتهم لما يتعلق الأمر بالجدل بين الصحة العامة والتجارة (أي تأثير المجموعات التجارية في مقابل تأثير مناصري الصحة العامة). إن وجود عملية ديمقراطية لا يضمن أولوية الصحة العامة حين تصطم

60 J.T. Checkel, "The Constructivist Turn in International Relations Theory," *World Politics*, vol. 50, no. 2 (1998), p. 325; Slaughter, p. 46.

61 S. Smith, "Reflectivist and Constructivist Approaches to International Theory," in: Baylis & Smith (eds), p. 242.

62 A. Wendt, "Anarchy is What States Make of it: The Social Construction of Power Politics," *International Organization*, vol. 46, no. 2 (1992), p. 391.

63 A. Wendt, *Social Theory of International Politics* (Cambridge: Cambridge University Press, 1999).

64 Ibid.

55 Pirages, p. 54.

56 Price-Smith, p. 183.

57 Evans, p. 203.

58 Fenner (ed.), p. 1.

59 Porter, p. 57.

غير الدول أدواراً عديدة في بناء المعايير العالمية، تساعد في تشكيل الكيفية التي تؤثر بها هذه المعايير في مصالح الدول وهوياتها. وبالنسبة إلى البنائين، فإن الفوضى هي ما تصنع منها كل من الدول والفاعول غير الدول. ومثلها مثل الليبرالية، تتبنى البنائية مقارنة عمودية، أكثر منها أفقية، لحكومة الفوضى.

ب. البنائية والصحة العامة

مثلها مثل النظريات الأخرى، لم تُعر البنائية الصحة العامة اهتماماً كافياً. ومع ذلك، ففي وسعنا ملاحظة التطور التاريخي للصحة العامة في البنائية، وفي إمكاننا أيضاً استشفاف ما طرأ من تغيرات على الطرائق التي تبني بها المجتمعات الأفكار بشأن الصحة والصحة العامة، وطنياً ودولياً. وتلقى البنائية رواجاً لدى أنصار الصحة العالمية⁽⁷⁰⁾، حيث إنها تتيح حيزاً فكرياً جديداً لإعادة تعريف الصحة العامة وإبرازها أكثر. وتتسق البنائية مع أولئك الذين يرون أن على الدول ألا تنظر إلى الصحة العامة من خلال العدسة الضيقة للواقعية أو المؤسساتية، وأن عليها ألا تُخضع نفسها لتأثير الليبرالية. وإضافة إلى ذلك، تتيح البنائية طريقة يمكن لفكرة الصحة العامة أن تُبنى بها وبطرائق شتى، كما تساعد في إعادة بناء مصالح الدول وهوياتها بطرائق تُعلي من شأن الصحة ومكانتها في السياسة العالمية. ومن الناحية التحليلية، قد توفر البنائية استبصارات تساعد في فهم الحثيات والسبل التي تعاضمت في ظلها أهمية الصحة العامة في العلاقات الدولية خلال العقد المنصرم. وقد تكون البنائية واعدة أكثر (مقارنةً بنظريات أخرى) في شرح تطوراتٍ عديدة؛ مثل إعلان منظمة التجارة العالمية عن اتفاقية الجوانب التجارية لحقوق الملكية الفكرية والصحة العامة⁽⁷¹⁾، وانتشار الشراكات العالمية بين القطاعين العام والخاص في المجال الصحي⁽⁷²⁾.

ومع ذلك، تحمل البنائية في طياتها العديد من المشكلات بالنسبة إلى الدعوة إلى الصحة العالمية. وقد تعرضت البنائية للانتقاد ووجّهت إليها تهم عديدة، بما في ذلك افتقارها إلى بيانات إمبريقية

بأن العمليات الاجتماعية لا تعكس هويات الفاعلين ومصالحهم الثابتة، مثلما يفترض الواقعيون والمؤسسيون، لكنها تشكّل هذه المصالح والهويات وتكونها⁽⁶⁵⁾.

تشبه البنائية تفاعلاً حلقياً بين الفاعلين والبنى⁽⁶⁶⁾. وبالنسبة إلى الفوضى، تُعتبر الدول فواعل مهمة، بينما تشكّل الممارسات والمبادئ والقواعد والمؤسسات البنى الأساسية. ويؤكد البنائيون أن الفاعلين لا ينشئون البنى فحسب، بل إن البنى بدورها تشكّل مصالح الفاعلين وهوياتهم أيضاً. وكما حاجّ تشكيل، "بالنسبة إلى البنائين، الفاعلون (الدول) والبنى (المعايير العالمية) في حالة تفاعل مستمر؛ كما تربطهما علاقة تشكيل متبادل، حيث يشكل أحدهما الآخر"⁽⁶⁷⁾. ويقبل رواد البنائية، خصوصاً فيندت، بعض العناصر الأساسية في الواقعية والمؤسساتية، بما في ذلك الافتراض أن الدول وحدات تحليل مهمة، وأن النظام الدولي فوضوي البنية⁽⁶⁸⁾. لكن البنائية، في المقابل، تختلف مع الواقعية والبنائية في تأكيدها أن تفاعل الدول في ظل الفوضى يمكنه تحويل الكيفية التي تنظر بها الدول إلى مصالحها وهوياتها؛ وهكذا، يمكنه في نهاية المطاف تحويل الكيفية التي تتفاعل الدول بها بعضها مع بعض في ظل الفوضى. ووفقاً لفيندت، تسمح البنائية لنا بـ "التعامل مع الفعل الجماعي؛ ليس بوصفه مجرد مشكلة تتعلق بتغيير تكلفة التعاون بالنسبة إلى الفاعلين المهتمين بمصالحهم الذاتية، بل باعتباره عمليةً تنتهي إلى وضع تعريفات جديدة للذات"⁽⁶⁹⁾.

البنائية، خلاف الواقعية والمؤسساتية، ليست متمركزة بشدة حول الدولة، لكنها تشجع التحليلات التي تقحم الفاعلين من غير الدول في العمليات الاجتماعية التي تشكّل الفوضى. وتهتم البنائية بالكيفية التي يعكس بها سلوك الشركات المتعددة الجنسيات MNCs، والمنظمات غير الحكومية NGOs، التغير في الطرائق التي يبني بها الفاعلون (الدول وغير الدول على حد سواء) البنى السياسية والاقتصادية والقانونية والمعيارية في ظل الفوضى. ومن جهة أخرى، ترصد البنائية الدور الذي يؤديه الفاعلون غير الدول بوصفهم فاعلين Agents في التفاعل الحلقى بين البنى والفاعلين. ويؤدي الفاعلون

70 I. Kickbusch, "Global Health Governance: Some Theoretical Considerations on the New Political Space," in: Lee (ed), pp. 195-196.

71 Commission on Macroeconomics and Health.

72 K. Buse & G. Walt, "Globalisation and Multilateral Public-Private Partnerships: Issues Forhealth Policy," in: K. Lee, K. Buse & S. Fustukian (eds.), *Health Policy in A Globalising World* (Cambridge: Cambridge University Press, 2002); M. Reich (ed.), *Public-Private Partnerships for Public Health* (Cambridge, MA: Harvard University Press, 2002); R. Widdus, "Public-Private Partnerships for Health: Their Main Targets, their Diversity, and their Future Directions," *Bulletin of the World Health Organization*, vol. 79 (2001).

65 Wendt, "Anarchy is What States Make of it;" Smith, "Reflectivist and Constructivist Approaches."

66 A. Wendt, "The Agent-Structure Problem in International Relations Theory," *International Organization*, vol. 41, no. 3 (1987), p. 339.

67 Checkel, p. 328.

68 Wendt, *Social Theory of International Politics*.

69 A. Wendt, "Collective Identify Formation and the International State," *American Political Science Review*, vol. 88, no. 2 (1994), p. 378.

[أي مسؤولية حكومات الدول]. إن أدوات الحوكمة الرئيسة في صدام الصحة العامة مع الفوضى هي الدبلوماسية ما بين الحكومات (التي ركزت عليها الواقعية) والمنظومات ما بين الحكومية (التي أكدت عليها المؤسساتية).

ويتضمن منظور الفوضى الدولية أيضاً اتفاقاً بين الواقعية والمؤسساتية حول سبب أهمية الصحة العامة في العلاقات الدولية. فكلتاها تنظر إلى الصحة العامة من منظور نفعي، باعتبارها قدرة مادية ضمن مساعي الدول لتحقيق مصالحها الذاتية المتمثلة في البقاء والأمن والقوة والنفوذ. وتفرض الفوضى، بحسب كلتا النظريتين، على الدول إطاراً نوعياً يُدرج الصحة العامة في حسابات الدولة لقدراتها المادية ومصالحها في مواجهة الدول الأخرى. إن الكيفية التي تنظر بها الدول إلى الصحة العامة داخلياً غير مهمة ولا تؤخذ في الاعتبار بموجب منظور الفوضى الدولية الذي تتبناه الواقعية والمؤسساتية. وهكذا؛ وفيما يتعلق بالسؤال: لماذا تُعدّ الصحة العامة مهمة؟ تفصل مقارنة الفوضى الدولية بين السعي إلى الصحة العامة داخل الدولة والسعي إليها على المستوى الدولي.

2. الفوضى المعولمة والصحة العامة

تبتنى الليبرالية والبنائية مقارنةً مختلفةً لمشكلة الفوضى، تتمثل في منظور "الفوضى المعولمة". وعلى النقيض من منظور الفوضى الدولية، يرفض منظور الفوضى المعولمة المقاربة المتمحورة على الدولة، لتأكيد إقحام الفاعلين من غير الدول في حوكمة الفوضى. وفي ظل الفوضى المعولمة، تكون الحوكمة عموديةً، وليست أفقيةً. وبالنسبة إلى الليبرالية، تتمثل وحدة التحليل الأساسية في الأفراد والجماعات الخاصة، لا الدول. وفضلاً عن ذلك، فإن تأكيد الليبرالية على الديمقراطية داخل الدول، وعلى العلاقات الاقتصادية بين الشعوب، يجعل الناخبين والتجار لاعبين حاسمين في العلاقات الدولية. وعلى غرار ذلك، ترفض البنائية تمرّكز الواقعية والمؤسساتية على الدولة سعيًا منها إلى إفساح المجال أمام الفاعلين من غير الدول للتأثير في عمليات البناء الاجتماعي للقضايا العالمية. وفي حين تقوم الواقعية والمؤسساتية بإضفاء طابع دولي على الفوضى، تقوم الليبرالية والبنائية بإضفاء بُعد عالمي عليها، من خلال تأكيد الدور الذي يؤديه الفاعلون غير الدول.

وخلالاً لمنظور الفوضى الدولية، لا يقدم منظور الفوضى المعولمة وجهة نظر واحدة حول أسباب أهمية الصحة العامة. إن التركيز على الفاعلين من غير الدول يعني أن منظور الفوضى المعولمة لا يمكن أن يفصل ما هو داخلي عما هو عالمي عند التنظير حول الصحة العامة.

تدعم مزاعمها⁽⁷³⁾، وعجزها عن شرح "متى وكيف ولماذا يعدّ البناء الاجتماعي مهمًا من الناحية السببية"⁽⁷⁴⁾. إضافة إلى ذلك، لا تقدم البنائية أي أفكار تشرح الأسباب التي تضي على الصحة العامة أهمية أكبر في السياسة العالمية. وتتجاوز هذه المشكلة بعيداً موضوع الصحة العامة؛ إذ تبدو البنائية، على عكس الليبرالية، خالية من المضمون المعياري، لأنها تهتم بالعمليات والكيفية التي تُبنى من خلالها الأفكار اجتماعياً، لكنها لا تهتم بما إذا كانت الأفكار المبنية اجتماعياً ذات طبيعة تقدّمية. وقد حاجّ فيندت بأن البنائية "لا تعزو أي اتجاهية Directionality أو غائية Teleology للعمليات التاريخية"⁽⁷⁵⁾. ومع أن للبنائين "مصلحة معيارية في النهوض بالتغيير الاجتماعي وتشجيعه"⁽⁷⁶⁾، فإن البنائية لا تقدّم أي تصور لانتقاء الأفكار التي يجب بناؤها، وكيف ينبغي بناؤها. وكما يقول أحد الناقدين: "من غير الواضح كيف نستفيد من البنائية في صيغتها الحالية"⁽⁷⁷⁾.

رابعاً: من الفوضى الدولية إلى الفوضى المعولمة: معضلة الصحة العامة

1. الفوضى الدولية والصحة العامة

تنقسم نظريات العلاقات الدولية الأربعة إلى منظورين مختلفين: أحدهما يركز على "الفوضى الدولية"، والآخر على "الفوضى المعولمة". وتنظر الواقعية والمؤسساتية إلى الفوضى باعتبارها مشكلة فوضى دولية؛ كيفية تفاعل الدول في بيئة فوضوية من العلاقات الدولية. وكما يبيّنه تركيز الواقعية والمؤسساتية على الدولة وعلى العلاقات بين الدول، فإن الفاعلين من غير الدول لا يحظون بالأهمية نفسها. وعلى الرغم من اختلاف الواقعية والمؤسساتية في إمكانية التعاون بين الدول، فإنهما تتفقان على أن الحوكمة في ظل الفوضى هي حوكمة ما بين حكومية (أو أفقية). ويتسق منظور الفوضى الدولية مع أولوية دور الحكومة الذي يتجلى في نظرية الصحة العامة. وكما تقع مسؤولية الصحة العامة داخل الدولة على عاتق الحكومة في المقام الأول، فإن الصحة العامة على المستوى الدولي تظل مسؤولية حكومية

73 S. Krasner, "Wars, Hotel Fires, and Plane Crashes," *Review of International Studies*, vol. 26, no. 1 (2000), p. 131.

74 Checkel, p. 332.

75 Wendt, "Collective Identify Formation," p. 383.

76 A. Wendt, "Constructing International Politics," *International Security*, vol. 20, no. 1 (1995), p. 74.

77 Checkel, p. 348.

المتمحورة حول الدول ليست كافية. وعلاوة على ذلك، غالبًا ما يجد إقحام المنظمات غير الحكومية حافزًا في الفكرة القائلة إن الصحة هي حق من حقوق الإنسان، وإن سياسات الصحة العامة إنما توجد لتعزيز هذا الحق. ومع ذلك، فإن القوة المتنامية للشركات المتعددة الجنسيات لا تعكس الالتزام نفسه تجاه الصحة بوصفها حقًا من حقوق الإنسان. فهي [أي الشركات المتعددة الجنسيات] تنجز خلف الحجج النفعية المتعلقة بمساهمة الصحة العامة في الإنتاجية والتنمية الاقتصادية. ويجمع هذا التحول إلى الفوضى المعولمة بين مضمونين نظريين مهمين: 1. تحدّي - إن لم يكن رفض - وجهة النظر التقليدية القائلة إن الحكومات هي المسؤولة في المقام الأول عن الصحة العامة؛ 2. تفاقم الخلاف بشأن الأسباب التي تجعل الصحة العامة مهمة.

يؤدي التحول من الفوضى الدولية إلى الفوضى المعولمة إلى بروز مشكلات في نظرية الصحة العامة في مواجهتها لمشكلة الفوضى. أولاً، ينسف منظور الفوضى المعولمة التمايز المحلي - الدولي الذي يتبناه منظور الفوضى الدولية وجزء كبير من تاريخ الدبلوماسية الصحية الدولية. ثانيًا، يتحدى منظور الفوضى المعولمة الفرضية التقليدية القائلة إن الصحة العامة هي مسؤولية الحكومات في المقام الأول، ويتجلى هذا التحدي في المستوى العالمي حيث: 1. إن قوة الشركات المتعددة الجنسيات تؤثر إلى ضعف متنامٍ تعانیه الحكومات في توفير السلع العامة، 2. إن المنظمات غير الحكومية تقود حملاتٍ مستمرة، لأن ترك الصحة العامة بين أيدي الحكومات والمنظمات الدولية الحكومية لم يُجَدِ نفعًا. ثالثًا، يكشف تركيز الفوضى المعولمة على الفاعلين من غير الدول والحوكمة العمودية الستار عن الخلاف الدائر حول أسباب أهمية الصحة العامة، حيث تعمق الفوضى المعولمة الانقسام بين مفاهيم الصحة العامة القائمة على الحقوق وتلك القائمة على النفعية. وتشير بعض الأدلة إلى أن الفكر النفعي، من منظور الفوضى المعولمة، قد بات له اليد الطولى⁽⁸¹⁾، وهو ما يضاهاه الإجماع بشأن المضامين النفعية الذي ينطوي عليه منظور الفوضى الدولية. وقد أفضى إضعاف الدولة من خلال العولمة، إلى جانب الهيمنة المحتملة للمقاربات النفعية للصحة العامة، إلى تحويل جهة إنفاذ الحق في الصحة من الدولة إلى المنظمات غير الحكومية المشاركة في حوكمة الصحة العالمية، مثلما يرى إيفانز⁽⁸²⁾.

فالليبرالية والبنائية لا تتفقان بشأن الأسباب التي تجعل الصحة العامة مهمة، داخليًا أو عالميًا، أو ما إن كانت مهمة أصلًا.

وفيما يتعلق بإنتاج الصحة العامة، يتحدى منظور الفوضى المعولمة طريقة التمثيل التقليدي للصحة العامة باعتبارها مسألةً حكومية في المقام الأول. وإذا كان الفاعلون من غير الدول يؤدون الدور الذي يشدد عليه منظور الفوضى المعولمة، فإن جهود الصحة العامة في البيئة الفوضوية للسياسة العالمية يجب أن تعكس تأثير أولئك الفاعلين من غير الدول. ورغم أن منظور الفوضى المعولمة يقر بالدور الذي تؤديه الدول، فإنه يعمل على تحويلٍ وقلبٍ للأسس النظرية لتحليل العلاقات الدولية. ويلتقي هذا التحول مع الجهود الليبرالية والبنائية الهادفة إلى تقويض الحواجز بين الداخلي والعالمي (التي تظهر في الواقعية والمؤسسية)، لخلق نطاق واحد للتحليل والبحث يؤدي فيه الفاعلون من غير الدول أدوارًا مساوية، إن لم تكن أكثر أهمية، في إنتاج "السلع العامة"، مثل الصحة العامة.

3. من الفوضى الدولية إلى الفوضى المعولمة: تيارات في حقل الصحة العامة

تشير التيارات الحديثة حول صدام الصحة العامة مع مشكلة الفوضى إلى أن حقل الصحة العامة قد تحوّل من الفوضى الدولية إلى الفوضى المعولمة. ويكشف التركيز على "حوكمة الصحة العالمية"⁽⁷⁸⁾ و"الشراكات العامة - الخاصة العالمية"⁽⁷⁹⁾ GPPPs [أي الشراكات بين القطاعين العام والخاص على المستوى العالمي] عن وعي بانخراط الشركات المتعددة الجنسيات والمنظمات غير الحكومية - وعن دعوة أيضًا إلى إشراكها - في سياسات الصحة العامة. وإضافة إلى ذلك، لاحظ الخبراء الدور الرائد الذي تؤديه المنظمات غير الحكومية الآن في مجال الصحة العالمية، فقد ذكر هورتون مثلًا أن "المنظمات مثل منظمة أطباء بلا حدود MSF قد حلت محل منظمة الصحة العالمية، وباتت تحتل مكان الصدارة في تطوير السياسات"⁽⁸⁰⁾. ويؤكد التركيز على الفاعلين من غير الدول أن استراتيجيات الصحة العامة التقليدية

78 R. Dodgson, K. Lee & N. Drager, "Global Health Governance: A Conceptual Review," *Key Issues in Global Health Governance Discussion Paper*, no. 1, World Health Organization (2002); K. Loughlin & V. Berridge, "Global Health Governance: Historical Dimensions of Global Governance," *Key Issues in Global Health Governance Discussion Paper*, no. 2, World Health Organization (2002); David P. Fidler, "Global Health Governance: Overview of the Role of International Law in Protecting and Promoting Global Public Health," *Key Issues in Global Health Governance Discussion Paper*, no. 3, World Health Organization (2002).

79 Buse & Walt; Widdus; Reich (ed.).

80 Horton, p. 1608.

81 World Bank, *World Development Report 1993*; Commission on Macroeconomics and Health.

82 Evans, p. 210.

خامساً: مواجهة المعضلة

قد لا يهتم الكثير من المنخرطين في مجال الصحة العامة بهذه المعضلة النظرية، حيث تظل الصحة العامة مسعى عملياً [متعلقاً بالممارسة] يقتضي اتخاذ أفعال عملية، بدلاً من مجرد بناء نظريات. وفي حين أن لهذا الموقف مزاياه، فإن أنصار الصحة العالمية ينبغي أن يشعروا بالقلق حيال ضعف الدعم النظري للمساعي المبذولة في ظل الفوضى المعومة. أقوم في هذه الخاتمة بتحليل الطرائق التي يمكن من خلالها معالجة هذه المعضلة والتعامل معها، كما أتطرق إلى الأفاق السياسية لهذه المقاربات والآثار المترتبة على هذه التحليلات بالنسبة إلى الجهود الهادفة إلى ترقية قضايا الصحة العامة في الدبلوماسية العالمية.

يمكن تحديد ثلاث مقاربات لحل المعضلة النظرية في الصحة العامة: الرفض، والمراجعة، والثورة. تستلزم مقارنة الرفض: 1. إنكار أن الصحة العامة تواجه معضلة نظرية، وأن العومة تدمر الإطار التقليدي للصحة العامة المتمركز حول الدولة؛ 2. تأكيد الصديقة الدائمة للتعزيز حول الصحة العامة بطرائق تقليدية. غير أن مقارنة الرفض تعصف بها مشكلتان: أولاً، أن الأدلة على أن العومة تؤثر سلباً في المسؤولية الأساسية للدول حيال الصحة العامة كثيرة ومتزايدة⁽⁸⁴⁾؛ ثانياً، أن أهمية القوى المعومة الخارجة عن سيطرة الدول تكشف عن افتقار نظرية الصحة العامة التقليدية إلى الاهتمام بمشكلة الفوضى.

وتنطوي مقارنة المراجعة على إعادة النظر في نظرية الصحة العامة التقليدية بغية التصدي للتحديات الجديدة التي تواجه الصحة العامة. وتقتضي المراجعة تطعيم نظرية الصحة العامة في الأطر التي تعالج مشكلة الفوضى، غير أن عملية التطعيم هذه تواجه تعقيدات عديدة؛ فنظرية الصحة العامة التقليدية لا يمكن دمجها بسهولة في أي من نظريات العلاقات الدولية الأربع التي فُحصت آنفاً. أما الواقعية والمؤسسية، فتقاومان تطعيمهما بها؛ لأنهما تنكران أي صلة للداخلي بحوكمة الفوضى، في حين تربط الليبرالية بين الداخلي والدولي والعالمي، لكن بطرق تُدرج، وربما تُخضع الصحة العامة للنضال من أجل الحقوق الفردية، والحكومات الديمقراطية، والاعتماد المتبادل الاقتصادي. باختصار، لا تكفي الليبرالية بالخضوع لتطعيم بنظرية الصحة العامة، لكنها تلتهمها.

أكثرُ النظريات ملاءمة لعملية التطعيم هذه هي النظرية البنائية، لأنها تعزز دور الأفكار وعمليات التنشئة الاجتماعية في السياسة الوطنية والدولية والعالمية. فمثلاً، يخص كيكبوش البنائية بالذكر

تواجه الدعوة إلى منظومة للصحة العالمية مهمة بناء نظرية أو نظرياتٍ عن الصحة العامة في ظل فوضى معومة. ويخلق تحوّل الصحة العامة من الفوضى الدولية إلى الفوضى المعومة معضلة أمام بناء النظريات، حيث يؤدي هذا التحول إلى تفاقم الخلاف بشأن الأسباب التي تجعل الصحة العامة مهمة ويقوّض الافتراض أن الصحة العامة هي مسؤولية الحكومات بالدرجة الأولى. ويخلق التحول من الفوضى الدولية إلى الفوضى المعومة ظروفاً أشد تعقيداً لتطوير النظريات؛ إذ تمنح الفوضى المعومة فرصاً أقل للتوصل إلى توافق في الآراء حول الأسباب التي لأجلها ينبغي أن تكون الصحة العامة هدفاً ذا أهمية أكبر. كما تعكس الفوضى المعومة الخلاف بشأن هذه القضية؛ ليس بين الدول فحسب، بل بين الفاعلين من غير الدول أيضاً، وذلك في ظل بيئة لا تنطوي سوى على القليل من الآليات التي تيسر بلوغ إجماعٍ مستدام وراسخ. أما من الناحية العملية، فقد تكون الفوضى المعومة طريقاً غير ملائمة للوصول إلى إجماعٍ نظريٍّ حول المسوغات المؤسّسة لأنشطة الصحة العامة.

لم يثبت أن الخلاف القائم حول أسباب أهمية الصحة العامة يمثل عقبة في وجه تطوير سياسات الصحة العامة؛ لذلك يمكن لحكومة الصحة العالمية المضيّ قدماً على الرغم من الخلافات الفلسفية. ومع ذلك، تزيد الفوضى المعومة من صعوبة بناء نظريات حول أفضل سبل السعي للصحة العامة داخل الدولة وخارجها. وكما جرت الإشارة من قبل، فإن منظور الفوضى المعومة يتحدى الموقف التقليدي الذي يرى أن الحكومات هي الفواعل الأساسية؛ وطنياً، ودولياً. ويعكس الاهتمام بحوكمة الصحة العالمية والشراكات العالمية بين القطاعين الخاص والعام أن التوجّه التقليدي للصحة العامة المتمحور حول الدول قد غدا عقيماً لا فائدة فيه. وإضافة إلى المخاوف بشأن آثار العومة السلبية في قدرات الدولة، تشير المخاوف المتعلقة بغياب مساءلة الفاعلين من غير الدول المنخرطين في الحوكمة العالمية⁽⁸³⁾ إلى أن الفوضى المعومة قد تكون أكثر فوضوية وبعيداً عن الاستقرار من الفوضى الدولية. ولا تفعل الإحالات إلى نظريات العلاقات الدولية التي تركز على الفوضى المعومة بشيء سوى توسيع الفجوة بين الآراء، لأن التنوع - لا الانسجام - هو ما يسود حقل نظريات العلاقات الدولية. وينبغي لأنصار الصحة العالمية والمدافعين عنها معالجة معضلة بناء نظرية متماسكة لتفسير الواقع العالمي الجديد للصحة العامة في سياق سياسي غير مناسب لحرفة التنظير.

83 P. Spiro, "Accounting for NGOs," *Chicago Journal of International Law*, vol. 3 (2002).

إن لتحليل منظورات الرفض والمراجعة والثورة آثارًا في الجهود المبذولة للنهوض بمستوى الصحة العامة في الدبلوماسية العالمية؛ وذلك لأنه يعزز أهمية السؤالين الأساسيين في المسعى التحليلي لهذه الدراسة: 1. لماذا يجب أن تكون الصحة العامة في صدارة الأجندة الدبلوماسية العالمية؟ 2. كيف ينبغي صياغة مساعي الارتقاء بالصحة العامة وتنفيذها على الصعيد العالمي؟ كذلك، يتمثل جزءٌ من رسالة هذه الدراسة في أن وصف الواقع العالمي الجديد للصحة العامة ليس مثل توفير الأطر النظرية التي يمكن من خلالها شرح هذه الحقائق وفهمها وتسخيرها. ومثلما اقترحه تحليل نظريات العلاقات الدولية، فإن التحدي النظري الأكبر الذي يواجه الصحة العامة اليوم هو مشكلة الفوضى، وما يزيدها تعقيدًا هو التحول الواضح في الصحة العامة من الفوضى الدولية إلى الفوضى المعولمة.

لقد نظرنا في هذه الدراسة في أربع نظريات من حقل العلاقات الدولية، وتزعم ثلاثٌ منها أن مشكلة الفوضى ليست مستعصية على الحل، وفي ذلك مواسة لأنصار الصحة العالمية والمنادين بها. إن المؤسساتية أقل تفاعلًا من الليبرالية فيما يتعلق بأفاق التغيير التدريجي. أما البنائية فتتوسطهما، وإن بصورة لا تخلو من الغموض. ويُقابل أنصار الصحة العالمية المؤسساتية بالقدر الأعلى من عدم الارتياح بسبب فرضياتها واعتباراتها المادية الضيقة المنظور والمتمحورة حول الدولة. وربما يشير تقبل الصحة العامة للسياسات الاقتصادية النيوليبرالية إلى جفاء بين أنصار الصحة العالمية حيال الليبرالية. ويشير التحليل الوارد في هذه الدراسة إلى أن البنائية قد تكون الإطار النظري الواعد والمطلوب لمواجهة الصحة العالمية مشكلة الفوضى. ومع ذلك، فإن البنائية حاليًا هي أقل نظريات العلاقات الدولية اكتمالًا وأشدها غموضًا؛ ما يثير تساؤلًا عميًا إذا كانت البنائية هي الأشد جاذبية، فهي تظل الأقل وضوحًا.

لا تستنفذ نظريات العلاقات الدولية الأربع إمكانات التفكير للمساهمة في تحليل الصحة العالمية من منظور حقل العلاقات الدولية، لكن اعتمادي على هذه النظريات في وضع نظرية الصحة العامة التقليدية، وجهًا لوجه مع مشكلة الفوضى، يرمي إلى جعل الاهتمام المتزايد بالصحة العالمية يلتفت إلى الحاجة إلى أطرٍ نظريةٍ وتحليليةٍ لتنظيم وتشكيل النقاش وجعله أشدّ تماسكًا. ويؤكد بوس (وآخرون) أن "التحدي الرئيس [في التفكير بشأن مسألة السياسة الصحية في عالم يتجه نحو العولمة] يكمن في الحاجة إلى رسم الحدود التحليلية للصحة العالمية وتعريفها على نحو أشد وضوحًا فيما يتصل بالقضايا السياسية الخاصة التي تثيرها العولمة"⁽⁸⁶⁾.

باعتبار أنها تقدّم "أفضل منطلق نظري للمساعدة في فهم ديناميات حوكمة الصحة العالمية"⁽⁸⁵⁾. وتكمن مشكلة تطعيم البنائية بنظرية الصحة العامة في أن البنائية، على خلاف الليبرالية، لا تفيد كثيرًا في تحديد الأفكار الجديدة بالدعم والتعزيز داخل الدولة وخارجها، كما أنها لا تقدّم أي أساس منطقي يبرر الأسباب التي تجعل الصحة العامة جديدة بالمزيد من الاهتمام. إن الخلاف بشأن "السؤال لماذا" من شأنه إحباط تطعيم البنائية بنظرية الصحة العامة. وعلاوة على ذلك، يشير تأثير العولمة في الصحة العامة إلى أن مفاهيم الصحة العامة التقليدية قد فقدت صدقيتها؛ ما يتطلب طريقة جديدة في التفكير. وفي هذا السياق، يتيح الفراغ المعياري للبنائية أساسًا ضعيفًا للمضي قدمًا في مساعي المراجعة.

تنطوي المقاربة الثالثة على إحداث ثورة في نظرية الصحة العامة، عبر طريقتين أساسيتين. أولًا، من شأن هذه الثورة أن تغيّر التركيز التقليدي على أولوية الحكومات، حتى يُسمح بإضفاء أهمية نظرية أكبر على الفاعلين من غير الدول. ثانيًا، من شأن هذه المقاربة الثورية أن تضع حدًا لإهمال مشكلة الفوضى في نظرية الصحة العامة ووضعها في قلب عملية التحليل. كما من شأن هذه المقاربة الثورية أن تستقطب الدعم من تأثيرات العولمة في الصحة العامة في البلدان الغنية والفقيرة. أما الحافة المعيارية لاستراتيجية الثورة، فمن شأنها أن تسعى إلى تغيير نظرة الأفراد والمجتمعات والدول والفاعلين من غير الدول إلى الصحة العامة، على الصعيدين المحلي والعالمي. وإضافة إلى ذلك، تهدف المقاربة الثورية إلى التغلب على تجاهل الصحة العامة باعتبارها مسألة نظرية وعملية في الشؤون العالمية، وذلك من خلال جعل المخاوف المتعلقة بالصحة العامة محور التفكير في عولمة مستدامة.

مع ذلك، تظل آفاق المقاربة الثورية مثيرةً للشكوك. وتتوخى هذه المقاربة توضيح المسوغات الملموسة للصحة العامة وإمكانية تغيير هندستها جذريًا. وتتطلب النزعة الثورية مثل هذه التغييرات الجذرية في سياق الفوضى المعولمة، باعتبارها بيئة سياسية غير مواتية للتوصل إلى توافقٍ بشأن السياسات الثورية البنوية والملموسة. وعادةً ما تنتج الثورات التي تحدث من دون أي إجماع عن القوي بممارسة القوة ضد الضعيف، وهو ليس الأمر المقصود من المقاربة الثورية. وفي غياب إجماعٍ عالمي أو نزعة إلى الهيمنة في إمكانهما إعادة تشكيل العالم، فإن منظور الثورة يظل بلا جاذبية سياسية في البيئة نفسها التي تشكّل مصدر إلهام له؛ بيئة الفوضى المعولمة.

المراجع

Baldwin, P. *Contagion and the State in Europe, 1830-1930*. Cambridge: Cambridge University Press, 1999.

Baylis, J. & S. Smith (eds.). *The Globalization of World Politics*. Oxford: Oxford University Press, 2001.

Bull, H. *The Anarchical Society*. London: Macmillan, 1977.

Checkel, J.T. "The Constructivist Turn in International Relations Theory." *World Politics*. vol. 50, no. 2 (1998).

Commission on Macroeconomics and Health. *Macroeconomics and Health: Investing in Health for Economic Development; Report of the Commission on Macroeconomics and Health*. Geneva: World Health Organization, 2001.

Cooper, R. "International Cooperation in Public Health as a Prologue to Macroeconomic Cooperation." *Brookings Discussion Paper in International Economics*. no. 44 (1986).

Dodgson, R., K. Lee & N. Drager. "Global Health Governance: A Conceptual Review." *Key Issues in Global Health Governance Discussion Paper*. no. 1. World Health Organization (2002).

Dublin, L.I. *Health and Wealth: A Survey of the Economics of World Health*. New York: Harper & Brothers Publishers, 1928.

Evans, T. "A Human Right to Health?" *Third World Quarterly*. vol. 23, no. 2 (2002).

Fenner, F. (ed.). *Smallpox and its Eradication*. Geneva: World Health Organization, 1988.

Fidler, David P. *International Law and Public Health*. Ardsley, NY: Transnational Publishers, Inc., 2000.

_____. "The Globalization of Public Health: The First 100 Years of International Health Diplomacy." *Bulletin of the World Health Organization*. vol. 79 (2001).

لم تزود نظرية الصحة العامة التقليدية الطلاب وممارسي الصحة العامة بأدوات تحليلية لتقييم أهمية مشكلة الفوضى، ولتفسير وفهم تحول الصحة العامة من الفوضى الدولية إلى الفوضى المعومة. لقد أربكت العومة الافتراضات النظرية لكثير من التخصصات المعرفية؛ لذلك، فإن الصحة العامة لا تقف وحيدة في مواجهة التحديات النظرية. وكما أشار إليه كيكبوش وبوس، فإننا "ما زلنا في بداية مرحلة محاولة إعادة النظر في مفهوم الصحة العامة العالمية وإعادة صياغته، وليست لدينا حتى الآن صورة واضحة عن جميع التبعات التي تخلفها التغيرات الحالية على صحة السكان"⁽⁸⁷⁾. ومثلما هي الحال عليه مع التخصصات المعومة الأخرى، تواجه الصحة العامة الحاجة إلى تطوير منظورات نظرية عن الصحة والمرض في سياق من الفوضى المعومة، وهذا ضروري كي تتأكد من أن المساعي الهادفة إلى دعم الصحة العالمية مزودة بتقنيات تحليلية تدعم الارتقاء المستدام بالصحة العامة وجعلها من أولويات الأجندات العالمية، لدى الفاعلين من الدول ومن غير الدول على حد سواء.

87 I. Kickbusch & K. Buse, "Global Influences and Global Responses: International Health at the Turn of the 21st Century," in: M. Merson, R. Black & A. Mills (eds.), *International Public Health* (Gaithersburg, MD: Aspen Publishers, 2001), p. 701.

- Issues in Global Health Governance Discussion Paper*. no. 2. World Health Organization (2002).
- Mearsheimer, J.J. "The False Promise of International Institutions." *International Security*. vol. 19, no. 3 (1994).
- Merson, M., R. Black & A. Mills (eds.). *International Public Health*. Gaithersburg, MD: Aspen Publishers, 2001.
- Moravcsik, A. "Taking Preferences Seriously: A Liberal Theory of International Politics." *International Organization*. vol. 51, no. 4 (1997).
- Morgenthau, H. *Politics Among Nations*. 5th ed. New York: Knopf, 1978.
- Pirages, D. "Ecological Theory and International Relations." *Indiana Journal of Global Legal Studies*. vol. 5, no. 1 (1997).
- Porter, D. *Health, Civilization, and the State: A history of Public Health from Ancient to Modern Times*. London: Routledge, 1999.
- Price-Smith, A. *The Health of Nations: Infectious Disease, Environmental Change, and their Effects on National Security and Development*. Cambridge, MA: MIT Press, 2002.
- Reich, M. (ed.). *Public-Private Partnerships for Public Health*. Cambridge, MA: Harvard University Press, 2002.
- Rosen, G. *A History of Public Health*. New York: MD Publications, 1958.
- Slaughter, A.-M. "International Law and International Relations." *Recueil des Cours*. T. 285. Hague Academy of International Law (2002).
- Spiro, P. "Accounting for NGOs." *Chicago Journal of International Law*. vol. 3 (2002).
- Stein, A.A. "Coordination and Collaboration: Regimes in an Anarchic World." *International Organization*. vol. 36, no. 2 (1982).
- _____. "Global Health Governance: Overview of the Role of International Law in Protecting and Promoting Global Public Health." *Key Issues in Global Health Governance Discussion Paper*. no. 3. World Health Organization (2002).
- _____. "Public Health and National Security in the Global Age: Infectious Diseases, Bioterrorism, and Realpolitik." *George Washington International Law Review*. vol. 35 (2003) (in press).
- Frankel, B. (ed.). *Realism: Restatements and Renewal*. London: Frank Cass, 1996.
- Gostin, L.O. *Public Health Law*. Berkeley, CA: University of California Press, 2000.
- Horton, R. "The Casualties and Compromises of Renewal." *The Lancet*. vol. 359, no. 9317 (2002).
- Hutchinson, J.F. *Champions of Charity: War and the Rise of the Red Cross*. Boulder, CO: Westview Press, 1996.
- Keohane, R.O. & L.L. Martin. "The Promise of Institutional Theory." *International Security*. vol. 20, no. 1 (1995).
- Krasner, S. "Structural Causes and Regime Consequences: Regimes as Intervening Variables." *International Organization*. vol. 36, no. 2 (1982).
- _____. "Wars, Hotel Fires, and Plane Crashes." *Review of International Studies*. vol. 26, no. 1 (2000).
- Lee, K. (ed.). *Health Impacts of Globalization: Towards Global Governance*. London: Palgrave Macmillan, 2003.
- Lee, K., K. Buse & S. Fustukian (eds.). *Health Policy in A Globalising World*. Cambridge: Cambridge University Press, 2002.
- Legro, J.W. & A. Moravcsik. "Is Anybody still A Realist?" *International Security*. vol. 24, no. 2 (1999).
- Loughlin, K. & V. Berridge. "Global Health Governance: Historical Dimensions of Global Governance." *Key*

Waltz, Kenneth Neal. *Theory of International Politics*. Reading, MA: Addison-Wesley, 1979.

Wendt, A. "The Agent-Structure Problem in International Relations Theory." *International Organization*. vol. 41, no. 3 (1987).

_____. "Anarchy is What States Make of it: The Social Construction of Power Politics." *International Organization*. vol. 46, no. 2 (1992).

_____. "Collective Identify Formation and the International State." *American Political Science Review*. vol. 88, no. 2 (1994).

_____. "Constructing International Politics." *International Security*. vol. 20, no. 1 (1995).

_____. *Social Theory of International Politics*. Cambridge: Cambridge University Press, 1999.

Widdus, R. "Public-Private Partnerships for Health: Their Main Targets, their Diversity, and their Future Directions." *Bulletin of the World Health Organization*. vol. 79 (2001).

Winslow, C.E.A. *Health is Wealth*. Geneva: World Health Organization, 1953.

World Bank. *Health*. Washington, DC: World Bank, 1975.

_____. *World Development Report 1993: Investing in Health*. Washington, DC: World Bank, 1993.

World Health Organization. *Basic Documents*. 40th ed. Geneva: World Health Organization, 1946.



المؤشر العربي
Arab Opinion Index

وحدة استطلاع الرأي العام | Public Opinion Polling Unit

الرأي العام العربي والأداء الحكومي في مجال الخدمات الأساسية Arab Public Opinion and Government Performance in Providing Basic Services

تهدف هذه الورقة إلى عرض اتجاهات الرأي العام في المنطقة العربية نحو الأداء الحكومي في مجال الخدمات الأساسية، من خلال بيانات المؤشر العربي الذي أصدره المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات. وتركز على تقييم اتجاهات الرأي العام العربي، في استطلاع 2020/2019، نحو الأداء الحكومي في مجال السياسات العامة والخدمات الأساسية، ومقارنتها بالاستطلاعات السابقة. وتركز أيضاً على إبراز العلاقة بين تقييم الأداء الحكومي والثقة بالحكومات وترتيب الخدمات العامة ضمن أولويات مواطني المنطقة العربية. وأخيراً، تحاول الورقة رصد مجموعة من دلالات اتجاهات الرأي العام العربي نحو الخدمات الصحية الحكومية والثقة بالحكومات بشأن سلوك المواطنين أثناء فترة تفشي جائحة فيروس كورونا.

كلمات مفتاحية: الرأي العام العربي، المؤشر العربي، الأداء الحكومي، الخدمات الأساسية، الخدمات الصحية الحكومية، الثقة بالحكومات، جائحة كورونا.

This paper presents public opinion trends in the Arab region towards government performance in providing basic services, through the 2019/2020 Arab Index data issued by the Arab Center for Research and Policy Studies. It focuses on reviewing the Arab public opinion trends towards government performance in public policies and basic services; and comparing them with previous Arab Index data. In addition, it highlights the relationship between government performance evaluation and government trust, and how public services are assessed among the priorities of the Arab region's citizens. Finally, the paper briefly concludes with some insights on how Arab public opinion trends towards public health services and government trust affects the behaviour of citizens during the Covid-19 pandemic.

Keywords: Arab Public Opinion, Arab index, Government Performance, Basic Services, Government Health Services, Government Trust, Covid-19, Pandemic.

مقدمة

المناطق؛ وتوفير خدمات الصرف الصحي؛ وتحسين مستوى التعليم المدرسي الحكومي؛ وتحسين الخدمات الصحية الحكومية؛ وتحسين مستوى الطرق؛ وتحسين مستوى المواصلات العامة؛ وتوزيع الخدمات بطريقة عادلة بين مناطق المستجيبين؛ وإيجاد حلول لمشكلة البطالة؛ وتحسين مستوى المعيشة للفقراء. وقد طُلب من المستجيبين تقييم الأداء الحكومي في كل مجالٍ من المجالات من خلال أربعة خيارات، هي: جيد جداً، وجيد، وسيئ، وسيئ جداً.

تقدم هذه الورقة قراءة في اتجاهات الرأي العام العربي نحو أداء حكوماتهم في مجال السياسات العامة والخدمات الأساسية، بما فيها الخدمات الصحية الحكومية. وهي تنقسم إلى ستة أجزاء: أولاً، تقييم الأداء الحكومي في مجال الخدمات العامة ضمن استطلاع 2020 / 2019؛ ثانياً، مقارنة تقييم الأداء الحكومي في مجال الخدمات العامة ضمن استطلاع 2020 / 2019 بالاستطلاعات السابقة؛ ثالثاً، تقييم الأداء الحكومي في مجال الخدمات العامة بحسب البلدان؛ رابعاً، العلاقة بين تقييم الأداء الحكومي والثقة بالحكومات؛ خامساً، ترتيب الخدمات العامة ضمن أولويات مواطني المنطقة العربية؛ سادساً، رصد مجموعة من دلالات اتجاهات الرأي العام العربي نحو الخدمات الصحية الحكومية والثقة بالحكومات بشأن سلوك المواطنين أثناء تفشي جائحة فيروس كورونا المستجد (كوفيد-19).

أولاً، تقييم الأداء الحكومي في مجال الخدمات العامة ضمن استطلاع 2020 / 2019

جرى تحليل تقييم الأداء الحكومي في هذه الموضوعات، سواء كانت سياسات عامة أم خدمات أساسية، من خلال حساب معدل تقييم جميع المجالات. وخلصت نتائج المؤشر العربي إلى أن الرأي العام العربي منقسم حول تقييم مستوى هذه السياسات والخدمات في المُجمل (معدل تقييم جميع هذه الخدمات) في البلدان التي جرى فيها الاستطلاع؛ إذ أفاد 50 في المئة من المستجيبين أن أداء الحكومات في القيام بهذه الخدمات إيجابي (جيد جداً، أو جيد). في حين قِيمَ 47 في المئة منهم أداء الحكومات في هذه المجالات بأنه سلبي (سيئ، أو سيئ جداً).

أما على صعيد تقييم المستجيبين لكل خدمة من الخدمات الحكومية على حدة، فإن النتائج تبرز أربع مجموعات لهذه الخدمات بحسب مستوى تقييمهم لها (ينظر الشكل 1). ففي المجموعة الأولى، نجد أن أكثر الخدمات والسياسات التي جرى تقييمها على نحوٍ إيجابي هي

تعدّ السياسات العامة، بما في ذلك السياسات المتعلقة بتوفير خدمات عامة ذات جودة مقبولة لدى المواطنين⁽¹⁾، أحد مخرجات النظام السياسي للدولة. لذلك، فإن قياس الرأي العام تجاه أداء الحكومات في مجال توفير الخدمات العامة يكتسي أهميته من الكشف عن مدى رضا المواطنين عن تلك الخدمات التي تزودهم بها حكوماتهم؛ إذ كلما تراجعت نسبة الرضا، زادت احتمالات تعرض النظام السياسي لمدخلات في شكل ضغوط، قد تؤثر بالنتيجة في مدى استقراره⁽²⁾. هذا فضلاً عن أن تدني جودة الخدمات من شأنه أن يؤثر لا محالة في إنتاجية الفرد ومساهمته في دورة العمل والإنتاج الاقتصادي، خاصة لما يتعلق الأمر بخدمات التعليم والصحة والبنى التحتية.

تباين البلدان العربية في عدة جوانب، أبرزها مستويات التنمية وطبيعة الاقتصاديات نفسها، ومن ثمّ حجم الناتج القومي الإجمالي⁽³⁾؛ وهو ما يؤدي إلى تباين في مستويين أساسيين مستوى الأداء الحكومي في مجال الخدمات العامة، ومستوى الإنفاق على هذا القطاع، ويؤدي من ثمّ إلى تباين في اتجاهات الرأي العام العربي التي تعكس مدى رضا المواطنين عن أداء حكوماتهم. وللأهمية البالغة التي يحظى بها تقييم الأداء الحكومي في مجال السياسات العامة إجمالاً، والخدمات العامة على وجه الخصوص، تضمّن المؤشر العربي في استطلاع 2020 / 2019 مجموعةً من الأسئلة التي من شأنها قياس تقييم المستجيبين العرب لأداء حكوماتهم في مجموعة من السياسات العامة، والخدمات الأساسية. وقد شملت هذه الأسئلة عشرة مجالات هي: توفير المياه؛ وتأمين تغطية الكهرباء لجميع

1 الخدمات العامة هي ما تقدمه الحكومات لمواطنيها في سبيل تسهيل حياتهم وتحسين ظروفها، وتعدّ اللبنة الأساس في بناء رفاهية المجتمع. ويشمل المصطلح طيفاً واسعاً من الخدمات، مثل التعليم (بناء المدارس والجامعات وتحديثها وضمان الوصول إليها)؛ والصحة (بناء المستشفيات والمختبرات الطبية، وضمان التأمين الصحي، وتطوير أنظمة الوقاية من الأمراض والحد من تفشي المعدية منها)؛ والتزويد بالطاقة الكهربائية؛ وتوفير المياه الصالحة للشرب؛ وتطوير البنى التحتية بأشكالها التقليدية كافة (الطرق، والمواصلات، ومد شبكات الصرف الصحي) وغير التقليدية (شبكات الاتصالات، والخدمات الإلكترونية)؛ وتوفير الأمن بمختلف أشكاله؛ وغيره.

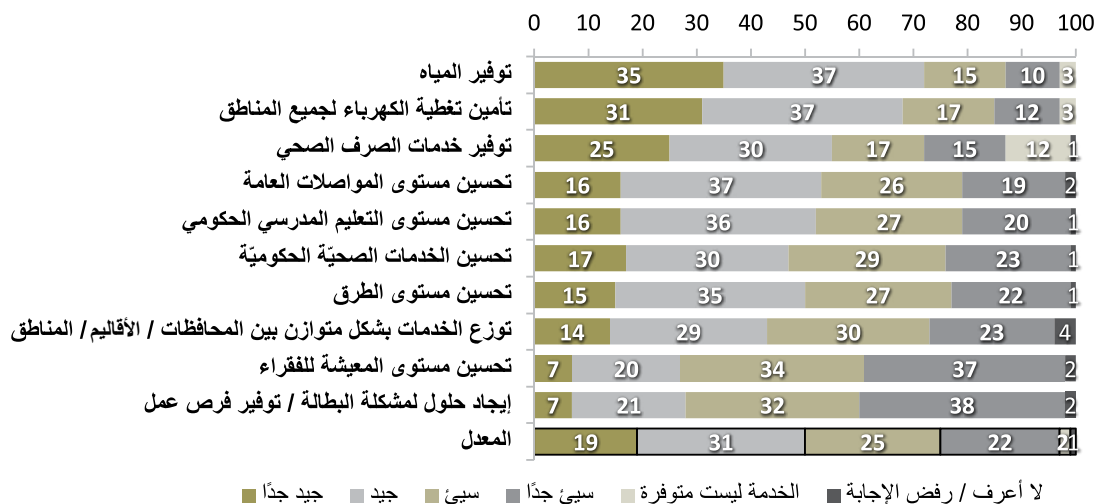
2 تشدد المقاربة النظامية لتحليل الأنظمة السياسية على أن مسوغ وجود أي نظام سياسي هو قدرته على تحويل المدخلات Inputs القادمة من بيئته، والتي غالباً ما تشكلها المطالب، إلى مخرجات Outputs تتمثل في سياسات عامة وقرارات وقوانين متعلقة بتوزيع القيم وتحقيق أهداف المجتمع. للاستزادة حول المقاربة النظامية لتحليل الأنظمة السياسية، ينظر أعمال ديفيد إيستون (1917-2014):

David Easton, *The Political System: An Inquiry into the State of Political Science* (New York: Alfred A. Knopf, 1953); David Easton, *A Framework for Political Analysis* (Englewood Cliffs, NJ: Prentice-Hall, 1965); David Easton, *A Systems Analysis of Political Life* (New York: Wiley, 1965).

3 وهو يُحدّد بحجم الإنتاج الاقتصادي لمجموع السلع والخدمات في الدولة.

الشكل (1)

تقييم المواطنين لمجموعة من الخدمات الحكومية الأساسية



المصدر: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، المؤشر العربي 2019 / 2020، برنامج قياس الرأي العام العربي.

(70 في المئة بالنسبة إلى توفير فرص العمل وإيجاد حلول لمشكلة البطالة، و71 في المئة بالنسبة إلى تحسين مستوى معيشة الفقراء).

ثانياً، تقييم الأداء الحكومي في مجال الخدمات العامة (2012 / 2013 - 2019 / 2020): نتائج مقارنة

تُوضح مقارنة تقييم المواطنين العرب للسياسات العامة والخدمات الأساسية في استطلاع 2020 / 2019 بتقييمهم لها في استطلاعات 2017 / 2018 و2016 و2015 و2014 و2013 / 2012، ارتفاع التقييم الإيجابي للخدمات الحكومية بصفة عامة، بخاصة فيما يتعلق بموضوع البنى التحتية مثل تأمين تغطية الكهرباء لجميع المناطق وتوفير المياه، وخدمات الصرف الصحي وتحسين مستوى الطرق (ينظر الجدول 1). فعلى سبيل المثال، ارتفعت نسبة المستجيبين الذين قيموا الأداء الحكومي في موضوع تأمين تغطية الكهرباء إيجابياً من 48 في المئة في استطلاع 2013 / 2012 إلى 68 في المئة في استطلاع 2020 / 2019. وارتفع التقييم الإيجابي، أيضاً، بشأن توفير المياه من 57 في المئة في استطلاع 2013 / 2012 ليصل إلى 72 في المئة في استطلاع 2020 / 2019.

توفير المياه؛ إذ قِيمَ 72 في المئة من المستجيبين في المنطقة العربية خدمات توفير المياه تقييماً إيجابياً (جيد جداً، أو جيد). تليها خدمات تأمين تغطية الكهرباء في جميع المناطق، بنسبة تقييم إيجابي بلغت 68 في المئة. أما المجموعة الثانية، فتضم التعليم المدرسي الحكومي، وتقييم البنى التحتية مثل الطرق، وخدمات الصرف الصحي، ومستوى المواصلات العامة، والتي انقسم الرأي العام بشأن تقييمها؛ إذ راح التقييم الإيجابي بين 52 في المئة و55 في المئة (50 في المئة بالنسبة إلى تحسين مستوى الطرق، و55 في المئة بالنسبة إلى تحسين خدمات الصرف الصحي، و53 في المئة بالنسبة إلى تحسين مستوى المواصلات العامة).

أما المجموعة الثالثة من الخدمات الحكومية، فتضم تحسين الخدمات الصحية الحكومية، وتوزيع الخدمات بشكل متوازن بين المحافظات/ الأقاليم/ المناطق. وقد أفاد أقل من نصف المستجيبين أن أداء الحكومات في هذه المجالات كان إيجابياً (جيد جداً، أو جيد) (47 في المئة بالنسبة إلى تحسين الخدمات الصحية الحكومية، و43 في المئة بالنسبة إلى توزيع الخدمات بشكل متوازن بين المحافظات/ الأقاليم/ المناطق). في حين قِيمَ نحو أكثرية المستجيبين الأداء الحكومي في هذه الخدمات بأنه سلبى (سيئ، أو سيئ جداً). أما المجموعة الرابعة، والتي حصلت على تقييم متدنٍ لدى المستجيبين في المنطقة العربية، فتضم توفير فرص العمل، وتحسين مستوى معيشة الفقراء؛ إذ قِيمَها ثلث المستجيبين إيجابياً، وفي المقابل قِيمَها الثلثان سلبياً

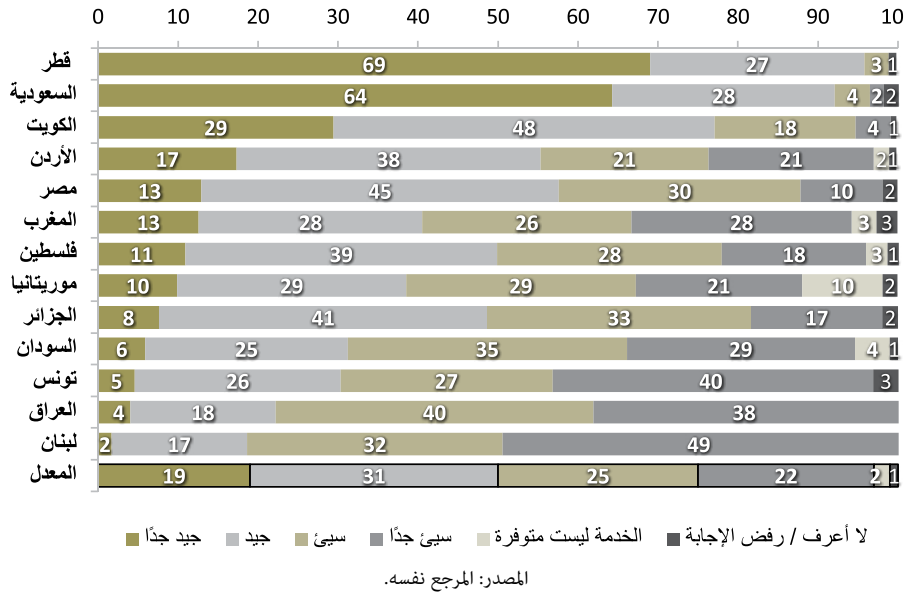
الجدول (1)

تقييم المواطنين لمجموعة من الخدمات الحكومية الأساسية بحسب استطلاعات المؤشر عبر السنوات

لا أعرف / رفض الإجابة					غير متوافرة			سيئ / سيئ جدًا					جيد جدًا / جيد								
2013 /2012	2014	2015	2016	2018 /2017	2020 /2019	2016	2018 /2017	2020 /2019	2013 /2012	2014	2015	2016	2018 /2017	2020 /2019	2013 /2012	2014	2015	2016	2018 /2017	2020 /2019	
3	2	2	1	--	--	4	3	3	49	48	45	38	31	29	48	50	53	56	65	68	تأمين تغطية الكهرباء لجميع المناطق
1	1	--	1	--	--	3	3	3	42	38	38	37	30	25	57	61	61	59	67	72	توفير المياه
2	2	2	1	1	1	--	--	--	48	52	48	44	49	47	50	47	50	55	50	52	تحسين مستوى التعليم المدرسي الحكومي
2	2	1	1	1	1	11	11	12	53	51	50	41	39	32	45	47	48	46	49	55	توفير خدمات الصرف الصحي
1	1	1	1	1	1	--	--	--	50	46	43	46	55	52	49	53	56	53	44	47	تحسين الخدمات الصحية الحكومية
2	2	1	1	1	1	--	--	--	54	51	47	48	49	49	44	47	52	51	50	50	تحسين مستوى الطرق
5	4	3	3	5	4	--	--	--	61	61	59	57	57	53	33	35	38	40	38	43	توزيع الخدمات بشكل متوازن بين المحافظات / الأقاليم / المناطق (بلد الدراسة)
2	1	1	1	1	2	--	--	--	70	72	67	68	71	71	28	27	32	31	28	27	تحسين مستوى المعيشة للفقراء
2	2	1	1	2	2	--	--	--	71	72	69	69	73	70	26	26	30	30	25	28	إيجاد حلول لمشكلة البطالة
--	--	--	--	--	2	--	--	--	--	--	--	--	--	45	--	--	--	--	--	53	تحسين مستوى المواصلات العامة
3	2	1	1	2	1	2	2	2	55	54	52	50	50	47	42	44	47	47	46	50	المعدل

الشكل (2)

تقييم المواطنين لمجموعة من الخدمات الأساسية التي تقدمها الحكومة بحسب بلدان المستجيبين في استطلاع 2019 / 2020



إلى أنه على الرغم من أن الخدمات الحكومية الأساسية في موريتانيا حصلت على تقييم إيجابي بنسبة 39 في المئة، وتقييم سلبي بنسبة 50 في المئة، فقد عبّر 10 في المئة من المستجيبين عن انعدام هذه الخدمات. ومن الواضح أن هذا التباين تفسره طبيعة اقتصاديات البلدان العربية، التي تنعكس على نسبة الإنفاق الحكومي على قطاع الخدمات العامة؛ إذ يأتي المستجيبون من بلدان الخليج العربي (قطر، والمملكة العربية السعودية، والكويت) في طليعة من قيموا أداء حكوماتهم تقييماً إيجابياً، في حين تحتل البلدان التي تواجه تحديات اقتصادية ومالية (لبنان، والعراق، وموريتانيا) ذيل الترتيب (الشكل 2).

رابعاً، تقييم الأداء الحكومي والثقة بالحكومات: تناسب طردي

إن تقييم أداء الحكومات في المجالات التفصيلية، سواء على مستوى السياسات الخارجية، أو السياسات الاقتصادية، أو في تقييم الأداء الحكومي في السياسات العامة، أو الخدمات الأساسية، كان إلى حد ما منسجماً مع مستويات الثقة بالحكومات في كل دولة على

ثالثاً، تقييم الأداء الحكومي في مجال الخدمات العامة بحسب البلدان

بالنسبة إلى تقييم الأداء الحكومي على صعيد السياسات العامة والخدمات الأساسية بحسب بلدان المستجيبين، جرى حساب تقييم المستجيبين في كل من البلدان التي جرى فيها الاستطلاع الحالي لأداء حكوماتهم في المجالات العشرة مجتمعة؛ إذ وصل معدل التقييم الجيد في المنطقة العربية إلى 50 في المئة مقابل تقييم سيئ بنسبة 47 في المئة؛ أي إن الرأي العام انقسم نصفين شبه متساويين. وقد أظهرت النتائج أن ثمة شبه إجماع بين مستجيب قطر بنسبة 97 في المئة، تليها السعودية بنسبة 92 في المئة، على أن الأداء الحكومي "جيد جداً"، أو "جيد" في جميع المجالات، تليهما الكويت بنسبة 77 في المئة ممن قيموا الأداء الحكومي تقييماً إيجابياً، وتليها مصر بنسبة 58 في المئة، والأردن بنسبة 55 في المئة.

في المقابل، أظهر الرأي العام في الدول المتبقية تقييماً سلبياً لهذه الخدمات، وأبرزها لبنان بنسبة 81 في المئة، ويليه العراق بنسبة 78 في المئة، وتونس بنسبة عدم رضى وصلت إلى 66 في المئة. وتجدر الإشارة

الجدول (2)

اتجاهات الرأي العام نحو الثقة بالحكومة بالتقاطع مع أداء الحكومات في المجالات التفصيلية

ثقة المستجيبين بحكومات بلدانهم				اتجاهات المستجيبين نحو سياسات بلدانهم الخارجية
عدم ثقة إطلاقاً	عدم ثقة إلى حد ما	ثقة إلى حد ما	ثقة كبيرة	
28	43	75	89	تعبر عن رأي المواطنين إلى حد كبير وإلى حد ما
72	57	25	11	لا تعبر عن رأي المواطنين إلى حد ما ولا تعبر على الإطلاق
100	100	100	100	المجموع
ثقة المستجيبين بحكومات بلدانهم				اتجاهات المستجيبين نحو سياسات بلدانهم الاقتصادية
عدم ثقة إطلاقاً	عدم ثقة إلى حد ما	ثقة إلى حد ما	ثقة كبيرة	
21	45	72	87	تعبر عن رأي المواطنين إلى حد كبير وإلى حد ما
79	55	28	13	لا تعبر عن رأي المواطنين إلى حد ما ولا تعبر على الإطلاق
100	100	100	100	المجموع
ثقة المستجيبين بحكومات بلدانهم				تقييم المواطنين لمجموعة من الخدمات الأساسية التي تقدمها الحكومة
عدم ثقة إطلاقاً	عدم ثقة إلى حد ما	ثقة إلى حد ما	ثقة كبيرة	
26	47	72	82	جيد جداً/ جيد
74	53	28	18	سيئ/ سيئ جداً
100	100	100	100	المجموع

المصدر: المرجع نفسه.

خامساً، أولويات مواطني المنطقة العربية: الخدمات العامة حاجة وليست ترفاً

لتعميق معرفة تقييم الرأي العام في المنطقة العربية للأوضاع العامة في بلدانه ومجتمعاته، يعتمد المؤشر العربي على طرح سؤال مفتوح على المستجيبين بخصوص أهم مشكلة تواجه بلدانهم، على نحو يبرز أولويات المواطنين ويعبر عن تقييمهم التفصيلي للتحديات التي تواجهها بلدانهم. عكست النتائج أن 3 في المئة فقط من الرأي العام العربي أفادوا أنهم "لا يعرفون" أهم مشكلة تواجهها بلدانهم، أو "رفضوا الإجابة"؛ أي إن 97 في المئة من المستجيبين في المنطقة العربية عبّروا عن آرائهم بخصوص أهم مشكلة تواجهها بلدانهم؛ وهي نسبة عالية تُظهر أن مواطني المنطقة العربية معرفة ودراية ورأيًا في ما يتعلّق بأحوال بلدانهم ومشكلاتها وتحدياتها.

حدة⁽⁴⁾. وكما تشير اتجاهات الرأي العام في كل بلد من البلدان التي شملها الاستطلاع، فإن مستوى الثقة بالحكومة يزداد بازدياد إيجابية تقييم الأداء الحكومي في القضايا التفصيلية، في حين تنخفض الثقة بالحكومة بانخفاض تقييم أداء الحكومات في القضايا التفصيلية (ينظر الجدول 2).

4 الثقة بالحكومات (وتسمى أيضاً الثقة العمومية Public Trust) هي حياة الجمهور أو الرأي العام تصورًا إيجابيًا عن السياسات العامة التي تسنها الحكومة وتنفذها. وبالعودة إلى أعمال ديفيد إيستون حول المقاربة النظامية لتحليل الأنظمة السياسية، المذكورة في الهامش عدد 2، فإن الثقة بالحكومات هي مظهر أساسي من مظاهر التأييد الذي يحظى به النظام السياسي كجزء من المدخلات التي يستقبلها من بيئته الخارجية (وكلما زادت مدخلات التأييد التي تعبر عن الثقة وتراجعت مظاهر الضغط والاحتجاج، زاد استقرار النظام السياسي). حول موضوع الثقة بالحكومات، وعلاقتها بالسياسات والخدمات العامة، ينظر على سبيل المثال:

Tom Christensen & Per Lægred, "Trust in Government: The Relative Importance of Service Satisfaction, Political Factors, and Demography," *Public Performance & Management Review*, vol. 28, no. 4 (2005), pp. 487-511.

ضمان تزويدهم بالخدمات، فضلاً عن قدرتها على تزويدهم بأسباب رفاهية العيش.

سادساً، اتجاهات الرأي العام العربي نحو الخدمات الصحية الحكومية وتفشي جائحة كورونا

لا تخلو النتائج السابقة، خاصة تلك المتعلقة باتجاهات الرأي العام العربي نحو مستوى الخدمات الصحية الحكومية، من دلالات بشأن ما شهدته البلدان العربية أثناء تفشي جائحة كورونا. فضلاً عن الانهيار الحاد الذي شهدته الأنظمة الصحية، عبر أغلب بلدان المنطقة العربية، وعبر مختلف الموجات الوبائية التي عرفها تفشي الجائحة مع النسخ المتحورة لفيروس كورونا، يمكن الاستئناس بتلك النتائج لتفسير ممانعة المواطنين العرب لإجراءات مواجهة تفشي الجائحة، التي تطلبت في أغلب الحالات استخدام القوة الخشنة. تنطوي الثقة المتبادلة بين المواطن والحكومة، بحكم التعريف، على "الإيمان بأن الحكومة تفعل ما يريده المواطن لا ما يخشاه"، مثلما أنها تعبر عن "حالة نفسية تكتنفها النية في قبول الإذعان بناءً على توقعات إيجابية بشأن نيات أو سلوك"⁽⁵⁾ الحكومة. إن هذا العامل النفسي مهم للغاية في فهم الكيفية التي تفشت بها نظرية المؤامرة في المنطقة العربية، ليس عن أصل فيروس كورونا فحسب، بل عن الشكوك في أن الحكومات العربية تستغل مسألة الجائحة لقمع المواطنين، وتقييد حريتهم في التنقل، بل حتى منعهم من ممارسة شعائرهم الدينية.

وقد لوحظ أن نسبة من المصابين بفيروس كورونا لم تكن لديهم الثقة الكافية بالاستشفاء على مستوى المراكز الصحية الحكومية، حتى ممن تفاقمت إصابتهم وفضلوا عدم التوجه إلى تلك المراكز؛ إما لأنهم لم يؤمنوا بأن الإصابة تستدعي ذلك، وإما لأنهم تخوفوا من إمكانية تدهور حالتهم الصحية بمجرد دخولهم المستشفيات العمومية. ثم لاحقاً، واجهت الحملات الوطنية التي تقودها الحكومات من أجل تسريع عملية التلقيح ضد الفيروس ممانعة شديدة من قطاع معتبر من المواطنين الذين وقعوا ضحية الخطاب المناهض للقاحات الذي استشرى في وسائط التواصل الاجتماعي، مثل النار في الهشيم. هذه الاتجاهات جميعها تفسرها نتائج المؤشر العربي، التي جرى استعراضها آنفاً، سواء ما تعلق منها بتقييم المستجيبين العرب لمستوى الخدمات الصحية الحكومية، أو مستوى ثقتهم بحكوماتهم.

وتُظهر النتائج أن مشكلة سوء الأوضاع الاقتصادية أولويةً أساسيةً بالنسبة إلى مواطني المنطقة العربية؛ إذ توافقت 20 في المئة من المستجيبين على هذه المشكلة، وتلتها مشكلة البطالة بنسبة 17 في المئة، وجاءت بعدها مشكلة ارتفاع الأسعار وغلاء المعيشة بنسبة 14 في المئة لتحتل المرتبة الثالثة. في السياق ذاته، أفاد 8 في المئة أن الفساد المالي والإداري يمثل المشكلة الأساسية، وركز المستجيبون بالنسبة نفسها تقريباً 7 في المئة على أن مشكلة الفقر وتدني مستوى المعيشة هي الأهم في المنطقة. وتلا ذلك التركيز على ضعف الخدمات العامة بنسبة 6 في المئة، ومشكلات اجتماعية بنسبة 4 في المئة أيضاً، ثم عدم الاستقرار السياسي بنسبة 3 في المئة، وغياب الأمن والأمان بما في ذلك خطر الإرهاب ومشكلة الحكم وسياساته بنسبة 2 في المئة. في حين رأى المستجيبون أن المشكلة الأساسية هي الاحتلال الإسرائيلي بنسبة 2 في المئة، والوافدون/ اللاجئون بالنسبة نفسها، والانقسامات الجهوية/ الطائفية/ الإثنية/ القبلية بنسبة 1 في المئة. وبناءً عليه، يمكن عرض أولويات المواطنين في المنطقة العربية في ثلاثة محاور أساسية، هي:

1. **أولويات اقتصادية:** أورد نحو 57 في المئة من المستجيبين مشكلات، مثل البطالة، وارتفاع الأسعار، وسوء الأوضاع الاقتصادية والفقر.
2. **أولويات أمنية وعدم الاستقرار:** أورد 10 في المئة من المستجيبين مشكلات، مثل غياب الأمن والأمان، وخطر الإرهاب والانقسام الجهوي والإثني، وعدم الاستقرار السياسي، ومخاطر التدخل الخارجي والاحتلال الإسرائيلي.
3. **أولويات متعلقة بأداء الحكومات وسياساتها:** أورد 16 في المئة من المستجيبين مشكلات، مثل ضعف الخدمات العامة، والفساد المالي والإداري، والحكم وسياساته والانتقال الديمقراطي، وهي مشكلات تقع في إطار سياسات الحكم ومؤسساته في البلدان العربية.

بمعنى آخر، توافقت نحو 57 في المئة من مواطني المنطقة العربية على أن المشكلات ذات الطبيعة الاقتصادية من بطالة، وفقر، وارتفاع أسعار، وسوء أوضاع اقتصادية، هي المشكلات الأهم التي تواجهها بلدانهم؛ ما يعني أن المستجيبين يعتبرون تحسين الخدمات العامة أولوية ثانوية بالنسبة إليهم، مقارنةً ومشكلات البطالة والفقر وغلاء الأسعار، لأنها تمس حياتهم بصفة مباشرة. وهذا مؤشر آخر على أن تقييمهم للأداء الحكومي إجمالاً سلبياً للغاية، مثلما يدل أيضاً على تدني مستويات الثقة بالحكومات؛ فالمواطنون الذين لا يثقون بقدرة حكوماتهم على تأمين أساسيات الحياة، مثل الوظائف وجعل السلع الأساسية في متناول أيديهم، كيف لهم أن يثقوا بقدرتها على

5 OECD, *Trust and Public Policy: How Better Governance Can Help Rebuild Public Trust* (Paris: OECD Publishing, 2017), p. 17.

المراجع

العربية

المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات. المؤشر العربي
2020 / 2019، برنامج قياس الرأي العام العربي.

الأجنبية

Christensen, Tom & Per Lægreid. "Trust in Government: The Relative Importance of Service Satisfaction, Political Factors, and Demography." *Public Performance & Management Review*. vol. 28, no. 4 (2005).

Easton, David. *A Systems Analysis of Political Life*. New York: Wiley, 1965.

_____. *The Political System: An Inquiry into the State of Political Science*. New York: Alfred A. Knopf, 1953.

_____. *A Framework for Political Analysis*. Englewood Cliffs, NJ: Prentice-Hall, 1965.

OECD. *Trust and Public Policy: How Better Governance Can Help Rebuild Public Trust*. Paris: OECD Publishing, 2017.



التوثيق

Documentation

محطات التحول الديمقراطي في الوطن العربي Milestones in Democratic Transition in the Arab World

يتضمّن هذا التقرير توثيقًا لأبرز محطات التحول الديمقراطي في الوطن العربي في المدة 1 آذار/ مارس – 30 نيسان/ أبريل 2021.

كلمات مفتاحية: تونس، الجزائر، ليبيا، العراق، لبنان، السودان.



Keywords: Tunisia, Algeria, Libya, Iraq, Lebanon, Sudan.

2021/3/4 أكدت حركة النهضة التونسية أن الجلوس إلى طاولة الحوار هو المخرج الوحيد للبلاد من الأزمة السياسية التي تمر بها البلاد، وثمنت الحركة بالمناسبة الجهود المبذولة من رئيس مجلس نواب الشعب والمنظمات الوطنية والأحزاب والشخصيات الاعتبارية للتقريب بين وجهات النظر على نحو يحفظ للدولة هيبتها ولمؤسساتها مكانتها.

(تونس، 2021/3/4)

2021/3/4 طالب مئات المحتجين في المثنى، جنوب العراق، المحافظ أحمد جودة بالاستقالة من منصبه، بدعوى "سوء الإدارة والفشل". واحتشد نحو 400 متظاهر، غالبيتهم من شريحة الشباب، أمام مبنى المحافظة وسط مدينة السماوة (عاصمة المثنى).

(وكالة الأناضول، 2021/3/4)

2021/3/4 ذكر وزير الخارجية الفرنسي، جون إيف لودريان، أن بلاده تتابع عن كثب "استئناف المسيرات الأسبوعية للحراك الشعبي في الجزائر"، لكنها ترى أن "على الجزائريين وحدهم تحديد طريق مستقبلهم".

(أنباء الجزائر، 2021/3/4)

2021/3/4 أصدر رئيس مجلس السيادة الانتقالي، عبد الفتاح البرهان، المرسوم الدستوري رقم (6) لسنة 2021 بإنشاء نظام الحكم الإقليمي "الفدرالي" بالسودان. ونص المرسوم الدستوري على تطبيق نظام حكم الأقاليم "الفدرالي" عقب انعقاد مؤتمر نظام الحكم في السودان، الذي يحدد الأقاليم وعددها وحدودها، وهياكلها، واختصاصاتها وسلطاتها ومستويات الحكم والإدارة، على نحو لا يتعارض مع اتفاق جوبا لسلام السودان 2020.

(أثرا سودان، 2021/3/4)

2021/3/5 دعت المفوضية العليا لحقوق الإنسان في الأمم المتحدة السلطات الجزائرية إلى وقف فوري لأعمال العنف ضد متظاهرين سلميين وكذلك الاعتقالات التعسفية. وقال روبرت كولفيل، المتحدث باسم المفوضية، "إننا قلقون جداً لتدهور وضع حقوق الإنسان في الجزائر والقمع المستمر والمتزايد ضد أعضاء الحراك المؤيد للديمقراطية".

(فرانس 24، 2021/3/5)

2021/3/5 تظاهر آلاف الجزائريين بعدة مدن، في مقدمتها العاصمة، لتجديد مطالب التغيير، في ثاني جمعة بعد الذكرى الثانية للحراك الشعبي الذي أطاح الرئيس السابق عبد العزيز بوتفليقة في 22 شباط/ فبراير 2019.

(وكالة الأناضول، 2021/3/5)

2021/3/6 أفرجت السلطات القضائية في محافظة القادسية (جنوب العراق)، عن عدد من المتظاهرين الذين اعتقلوا خلال التظاهرات

2021/3/1 دخل حل البرلمان الجزائري رسمياً حيز التنفيذ، بعد 12 يوماً من إعلان الرئيس الجزائري عبد المجيد تبون قرار حله وتنظيم انتخابات نيابية مسبقة لم يحدد تاريخها بعد، ووقع الرئيس تبون مرسومًا رئاسيًا يقضي بحل البرلمان بدءًا من مطلع آذار/ مارس 2021.

(العربي الجديد، 2021/3/1)

2021/3/1 جابت تظاهرات شوارع مدينة الناصرية مطالباً باستقالة محافظ المدينة من منصبه، ثم عاد الهدوء النسبي إلى الشارع بعد مواجهات استمرت عدة أيام، وخدمت بانسحاب قوات مكافحة الشغب من الشوارع واستقالة المحافظ وتعيين محافظ مؤقت بدلاً منه. وتجمع المئات من الشباب في بغداد وهم يطلقون الهتافات المؤيدة لمظاهري الناصرية والمنتقدة لأداء الحكومة والقوات الأمنية فيها، كما أحرق بعضهم الإطارات في الشارع.

(الحرّة، 2021/3/1)

2021/3/2 نفى الرئيس الجزائري عبد المجيد تبون، خلال اللقاء الدوري مع ممثلي الصحافة الوطنية، وجود معتقلي رأي في الجزائر، مؤكداً وجود ثلاث حالات على الأكثر كان أصحابها في السجن قبل وصوله إلى الحكم.

(أثرا الجزائر، 2021/3/2)

2021/3/2 تجاهل الحراك الطلاي في الجزائر الرسائل السياسية التي وجهها الرئيس عبد المجيد تبون، مجدداً تظاهراته في مدن جزائرية عدة. وبينما شدد الحراك على التمسك بمطالبه المتعلقة بالحرية والانتقال الديمقراطي، أخذت تظاهرة الطلبة في العاصمة بُعداً رمزياً في العلاقة بمكان التظاهرات ومسارها. وفاجأ الطلبة السلطات، باتخاذ مسار مختلف عن المسارات السابقة، اجتناباً للتصادم مع الشرطة، ومرت التظاهرة عبر حي القصبة العتيق، وهو حي ثوري يُعدّ معقلاً رئيساً لمناضلي وثوار جيش التحرير خلال معركة تحرير الجزائر من الاستعمار الفرنسي، وقد استشهد فيه عشرات المناضلين.

(العربي الجديد، 2021/3/2)

2021/3/3 أعلنت رئاسة الجمهورية التونسية أن الرئيس قيس سعيد لم يكن وراء تكوين أي تنظيم حزبي، وأنه لا نية له في ذلك.

(وكالة الأناضول، 2021/3/3)

2021/3/4 أعلن المكتب الإعلامي لرئيس الوزراء الليبي المكلف عبد الحميد الدبيبة، في بيان له، أنه سلّم لرئاسة مجلس النواب تشكيلة حكومة الوحدة الوطنية الجديدة، مرفقة بالأسماء المقترحة لتولي الحقائق الوزارية، مشيراً إلى أن هذا الإجراء يأتي "في إطار الالتزام بخارطة الطريق المحددة في الاتفاق السياسي، وبالإجراءات المحددة لتسليم تشكيلة الحكومة قبل عقد جلسة منح الثقة المزمع عقدها في 8 آذار/ مارس 2021 بمدينة سرت".

(روسيا اليوم، 2021/3/4)

التظاهر والتعبير، وتم خلال هذه الاحتجاجات استهداف الناشطين في مجال حقوق الإنسان، بحسب ما جاء في نص الرسالة.

(بزنس نيوز عربي، 2021/3/11)

2021/3/11 أعلنت الرئاسة الجزائرية أن الرئيس عبد المجيد تبون حدّد يوم 12 حزيران/ يونيو 2021 موعداً للانتخابات التشريعية المبكرة، بعد أن حل الشهر الماضي المجلس الشعبي الوطني.

(سكاي نيوز عربية، 2021/3/11)

2021/3/11 تشهد محافظات الجنوب السوري اضطرابات أمنية وتظاهرات تعكس التملل الشعبي الكبير من استمرار النظام في سياسته القمعية، ومن التردّي الكبير في الحالة المعيشية الذي يضرب مختلف المناطق الخاضعة لسيطرته، عشية انتخابات رئاسية في أيار/ مايو 2021، تهدف إلى إبقاء بشار الأسد في السلطة. وشهدت بلدة أم باطنة في محافظة القنيطرة، تظاهرة ضد النظام على خلفية اعتقال شابين من أهالي المنطقة.

(العربي الجديد، 2021/3/11)

2021/3/11 تجددت التحركات الشعبية في لبنان منذ أيام احتجاجاً على ارتفاع سعر صرف الدولار الأميركي مقابل الليرة اللبنانية، إضافة إلى تردّي الأوضاع الاقتصادية والمعيشية في ظل تعثّر تشكيل حكومة لبنانية جديدة، بسبب الخلاف المعلن بين الرئيس اللبناني العماد ميشال عون ورئيس الحكومة المكلف السيد سعد الحريري حول الحقائق الوزارية.

(الرابية، 2021/3/11)

2021/3/11 جددت حركة "النهضة" التونسية دعمها المستمرّ لحكومة هشام المشيشي ومساندتها إياها، "خدمة للمصلحة الوطنية ورفضاً لدفع البلاد نحو الفراغ وتعطيل المرفق العام".

(العربي الجديد، 2021/3/11)

2021/3/12 صدر قانون الانتخابات الجديد في الجزائر في "الجريدة الرسمية"، متضمناً تعديلاً يخص إسقاط شرط الـ 4 في المئة لدخول الانتخابات التشريعية والمحلية، وذلك بعد اعتبار أحزاب جديدة هذه العتبة إقصائية، كما تضمّن إسقاط شرط المناصفة في البلديات التي لم تتمكن من تحقيقه. ووقّع رئيس الجمهورية عبد المجيد تبون، المرسوم الرئاسي، المتعلق باستدعاء الهيئة الناخبة الخاصة بالانتخابات التشريعية، والذي يحدد تاريخ تنظيمها في 12 حزيران/ يونيو 2021.

(الشروق أون لاين، 2021/3/12)

2021/3/13 أعلن الأمين العام لحزب التيار الديمقراطي المعارض، غازي الشواشي، انسحابه من الحزب، خلال تدوينة قصيرة في صفحته على "فيسبوك". ولم يقدّم الشواشي أسباب هذا الانسحاب المفاجئ،

الغاضبة التي خرجت في المحافظة، والتي طالبت بإقالة الحكومة المحلية المتهمّة بالفساد. وشهدت مدينة الديوانية (مركز محافظة القادسية) احتجاجات ضد ما يقول المتظاهرون إنه "فساد مستشري" بالمحافظة، تخللتها مواجهات مع عناصر الأمن التي اعتقلت عدداً من المحتجين.

(العربي الجديد، 2021/3/6)

2021/3/9 دعت منظمة "أنا يقظ"، المجلس الأعلى للقضاء إلى الكشف عن التجاوزات الواردة في تقرير التفقدية العامة بوزارة العدل التونسية، والكشف عن أسماء القضاة الـ 14 المتورطين في قضايا فساد، إضافة إلى القاضيين الطيب راشد وبشير العكرمي، "تكريساً لمبادئ الشفافية وقطعاً مع سياسة التعتيم تجاه الرأي العام".

(ألتراتونس، 2021/3/9)

2021/3/9 قررت محكمة سودانية تأجيل محاكمة الرئيس المعزول عمر البشير و 27 من معاونيه في قضية "انقلاب 1989" مدة أسبوعين. وجاء قرار تأجيل المحاكمة إلى تاريخ 23 آذار/ مارس، استجابةً لطلبٍ تقدمت به هيئة الدفاع عن المتهمين؛ بسبب إصابة المتهم نافع علي نافع (مساعد البشير) بفيروس كورونا.

(وكالة الأنباء الرسمية "سونانا"، 2021/3/9)

2021/3/10 نالت حكومة عبد الحميد الدبيبة المنبثقة من ملتقى الحوار الليبي برعاية الأمم المتحدة، ثقة البرلمان الليبي.

(فرانس 24، 2021/3/10)

2021/3/10 دعت الولايات المتحدة السودان إلى تشكيل حكومة شاملة تمثّل كافة الأطراف وتضمن السلام وتدعم المهمشين، وتساعد "أولئك الذين عانوا من أجل تحقيق العدالة".

(الجرة، 2021/3/10)

2021/3/11 عقد مجلس الأمة في الجزائر جلسة عامة مخصّصة لطرح أسئلة شفوية من أعضاء المجلس على عدد من أعضاء الحكومة. وأوضح بيان للغرفة العليا للبرلمان أن "الجلسة العامة ستخصّص لطرح عشرة أسئلة شفوية على أربعة أعضاء في الحكومة، وتخصّص قطاعات التعليم العالي والبحث العلمي، والمالية، والصحة والسكان وإصلاح المستشفيات، وقطاع العمل والتشغيل والضمان الاجتماعي".

(ألترالجزائر، 2021/3/11)

2021/3/11 وجهت أربع وستون منظمة وجمعية تونسية رسالة مفتوحة إلى رئيس الجمهورية، قيس سعيد، للمطالبة بالعتفو عن الشباب الذين اعتقلوا تعسفاً ودينوا ظلماً، وأشارت المنظمات إلى الاعتداءات والاعتقالات التعسفية التي استهدفت المتظاهرين. واعتبرت المنظمات في رسالتها أن الشباب المعتقلين البالغ عددهم نحو 2000 شخص، من بينهم أطفال، كانوا يمارسون حقهم في

ولكن يبدو أن الخلافات داخل الحزب وصلت إلى طريق مسدودة انتهت باستقالته.

(العربي الجديد، 2021/3/13)

2021/3/14 لوّحت وزارة الاتصال الجزائرية، بسحب اعتماد قناة "فرانس 24" الدولية "نهائياً" بسبب ما اعتبرته "تحيزاً صارخاً" في تغطيتها لتظاهرات الحراك الشعبي. وقالت الوزارة في بيان إن "إنذاراً أخيراً قبل سحب الاعتماد نهائياً قد وُجه إلى قناة فرانس 24". وأضافت، متهمّة القناة على نحو لادع، أن "تحيز فرانس 24 في تغطية مسيرات الجمعة صارخ من خلال الذهاب من دون رادع إلى استعمال صور من الأرشيف، لمساعدة البقايا المناهضة للوطنية المشكلة من منظمات رجعية أو انفصالية، ذات امتدادات دولية".

(العرب، 2021/3/14)

2021/3/15 أعلن حزب العمال المعارض بالجزائر مقاطعة الانتخابات التشريعية المبكرة المزمع تنظيمها في 12 حزيران/ يونيو 2021.

(العين، 2021/3/15)

2021/3/15 تجددت الاحتجاجات على تردّي الأوضاع المعيشية في العراق، وأغلق متظاهرون جسر النصر والزيتون والحضارات وسط الناصرية في محافظة ذي قار جنوب العراق، وأحرقوا الإطارات ومنعوا سير المركبات، وطالبوا باختيار شخصية مستقلة لمنصب المحافظ، وذلك بعد انتهاء المهلة التي قدمها أبناء المحافظة.

(العربية نت، 2021/3/15)

2021/3/16 أدت حكومة الوحدة الوطنية الليبية برئاسة عبد الحميد الدبيبة، اليمين الدستورية أمام البرلمان في مدينة طبرق شرق البلاد، بعد أيام من نيلها الثقة.

(شينخوا، 2021/3/16)

2021/3/16 وجّه ائتلاف من 10 منظمات غير حكومية، رسالة مشتركة إلى مجلس النواب العراقي طالبت بتعديل مشروع قانون حرية التجمع والتظاهرات السلمية من أجل مواءمته مع الدستور العراقي والقوانين الدولية لحقوق الإنسان.

(منا لحقوق الإنسان، 2021/3/16)

2021/3/16 انطلقت فترة المراجعة الاستثنائية للقوائم الانتخابية في الجزائر تحسباً للانتخابات التشريعية المزمع تنظيمها في 12 حزيران/ يونيو 2021، على أن تستمر العملية إلى غاية 23 من الشهر الجاري.

(ألترا الجزائر، 2021/3/16)

2021/3/16 عاد الحراك الطلابي في الجزائر إلى الشارع، في رابع أسبوع على التوالي يتظاهر فيه الطلبة في العاصمة وعدة مدن جزائرية،

للمطالبة بالحريات والانتقال الديمقراطي الحقيقي وتمديد الحكم، ورفضاً للانتخابات التشريعية المبكرة المقررة في 12 حزيران/ يونيو.

(العربي الجديد، 2021/3/16)

2021/3/16 أصدر الرئيس الجزائري عبد المجيد تبون أمراً رئاسياً خفّض موجهه عدد مقاعد الغرفة الثانية للبرلمان الجزائري (المجلس الشعبي الوطني). ووصل بذلك عدد المقاعد إلى 407 مقاعد بعد أن كان 462 مقعداً في البرلمانات السابقة.

(العين، 2021/3/16)

2021/3/17 دانت حركة "النهضة" التونسية "تعطيل" رئاسة الحزب "الدستوري الحر"، عبير موسي، جليستين للبرلمان. وجاء ذلك في بيان صدر عن الحركة (54 نائباً من أصل 217)، قالت فيه إن "ما تقوم به رئاسة الحزب الدستوري الحر وكثرتها النيابية (16 نائباً) من ممارسات وأعمال عنف تهدف إلى تعطيل أعمال البرلمان وتشويه صورته أمام الرأي العام المحلي والدولي".

(وكالة الأناضول، 2021/3/17)

2021/3/18 أصدر مجلس حقوق الإنسان التابع للأمم المتحدة بياناً وقّعه 31 دولة، عن أوضاع حقوق الإنسان في مصر، طالب فيه السلطات المصرية بوقف محاكمة المعارضين السياسيين والصحافيين والناشطين تحت مظلة قوانين مكافحة الإرهاب، والإفراج عنهم من دون قيد أو شرط.

(سي إن إن بالعربية، 2021/3/18)

2021/3/19 تراجع حزب الأمة القومي السوداني عن موقفه الذي أعلنه أواخر شباط/ فبراير، بعدم المشاركة في المجلس التشريعي الانتقالي، عبر خطاب تسرب للرأي العام ممهوّر بتوقيع الأمين العام للحزب ومعنون برؤساء الحزب بالولايات.

(ألترا السودان، 2021/3/19)

2021/3/20 قرر حزب التجمع من أجل الثقافة والديمقراطية الجزائري عدم المشاركة في الانتخابات التشريعية المقبلة المقررة في 12 حزيران/ يونيو.

(روسيا اليوم، 2021/3/20)

2021/3/20 خرجت مظاهرات ومسيرات شعبية في عدة مدن لبنانية، رفضاً لتردّي الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية، في حين حمل المحتجون الطبقة السياسية مسؤولية ذلك. وشارك المئات، أغلبهم من النساء بمظاهرة في بيروت، انطلقت من وسط العاصمة تجاه مرفأ المدينة، حيث رُفعت خلالها لافتات وشعارات تندد بالطبقة السياسية الحاكمة، وتحملها مسؤولية تدهور الأوضاع العامة.

(وكالة الأناضول، 2021/3/20)

2021/3/25 قال رئيس مجلس الأمة الجزائري، صالح قوجيل، خلال جلسة استجواب لوزراء في الحكومة إن "الجزائر تجاوزت المرحلة الانتقالية، ولن تعود إليها مطلقاً، على الرغم من محاولات البعض الدفع باتجاه ذلك".

(العربي الجديد، 2021/3/25)

2021/3/26 نشرت وزارة الدفاع الوطني صوراً لممثلين عن منظمات المجتمع المدني وهم يزورون ثكنات عسكرية، من أجل إبداء الدعم للجيش في مواجهته ما وصفتها بـ "الحملات المغرضة".

(ألترا الجزائر، 2021/3/26)

2021/3/27 شهدت الجمعة العاشرة بعد المئة لمسيرات الحراك الشعبي، العديد من الاعتقالات التي مست ناشطين معروفين، وبعض الاشتباكات في مدن غرب البلاد.

(ألترا الجزائر، 2021/3/27)

2021/3/28 وقعت الحكومة الانتقالية ممثلة في رئيس مجلس السيادة الانتقالي، عبد الفتاح البرهان، والحركة الشعبية لتحرير السودان - شمال ممثلة في رئيس الحركة الفريق عبد العزيز الحلو، في عاصمة دولة جنوب السودان، جوبا، بحضور رئيس جنوب السودان الفريق سلفا كير ميارديت، والمدير التنفيذي لبرنامج الغذاء العالمي ديفيد بيسلي، إعلان مبادئ يشكل الأساس لحل النزاع في السودان.

(وكالة السودان للأنباء، 2021/3/28)

2021/3/29 نشر مجلس نواب الشعب التونسي، على صفحته الرسمية بموقع التواصل الاجتماعي "فيسبوك"، حصيلة عمله التشريعي والرقابي منذ انطلاق المدة النيابية الحالية في 13 تشرين الثاني/ نوفمبر 2019 إلى غاية 29 آذار/ مارس 2021، معتبراً أنه قد "كسب رهان استمرارية عمله، رغم التحديّ الناجم عن جائحة كورونا". وصدّق البرلمان على 63 مشروع قانون، إثر عقد 97 جلسة عامة استغرقت 711 ساعة من المداولات، سجّل خلالها 4192 تدخلاً، سواء أثناء النقاش العام أو خلال مناقشة فصول مشاريع القوانين المعروضة على البرلمان، وذلك خلال 16 شهراً ونصف.

(ألترا تونس، 2021/3/29)

2021/3/29 أعلن حزب الاتحاد من أجل التغيير والرقى في الجزائر مقاطعة الانتخابات التشريعية. واعتبر المجلس الوطني للحزب، في أحد بياناته أن الانتخابات التي يعتمدها رئيس الدولة (الحزب يرفض الاعتراف بشرعية عبد المجيد تبون رئيساً للجمهورية) في ظل الأوضاع الحالية لا يمكن أن تشكل حلاً للأزمة، وأنها ستزيدها تعقيداً، ولا تعد أولوية بالنسبة إلى أغلبية المواطنين، بل تشكل مناورة من طرف النظام لرسكلة (تدوير) نفسه، والإبقاء على الممارسات والآليات

2021/3/20 أعلن رئيس مجلس السيادة الانتقالي، عبد الفتاح البرهان، أن قوات الدعم السريع نفذت أدواراً كبيرة وانحازت إلى "ثورة ديسمبر" مع القوات المسلحة.

(ألترا السودان، 2021/3/20)

2021/3/21 أعلن مجلس النواب الليبي برئاسة المستشار عقيلة صالح، تشكيل لجنة لفتح باب الترشح لتولي أحد المناصب السيادية، ومن ضمنها محافظ مصرف ليبيا المركزي.

(الدستور، 2021/3/21)

2021/3/23 شاركت أعداد كبيرة من الطلبة الجزائريين، في تظاهرة سلمية في إطار الحراك الشعبي الذي عاد إليه زخمه في الأسابيع الماضية عقب توقفه أشهراً عدة بسبب تفشي جائحة فيروس كورونا. وبدأ المشاركون في المسيرة بالتجمع في نقطة الانطلاق المعتادة بساحة الشهداء في العاصمة، ثم تحرك الجمع في اتجاه البريد المركزي. وشهدت المسيرة مشاركة مجموعة من المواطنين إلى جانب الطلبة مردين شعارات تطالب بإصلاحات سياسية، وضرورة الذهاب نحو تغيير جذري. وجدّد المتظاهرون أيضاً رفضهم للانتخابات التشريعية المزمع إجراؤها في 12 حزيران/ يونيو المقبل، في ظل وجود أمني مكثف لعناصر الشرطة وسط العاصمة.

(ألترا الجزائر، 2021/3/23)

2021/3/23 طلبت النيابة العامة بمحكمة بير مراد رابيس بالجزائر، إصدار مذكرة توقيف دولية ضد كل من الدبلوماسي الجزائري السابق محمد العربي زيتوط، والضابط السابق هشام عبود، والناشط أمير بوخورس الملقب "أمير ديزاد"، وذلك لمتابعتهم في قضايا تتعلق بالإرهاب وزعزعة أمن واستقرار الدولة.

(سكاي نيوز عربية، 2021/3/23)

2021/3/23 قررت المفوضية العليا للانتخابات في العراق إلغاء تصويت المواطنين المقيمين في الخارج في الانتخابات البرلمانية المبكرة.

(وكالة الأناضول، 2021/3/23)

2021/3/24 واصل عمال وموظفو السكك الحديدية في تونس إضرابهم عن العمل لليوم الثاني على التوالي، وقد نجم عنه شلل في حركة النقل عبر القطاعات داخل البلاد.

(العربي الجديد، 2021/3/24)

2021/3/25 كشف رئيس السلطة الوطنية المستقلة للانتخابات في الجزائر، محمد شرفي، أنه تم سحب 2500 ملف للترشح للانتخابات التشريعية المقررة في 12 حزيران/ يونيو القادم. وأكد أن الإقبال على الترشح للانتخابات التشريعية من القوائم الحرة والحزبية غير مسبوق، وأن، عددهم بالآلاف إلى الآن بعد سحب 2500 ملف، مشيراً إلى أن كل ملف يضم قائمة بها عدد من المرشحين.

(الشروق أون لاين، 2021/3/25)

القديمة نفسها، وحتى الوجوه التي كانت جزءاً من المسؤولية في الأزمة القائمة.

(العربي الجديد، 2021/3/29)

2021/3/30 قال حزب الأمة القومي السوداني إن التحفظ الذي أبداه الحزب بشأن اتفاق إعلان المبادئ الموقع بين الحكومة الانتقالية والحركة الشعبية قطاع الشمال بقيادة عبد العزيز الحلو، في جوبا، سببه أن عدة قضايا، مثل الدين والدولة واللغة، لا تناقش بصورة أحادية، بل يشارك فيها جميع السودانين، مشيراً إلى أنهم في الحزب لا يدعون إلى قيام دولة دينية كما يرى بعضهم.

(أترا سودان، 2021/3/30)

2021/4/1 يبدأ مجلس النواب في طبرق فتح باب الترشح للمناصب السيادية في الدولة وقبول ملفات المرشحين بديوان المجلس في مدينة بنغازي، في خطوة جديدة أحادية من جانب رئيس مجلس النواب في طبرق، عقيلة صالح، للضغط بهدف تمرير أسماء مقربة منه في مناصب الدولة القيادية.

(العربي الجديد، 2021/4/1)

2021/4/3 نفى رئيس الحكومة التونسية الأسبق، يوسف الشاهد، وجود انقلاب، فيما يُعرف بحادثة يوم الخميس الأسود، في 27 حزيران/ يونيو 2019، إذ تزامن في هذا اليوم وقوع عمليات إرهابية مع مرض الرئيس التونسي الباجي قائد السبسي ونقله إلى المستشفى العسكري.

(العربي الجديد، 2021/4/3)

2021/4/4 أعلنت جبهة القوى الاشتراكية الجزائرية، في أحد بياناتها، مقاطعتها الانتخابات التشريعية المبكرة المقرر إجراؤها في 12 حزيران/ يونيو، وذلك لعدم توافر الشروط المطلوبة لإجرائها.

(فرانس 24، 2021/4/4)

2021/4/6 كشف محامون عن قرار الناشطين المعتقلين الدخول في إضراب عن الطعام احتجاجاً على إيداعهم الحبس المؤقت.

(أترا الجزائر، 2021/4/6)

2021/4/6 دعا الرئيس التونسي الأسبق، منصف المرزوقي، إلى انتخابات رئاسية وتشريعية مبكرة في البلاد. وبحسب بيان نشره المرزوقي عبر صفحته الشخصية بموقع التواصل الاجتماعي "فيسبوك"، دعا إلى ما سماه انتخابات رئاسية وتشريعية سابقة لأوانها. وقال: "الانتخابات الرئاسية والتشريعية السابقة لأوانها قد تكون مغامرة، لكن في المغامرة ثمة على الأقل بعض الأمل".

(سبوتنيك عربي، 2021/4/6)

2021/4/8 ارتفع عدد الناشطين في الحراك الشعبي الموقوفين في السجون في الجزائر إلى أكثر من 50 ناشطاً اعتُقل أغلبهم خلال مشاركتهم في مظاهرات الحراك في العاصمة وعدد من المدن

الجزائرية، ووجهت إليهم تهم تتعلق بالتجمهر غير المرخص وعرض منشورات على موقع "فيسبوك"، من بينهم 23 موقوفاً قرروا شن إضراب عن الطعام احتجاجاً على حبسهم.

(العربي الجديد، 2021/4/8)

2021/4/10 بدأ 23 موقوفاً اعتقلوا إثر مسيرة للحراك الاحتجاجي في الجزائر إضراباً عن الطعام منذ الأربعاء، وفق ما أفادت لجنة دعم لمساجين الرأي.

(القدس العربي، 2021/4/10)

2021/4/11 اتهم القيادي بتحالف قوى الحرية والتغيير السوداني، رئيس الحزب الاتحادي الموحد، محمد عصمت يحيى، أربعة من الأحزاب السياسية ضمن التحالف تعمل على عرقلة إعادة هيكليته.

(أترا سودان، 2021/4/11)

2021/4/17 خرج الآلاف في الجزائر العاصمة، في مظاهرات حاشدة، على الرغم من البرد والصيام في شهر رمضان، للمطالبة بالإفراج عن ناشطين من الحراك الشعبي المناهض للنظام اعتُقلوا في الآونة الأخيرة.

(فرانس 24، 2021/4/17)

2021/4/19 رفض 23 موقوفاً من ناشطي الحراك الشعبي في الجزائر وقف إضرابهم عن الطعام لليوم الثاني عشر، رغم دعوات ملحة من المحامين وهيئة الدفاع عن معتقلي الرأي، في حين أصدرت محكمة جزائرية حكم براءة في حق ناشط بارز في الحراك.

(العربي الجديد، 2021/4/19)

2021/4/19 أصدرت المحكمة الخاصة بالمنعقدة بمحكمة جنابات بحري وسط برئاسة قاضي الاستئناف عبد المنعم عبد اللطيف أحمد حكماً بالسجن مدة 10 سنوات في مواجهة المتهم عبد الباسط حمزة، ودانت المحكمة حمزة بالثراء الحرام، وعدم تقديمه لإبراء الذمة، وإدلائه ببيان كاذب للموظف العام، إضافة إلى إدانته بمخالفة قانون غسل الأموال ومكافحة الإرهاب، وقانون تنظيم التعامل بالنقد الأجنبي. وفرضت المحكمة عليه غرامة مالية. أمّا في حال عدم دفعه الغرامة، فقد قضت بسجنه مدة 12 شهراً أخرى، على أن تسري العقوبات بالتتابع.

(وكالة السودان للأنباء، 2021/4/19)

2021/4/20 عبرت حركة النهضة التونسية عن استغرابها مما اعتبرته عودة رئيس الدولة قيس سعيد إلى خرق الدستور واعتبار "وثيقة ملغاة" مصدراً لتبرير "نزوعه نحو الحكم الفردي"، في إشارة إلى ما أثاره الرئيس واستشهاده بنص يعود إلى سنة 1982.

(عربي 21، 2021/4/20)

وتحقيق التحول الديمقراطي من دون إصلاح الأجهزة الأمنية والعسكرية وهيكلتها.

(ألترا سودان، 2021/4/27)

2021/4/28 أحصت سلطة الانتخابات الجزائرية أكثر من 23 ألف مرشح للانتخابات التشريعية المقررة في 12 حزيران/ يونيو المقبل، موزعين مناصفة بين الأحزاب وقوائم المستقلين.

(الجزيرة نت، 2021/4/28)

2021/4/28 أعلن حزب "تيار المرحلة" المقرب من رئيس الوزراء العراقي، مصطفى الكاظمي، الانسحاب رسميًا من سباق الانتخابات البرلمانية المبكرة المقرر إجراؤها في 10 تشرين الأول/ أكتوبر المقبل.

(الجزيرة نت، 2021/4/28)

2021/4/30 منع اللواء الليبي المتقاعد خليفة حفتر أعضاء حكومة الوحدة الوطنية من الاجتماع في مدينة بنغازي شرق ليبيا.

(وكالة الأناضول، 2021/4/30)

2021/4/20 حلت تونس في المرتبة الأولى عربيًا والـ 73 عالميًا في التصنيف العالمي لحرية الصحافة لسنة 2021 الصادر عن منظمة "مراسلون بلا حدود".

(ألترا تونس، 2021/4/20)

2021/4/20 اتهمت حركة النهضة التونسية رئيس الدولة قيس سعيد بالنزوع نحو الحكم الفردي، والتعدي على الدستور والقانون، بعد تنصيب نفسه قائدًا أعلى للقوات المسلحة المدنية، وليس للقوات العسكرية فقط.

(في آر تي عربي، 2021/4/20)

2021/4/21 أيدت غرفة الاتهام بمجلس قضاء الجزائر العاصمة الإبقاء على الناشطين المضربين عن الطعام داخل السجن رغم المطالبات بالإفراج عنهم.

(ألترا الجزائر، 2021/4/21)

2021/4/21 أعلن رئيس مجلس الشعب السوري، حمودة صباغ، أنه تلقى كتابًا من المحكمة الدستورية العليا يبلغه بتقديم الرئيس بشار الأسد طلبًا إلى المحكمة لترشيح نفسه لمنصب رئيس الجمهورية.

(دويتشه فيله، 2021/4/21)

2021/4/22 احتلت الجزائر المركز 146 عالميًا في مجال حرية التعبير من أصل 180 بلدًا شمله تقييم منظمة "مراسلون بلا حدود".

(النهار، 2021/4/22)

2021/4/25 أعلنت المفوضية العليا المستقلة للانتخابات في العراق تسجيل 847 مرشحًا فرديًا و122 حزبًا و13 تحالفًا لخوض الانتخابات المبكرة المقرر إجراؤها في 10 تشرين الأول/ أكتوبر المقبل. وقالت المفوضية في أحد بياناتها إن "عدد المرشحين الذين تم تسجيلهم للمشاركة في الانتخابات المبكرة بلغ 847 فردًا، و122 حزبًا". مشيرة إلى أن "13 تحالفًا سياسيًا أبدى رغبته في المشاركة في الانتخابات أيضًا، من أصل 33 تحالفًا سياسيًا مسجلًا (لدى المفوضية)"، من دون ذكر أسماء التحالفات الراغبة في المشاركة أو تفاصيل عنها.

(باسنيوز، 2021/4/25)

2021/4/26 كشفت منصة "نحن نسجل" الحقوقية، تنفيذ وزارة الداخلية المصرية حكمًا بإعدام 17 متهمًا شنقًا، في القضية رقم 12749 لسنة 2013 (جنايات الجيزة)، المعروفة إعلاميًا بقضية "اقتحام قسم شرطة كرداسة".

(العربي الجديد، 2021/4/26)

2021/4/27 حذر رئيس حزب المؤتمر السوداني وعضو مجلس شركاء الفترة الانتقالية، عمر الدقير، من تأخير إصلاح المنظومة الأمنية والعسكرية، منوهاً بأنه لا يمكن معالجة الأزمة الاقتصادية



صدر حديثاً

تأليف: عماد قدورة.

السياسة الخارجية التركية: التحالفات المرنة، سياسة القوة

صدر عن المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات كتاب **السياسة الخارجية التركية: التحالفات المرنة، سياسة القوة**. يتألف الكتاب (272 صفحة بالقطع الوسط، موثقاً ومفهرساً) من أربعة فصول. ويجادل فيه مؤلفه بأن السياسة الخارجية التركية الحالية تعتمد على تقوية العلاقات مع القوى الكبرى في الغرب والشرق معاً، ضمن تحالفات مرنة تتجنب الاعتماد على حليف مُهيمن، وتستفيد من مزايا الاتجاهين، وتُوازن أحدهما بالآخر في حال التوتر.

مشروع التحول الديمقراطي ومراحل الانتقال في البلدان العربية

The Project of Democratic Transformation and Transition Phases in the Arab Countries

وثائق التحول الديمقراطي في الوطن العربي

Documents of Democratic Transition in the Arab World

يرصد هذا الباب أبرز الوثائق السياسية ذات الصلة بالتحول الديمقراطي في الوطن العربي. وننشر في هذا العدد أبرز التحديات التي واجهت حكومة حسان دياب في لبنان، كاتهامها بالتبعية لجهة سياسية معينة في لبنان، والدعوة لانتخابات نيابية مبكرة. إضافة إلى الأزمة المالية الحادة التي دفعت حكومة دياب لاتخاذ قرار إعادة هيكلة الدين العام والتوقف عن دفع الفوائد وسداد الديون من أجل تأمين الاحتياجات الأساسية للشعب اللبناني. كما تواجه الحكومة تحدي التعامل مع جائحة كورونا، فتفرض حظر تجوال وتمنع التجمعات حفاظاً على سلامة الجميع من الوباء. ونقف، في هذا العدد، عند نشر وثائق شهري شباط/فبراير وآذار/مارس 2020، على أن نستكمل في الأعداد المقبلة، نشر الوثائق اللاحقة.

كلمات مفتاحية: لبنان، احتجاجات، أزمة المصارف، جائحة كوفيد-19.



Keywords: Lebanon, Protests, Banking Crisis, Covid-19.

الوثيقة (1)

الجيش اللبناني يعلن حمايته للمتظاهرين ويدعوهم لعدم الاصطدام مع الجيش والقوى الأمنية



جهة الإصدار: الجيش اللبناني.

المصدر: الحساب الرسمي للجيش اللبناني، تويتر، 2020/2/10، شوهد في 2021/4/3، في: <https://bit.ly/39MZnoq>

الوثيقة (2)

الجيش يعلن إجراءات أمنية استثنائية لحماية مجلس النواب أثناء انعقاد جلسته

إجراءات أمنية مواكبة لجلسة مجلس النواب

صدر عن قيادة الجيش - مديرية التوجيه البيان الآتي:

لمناسبة انعقاد الجلسة النيابية العامة المخصصة لمناقشة البيان الوزاري ومنح الحكومة الثقة يومي 11 و12/2/2020، اتخذت وحدات من الجيش إجراءات أمنية استثنائية في محيط مجلس النواب والطرق الرئيسية والفرعية المؤدية إليه.

تدعو قيادة الجيش المواطنين إلى التجاوب مع التدابير المتخذة وعدم الإقدام على قطع الطرقات إنفاذاً للقانون والنظام العام، وحفاظاً على الأمن والاستقرار، مؤكدة على دورها في حماية مؤسسات الدولة والاستحقاقات الدستورية، كما على أحقية التظاهر والتجمع السلمي في الساحات العامة.

جهة الإصدار: الجيش اللبناني.

المصدر: الموقع الإلكتروني الرسمي للجيش اللبناني، 2020/2/10، شوهد في 2021/4/3، في: <https://bit.ly/3cXfbXE>

الوثيقة (3)

حسان دياب وأعضاء حكومته يتعهدون بعدم خوض الانتخابات المقبلة أو دعم أي طرف فيها



نحن الموقعين ادناه رئيس واعضاء حكومة "مواجهة التحديات"،
وانسجاماً مع مبدأ حياد الحكومة في مسألة الانتخابات النيابية،
وفي حال أجرت الحكومة الحالية الانتخابات النيابية العامة المقبلة،
فإننا نتعهد بعدم الترشح لتلك الانتخابات او دعم اي مرشح بأي شكل من الاشكال.

حسان دياب	زينة عكر	دميانوس قطار	ناصر حقي
غازي وزني	راوول نعمه	محمد فهمي	عماد حنب الله
ميثال نجار	رمزي المشرفية	ريمون عجر	طارق المجذوب
عادة شريم	طلال حواط	حمد حسن	ماري كلود نجم
لميا يمّين	مقال عبد الصمد	عباس مرتضى	فارتينييه اوهاننيان

جهة الإصدار: رئاسة مجلس الوزراء اللبناني.

المصدر: الحساب الرسمي لرئاسة مجلس الوزراء اللبناني، تويتر، 2020/2/13، شوهد في 2021/3/22، في: <https://bit.ly/2QITaY>

الوثيقة (4)

حسان دياب وأعضاء حكومته يتعهدون بالتصريح بممتلكاتهم تطبيقاً لمبدأ الشفافية ومكافحة الفساد

الجمهورية اللبنانية
رئاسة مجلس الوزراء

بيروت في ١٣/٢/٢٠٢٠

نحن الموقعين ادناه رئيس واعضاء حكومة "مواجهة التحديات"،
تماشياً مع مبدأ الشفافية المتوجبة على كل من يتولى الشأن العام،
وعلى ضوء مشاريع واقتراحات القوانين المتعلقة بمكافحة الفساد الجاري مناقشتها في
المجلس النيابي،
وقضلاً عن الموجب الذي يفرض علينا التصريح لرئاسة المجلس الدستوري عن كامل
ذمتنا المالية بما فيها الاموال المنقولة وغير المنقولة التي نملكها او ازواجنا او اولادنا
القاصرين عملاً بنص المادة (٥) من قانون الاثراء غير المشروع رقم ١٥٤ تاريخ
١٩٩٩/١٢/٤، والذي نضيف اليه تصريحاً عن المداخل والقروض،
نتعهد بالتصريح عن اموالنا المنقولة وغير المنقولة والمداخل والقروض وعن كل ما لنا به
من مصلحة او استفادة مباشرة او غير مباشرة، في أي شركة او مشروع من اي نوع كان
والكشف عن حساباتنا المصرفية في لبنان والخارج، وذلك امام الهيئة الوطنية لمكافحة
الفساد المزمع انشائها من ضمن رزمة الاولويات الواردة في البيان الوزاري.

ناصر حني	دميانوس قطار	زينة عكر	حسان دياب
عماد حب الله	محمد فهمي	ولول نعمو	غازي وزني
عمار عبد الله	ريمون غجر	رمزي المشرفية	ميثال نجار
طارق المجذوب	حمد حسن	طلال حواط	غادة شريم
ماري كلود نجم	عباس مرتضى	منال عبد الصمد	لميا يتين
فارتينيه اوهانديان			

جهة الإصدار: رئاسة مجلس الوزراء اللبناني.

المصدر: الحساب الرسمي لرئاسة مجلس الوزراء اللبناني، تويتر، 2020/2/13، شوهد في 2020/3/22، في: <https://bit.ly/3r9OKJz>

الوثيقة (5)

الحريري يعلن دعمه لمطالب المتظاهرين بإجراء انتخابات مبكرة



جهة الإصدار: رئيس حزب تيار المستقبل ورئيس الحكومة اللبنانية السابق سعد الحريري.
المصدر: الحساب الرسمي لسعد الحريري، تويت، 2020/2/14، شوهد في 2021/3/10، في: <https://bit.ly/3uqNTif>

الوثيقة (6)

سامي جميل يُذكر معارضته القانون الانتخابي الذي بات الجميع يريد تغييره اليوم



جهة الإصدار: حزب الكتائب اللبنانية.
المصدر: الحساب الرسمي لحزب الكتائب اللبنانية، تويت، 2020/2/16، شوهد في 2021/3/27، في: <https://bit.ly/39IxtcV>

الوثيقة (7)

سامي جميل يدعو لتجنّب المحاصصة الطائفية والاستجابة لمطالب الشعب



جهة الإصدار: رئيس حزب الكتائب اللبنانية سامي جميل.

المصدر: الحساب الرسمي لرئيس حزب الكتائب اللبنانية سامي جميل، تويتر، 2020/2/16، شوهد في 2021/3/27، في: <https://bit.ly/3fFqO7a>

الوثيقة (8)

سمير جعجع يتهم حزب الله بالتهرب من المسؤولية



جهة الإصدار: رئيس حزب القوات اللبنانية سمير جعجع.

المصدر: الحساب الرسمي لسمير جعجع، تويتر، 2020/2/18، شوهد في 2021/3/27، في: <https://bit.ly/2PjhJ9d>

الوثيقة (9)

وليد جنبلاط يدعو مناصريه لعدم الانسياق وراء الأخبار الكاذبة والحفاظ على الهدوء والموضوعية



جهة الإصدار: رئيس الحزب التقدمي الاشتراكي وليد جنبلاط.

المصدر: الحساب الرسمي لوليد جنبلاط، تويتر، 2020/2/20، شوهد في 2021/3/27، في: <https://bit.ly/3cPZaTm>

الوثيقة (10)

الحريري ينتقد خطة الحكومة للتعامل مع الأزمة المالية ويعتبرها انقلاباً على النظام الاقتصادي



جهة الإصدار: رئيس حزب تيار المستقبل سعد الحريري.

المصدر: الحساب الرسمي لسعد الحريري، تويتر، 2020/3/5، شوهد في 2021/7/14، في: <https://bit.ly/3r7oXvI>

الوثيقة (11)

حسّان دياب يعلن رسمياً توقّف الحكومة عن سداد ديونها



المصدر: رئيس الحكومة اللبنانية حسّان دياب.
جهة الإصدار: الحساب الرسمي لحسان دياب، تويتر، 2020/3/7، شوهد في 2021/7/14، في: <https://bit.ly/2Tg31C8>

الوثيقة (12)

رئيس الحكومة يبرر قراره بالتوقف عن دفع الديون بالحاجة إلى وقف الاستنزاف وتلبية احتياجات المواطنين الأساسية



المصدر: رئيس الحكومة اللبنانية حسّان دياب.
جهة الإصدار: الحساب الرسمي لحسان دياب، تويتر، 2020/3/7، شوهد في 2021/7/14، في: <https://bit.ly/3hElCRJ>

الوثيقة (13)

رئيس الحكومة يعلن البدء في إعداد استراتيجية لمكافحة الفساد وتقليص حجم القطاع المصرفي

... Hassan B. Diab @Hassan_B_Diab ٧٠ مارس ٢٠٢٠
لقد باشرنا بإعداد استراتيجية وطنية لمكافحة الفساد

#لبنان #مكافحة_الفساد

٢٠٧ ١٦٧ ٢ ألف

... Hassan B. Diab @Hassan_B_Diab ٧٠ مارس ٢٠٢٠
لبنان الغد سيرتكز أكثر وأكثر على الزراعة والصناعة والمعرفة والتكنولوجيا، إضافة إلى قطاعاته التقليدية في التجارة والسياحة والخدمات

سنعمل كذلك، على تطوير قطاعنا المصرفي، لكننا، لا نحتاج قطاعا مصرفيا يفوق بأربعة أضعاف حجم اقتصادنا

٣٦٨ ٣٣٩ ٢,١ ألف

المصدر: رئيس الحكومة اللبنانية حسان دياب.

جهة الإصدار: الحساب الرسمي لحسان دياب، تويتر، 2020/3/7، شوهد في 2021/7/14، في: <https://bit.ly/3rhvkg4>

الوثيقة (14)

مجلس الوزراء يتخذ إجراءات مشددة لمكافحة وباء كورونا

الجمهورية اللبنانية
رئاسة مجلس الوزراء

قرار رقم ٢٠٢٠/٥٤

إجراءات إضافية في إطار التشدد في مكافحة وباء كورونا

إن رئيس مجلس الوزراء،

بناءً على المرسوم رقم ٦١٥٦ تاريخ ٢٠٢٠/١/٢١ (تسمية السيد حسّان دياب رئيساً لمجلس الوزراء)،
بناءً على قرار مجلس الوزراء رقم ١ تاريخ ٢٠٢٠/٣/١٥ (إعلان التعبئة العامة لمواجهة إنتشار فيروس
كورونا لاسيما الفقرة ثانياً منه)،

بناءً على القرار رقم ٢٠٢٠/٤٣ تاريخ ٢٠٢٠/٣/١٧،

بناءً على القرار رقم ٢٠٢٠/٤٤ تاريخ ٢٠٢٠/٣/١٨،

بناءً على القرار رقم ٢٠٢٠/٤٨ تاريخ ٢٠٢٠/٣/٢٠،

بناءً على القرار رقم ٢٠٢٠/٥٣ تاريخ ٢٠٢٠/٣/٢٤،

بناءً على مقتضيات المصلحة العامة وفي إطار تفعيل الرقابة والتشدد الردي من قبل الأجهزة العسكرية
والأمنية كافة في قمع المخالفات بما يؤدي إلى عدم نقس الوباء وانتشاره،

بناءً على اقتراح وزراء الداخلية والبلديات، الصناعة، الإقتصاد والتجارة والزراعة،

وبعد اطلاع مجلس الوزراء،

بقر ما يأتي:

المادة الأولى : يُعق العمل بين الساعة السابعة مساءً والساعة الخامسة صباحاً في جميع المحلات التجارية والسوبر
ماركيت ومؤسسات تصنيع وتخزين وبيع المواد الغذائية على إختلافها وبمستثنى من تلكه المطاحن
والآفان والصيدليات والمصانع التي تنتج المستزمات الطبية على إختلافها وتنوعها.

المادة الثانية : يُمنع الخروج والتوجه إلى الشوارع والطرق خلال الفترة المشار إليها في المادة الأولى عملاً
بمراقبة النقل والانتقال المنصوص عنها في الفقرة ٣/ج من المادة الثانية من المرسوم
الاستراعي رقم ٨٣/١٠٢ (قانون الدفاع الوطني).

المادة الثالثة : تُكلف القوى العسكرية والأمنية كافة بتنفيذ هذا القرار.

المادة الرابعة : يُعمل بهذا القرار اعتباراً من تاريخ ٢٠٢٠/٣/٢٧.

بيروت، في: ٢٠٢٠/٣/٢٦

رئيس مجلس الوزراء

حسّان دياب

جهة الإصدار: رئاسة مجلس الوزراء.

المصدر: الحساب الرسمي لرئاسة مجلس الوزراء، تويتي، 2020/3/26، شوهد في 2021/7/10، في: <https://bit.ly/3r9CoLy>

الوثيقة (15)

سمير جعجع يتهم الحكومة بتعيينات غير نزيهة كالتالي كانت تجري في عهد الحكومات السابقة

... SAMIR GEAGEA @DRSAMIRGEAGEA

بعد انتفاضة شعبية عارمة بلبان انطلقت في 17 تشرين الأول 2019 ولا تزال مستمرة حتى اللحظة بقلوب الأكثرية الساحقة من اللبنانيين وليس في الشوارع بسبب انتشار وباء "كورونا"، كان من أول مطالبها التخلص من الزبائنية في الإدارات الرسمية واعتماد معايير الكفاءة والنزاهة في التعيينات... 1/3

Twitter Web App · ١٢:٥٧ م ٢٠٠٠ مارس ٢٠٢٠

١٤٢ إعادة تغريد ٤٧ تغريدة اقتباس ١,٣٦٥ إعجابًا

... SAMIR GEAGEA @DRSAMIRGEAGEA

رؤيا على @DRSAMIRGEAGEA

فإذا بنا نتفاجأ كما جميع اللبنانيين بأن الحكومة الحالية وعلى رغم التوقعات المنتظرة منها تحضّر لتعيينات على نفس الأسس تقريباً التي كانت تجري فيها في عهد الحكومات السابقة. 2/3

٢٤ ٨٢ ٥٣٩ ٢

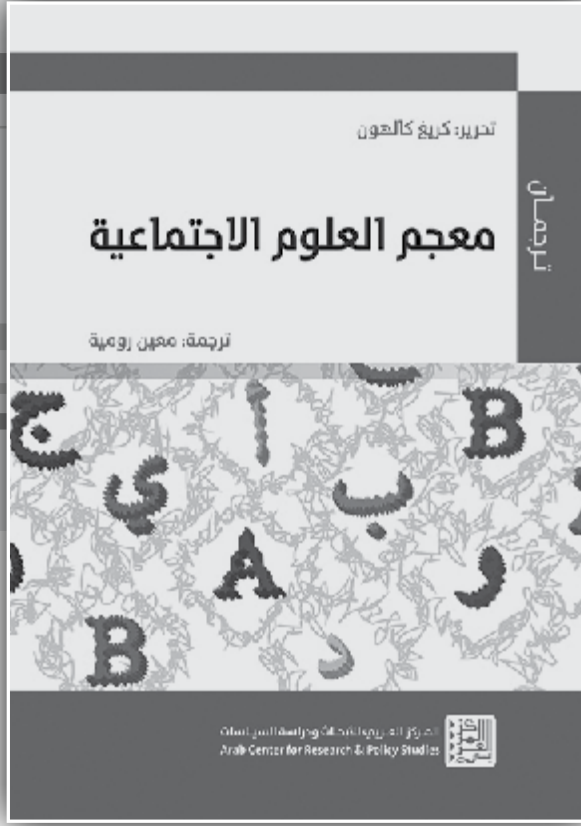
... SAMIR GEAGEA @DRSAMIRGEAGEA

وأسفاه ان حكومة كل وجوهها جديدة وتقنية لن تتمكن من إجراء تعيينات على أساس النزاهة والكفاءة والآلية، والسبب: إبحث عن الثلاثي غير المرشح أبداً في كل ما يجري. طالما هذا الثلاثي "متسلط" على السلطة في لبنان، طالما "فالج لا تعالج". 3/3

٨٩ ١١٢ ٦٦١ ٢

جهة الإصدار: رئيس حزب القوات اللبنانية سمير جعجع.

المصدر: الحساب الرسمي لسمير جعجع، تويتر، 2020/3/30، شوهد في 2021/7/12، في: <https://bit.ly/36BTsQQ>



صدر حديثاً

تأليف: كريغ كالهون.

معجم العلوم الاجتماعية

صدر عن سلسلة "ترجمان" في المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات **معجم العلوم الاجتماعية**، وهو ترجمة معين رومية العربية لمعجم كريغ كالهون بالإنكليزية *Dictionary of the Social Sciences*. يمثل هذا المعجم عملاً مرجعياً يتضمّن أكثر من 1700 مدخل، يراوم عدد كلمات كل منها بين 50 و500 كلمة، مقدّمًا، ضمن مجلّد واحد، تعريفات موجزة وواضحة وشاملة لمصطلحات مهمّة تعود إلى تخصصات محدّدة في مختلف حقول المعرفة الاجتماعية، وتعرّف القراء بالقضايا الفكرية المطروحة.

الوقائع الفلسطينية

Palestine Over Two Months

يتضمن هذا التقرير توثيقاً لأهم الوقائع الفلسطينية والأحداث المرتبطة بالصراع العربي - الإسرائيلي في المدة 1 آذار/ مارس - 30 نيسان/ أبريل 2021.

كلمات مفتاحية: فلسطين، إسرائيل، الصراع العربي - الإسرائيلي.



Keywords: Palestine, Israel, Arab-Israeli Conflict.

2021/3/2 أكد نائب رئيس الوزراء وزير الخارجية وشؤون المغتربين الأردني، أيمن الصفدي، ضرورة استئناف مفاوضات جادة وفعالة لتحقيق السلام العادل والشامل على أساس حل الدولتين الذي يجسد الدولة الفلسطينية المستقلة وعاصمتها القدس المحتلة على خطوط الرابع من حزيران/ يونيو 1967، لتعيش بأمن وسلام إلى جانب إسرائيل، وفق القانون الدولي ومبادرة السلام العربية.

(الدستور، 2021/3/2)

2021/3/2 دعا خبراء في مجلس حقوق الإنسان التابع للأمم المتحدة، حكومة إسرائيل إلى وقف انتهاكاتهما من أعمال هدم في قرية حمصة البقيع الفلسطينية في غور الأردن.

(وكالة الأنباء والمعلومات الفلسطينية "وفا"، 2021/3/2)

2021/3/3 دعت الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين السلطة الفلسطينية إلى ضرورة تعزيز الرقابة الوطنية والمجتمعية على معايير توزيع اللقاحات الخاصة بفيروس "كورونا". وأكدت الجبهة على ضرورة التزام الحكومة في رام الله بمعايير توزيع هذه اللقاحات وفقاً للبروتوكولات الدولية، واستناداً إلى تعليمات منظمة الصحة العالمية، التي تشدد على ضرورة تحديد معايير واضحة لآليات توزيع اللقاحات تأخذ في الاعتبار المرضى وزارعي الأعضاء وكبار السن وذوي الإعاقة والطواقم الطبية، وكان الائتلاف من أجل النزاهة والمساءلة "أمان" قد اتهم حكومة رام الله بـ "المحسوبية" في توزيع لقاحات "كورونا".

(وكالة قدس برس إنترناشيونال للأنباء، 2021/3/3)

2021/3/3 دعا نيد برايس، المتحدث باسم وزارة الخارجية الأمريكية، إسرائيل إلى الامتناع عن أي خطوة أحادية الجانب تشدد التوتر وتضعف التوصل إلى حل الدولتين. وأكد معارضة واشنطن للخطط الإسرائيلية المتعلقة ببناء مستوطنات جديدة في الضفة الغربية.

(القدس، 2021/3/3)

2021/3/3 طالبت الطائفة السامرية في فلسطين الرئيس محمود عباس بإعادة المقعد الخاص بالطائفة السامرية في المجلس التشريعي الفلسطيني، بعد تجميده بـ "التصويت" من أعضاء المجلس، عقب وفاة الكاهن سلوم عمران "عضو التشريعي عن الطائفة" عام 2004.

(أنترا فلسطين، 2021/3/3)

2021/3/3 أعلنت المدعية العامة للمحكمة الجنائية الدولية، فاتو بنسودا، فتح تحقيق رسمي في جرائم مفترضة في الأراضي الفلسطينية المحتلة. وذكرت أنّ هناك "أساساً معقولاً" لأن تكون الأراضي الفلسطينية قد شهدت جرائم حرب من الأطراف التي شاركت في حرب غزة عام 2014؛ أي الجيش الإسرائيلي والفصائل الفلسطينية المسلحة، وعلى رأسها حركة حماس. ودانت إسرائيل قرار المحكمة واعتبرته "سياسياً".

(فرانس 24، 2021/3/3)

2021/3/1 أطلقت لجنة الانتخابات المركزية الفلسطينية مرحلة النشر والاعتراض على سجل الناخبين الابتدائي. وأكدت أن مراكز النشر والاعتراض البالغ عددها 1090 مركزاً (التي ستجرى فيها عملية الاقتراع) ستفتح أبوابها مدة ثلاثة أيام، وفقاً للمدة القانونية المعلنة للانتخابات الفلسطينية لعام 2021.

(أنترا فلسطين، 2021/3/1)

2021/3/1 قدّم السفير الإماراتي محمد آل خاجة، أوراق اعتماده للرئيس الإسرائيلي رؤوفين ريفلين، بصفته أول سفير للإمارات في تل أبيب.

(العين، 2021/3/1)

2021/3/1 أصدر الرئيس الفلسطيني محمود عباس مرسوماً رئاسياً بتشكيل محكمة قضايا الانتخابات، برئاسة قاضي المحكمة العليا/ محكمة النقض، إيمان ناصر الدين، في حين رحبت حركة المقاومة الإسلامية "حماس" بالقرار. ويأتي إصدار المرسوم الرئاسي بشأن تشكيل المحكمة، في ظل الاستعدادات لإجراء الانتخابات العامة.

(العربي الجديد، 2021/3/1)

2021/3/2 وافق البنك الدولي على تقديم منحة ثانية بقيمة 10 ملايين دولار أميركي لمساندة جهود خلق الوظائف في الأراضي الفلسطينية، وذلك في إطار مساعيه للتصدي لتأثيرات جائحة كورونا في الشعب الفلسطيني. ويهدف التمويل الإضافي للمشروع الثاني للتمويل من أجل خلق فرص العمل إلى مواصلة حفز الاستثمارات الخاصة في قطاعات الأعمال التي تتمتع بإمكانات عالية لخلق فرص عمل.

(الحياة الجديدة، 2021/3/2)

2021/3/2 وقّع مئات النواب في برلمانات 22 دولة أوروبية رسالة بعثوا بها إلى وزراء الخارجية الأوروبيين، وطالبوا فيها باستغلال تغير الإدارة الأميركية لممارسة ضغوط على إسرائيل كي تُوقف "الضم الفعلي" في الضفة الغربية المحتلة.

(الأيام، 2021/3/2)

2021/3/2 أعلن عضو اللجنة المركزية لحركة فتح، ناصر القدوة، عن التوافق على تشكيل الملتقى الوطني الديمقراطي الفلسطيني، الذي سيشكل قائمة لخوض الانتخابات التشريعية المقبلة، وذلك خلال اجتماع موسع عقده عبر تقنية "زووم"، ضم أكثر من 230 شخصاً، من بينهم قيادات فتحاوية من الضفة الغربية وقطاع غزة والخارج، ورجال أعمال، وأكاديميون.

(أنترا فلسطين، 2021/3/2)

2021/3/2 أجلت محكمة الاحتلال بالقدس المحتلة، البت في الاستئناف الذي قدّمته 3 عائلات من حي الشيخ جراح على قرار المحكمة القاضي بإخلائهم من منازلهم لصالح المستوطنين.

(وكالة الأنباء والمعلومات الفلسطينية "وفا"، 2021/3/2)

2021/3/7 نشرت لجنة الانتخابات المركزية الفلسطينية، المعلومات والإجراءات والطلبات والنماذج المتعلقة بعملية الترشح لانتخابات المجلس التشريعي المقرر الاقتراع فيها في 22 أيار/ مايو 2021، في وقت شكّلت فيه النساء نحو نصف المسجلين في سجل الناخبين. وقد أشار التقرير إلى أن عدد النساء المسجلات للانتخابات الفلسطينية 2021، بلغ 1.247 مليون امرأة، يشكلن ما نسبته نحو 49% من إجمالي عدد المدرجين في سجل الناخبين الابتدائي. وأوضحت أن أعلى نسبة تسجيل للنساء كانت في محافظة رفح، وأنها بلغت نحو 50 في المئة من المسجلين، في حين أن كانت أدنى نسبة في محافظة القدس بنسبة 47.6 في المئة.

(عرب 48، 2021/3/7)

2021/3/7 تلقت الفصائل الفلسطينية دعوات رسمية من القاهرة للمشاركة في الجولة الثانية من الحوار الوطني الفلسطيني في 16 آذار/ مارس.

(العين، 2021/3/7)

2021/3/8 أعلنت اللجنة المركزية لحركة فتح أنها ستخوض الانتخابات بقيادة موحدة.

(فلسطين اليوم، 2021/3/8)

2021/3/9 أكد تقرير أعدته منظمتا "بتسيلم" و"كيرم نبوت" الإسرائيليتان، أن أعداد المستوطنين في الضفة الغربية ارتفعت منذ عام 2000 بنسبة 222 في المئة. وأرجع التقرير، الذي كان عنوانه "هكذا تشجع إسرائيل الاستيطان في الضفة الغربية، وتحدث تغييراً في الخريطة"، هذا الارتفاع الكبير إلى "الإعفاءات الضريبية، والتسهيلات التي تقدمها الحكومة الإسرائيلية للمستوطنين، لا سيما فيما يتعلق بقطاع الإسكان".

(أترا فلسطين، 2021/3/9)

2021/3/10 أعلن رئيس المكتب السياسي لحركة المقاومة الإسلامية "حماس"، إسماعيل هنية، انتخاب يحيى السنوار رئيساً للحركة في قطاع غزة للدورة الثانية على التوالي.

(الجزيرة نت، 2021/3/10)

2021/3/10 ذكرت هيئة البث الإسرائيلية الرسمية أنّ وليّ العهد الأردني، الحسين بن عبد الله، ألغى زيارة، كانت مقررة، للمسجد الأقصى المبارك في القدس المحتلة. وبحسب هيئة البث الإسرائيلية فإن الحسين بن عبد الله عاد أدراجه بعد أن وصل إلى "معبر النبي/ الجسر"، لعدم التزام الأردن بتفاهات جرى التوصل إليها مع "إسرائيل" حول عدد حراس الأمن المتفق عليه، مشيرةً إلى أن عدد حراس ولي العهد كان أعلى من المتفق عليه.

(أترا فلسطين، 2021/3/10)

2021/3/3 أرسلت حكومة الاحتلال رسائل إلى السلطة الفلسطينية، تتضمن تهديدات تتعلق بتحقيقات المحكمة الجنائية الدولية في "جرائم حرب" ارتكبتها جيش الاحتلال خلال حرب 2014.

(أترا فلسطين، 2021/3/3)

2021/3/4 تعترم عائلات فلسطينية تقطن حيّ الشيخ جراح في القدس المحتلة التوجّه إلى المحكمة الإسرائيلية العليا، بعد أن ردّت محكمة الاحتلال المركزية بالرفض على طلبات استئناف قدمتها عائلات حماد والدجاني والداودي.

(أترا فلسطين، 2021/3/4)

2021/3/5 رفضت إدارة الرئيس الأميركي جو بايدن قرار المدعية العامة للمحكمة الجنائية الدولية، فاتو بنسودا، فتح تحقيق رسمي في احتمال ارتكاب إسرائيل والفصائل الفلسطينية جرائم حرب في الأراضي المحتلة منذ عام 1967. وعبر وزير الخارجية الأميركي، أنتوني بلينكن، عن "خيبة شديدة"، معتبراً أنه "لا سلطان قضائياً للمحكمة" على هذه المسألة، مضيفاً أن الولايات المتحدة "ملتزمة بشدة" بضمان العدالة في ما يتعلق بـ "الجرائم الفظيعة".

(الشرق الأوسط، 2021/3/5)

2021/3/6 قال قيادي بحركة "فتح" الفلسطينية إن عضو اللجنة المركزية للحركة، ناصر القدوة، "أخطأ بسعيه لتشكيل قائمة منفصلة لخوض الانتخابات التشريعية المقبلة".

(وكالة الأناضول، 2021/3/6)

2021/3/6 قالت عضو الكونغرس الأميركي عن ولاية ميتشيغان، رشيدة طليب، إنه "لا أحد فوق القرار والقانون"، وذلك انتقاداً ورداً على قرار الإدارة الأميركية الذي جاء على لسان وزير خارجيتها، أنتوني بلينكن، معارضتها بشدة للتحقيق في جرائم الحرب الإسرائيلية ضد الفلسطينيين. وأضافت طليب في تغريدة عبر صفحتها الرسمية في موقع "تويتر": "إن المحكمة الجنائية الدولية لديها السلطة، وعليها واجب التحقيق بشكل مستقل ونزيه وتحقيق العدالة لضحايا انتهاكات حقوق الإنسان وجرائم الحرب في فلسطين وإسرائيل، ويجب ألا تتدخل الولايات المتحدة في قدرتها على القيام بذلك".

(الحياة الجديدة، 2021/3/6)

2021/3/7 قال الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني: "إن ربع النساء المستخدمات بأجر في القطاع الخاص يعملن دون عقد عمل". وأورد المركز في بيان أصدره عشية يوم المرأة العالمي، الذي يوافق 8 آذار/ مارس من كل عام، أن 23 في المئة من المستخدمات بأجر في القطاع الخاص يعملن دون عقد عمل، و62 في المئة منهن يحصلن على مساهمة في تمويل التقاعد، أو ما يطلق عليه "مكافأة نهاية الخدمة".

(أترا فلسطين، 2021/3/7)

"جمهورية كوسوفو" بالألبانية والعبرية والإنكليزية، بحسب بيان وزارة الخارجية.

(التلفزيون العربي، 2021/3/14)

2021/3/15 طلب الصندوق القومي الفلسطيني من وزارة المالية بالإيعاز للمعنيين بوقف صرف أي مخصصات أو تغطية أي نفقات مالية لمؤسسة "ياسر عرفات" التي يرأسها ناصر القدوة، بعد إعلانه مؤخرًا تشكيل "الملتقى الوطني الديمقراطي". وجاء في كتاب موجّه من مدير عام الصندوق القومي الفلسطيني رمزي خوري، إلى وزير المالية شكري بشارة، طلب بإيقاف صرف أي مخصصات مالية أو تغطية أي نفقات تخص مؤسسة الشهيد ياسر عرفات سواء على نحو مباشر، أو عن طريق التحويل المالي للصندوق القومي، وذلك بناءً على تعليمات رئاسية، اعتبارًا من 11 آذار/ مارس 2020.

(أثرا فلسطين، 2021/3/15)

2021/3/15 أكد المتحدث باسم الرئاسة الفلسطينية، نبيل أبو ردينة، أنه لن يكون هناك أي تراجع عن قرار إجراء الانتخابات العامة، لأنها استحقاق ديمقراطي وشعبي، مشددًا على موقف الرئيس والقيادة بضرورة إجرائها وفقًا للمراسيم الرئاسية على قواعد واضحة وسليمة.

(وكالة الأنباء والمعلومات الفلسطينية "وفا"، 2021/3/15)

2021/3/16 وصل عدد اللاجئين الفلسطينيين الذين ينتمون إلى الفئات "الأشد عرضة للمخاطر" في سورية، إلى 135 ألف لاجئ، وفقًا للتقديرات الصادرة عن وكالة غوث وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين (الأونروا). وقالت الوكالة في بيان صدر عنها: "بعد عشر سنوات من بدء التظاهرات في سورية، نزح أكثر من نصف لاجئي فلسطين في البلاد مرة واحدة على الأقل، بمن في ذلك 120 ألفًا منهم بحثوا عن الأمان في البلدان المجاورة، وخاصة لبنان والأردن وخارجها". ولفتت الوكالة الانتباه إلى أن "الفلسطينيين شكّلوا في ما مضى مجتمعًا حيويًا ضم أكثر من 550 ألف شخص، كانوا قد جاؤوا إلى سورية في موجتين رئيسيتين في عامي 1948 و1967 واستقروا في 12 مخيمًا في جميع أنحاء البلاد". وأضاف البيان أن 91 في المئة منهم في فقر مدقع.

(الأيام، 2021/3/16)

2021/3/16 وقّعت القوى والأحزاب والفصائل الفلسطينية المشاركة في الانتخابات الفلسطينية العامة، المتحاوررة في العاصمة المصرية القاهرة، على "ميثاق شرف" قالت إنه "يضمن نجاح وسير العملية الانتخابية من دون معوقات". ونص ميثاق الشرف على "التقيد التام بأحكام القرار بقانون رقم (1) لسنة (2007) بشأن الانتخابات العامة وتعديلاته بالقرار بقانون رقم (1) لسنة (2021)، والمراسيم الرئاسية ذات العلاقة رقم (3) لسنة (2021) بشأن الدعوة لإجراء الانتخابات التشريعية والرئاسية والمجلس الوطني، والمرسوم الرئاسي رقم (5) لسنة (2021) بشأن تعزيز الحريات العامة، والمرسوم

2021/3/11 قررت اللجنة المركزية لحركة فتح فصل ناصر القدوة، وزير الخارجية الفلسطيني الأسبق، من عضويتها ومن الحركة، بناءً على قرارها الصادر في جلستها في 8 آذار/ مارس 2021.

(الحرّة، 2021/3/11)

2021/3/11 أكد رئيس الوزراء الإسرائيلي، بنيامين نتنياهو، أنه ألغى زيارته التي كانت مقررة لدولة الإمارات، بسبب ما قال إنها صعوبات في تنسيق مرور رحلته عبر أجواء الأردن، عقب تعذّر زيارة ولي العهد الأردني للمسجد الأقصى. وقال نتنياهو عبر حسابه على "تويتر" باللغة العربية "نبعت هذه الصعوبات، كما يبدو، من إلغاء زيارة ولي العهد الأردني إلى الحرم القدسي الشريف، جراء خلاف طرأ حول التدابير الأمنية التي يتم اتخاذها في هذا المكان المقدس".

(الجزيرة نت، 2021/3/11)

2021/3/13 طالب نواب في الكونغرس الأمريكي إدارة الرئيس جو بايدن بإلغاء رسمي لـ "صفقة القرن" التي أعلنتها الرئيس الأمريكي السابق دونالد ترامب في كانون الثاني/ يناير 2020. وجاء ذلك في رسالة وجهها 12 نائبًا في الكونغرس إلى وزير الخارجية الأمريكي، أنتوني بلينكن، نشرتها النائبة ذات الأصول الفلسطينية رشيدة طليب، عبر "تويتر". كما طلب النواب في الرسالة من إدارة بايدن "إدانة عمليات الهدم الإسرائيلية، واتخاذ إجراءات دبلوماسية صارمة ضدها"، وأعربوا عن قلقهم إزاء "سياسة إسرائيل في هدم منازل الفلسطينيين في الضفة الغربية المحتلة والقدس الشرقية".

(تي آر تي عربي، 2021/3/13)

2021/3/14 أعلنت حركة المقاومة الإسلامية "حماس"، تشكيله قيادتها الجديدة في غزة، بعد انتهاء انتخاباتها الداخلية هناك. وبحسب البيان، فإن تشكيله القيادة الجديدة لحركة حماس جاءت على هذا النحو: يحيى السنوار، رئيس حركة حماس في قطاع غزة، ونائبه خليل الحية، وعضوية كل من: نزار عوض الله، ومحمود الزهار، وروحي مشتهى، وفتحي حماد، وسامح السراج، ومروان عيسى، وصلاح البردويل، وجميلة الشنطي، وغازي حمد، وإسماعيل برهوم، وسهيل الهندي، وزيكريا أبو معمر، وجواد أبو شمالة، وكمال أبو عون، وعصام الدعائيس، وكذلك فاطمة شراب (الأخرس)، وهي رئيسة الحركة النسائية، وأسامة المزيني رئيس مجلس شورى الحركة في قطاع غزة، وماهر صبرة مساعد رئيس الهيئة الإدارية.

(أثرا فلسطين، 2021/3/14)

2021/3/14 افتتحت كوسوفو رسميًا سفارتها في القدس، في اعتراف منها بالمدينة عاصمةً لإسرائيل، وفق ما أعلنت عنه وزارة الخارجية الكوسوفية. وتم افتتاح مقر البعثة في احتفال مقتضب رُفِع خلاله علم كوسوفو أمام المبنى، وعلّق على مدخله لافتة كُتِب عليها

حماس، والتعاون مع المحكمة الجنائية الدولية". ولم تُعلق الرئاسة الفلسطينية على ذلك. وقالت القناة الإسرائيلية "التقى رئيس الشاباك، ندف أرغمان مع رئيس السلطة الفلسطينية محمود عباس، ونقل له تحذيرًا إسرائيليًا قويًا بشأن ثلاث قضايا قال إنها خارجة عن السيطرة".

(وكالة الأناضول، 2021/3/19)

2021/3/19 أمهلت المحكمة الجنائية الدولية إسرائيل والفلسطينيين شهرًا لطلب تأجيل تحقيق حول جرائم حرب مفترضة ارتكبت في الأراضي الفلسطينية، على أن يثبتوا أنهم يُجرون تحقيقاتهم الخاصة.

(سويس إنفو، 2021/3/19)

2021/3/19 أكد وزير الدولة للشؤون الخارجية السعودي، عادل الجبير، أن بلاده لا تزال تصر على أنه لا يمكنها تطبيع العلاقات مع إسرائيل إلا بعد توصلها إلى اتفاق سلام مع الفلسطينيين. وقال الجبير، في مقابلة مع قناة "عرب نيوز" باللغة الإنكليزية: "موقفنا من الصراع الإسرائيلي - الفلسطيني واضح ويكمن في أننا نريد حل الدولتين على أساس مبادرة السلام العربية، وقرارات الأمم المتحدة ذات الصلة، بحيث تكون هناك دولة فلسطينية ودولة إسرائيلية تعيشان جنبًا إلى جنب في سلام وأمن. وهذا يظل موقفنا".

(القدس، 2021/3/21)

2021/3/20 أعلنت لجنة الانتخابات المركزية الفلسطينية عن بدء استقبال طلبات الترشح لانتخابات المجلس التشريعي الفلسطيني لعام 2021.

(ألترافلسطين، 2021/3/20)

2021/3/21 أكد عضو اللجنة المركزية لحركة فتح، جبريل الرجوب، أنه "لم يتم التشاور مع حركة حماس حول تشكيل قائمة مشتركة".

(الحدث، 2021/3/21)

2021/3/22 ربطت دولة الاحتلال الإسرائيلي بين القرار الذي اتخذته في 21 آذار/ مارس ضد وزير الخارجية الفلسطيني، رياض المالكي، القاضي بسحب بطاقة VIP التي تمنحها لكبار مسؤولي السلطة الفلسطينية والمتعلقة بحرية الحركة والتنقل، وبين تحركاته في ما يتعلق بالمحكمة الجنائية الدولية.

(العربي الجديد، 2021/3/22)

2021/3/22 وصل محافظات غزة، عبر معبر بيت حانون شمال القطاع، وفدٌ من اللجنة المركزية لحركة فتح لوضع اللامسات الأخيرة على عملية اختيار مرشحي الحركة في الانتخابات التشريعية. ويضم الوفد كلاً من روجي فتوح والحاج إسماعيل جبر وصبري صيدم.

(الأيام، 2021/3/22)

2021/3/25 رَحَّب رئيس الوزراء الفلسطيني، محمد اشتية، بالمساعدة الأميركية للسلطة الفلسطينية، البالغة 15 مليون دولار،

الرئاسي الصادر بتاريخ 1 آذار/ مارس 2021 الخاص بتشكيل محكمة قضايا الانتخابات".

(العربي الجديد، 2021/3/16)

2021/3/17 جدد الائتلاف من أجل النزاهة والمساءلة "أمان" مطالبته بضرورة نشر خطة لتوزيع لقاحات فيروس كورونا، على أن تشمل قواعد بيانات دقيقة وشاملة للشرائح المستهدفة. وطالب الائتلاف وزارة الصحة بضرورة نشر خطة توزيع اللقاح لعامة المواطنين، التي أشارت الوزارة إلى إعدادها باجتماعها مع مؤسسات المجتمع المدني الأسبوع الماضي، على أن تشمل من هم في أمس الحاجة إلى التطعيم، بالاستناد إلى قواعد البيانات الدقيقة والشاملة للشرائح المستهدفة، والمتضمنة لقوائم بأعداد وأماكن وجودهم، لتحديد مراكز تلقيهم للتطعيمات، وذلك وفق الجدول الزمني المتوقع.

(ألترافلسطين، 2021/3/17)

2021/3/17 أكد المجلس الوزاري لمجلس التعاون لدول الخليج العربية في دورته 147 على كل ما تضمنه البيان الختامي وبيان العُلا وإعلان العُلا الصادر جميعها عن الدورة 41 للمجلس الأعلى التي عُقدت في محافظة العلا في المملكة العربية السعودية في 5 كانون الثاني/ يناير 2021. وعلى صعيد القضية الفلسطينية، أكد المجلس على مواقف دول المجلس الثابتة من القضية الفلسطينية باعتبارها قضية العرب والمسلمين الأولى، ودعمها لقيام الدولة الفلسطينية المستقلة ضمن حدود حزيران/ يونيو 1967، وعاصمتها القدس الشرقية، وضمان حقوق اللاجئين، وفق مبادرة السلام العربية والمرجعيات الدولية وقرارات الشرعية الدولية. ورَحَّب المجلس الوزاري بالمرسوم الذي أصدره الرئيس الفلسطيني محمود عباس بإجراء انتخابات تشريعية ورئاسية وانتخابات المجلس الوطني الفلسطيني في جميع الأراضي الفلسطينية بما فيها مدينة القدس الشرقية، مشيدًا بجهود جمهورية مصر العربية باستضافة الحوار الفلسطيني، الذي من شأنه أن يُنهي حالات الانقسام بين الفصائل الفلسطينية.

(العرب، 2021/3/17)

2021/3/19 أصدر الرئيس الفلسطيني محمود عباس قرارًا بإقالة عضو اللجنة المركزية المفصول من حركة فتح، ناصر القدوة، من رئاسة مجلس إدارة مؤسسة ياسر عرفات وعضوية مجلس أمنائها. وجاء قرار عباس بعد أيام من قرار فصل القدوة من اللجنة القيادية لحركة فتح بعد خلافات معه بشأن الانتخابات التشريعية المقبلة.

(القدس العربي، 2021/3/19)

2021/3/19 قال تقرير نشرته القناة الإسرائيلية "13" إن رئيس جهاز الأمن العام الإسرائيلي "الشاباك"، ندف أرغمان، وجّه تحذيرًا إلى الرئيس الفلسطيني محمود عباس، بشأن "العلاقة مع حركة

الموحدة مع القدوة ستضم أكثر من 60 مرشحًا، مضيفه أنها "ستضم فخري البرغوثي وسرحان دويكات وجمال حويل وأحمد غنيم".

(الميدان، 2021/3/31)

2021/3/31 سجّل ناصر القدوة قائمته المشتركة مع مروان البرغوثي تحت مسمى "الحرية"، قبيل إغلاق فترة الترشح. ووصل القدوة رفقة فدوى البرغوثي (زوجة مروان) إلى مقر لجنة الانتخابات المركزية في البيرة لتسجيل القائمة، بعد وقت قصير من تسجيل حركة فتح قائمتها رسميًا. ويرأس القدوة القائمة، تليه فدوى البرغوثي، ثم عبد الفتاح حمايل وسرحان دويكات. كما تضم في الأسماء العشرة الأولى منها، الكاتب والمحلل السياسي هاني المصري، والأسير السابق فخري البرغوثي، الذي قضى أكثر من 30 سنة في سجون الاحتلال بتهمة المشاركة في قتل مستوطن.

(أترا فلسطين، 2021/3/31)

2021/4/1 أعلنت لجنة الانتخابات المركزية الفلسطينية عن انتهاء فترة الترشح للانتخابات التشريعية المقرر عقدها في أيار/ مايو 2021. وأشارت إلى أنها تلقت طلبات تسجيل 36 قائمة لخوض الانتخابات التشريعية.

(وكالة الأناضول، 2021/4/1)

2021/4/1 دلّت مراجعة لنتائج انتخابات الكنيست النهائية الرسمية، التي نشرت رسميًا، وتسلمها رئيس الدولة، رؤوبين رفلين، على أن الليكود بزعامة بنيامين نتيناهو خسر 285 ألف صوت، مقارنة بالانتخابات السابقة (من مليون و350 ألفًا إلى مليون و66 ألفًا)، وأن الأحزاب العربية خسرت أكثر من 200 ألف صوت، وأن نتيناهو حصل على أكثر من 21 ألف صوت من العرب.

(الشرق الأوسط، 2021/4/1)

2021/4/1 ذكر الناطق الرسمي باسم وزارة الخارجية وشؤون المغتربين الأردنية، السفير ضيف الله الفايز، أن الوزارة وجّهت مذكرة احتجاج رسمية عبر القنوات الرسمية، طالبت فيها إسرائيل بوصفها قوة قائمة بالاحتلال، بالكف عن انتهاكاتها واستفزازاتها المرفوضة والمدانة، وباحترام الوضع القائم التاريخي والقانوني في القدس، وباحترام سلطة وصلاحيات إدارة أوقاف القدس.

(المصري اليوم، 2021/4/1)

2021/4/1 أكدت وزارة الخارجية الأمريكية أن إدارة الرئيس جو بايدن تعتبر، بالفعل، الضفة الغربية أرضًا "محتلة" من قبل إسرائيل، وذلك غداة تقرير أصدرته الوزارة وامتنعت فيه عن استخدام هذا المصطلح. وقال المتحدث باسم الوزارة نيد برايس للصحافيين: "هذه حقيقة تاريخية أن إسرائيل احتلت الضفة الغربية وقطاع غزة ومرتفعات الجولان بعد حرب 1967".

(فرانس 24، 2021/4/1)

مساهمة من الإدارة الأميركية في مواجهة الموجة الثالثة من فيروس كورونا. وقال اشيتية في بيان له إن المساعدة الأميركية خطوة مهمة وفي الاتجاه الصحيح من أجل إعادة صياغة العلاقة مع الإدارة الأميركية، التي توقفت خلال فترة حكم ترامب في البيت الأبيض، على خلفية مواقفه من القضية الفلسطينية، المنافية لقرارات الشرعية الدولية.

(أترا فلسطين، 2021/3/25)

2021/3/26 أفادت صحيفة "هآرتس" العبرية أن رئيس الوزراء الإسرائيلي، بنيامين نتيناهو، لم يستجب لطلب أردني بشأن إمدادات المياه من إسرائيل إلى الأردن، على خلفية أزمة المياه التي يعانيها الأخير.

(روسيا اليوم، 2021/3/26)

2021/3/27 نددت عضو الكونغرس الأميركي، بيتي ماكولوم، بالانتهاكات التي ترتكبها سلطات الاحتلال الإسرائيلي من هدمٍ لمنازل المواطنين، خاصة في القدس المحتلة، وكذلك بحملات الاعتقال اليومية التي تشنها ضد الأطفال.

(رؤيا نيوز، 2021/3/27)

2021/3/28 بعد سلسلة حوارات بين قوى اليسار الفلسطيني والقوى الديمقراطية لخوض الانتخابات التشريعية الفلسطينية المقبلة المزمع عقدها في 22 أيار/ مايو 2021 بقائمة موحدة، أكد مسؤولون في اليسار أنها لم تفضّ إلى نتائج، ما يعني فشل تشكيل تلك القائمة الانتخابية الموحدة.

(العربي الجديد، 2021/3/28)

2021/3/29 سلّمت سلطات الاحتلال الإسرائيلي محافظ القدس، عدنان غيث، قرارًا يقضي بمنعه من دخول مناطق الضفة الغربية، والوصول إلى مقر عمله في بلدة الرام شمال القدس المحتلة. وهذه هي المرة الخامسة على التوالي التي يقيد الاحتلال فيها حركة المحافظ غيث في الضفة.

(وكالة مَعَا الإخبارية، 2021/3/29)

2021/3/29 أكد عضو المجلس الثوري لحركة "فتح"، عبد الإله الأتيرة، أن حركته "لن تقبل بإجراء الانتخابات من دون مدينة القدس". ونُقِل عنه قوله إن "المعلومات الواردة إلينا تفيد عدم قبول الجانب الإسرائيلي لإجراء الانتخابات في القدس، وعليه فإنه لا انتخابات من دون القدس ترشحًا ودعائيًا وتصوييًا".

(أترا فلسطين، 2021/3/29)

2021/3/31 قبيل إجراء الانتخابات التشريعية والرئاسية الفلسطينية، توصل الأسير مروان البرغوثي والقيادي ناصر القدوة إلى اتفاق لتوحيد قائمتهما للانتخابات. وقالت مصادر مقربة من البرغوثي إن القائمة

2021/4/9 أطلق أهالي سلوان في القدس المحتلة وثيقة شرف تعاهدوا فيها على مقاطعة من سربوا وباعوا بيوتهم وأراضيهم للاحتلال. وجاء في الوثيقة التي عُممت خلال أداء صلاة الجمعة في خيمة البستان بسلوان: نعاهدكم أن نبذ ونقاطح كل خائن باع بيته وأرضه لأعداء الملة، بدءًا من ترك السلام أولًا وعدم البيع والشراء والإيجار له ورفض الخطبة والزواج واعتزال المجالسة والمصاحبة والصدقة، وعدم الغسل والتكفين والسير بالجناز، وعدم الدفن في مقابر المسلمين.

(دنيا الوطن، 2021/4/9)

2021/4/10 شارك سلاح الجو الإسرائيلي والإماراتي في مناورات دولية تجري في قاعدة "إنديفيدا" اليونانية، وذلك في إطار تعاون واسع النطاق لمواجهة حروب وكوارث متعددة. ويقود هذه المناورات سلاح الجو الأمريكي، وتشارك فيها إضافة إلى إسرائيل والإمارات، كل من فرنسا وإسبانيا وسلوفينيا وكندا وقبرص.

(الشرق الأوسط، 2021/4/10)

2021/4/10 أفادت وسائل إعلام عبرية أن شركة "فايزر" الأمريكية هددت بتعليق إمدادات لقاحها ضد فيروس كورونا إلى إسرائيل، بسبب تأخرها في دفع ثمنها.

(روسيا اليوم، 2021/4/10)

2021/4/11 قبلت لجنة الانتخابات المركزية الفلسطينية اعتراضًا وحيدًا من أصل 231 اعتراضًا قُدّم إليها خلال فترة الاعتراض على القوائم والمرشحين للانتخابات المجلس التشريعي عام 2021. وأوضحت لجنة الانتخابات أنها درست جميع هذه الاعتراضات، وقررت ردّ 226 اعتراضًا، في حين سُحبت 4 اعتراضات من مقدميها، وقبلت اللجنة اعتراضًا واحدًا فقط ضد مرشحة جرى شطب ترشيحها لأنها اكتسبت الجنسية الإسرائيلية، وهو أمرٌ يخالف أحكام القرار بقانون رقم (1) لسنة 2007 بشأن الانتخابات العامة وتعديلاته، وستبلغ اللجنة أصحاب العلاقة بقرارها خطيًا.

(العربي الجديد، 2021/4/11)

2021/4/12 أعربت فصائل منضوية في منظمة التحرير الفلسطينية عن رفضها التام لإجراء الانتخابات، من دون مشاركة مدينة القدس. وجاء ذلك في بيان صحافي صدر عن تلك الفصائل، عقب اجتماع بمقر العلاقات الوطنية بحركة التحرير الوطني الفلسطيني "فتح" في رام الله. وحضر الاجتماع ممثلون عن فصائل "فتح"، وجبهة النضال الشعبي، وفدًا، والجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين، والجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، وجبهة التحرير الفلسطينية، وجبهة التحرير العربية، وحزب الشعب، والمبادرة الوطنية. وأكدت الفصائل، وفق البيان، ضرورة استكمال العملية الانتخابية بمراحلها كافة، في كلّ الأراضي الفلسطينية المحتلة عام 1967 (الضفة الغربية بما فيها مدينة

2021/4/2 قال وزير الخارجية السعودي، الأمير فيصل بن فرحان، إنه "لا يعرف ما إن كانت هناك صفقة تطبيع وشيكة بين بلاده وإسرائيل". وأضاف في مقابلة مع قناة "سي إن إن" الأمريكية أن تطبيع مكانة إسرائيل داخل منطقة الشرق الأوسط سيحقق فوائد هائلة للمنطقة كلها، وأنه سيكون مفيدًا جدًا اقتصاديًا واجتماعيًا وأمنيًا، على حد تعبيره. لكنه أكد أن التطبيع لا يمكن أن ينجح في المنطقة "إلا إذا عالجتنا قضية الفلسطينيين، وتمكّننا من إقامة دولة فلسطينية على حدود عام 1967، لأن هذا سيمنح الفلسطينيين الكرامة ويمنحهم حقوقهم".

(الجزيرة نت، 2021/4/2)

2021/4/6 ذكرت صحيفة "إسرائيل هيوم" العبرية أنه من المقرر أن تبدأ شركة الاتحاد للطيران (شركة الطيران الوطنية الإماراتية) تسيير رحلات منتظمة إلى الكيان الصهيوني. وأشارت الصحيفة إلى أن الشركة قامت بتسيير عدد من الرحلات الخاصة للكيان خلال الأشهر الأخيرة، غير أنها لم تكن جزءًا من نشاط الشركة المنتظم، منوّهة بأن الشركة ستقوم بتسيير خط مباشر على نحو ثابت.

(وكالة القدس للأنباء، 2021/4/6)

2021/4/6 اعتمدت لجنة الانتخابات المركزية الفلسطينية 7 قوائم فقط من بين 36 قائمة لخوض انتخابات المجلس التشريعي المقررة في 22 أيار/ مايو، تمثل فصائل وأحزابًا فلسطينية، مقابل 29 قائمة تمثل مستقلين وحرركات مطلبية. وأعلنت اللجنة الكشف الرسمي للقوائم المرشحة بالتزامن مع فتح باب الاعتراض عليها، وقالت إنها قبلت ترشح جميع القوائم التي تقدمت بطلبات، وبلغ عدد المرشحين في جميع القوائم 1389 مرشحًا، من بينهم 405 من النساء بنسبة 29 في المئة من مجموع المرشحين. وبلغت نسبة المرشحين بين أعمار 28 و40 عامًا 38.5 في المئة، وبين 41 و50 عامًا 22.2 في المئة، في حين بلغت نسبة المرشحين الذين تزيد أعمارهم على 50 عامًا 39.3 في المئة.

(الجزيرة نت، 2021/4/6)

2021/4/9 قال مكتب رئيس الوزراء الإسرائيلي إن إسرائيل قررت الرد على قرار المحكمة الجنائية الدولية فتح تحقيق في الحالة في فلسطين بدعوى أنه لا صلاحية للمحكمة بشأن التحقيق.

(الأيام، 2021/4/9)

2021/4/9 نقل موقع "واللا" الإلكتروني عن وزير الخارجية الإسرائيلي، غابي أشكنازي، زعمه خلال محادثة هاتفية مع نظيره الأمريكي، أنتوني بلينكن، أن إسرائيل لا تضع عقبات أمام إجراء الانتخابات التشريعية، لكنه قال إن إسرائيل قلقة من أن الانقسام الداخلي في حركة فتح سيؤدي إلى إضعاف حزب الرئيس الفلسطيني، محمود عباس، ويمهد الطريق أمام فوز حماس.

(عرب 48، 2021/4/9)

2021/4/19 القدس الشرقية، وقطاع غزة). وقالت: "لا انتخابات بدون القدس، ولا فيتو للسلطة القائمة بالاحتلال عليها (إسرائيل)".

(وكالة الأناضول، 2021/4/12)

2021/4/12 كشفت صحيفة "هآرتس" الإسرائيلية أن إدارة الصندوق القومي اليهودي (كبريت كيميت) وافقت على القرار المقترح الذي سيسمح لها بشراء الأراضي في مستوطنات معزولة في الضفة الغربية، لا سيما في محافظتي نابلس وجنين شمال الضفة.

(وكالة الأناضول، 2021/4/12)

2021/4/12 كلفت صحيفة "هآرتس" الإسرائيلية أن إدارة الصندوق القومي اليهودي (كبريت كيميت) وافقت على القرار المقترح الذي سيسمح لها بشراء الأراضي في مستوطنات معزولة في الضفة الغربية، لا سيما في محافظتي نابلس وجنين شمال الضفة.

(الأبام، 2021/4/12)

2021/4/14 طالبت وزارة الخارجية والمغتربين الفلسطينية الدول الأعضاء في منظمة التعاون الإسلامي بقطع علاقاتها بكوسوفو، ردًا على افتتاح سفارة لها في القدس.

(رويترز، 2021/4/14)

2021/4/14 دانته وزارة الخارجية وشؤون المغتربين الأردنية استمرار الانتهاكات الإسرائيلية في المسجد الأقصى المبارك/ الحرم القدسي الشريف، وأخرها قيام الشرطة الإسرائيلية بتخريب أقفال باب السلسلة والباب المؤدي إلى سطح المتحف الإسلامي، وقطع أسلاك السماعات الخارجية للحرم الشريف في الجهة الغربية، والتعرض لموظفي إدارة أوقاف القدس وشؤون المسجد الأقصى المبارك الأردنية.

(الغد، 2021/4/14)

2021/4/15 أكد الرئيس الفلسطيني محمود عباس المضي في إجراء الانتخابات التشريعية العامة في جميع الأراضي الفلسطينية، بما فيها شرق القدس المحتلة.

(القدس العربي، 2021/4/15)

2021/4/15 أكد ممثل الاتحاد الأوروبي في فلسطين، سفين كون فون بورغسدورف، أن من حق الفلسطينيين إجراء الانتخابات في كافة الأراضي الفلسطينية، بما فيها القدس الشرقية، وفق ما نصت عليه الاتفاقيات القائمة.

(وكالة مَعَا الإخبارية، 2021/4/15)

2021/4/18 أعلنت وزارة جيش الاحتلال أنها وقّعت مع اليونان أكبر صفقة بين الجانبين في مجال الدفاع. وبحسب صحيفة "جورزاليم بوست"، وقّعت إسرائيل واليونان أكبر اتفاقية مشتريات دفاعية اليوم الأحد، حيث وقّعت سلاح الجو اليوناني اتفاقية ستشغل بموجبها شركة Elbit Systems الإسرائيلية مركزًا لتدريب القوات الجوية اليونانية، وتبلغ قيمة الاتفاقية نحو 1.65 مليار دولار. ومن جهتها، قالت الشركة إنها ستزود اليونان بطائرة تدريب جديدة من طراز M-346 وستحافظ على أسطول التدريب الكامل للقوات الجوية اليونانية، الذي يضم عشرات الطائرات من طراز M-346 وT-6، مدة 20 عامًا.

(الحدث، 2021/4/18)

(الحدث، 2021/4/19)

2021/4/20 قالت الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين إن موافقة مجلسي السيادة والوزراء السودانيّين على إلغاء قانون مقاطعة "إسرائيل" بمنزلة "سقطه جديدة في وحل الخيانة".

(أثرا سودان، 2021/4/20)

2021/4/22 كشف موقع "فيسبوك" عن إغلاقه حسابات يستخدمها جهاز أمن السلطة الفلسطينية للتجسس على صحفيين وناشطين حقوق الإنسان ومعارضين سياسيين. وفي تقرير له، ذكر "فيسوك" أن عمليات تجسس "ذات دوافع سياسية" تقوم بها مجموعة يُعتقد أن مقرها غزة التي تسيطر عليها حركة حماس.

(الحرّة، 2021/4/22)

2021/4/23 دانته وزارة الخارجية وشؤون المغتربين الأردنية التحريض والاستفزازات التي قامت بها مجموعات يهودية متطرفة في البلدة القديمة في القدس الشرقية المحتلة.

(رؤيا نيوز، 2021/4/23)

2021/4/26 تجمع فلسطينيون للاحتفال خارج باب العامود بالقدس الشرقية بعد إزالة الحواجز التي أقامتها الشرطة الإسرائيلية، وهو ما سمح لهم بالدخول إلى ساحة أصبحت بؤرة الاشتباكات في ليالي رمضان. واكتظت الساحة بألاف الفلسطينيين وهم يهللون ويرددون الأهازيج، ولوّح بعضهم بالأعلام الفلسطينية، بعد أن سمحت لهم الشرطة بالدخول إلى البلدة القديمة بالقدس التي تعدّ مقصدًا للتجمعات الشعبية في ليالي شهر رمضان.

(رويترز، 2021/4/26)

2021/4/26 قالت اللجنة المركزية لحركة "فتح" في ختام اجتماع لها برئاسة الرئيس الفلسطيني محمود عباس في مدينة رام الله، إنه: "بدون إجرائها داخل المدينة المقدسة ترشيحًا ودعايةً وانتخابات، فلن تكون هناك انتخابات"، و"سيدعو الرئيس محمود عباس

2021/4/29 بحث رئيس المكتب السياسي لحركة "حماس"، إسماعيل هنية، مع وزير الخارجية القطري الشيخ محمد بن عبد الرحمن آل ثاني، العديد من القضايا المهمة والتطورات السياسية والميدانية المتعلقة بالقضية الفلسطينية. واستعرض هنية، خلال لقائه على رأس وفد من قيادة الحركة مع الوزير القطري، ما يجري في مدينة القدس المحتلة.

(وكالة الصحافة الفلسطينية "صفا"، 2021/4/29)

2021/4/29 قال الرئيس الفلسطيني محمود عباس إن "إسرائيل" بعثت برسالة إلى السلطة الفلسطينية مفادها أنها لن تستطيع اتخاذ قرار بشأن إجراء الانتخابات الفلسطينية، مؤكداً: "لن نقبل بإجراء الانتخابات في السفارات".

(أترا فلسطين، 2021/4/29)

2021/4/29 أعلن الرئيس الفلسطيني محمود عباس أنه سيؤجل إجراء الانتخابات الفلسطينية، وذلك وسط خلاف بشأن حقوق التصويت. وقال عباس إن الانتخابات لا يمكن أن تُجرى إلا إذا سمحت إسرائيل للفلسطينيين بالتصويت في القدس الشرقية المحتلة.

(بي بي سي عربي، 2021/4/29)

2021/4/30 أعرب الاتحاد الأوروبي عن أسفه من قرار الرئيس الفلسطيني محمود عباس المتمثل بتأجيل الانتخابات، معتبراً الخطوة "مخيبة للأمل". وقال جوزيب بوريل، الممثل الأعلى للشؤون الخارجية والسياسة الأمنية في الاتحاد الأوروبي، في بيان، إنه "يجب تحديد موعد جديد للانتخابات الفلسطينية من دون تأخير، ونكرر دعوتنا لإسرائيل لتسهيل إجراءاتها". وتابع قائلاً: "إن قرار تأجيل الانتخابات الفلسطينية، بما في ذلك الانتخابات التشريعية التي كان المقرر إجراؤها أصلاً في 22 أيار/ مايو، مخيب للأمل بشدة".

(العين، 2021/4/30)

2021/4/30 أعلن رئيس المكتب السياسي لحركة حماس، إسماعيل هنية، رفضه قرار رئيس السلطة الفلسطينية محمود عباس تأجيل الانتخابات العامة، مشدداً على أن أسباب التأجيل غير مقنعة إطلاقاً.

(عربي 21، 2021/4/30)

2021/4/30 كثفت "جماعات الهيكل" المزعوم من حشدها وتحريضها على اقتحام واسع وجماعي للمسجد الأقصى المبارك في 28 من شهر رمضان، تزامناً مع ما يسمى "توحيد القدس". واعتبرت الجماعات المتطرفة في دعواتها على مواقع التواصل الاجتماعي اقتحام المسجد الأقصى "يوماً فاصلاً"، داعية المستوطنين إلى استباحة المسجد، وإنشاد النشيد الصهيوني "هتيكفا" داخله.

(الغد، 2021/4/30)

القيادة الفلسطينية بكامل فصائلها إلى اجتماع موسع لمناقشة وضع الانتخابات في مدينة القدس المحتلة".

(العين، 2021/4/26)

2021/4/27 قالت منظمة "هيومن رايتس ووتش" في تقريرها "تجاوزوا الحد: السلطات الإسرائيلية وجريماً الفصل العنصري والاضطهاد"، إن إسرائيل ارتكبت جريمتين ضد الإنسانية؛ هما الفصل العنصري، والاضطهاد في الأراضي الفلسطينية، مشيرةً إلى أن هذه النتائج تستند إلى سياسة الحكومة الإسرائيلية الشاملة للإبقاء على هيمنة الإسرائيليين على الفلسطينيين والانتهاكات الجسيمة التي تُرتكب في حق الفلسطينيين الذين يعيشون في الأراضي المحتلة، بما فيها القدس الشرقية.

(تلفزيون سوريا، 2021/4/27)

2021/4/27 وصفت الرئاسة الفلسطينية تقرير منظمة "هيومن رايتس ووتش" الذي تحدّث عن ممارسة "إسرائيل" الفصل العنصري والاضطهاد في حق الفلسطينيين بـ "الشهادة الدولية الحقّة".

(أترا فلسطين، 2021/4/27)

2021/4/27 وجهت 14 قائمة انتخابية فلسطينية رسالةً إلى الرئيس الفلسطيني محمود عباس تؤكد أهمية إجراء الانتخابات العامة في مواعيدها المحددة، وترفض تأجيلها. وتأتي هذه الرسالة في ظل الحديث عن تأجيل الانتخابات الفلسطينية بذريعة منع إسرائيل إجراءها في مدينة القدس.

(العربي الجديد، 2021/4/27)

2021/4/28 أعلنت أذربيجان عن نيتها افتتاح مكتب رسمي للترويج السياحي وآخر للتعاون التجاري في إسرائيل خلال عام 2021؛ وذلك خلال اجتماع لـ "اللجنة المشتركة لتعزيز العلاقات الإسرائيلية - الأذربيجانية".

(عرب 48، 2021/4/28)

2021/4/28 أكدت حركة المقاومة الإسلامية "حماس" أنها تعترض على تأجيل الانتخابات الفلسطينية أو إلغائها، وأنها تحمّل سلطات الاحتلال الإسرائيلي والأطراف الدولية مسؤولية تعطيل المسار.

(القدس العربي، 2021/4/28)

2021/4/28 نظم العشرات من ممثلي القوائم الانتخابية الفلسطينية وقفة احتجاجية في ميدان المنارة في مدينة رام الله، وسط الضفة الغربية المحتلة، رفضاً لأي توجه لتأجيل الانتخابات التشريعية المزعم تنظيمها في 22 أيار/ مايو 2021 ورفع المشاركون شعارات رفضت ما سمته التحول إلى مملكة، بحسب تعبيرهم، كما رفضت شعارات أخرى أن تكون القدس ذريعة لتأجيل الانتخابات، وتؤكد الحق الدستوري في الانتخابات.

(العربي الجديد، 2021/4/28)



صدر حديثاً

تأليف: ثيدا سكوبول.

الدول والثورات الاجتماعية: دراسة مقارنة بين فرنسا وروسيا والصين

صدر عن سلسلة "ترجمان" في المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات كتاب **الدول والثورات الاجتماعية: دراسة مقارنة بين فرنسا وروسيا والصين**، وهو ترجمة نبيل الخشن العربية لكتاب ثيدا سكوبول بالإنكليزية *States and Social Revolutions - A Comparative Analysis of France, Russia, and China*. يشرح الكتاب بنى الدولة والقوى الدولية والعلاقات الطبقية، ويبيّن كيف تجتمع هذه العوامل الثلاثة لشرح أصول التحولات الاجتماعية الثورية وإنجازاتها، ويقدم إطاراً مرجعياً جديداً لتحليل أسباب هذه الثورات والنزاعات الناجمة عنها ونتائجها.



مراجعات وعروض كتب
Book Reviews

لورد حبش | Lourdes Habash*

"فيروس كورونا والنظام العالمي: مستقبل الصراع والتنافس والتعاون"

"Covid-19 and World Order: The Future of Conflict, Competition, and Cooperation"

عنوان الكتاب بلغته الأصلية: *Covid-19 and World Order. The Future of Conflict, Competition, and Cooperation*.

عنوان الكتاب: فيروس كورونا والنظام العالمي: مستقبل الصراع والتنافس والتعاون.

المحرران: هال براندز وفرانسيس غافين (eds.) Hal Brands & Francis J. Gavin.

الناشر: مطبعة جامعة جونز هوبكنز Johns Hopkins University Press.

مكان النشر: بالتيمور/ ميريلاوند Baltimore, Maryland.

سنة النشر: 2020.

عدد الصفحات: 472 صفحة.

* أستاذة العلوم السياسية والدراسات الدولية، جامعة بيرزيت، فلسطين.

مقدمة

أثناء تفشي الجائحة] على نحوٍ أسرع، ويبدو الماضي أكثر تلاشيًا، أما المستقبل فيبدو غير قابل للتنبؤ تمامًا⁽⁵⁾.

قُسم الكتاب سبعة أقسام أساسية، اشتملت أربعة وعشرين فصلًا، إضافة إلى المقدمة. يتناول كل قسم جانبًا من جوانب موضوع الكتاب، على النحو الآتي: التاريخ التطبيقي والسيناريوهات المستقبلية، يقدم منظورًا تاريخيًا لدراسة الأوبئة، ويمثل توطئة ضرورية لفهم الشؤون العالمية؛ تلاه محور استراتيجيات الصحة العامة العالمية؛ ثم القضايا عبر الوطنية: التكنولوجيا والمناخ والغذاء؛ ومستقبل الاقتصاد العالمي؛ والسياسة العالمية والحكم؛ والاستراتيجية الكبرى وفنون الحكم الأميركي؛ والتنافس الصيني - الأميركي.

أثبتت الجائحة أنه لا يمكن فصل القضايا الأمنية التقليدية عن الجديدة، أو القضايا الأمنية "الصلبة" عن "الناعمة"، بحسب توصيف براندز وغافين⁽⁶⁾. فقضايا الأمن الصحي وتغير المناخ والمؤسسات الدولية والتنافس بين القوى العظمى، متداخلة ومتراصة. وتجسيدًا لهذه الفكرة، عالج الكتاب تلك القضايا على نحوٍ متداخل ومتكامل، في محاولة لتصوير مآلات النظام الدولي بعد انحسار جائحة كورونا.

بُنيت مراجعة الكتاب هذه استنادًا إلى مصدرين: الأول، أطروحة إليزابيث إيكونومي التي لخصت فيها أهم مكامن الخلل في النظام الدولي الذي عزته الجائحة، وحاجت بأنه "أولًا، يفتقر إلى قائد جدير مستعد وقادر على وضع مصالحه الذاتية الضيقة في المقام الثاني بعد المنفعة العالمية الأكبر؛ وثانيًا، لا يمكن الاعتماد على مؤسساته لتنظيم استجابة فعالة لتحدي عالمي كبير؛ وثالثًا، والأهم، تواجه قواعده ومؤسساته، على المدى القريب، تهديدًا خطيرًا ومستمرًا، مصدره الصين"⁽⁷⁾. أما المصدر الثاني، فيتمثل في القضايا الجوهرية التي ركز عليها المشاركون في الكتاب، على الرغم من أنهم درسوا الجائحة وتأثيراتها من زوايا مختلفة. فأتجهت المراجعة إلى استخلاص مقارنة الباحثين لأربع قضايا جوهرية: تأثيرات الجائحة في النظام الدولي، والدفاع عن النظام الدولي الليبرالي وقدرة الولايات المتحدة على تخطي الجائحة والمخاوف على هيمنتها، والخطر الصيني على النظام الدولي الليبرالي والهيمنة الأميركية، ومستقبل الولايات المتحدة والنظام الدولي الليبرالي بعد الجائحة.

مع تفشي جائحة كورونا، ولج العالم أزمة وبائية غير مسبوقة، لعلها الأشد خطورة في التاريخ الحديث؛ فقد أثبتت هذه الجائحة "أن الأوبئة مصدر مرعٍ للاضطراب والدمار العالمي، وهي شكل من أشكال الكوارث التي يجب أن يُحسب حسابها بوضوح في مستقبل البشرية"⁽¹⁾. وهددت هذه الجائحة العالم بأسره، مرغمة الدول على اتخاذ إجراءات لمواجهة المخاطر الجسيمة الناتجة من تفشيها، فانكفأت كل دولة على نفسها، ما أدى إلى تقلص التعاون بينها في مواجهة آثارها، وغابت عنها دروس التجارب الآفة، القائلة "إن الموقف الانعزالي لا يؤدي إلى نتائج إيجابية في الصحة العامة العالمية"⁽²⁾. وبانت سوءات العالم المعولم، مثل التفاوتات الاجتماعية والاقتصادية المتزايدة وهشاشة التعاون والإمدادات الدولية؛ ما فاقم التوترات الدولية القائمة أصلًا⁽³⁾. وتحولت الجائحة إلى أزمة عالمية، فاتحة الباب على مصراعيه أمام مجموعة من السجلات بين الباحثين والمتخصصين الراصدين للآثار التي أحدثتها الجائحة في النظام الدولي.

في هذا السياق، يأتي كتاب فيروس كورونا والنظام العالمي: مستقبل الصراع والتنافس والتعاون؛ وهو نتاج يومين من مؤتمر افتراضي استضافته جامعة جونز هوبكينز Johns Hopkins، في حزيران/ يونيو 2020، حيث اجتمع ثلة من الباحثين والسياسيين لتدارس مستقبل النظام العالمي بعد جائحة كورونا⁽⁴⁾. وجمعت أوراق المؤتمر في كتاب جماعي حرره هال براندز وفرانيسيس غافين.

يحاول الكتاب الإجابة عن سؤال مفتاحي: "إلى أين تتجه الولايات المتحدة الأميركية والنظام الدولي الليبرالي بعد جائحة كورونا؟"، وانبثقت منه أسئلة فرعية عدة، منها: هل ستشكل هذه الجائحة بداية لنظام دولي جديد؟ ما إمكانات التعاون واحتمالات الصراع في ظل الجائحة وبعدها؟ وكيف تعاملت الدول العظمى مع انعكاساتها؟ وهل ستساهم الجائحة في إعادة صوغ علاقات جيوسياسية مغايرة؟ وليس من اليسير الإجابة عن هذه الأسئلة؛ لأن "الحاضر يتحرك [في

1 Tom Inglesby, "Make Pandemics Lose Their Power," in: Hal Brands & Francis J. Gavin (eds.), *COVID-19 and World Order: The Future of Conflict, Competition, and Cooperation* (Baltimore, MD: Johns Hopkins University Press, 2020), p. 90.

2 Lainie Rutkow, "Origins of the COVID-19 Pandemic and the Path Forward: A Global Public Health Policy Perspective" in: Brands & Gavin (eds.), p. 105.

3 Margaret MacMillan, "The World after COVID: A Perspective from History," in: Brands & Gavin (eds.), p. 42.

4 Ronald J. Daniels, "forward," in: Brands & Gavin, p. xi.

5 Jeremy A. Greene & Dora Vargha, "Ends of Epidemics," in: Brands & Gavin (eds.), p. 36.

6 Hal Brands & Francis J. Gavin, "COVID-19 and World Order," in: Brands & Gavin (eds.), p. 6.

7 Elizabeth Economy, "The United States, China, and the Great Values Game," in: Brands & Gavin (eds.), pp. 381-382.

عن العالم الذي سبقه. فلن نغير الجائحة الاتجاه الأساسي لتاريخ العالم بقدر ما تعمل على تسريع وتيرة⁽¹²⁾.

من جانبه، يؤكد غراهام أليسون ذلك، قائلاً: إن "المصلحة المشتركة في هزيمة فيروس كورونا لن تغطي على التنافس بين الولايات المتحدة والصين، ولن تُعيد تحديد مستقبل العلاقة بينهما. بدلاً من ذلك، سيصبح فيروس كورونا عنصرًا آخر في أكبر تحدٍّ جيوسياسي في حياتنا"⁽¹³⁾. وتشاطره جانيس ستين هذا الرأي، قائلة: "قيل إن فيروس كورونا سيغيّر كل شيء. نحن نعلم، بشكل شبه مؤكد، أن ذلك غير صحيح. يُعدّ هذا الفيروس مُسرِّعًا للتغيرات العالمية التي كانت جارية بالفعل، أكثر بكثير من كونه مولدًا لتحولات حادة في هذا الاتجاه. كان التأثير التراكمي لهذه الاتجاهات التي سبقت الوباء هي البادئة بالانتقال بعيدًا عن الهيمنة الأمريكية نحو نظام عالمي مؤثر بالعلاقة بين الصين والولايات المتحدة"⁽¹⁴⁾.

أما الاتجاه الثاني المغاير، فيحاجّ بأن "الجهود المبذولة لبناء ترتيبات دولية فعالة غالبًا ما تظهر بعد فترات الحروب والأزمات والاضطرابات"⁽¹⁵⁾. ويمثل هذا الاتجاه هنري كيسنجر، مؤكِّدًا فرضيةً يراها حقيقة، مفادها "أن العالم بعد فيروس كورونا لن يكون كما كان عليه من قبل"⁽¹⁶⁾. وتشاركة كاثلين هيكس هذا الرأي، معتقدة "أن التنبؤ في خضمّ تفشّي الجائحة أمر محفوف بالمخاطر"، إلا أن "التاريخ والأحداث الأخيرة تقدم قرائن، وتشير إلى أن هذا الوباء ذو أهمية كبرى. ولن يؤدي إلى تسريع التغييرات الجارية فحسب؛ لكن إذا كان صانعو السياسات على استعداد لمواجهة التحدي، فإنه يوفر فرصة لإعادة تشكيل مستقبل النظام العالمي والأمن القومي"⁽¹⁷⁾. فتكون المحصلة إعادة رسم معالم النظام الدولي⁽¹⁸⁾.

12 Richard Haass, "The Pandemic Will Accelerate History Rather Than Reshape It: Not Every Crisis Is a Turning Point," *Foreign Affairs*, 7/4/2020, accessed on 20/5/2021, at: <https://fam.ag/3gREvQT>

13 Graham Allison, "The US-China Relationship after Coronavirus Clues from History," in: Brands & Gavin (eds.), p. 390.

14 Janice Gross Stein, "Take It Off-Site World Order and International Institutions after COVID-19," in: Brands & Gavin (eds.), p. 265.

15 Brands & Gavin, p. 6.

16 Henry Kissinger, "The Coronavirus Pandemic Will Forever Alter the World Order," *The Wall Street Journal*, 3/4/2020, accessed on 20/5/2021, at: <https://on.wsj.com/3f20sLM>; Allison, p. 390.

17 Kathleen H. Hicks, "Could the Pandemic Reshape World Order, American Security, and National Defense?" in: Brands & Gavin (eds.), p. 348.

18 Ibid.

أولاً: تأثيرات جائحة كورونا في النظام الدولي: تسريع للأحداث أم إعادة ترسيم؟

لا يعدّ تفشّي الأوبئة ظاهرة جديدة على الصعيد العالمي، لذلك يفترض المشاركون في الكتاب أن تفشّي جائحة كورونا كان صدمة، وليس مفاجأة؛ إذ كانت ثمة تحذيرات عدة من استمرار انتشار الأوبئة، أطلقها خبراء الصحة العالمية منذ سنوات. ونبّه تفشّي فيروسات سارس وأنفلونزا الخنازير وإيبولا ومتلازمة الشرق الأوسط التنفسية إلى مخاطر الأوبئة على العالم أجمع⁽⁸⁾. كما أسهمت زيادة عدد السكان والضغط على المناطق الطبيعية البرية وسهولة السفر حول العالم، من فرص انتشار متسارع لفيروسات جديدة⁽⁹⁾.

ظهرت جائحة كورونا في عالم مضطرب، أو كما ينعت ريتشارد هاس "عالم في حيص بيص" *A World in Disarray*⁽¹⁰⁾؛ لأن النظام الدولي الليبرالي الذي أرسى بعد الحرب الباردة - بقيمه ومعايير ومؤسساته وهيمنته الأمريكية - يواجه ضغوطاً كبرى. ومردّ هذا إلى عوامل متعاضدة عدة، أهمها: "عودة التنافس السياسي بين القوى العظمى، الذي تميز بتدهور متزايد للعلاقة بين أكبر قوتين عالميتين، الولايات المتحدة والصين؛ وصعود الشعبوية والقومية؛ فضلاً عن فقدان الإيمان الظاهر بالديمقراطية، حيث تتسع قبضة الاستبداد على أجزاء كثيرة من العالم، إضافة إلى الآثار المذهلة والمربكة للتكنولوجيا الجديدة. وتفاقت التحديات مع تزايد عدم اليقين في الدور العالمي للولايات المتحدة، وفقدان كثيرين حول العالم الثقة بفوائد العولمة والاعتماد المتبادل، باعتبارها مجموعة من الاهتمامات العابرة للحدود الوطنية، بدءاً بتغير المناخ، وصولاً إلى المعلومات المضللة، ما يكشف عن أوجه القصور في المؤسسات الدولية القائمة"⁽¹¹⁾.

تطرح جائحة كورونا تساؤلات مهمة ومربكة، مثل: هل يمكن اعتبار الجائحة من الظواهر التي سترسم شكلاً جديداً للنظام الدولي؟ هل ستفكك لبنات النظام الدولي الليبرالي بمؤسساته وقواعده وسياساته ويصير عاجزاً عن التكيف؟ انقسم المشاركون حيال ذلك اتجاهين رئيسيين: يرى الأول أن جائحة كورونا لن تغير طبيعة العلاقات بين الدول، ولن ترسم معالم جديدة للنظام الدولي. ويعدّ هاس من بين هؤلاء؛ إذ لا يُرجّح "أن يكون العالم الذي يعقب الوباء مختلفاً جذرياً

8 Brands & Gavin, p. 1; MacMillan, p. 44.

9 MacMillan, pp. 44-45.

10 ريتشارد هاس، عالم في حيص بيص: السياسة الخارجية الأمريكية وأزمة النظام القديم، ترجمة إسماعيل بهاء الدين سليمان (بيروت: دار الكتاب العربي، 2017).

11 Brands & Gavin, p. 2.

ثانياً: الدفاع عن النظام الدولي الليبرالي والهيمنة الأميركية

يمكن تشبيه المشاركين في هذا الكتاب بيورغن هابرماس، الفيلسوف الألماني الذي لم يفقد الإيمان بمشروع الحداثة، باعتباره لم يكتمل بعد، وأصرّ على رفض التخلي عنه، على الرغم من عيوبه الجلية، وعلى الرغم من الانتقادات اللاذعة التي وُجّهت إليه، معتقداً أن الحكمة تكمن في عدم التضحية بالمكاسب التي جلبتها إلينا الحداثة⁽²³⁾. فالباحثون ما فتئ يحدوهم الأمل في استمرار الهيمنة الأميركية المتصلة بخيوط النظام الليبرالي، على الرغم مما يعانيه من قصور.

يأتي التخوف على الهيمنة الأميركية ومستقبلها، بحسب المشاركين في الكتاب، من ثلاثة مصادر أساسية: أوهايم الرئيس الأميركي دونالد ترامب وسياساته، والمؤسسات الدولية وفعاليتها، والصين ومنافستها الولايات المتحدة.

أولاً، ثمة مخاوف متزايدة من إعادة انتخاب ترامب، خصوصاً أن سياساته تسببت في الإضرار باستراتيجية واشنطن داخلياً وخارجياً، وهذا ما يؤكد بن ستيل، بقوله إن "المسار الانعزالي الذي سارت فيه الولايات المتحدة، منذ عام 2017، ولّد شعوراً بالمرارة والاستياء في الخارج، بينما لم يحقق أيّاً من الأهداف المرسومة في الداخل. على الصعيد الاقتصادي، كان من المفترض أن ينتعش التصنيع المحلي والتوظيف في القطاع الصناعي؛ ومع ذلك، بعد ما يقرب من أربع سنوات من التعريفات الجمركية المتزايدة الاتساع والمتعلقة بالواردات - أي الضرائب المفروضة على مشتريات الأميركيين في الخارج - لم تُظهر هذه الجهود أي علامات على النجاح"⁽²⁴⁾.

كما أثار ترامب سلبياً أيضاً في الصحة العالمية؛ إذ انتهج خلال حقبة سياساته أدت إلى تراجع الولايات المتحدة عن قيادة الصحة العامة العالمية خلال فترة تفشّي الجائحة، على عكس ما فعله سلفاه، جورج بوش الابن وباراك أوباما اللذان خصّصا ميزانيات ضخمة لمواجهة الأوبئة، كما عمل أوباما على تنسيق الجهود العالمية لمواجهة وباء إيبولا⁽²⁵⁾. ويمكن أن تكون هذه المخاوف قد تلاشت مع وصول رئيس أميركي جديد (جو بايدن) إلى البيت الأبيض في كانون الثاني/يناير 2021، غير أن تركة ترامب تبقى ماثلة، ومن الصعب تجاوز مخلفاتها، حيث تحتاج إلى سنوات من الإصلاح، هذا إن نجحت إدارة بايدن في مساعيها.

23 يورغن هابرماس، "الحداثة مشروع ناقص"، ترجمة بسام بركة، الفكر العربي المعاصر، العدد 39 (أيار/ مايو-حزيران/ يونيو 1986).

24 Benn Steil, "Models for a Post-COVID US Foreign Economic Policy," in: Brands & Gavin (eds.), p. 198.

25 Rutkow, p. 104.

يوشي عنوان الكتاب، فيروس كورونا والنظام العالمي، بأن هدفه يكمن في دراسة مآلات النظام الدولي بعد الجائحة، لكن جوهر الكتاب، في تقديري، هو وصف الاستراتيجيات التي يجب على واشنطن القيام بها داخلياً وخارجياً، في عالم يعاني اضطرابات من أجل الإبقاء على الهيمنة الأميركية والنظام الدولي الليبرالي. فهناك توجّسات بشأن مستقبلها، خصوصاً بعد اتفاق معظم الباحثين في هذا الكتاب على فشل الولايات المتحدة في معالجة هذه الجائحة داخلياً وخارجياً، ووسم سياساتها بالفشل الذريع⁽¹⁹⁾.

الخوف على مستقبل الولايات المتحدة وهيمنتها ليس أمراً جديداً، والدليل على ذلك انشغال الباحثين بهذا الموضوع منذ عقود⁽²⁰⁾. وفاقت أحداث دولية، مثل انهيار الاتحاد السوفياتي وهجمات 11 سبتمبر 2001، هذه المخاوف؛ فانبرى الباحثون الأميركيون يدافعون عن مستقبل دولتهم في كتاباتهم، موجّهين النصح إلى البيت الأبيض وصانعي القرار الأميركي. ويأتي هذا الكتاب ضمن هذا السياق، مجاهراً بالإيمان بأهمية الهيمنة الأميركية ودورها في الحفاظ على النظام الدولي الليبرالي. ففترة الاضطرابات التي تعصف بالعالم، بالنسبة إليهم، "ليست الوقت المناسب للاستسلام إلى اليأس، ولا للتخلي عن الأعراف والمؤسسات والتحالفات التي استند إليها النظام العالمي الحديث ما يقرب من ثمانين عاماً. فهناك احتمالية للتجديد"⁽²¹⁾. ولنجاح ذلك، لا بد من العمل على تجديد الهياكل التي يقوم عليها النظام الدولي الليبرالي، وبعثها وحقنها بأفكار جديدة لعصر جديد⁽²²⁾.

19 Philip Bobbitt, "Future Scenarios: We are all failed states, now," in: Brands & Gavin (eds.), p. 58.

20 لمزيد من الاطلاع على اهتمام الباحثين بمستقبل الهيمنة الأميركية، ينظر: John Ikenberry, "Rethinking the Origins of American Hegemon," *Political Science Quarterly*, vol. 104, no. 3 (Autumn 1989); Robert Kagan, *The World America Made* (New York: Vintage Books, 2013);

روبرت كاجان، "ضد خرافة الانحطاط الأمريكي"، في: *الجدل حول مستقبل القوة الأميركية*، ترجمة وتعليق محمد العربي، سلسلة أوراق 4 (الإسكندرية: مكتبة الإسكندرية، وحدة الدراسات المستقبلية، 2012)، ص 27-54، شوهده في 20/5/2021، في: <https://bit.ly/2SuZu1N>

جوزيف ناي، هل انتهى القرن الأمريكي؟ ترجمة محمد إبراهيم العبد الله (الرياض: العبيكان للنشر، 2016)؛ وليم وولفورث، استقرار عالم القطب الواحد، سلسلة دراسات عالمية 36 (أبو ظبي: مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، 2001)؛ ستيفن والت، "نهاية العصر الأمريكي"، في: *الجدل حول مستقبل القوة الأميركية*.

21 Daniels, p. x.

22 Ibid.

يشدد المشاركون في الكتاب على أهمية هذه المؤسسات ودورها في النظام الدولي، فلا مناص من الإبقاء عليها والدفاع عنها وحماتها؛ حتى لا تُختطف من الصين. وهذا ما أكدته إيكونومي بقولها "إذا تُركت المؤسسات الدولية، مثل منظمة الصحة العالمية، من دون رعاية، فثمة خطر أن تستولي الصين عليها، بطرائق تضر بمصالح المجتمع الدولي الأوسع"⁽³²⁾. وانطلاقاً من هذه الأطروحات، انبرى الباحثون لنقاش الطرائق المثلى لتفعيل المؤسسات الدولية، وكيفية الحفاظ عليها وتفعيلها، وتبلورت رؤيتهم في ما يلي: "يجب أن تأخذ ديمقراطيات السوق العالمية على رأس أولوياتها استراتيجية إعادة الالتزام بالمعايير والقيم، فضلاً عن المؤسسات التي يقوم عليها النظام الدولي الحالي [...] يجب عليها استخدام هياكل ومنظمات التحالف الديمقراطي الموجودة سلفاً، مثل الناتو ومنظمة التنمية والتعاون الاقتصادي ومجموعة الدول السبع، لتطوير شراكات مع الاقتصادات التي لا تزال في طور النمو، من أجل تعزيز قيمة معايير النظام الدولي ومؤسساته"⁽³³⁾. ولا يكفي الدفاع عن النظام الدولي ومؤسساته، بل يجب الشروع في عملية إصلاح شاملة⁽³⁴⁾.

ثالثاً: الخطر الصيني على النظام الدولي الليبرالي والهيمنة الأميركية

يشدد جلُّ المشاركين في الكتاب على مخاوفهم من الصين؛ باعتبارها قوة منافسة للولايات المتحدة، مؤكدين الطبيعة التسلطية لنظام الحكم فيها. ويمكن بوضوح رؤية بصمة أفكار نظرية السلام الديمقراطي في أطروحات الباحثين التي تعتبر الدول غير الديمقراطية تهديداً للسلام العالمي؛ لذا، فالصين من وجهة نظرهم تمثل خطراً أساسياً يهدد النظام العالمي، وربما يؤدي صعودها إلى تقويض دعائم النظام الليبرالي العالمي الذي أُرسى بعد الحرب العالمية الثانية، معتبرين أن القيم التي تحملها الصين تهدد منظومة القيم الليبرالية. وبدلاً من التعاون وتقاسم أعباء القيادة العالمية لمواجهة هذه الجائحة، انخرطت الولايات المتحدة والصين في سياسات عدائية متبادلة، ما زاد الأمر تعقيداً⁽³⁵⁾. فالتعاون بين أقوى دولتين في العالم لا غنى عنه لمواجهة معظم التحديات العالمية، لكن، يشهد واقع

ثانياً، ما يثير هواجس الباحثين أيضاً المؤسسات الدولية ودورها وفعاليتها في النظام الدولي؛ إذ عادةً، المؤسسات الدولية "تتطور أو تختفي أو تتكيف مع النظام العالمي الذي تعمل فيه"⁽²⁶⁾. والسؤال هنا: هل قامت المؤسسات الدولية بدورها في ظل جائحة كورونا؟ وهل تكيفت مع التطورات التي أحدثتها الجائحة؟ الإجابة جلية وتحظى بإجماع المشاركين في الكتاب؛ وهي أن الفشل لم يقتصر على الدول في تعاملها مع الجائحة، بل تعداها إلى المؤسسات الدولية في أداء وظيفتها، فالهيئات التي أُسست وتطورت خلال القرن العشرين لم ترتقِ إلى مستوى التحدي. ويشير براندز وغافيز إلى أننا "نعيش في زمن يخيم عليه الظلام؛ إذ يواجه العالم أزمات وطنية وعالمية متداخلة. وغالباً ما تبدو الحكومات والمؤسسات الدولية غير ملائمة لهذه المهمة"⁽²⁷⁾. فالمؤسسات الدولية وقعت في بؤرة فشل كبرى، والاستجابات الفورية للجائحة كانت وطنية بامتياز، في ظل غياب واضح للمؤسسات الإقليمية والدولية، ولا سيما في بداية تفشّي الوباء⁽²⁸⁾.

أفلحت هذه المؤسسات (مثل حلف شمال الأطلسي "الناتو" وصندوق النقد الدولي والبنك العالمي والأمم المتحدة ومحكمة العدل الدولية والمحكمة الجنائية الدولية)، وفقاً لفيليب بوبيت، "في القيام بدورها سابقاً، لكنها اليوم ما عادت قادرة على القيام بذلك". وسواء قلنا إن هذه المؤسسات الدولية في فترة ما بعد الحرب كانت قادرة، لكنها وصلت إلى طريق مسدود، أو أنها لم تصمّم أبداً للتعامل مع التعقيدات عبر الوطنية في عالم مترابط، فإن النتيجة هي نفسها. وكشفت جائحة كورونا أنها عديمة الجدوى في التعامل مع التهديدات العالمية التي يضع بعض الدول في مواجهة بعضه"⁽²⁹⁾. وهذا ما تؤكد إيكونومي بقولها إن "مؤسسات النظام الدولي الحالي ومعايير وقيمه غير كافية لتلبية حاجات شعوب العالم ومطالبها؛ فبعضها يحتاج إلى التعزيز، بينما يحتاج بعض الآخر إلى الإصلاح"⁽³⁰⁾. ويجادل ستين بدوره بأن المؤسسات الدولية القائمة تعاني اختلالاً وظيفياً، يدل على أن النظام العالمي يمر بمرحلة انتقالية، فيرى أن "أدائها ضعيف ليس بسبب الأخطاء في أنظمتها، لكن لأن ميزات التصميم الخاصة بهم لا تتناسب مع النظام العالمي المتطور"⁽³¹⁾.

26 Stein, p. 265.

27 Brands & Gavin, p. 16.

28 Stein, p. 264.

29 Bobbitt, p. 59; Jessica Fanzo, "No Food Security, no World Order," in: Brands & Gavin (eds.), p. 161.

30 Economy, p. 382.

31 Stein, p. 260.

32 Economy, p. 382.

33 Ibid.

34 Ibid.

35 Eric Schmidt, "Building a New Technological Relationship and Rivalry: US-China Relations in the Aftermath of COVID," in: Brands & Gavin (eds.), pp. 406-407.

والمتظاهرين المؤيدين للديمقراطية في هونغ كونغ؛ وتساعد الخلافات القديمة بشأن تايوان وبحر الصين الجنوبي. واعترف كينج نفسه في تشرين الثاني/ نوفمبر 2020 بأننا "في سفوح حرب باردة"⁽⁴²⁾.

على النقيض من ذلك؛ ترى إيكونومي أن "هناك أيضاً شهية قليلة على مستوى العالم، ولدى الولايات المتحدة والصين، للسماح بالتوترات في العلاقة لتتحول إلى حرب باردة جديدة. فقلة من الدول، هذا إن وجدت، سترحب بمطلب التوافق مع قوة عظمى واحدة أو أخرى والتضحية بالمزايا الاقتصادية والأمنية لعالم أقل استقطاباً. علاوة على ذلك، فإن احتمالات مواجهة التحديات العالمية - تتغير المناخ والأوبئة واللاجئين والأزمات المالية - تتضاءل كلها في عالم يتسم بانقسامات حادة وعقلية محصلتها صفرية"⁽⁴³⁾. وتؤيدها في هذا هيكل؛ معتقدة أن هذا العداء من غير المتوقع تحوله إلى حرب باردة. على شاكلة الصراع بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي، خصوصاً أن واشنطن وبيجين فشلتا في مواجهة الجائحة⁽⁴⁴⁾.

سواء كانت هناك حرب باردة أم لا، فإن الباحثين، تقريباً، يستبعدون تحول الصراع إلى حرب فعلية. يقول أليسون: "هل المواجهة والتنافس حتمي؟ لا. لكن، هل الحرب - حرب دموية حقيقية - حتمية؟ لا. مرة أخرى، لا"⁽⁴⁵⁾. وقدّم الباحثون استراتيجيات للحيلولة دون الحرب، وقدّموا في سبيل ذلك مزجاً بين الطرح النظري الواقعي والليبرالي، فالتنافس هو المناخ الذي سيسود في العلاقات بين الدولتين، وحتى لا يتحول الصراع هوبزياً، لا بد من التعاون بينهما في مجالات معينة.

طرح إيكونومي استراتيجية سمّتها "التعاون والتطور المشترك"، تقوم على الاعتراف "بحتمية التنافس بين البلدين، لكنها تحاول تحقيق الاستقرار فيها، من خلال إدخال تركيز متجدد على التعاون. في حالة التعاون، على سبيل المثال، تحدّد العلاقة الشاملة بين الولايات المتحدة والصين من خلال التنافس، لكن البلدين سيعملان على تحديد تحديات سياسية معينة يمكن معالجتها على نحو أفضل من خلال التعاون، خصوصاً القضايا العابرة للحدود"⁽⁴⁶⁾. أما أليسون، فاستدعى من جانبه، استراتيجية صينية قديمة، اسمها "شراكة التنافس"، تعود في حضارة الصين القديمة إلى ألف عام خلت. مؤكداً أنه "من أجل

العلاقات الأمريكية - الصينية تدهوراً منذ سنوات، ولم تؤدّ جائحة كورونا إلّا إلى تفاقم الوضع"⁽³⁶⁾. ويرى الباحثون أنفسهم أن الصين تعمل على إزاحة الولايات المتحدة من صدارة القيادة العالمية⁽³⁷⁾، ويعتقدون أن الوباء كشف عن نطاق طموح بيجين وحجمه لإعادة تشكيل المشهد الجيوستراتيجي، ومراجعة المؤسسات الدولية لتعكس معاييرها وقيمتها وتفضيلاتها⁽³⁸⁾.

يؤكد الكتاب أنّ مصدر الخطر الصيني ليس التنافس على قيادة العالم فحسب، بل الاختلاف الأيديولوجي والقيمي بين الدولتين أيضاً. فالصين، بحسب رؤيتهم، صارت من الناحية الأيديولوجية أشدّ عداءً للغرب مما كانت عليه سابقاً⁽³⁹⁾. ومن هذا المنطلق، ترى إيكونومي أن "الصين تمثل تهديداً مباشراً ومستداماً للأعراف والقيم الدولية، بما في ذلك حرية الملاحة والتجارة الحرة والحكم الرشيد وحقوق الإنسان"⁽⁴⁰⁾. فالصين صارت مهدّدة للدول، وبات خطرهما يتجاوز حدودها. وتكشف علاقات بيجين بباقي العالم؛ إذ غدت "أكثر عدوانية وحرماً وتنمراً. ففي شباط/ فبراير 2020، فرضت ضغوطاً كبرى على الدول لعدم تقييد السفر مع الصين [...] وانخرطت القوات الصينية في اشتباك مميت مع القوات الهندية على طول الحدود، وهي أول مرة تزهي فيها أرواح في اشتباك حدودي كهذا منذ خمسة وأربعين عاماً. كما فرضت قانوناً أمنياً جديداً قاسياً في هونغ كونغ، ما أدى فعلياً إلى إنهاء مبدأ دولة واحدة ونظامين"⁽⁴¹⁾.

في ضوء ما سبق، كيف يمكن وصف العلاقات الأمريكية - الصينية؟ وهل وصلت إلى حالة الحرب الباردة؟ هناك موقفان حيال ذلك؛ طائفة ترى أن حرباً باردة بدأت؛ إذ يعتقد نيل فريغسون أنه كان من الواضح بالفعل في أوائل عام 2019 أن حرباً باردة جديدة - الحرب الباردة الثانية، بين الولايات المتحدة والصين - قد بدأت. إن ما بدأ في أوائل عام 2018 كحرب تجارية، تحول بحلول نهاية العام إلى حرب تكنولوجية بشأن الهيمنة العالمية؛ مواجهة أيديولوجية، رداً على معاملة بيجين لأقلية الأويغور في منطقة شينجيانغ الصينية

36 Haass.

37 Allison, pp. 402-403.

38 Economy, p. 370.

39 Niall Ferguson, "From COVID War to Cold War: The New Three-Body Problem," in: Brands & Gavin (eds.), p. 420.

40 Economy, p. 382.

41 Thomas Wright, "COVID-19's Impact on Great-Power Competition," in: Brands & Gavin (eds.), p. 322.

للمزيد، ينظر:

Christine Fox & Thayer Scott, "Flat No Longer: Technology in the Post-COVID World," in: Brands & Gavin (eds.), pp. 169-187.

42 Ferguson, p. 420.

43 Economy, p. 380.

44 Hicks, p. 349.

45 Allison, p. 393.

46 Economy, p. 380.

الولايات المتحدة وتقويتها يجب أن يبدأ من الداخل، قبل الولوج إلى محاولة إضعاف الصين وغيرها من الدول⁽⁵⁰⁾.

يُحاجّ الكتاب بأن مستقبل النظام مرتبط بالقيادة الأمريكية وقراراتها. ومن هذا المنطلق، ترى كوري شايك أننا [الأميركيين] "يجب أن نعود إلى العمل المشدد المتمثل في بناء التحالفات والتسوية والقيادة المؤسسية، حتى نحظى بالقدرة على رؤية المشكلات في أثناء تطورها ومعالجتها، قبل أن تؤثر في حياة الأميركيين وتنمو إلى أبعاد أكثر تكلفة. وتجعلنا البدائل الوحيدة أكثر فقرًا، وأكثر انكشافًا أمام الآخرين؛ ما يخلق نظامًا معاديًا لمصالحنا"⁽⁵¹⁾. وترى شايك أيضًا في الجائحة فرصة أمام الولايات المتحدة: "خلق البواب وإخفاقات السياسات المرتبطة به في الولايات المتحدة فرصة لتجديد تقدير التعاون الدولي، لخلق عمق استراتيجي، ولتحديد المشكلات والشروع في حلها، قبل أن تصل إلى السواحل الأمريكية"⁽⁵²⁾.

إن صدى ما سبق بارزٌ عند المشاركين في الكتاب؛ فهم يدعون إلى إصلاح السياسات الأمريكية لتواكب التغييرات، وإلى عدم الانسحاب من الساحة الدولية، فعلى عانتها تقع مسؤوليات القوة المهيمنة، ولزامًا عليها حماية نفسها عن طريق دعم النظام الدولي الليبرالي ومؤسساته وقيمه. فالجائحة جَلَّت الخلل الموجود في سياسة الولايات المتحدة، والفرصة للإصلاح والتجديد سانحة، فالولايات المتحدة في حاجة إلى إعادة تقييم الوضع الداخلي والخارجي. ويجب على عملية الإصلاح أن تشمل القضايا الأمنية الصلبة والناعمة، فلعلّ البواب يكون، كما قيل، "مجرد لحظة طال انتظارها، لحظة تحتاجها الولايات المتحدة لإحداث تحسينات كبرى في مؤسساتها العسكرية والدفاعية"⁽⁵³⁾.

تصنّف سيناريوهات مستقبل النظام الدولي: متشائمة ومتفائلة؛ منطلقاً من قاعدة المصالح الأمريكية. عرض هال براندز وبيتر فيفر وويليام إنبودن سيناريوهين أساسيين⁽⁵⁴⁾: سيناريو متشائم يقضي إلى أفول العولمة وتغيّر التوازن العالمي ونهاية النظام الليبرالي الدولي وتراجع الديمقراطية وصعود الدول الشمولية والأنظمة الشعبوية. ويشير ثلاثتهم إلى وجود ميل بين الباحثين بعامة نحو هذا السيناريو؛

50 Fox & Scott, p. 183.

51 Kori Schake, "Building a More Globalized Order," in: Brands & Gavin (eds.), p. 332.

52 Ibid.

53 Hicks, p. 362.

54 Hal Brands, Peter Feaver & William Inboden, "Maybe It Won't Be So Bad: A Modestly Optimistic Take on COVID and World Order," in: Brands & Gavin (eds.), pp. 302-309.

البقاء، يجب اتّباع هذه الطريقة على الرغم من صعوبتها؛ باعتبارها تسمح بالتغلب على ما يسمى فخ ثيوسيديس⁽⁴⁷⁾.

لن تحظى استراتيجية التعامل مع الصين بأي نجاح، إذا لم يسبقها تحصيلٌ للتحالفات مع الدول الديمقراطية. ومن هذا المنطلق، يجب تعميق التعاون مع المجتمعات الحرة والديمقراطية الأخرى، وفي جميع القضايا، لتشمل التحديات المحلية المشتركة التي تواجهها هذه الدول. ومن شأن التعاون بين الدول الديمقراطية أن يُكسبها من الاتفاق على موقف مشترك، وهذا سيساعدها في التفاوض جماعيًا من موقع قوة مع الصين. ويجادل رايت بأن "التعاون بين الديمقراطيات والقوى الاستبدادية سيكون صعبًا ومحدود النطاق، لكنه قابل للتحقيق إذا كان قائمًا على المعاملات، وعلى المصلحة المشتركة. ومع ذلك سيتعيّن على الديمقراطيات أن تفكر من جديد، بشأن ما سيترتب على التعاون مع الصين"⁽⁴⁸⁾.

رابعًا: الولايات المتحدة والنظام الدولي الليبرالي بعد جائحة كورونا: إلى أين؟

في خضم الكوارث والجوائح، غالبًا ما يجري تضخيم الأمور، وربما تعود المياه إلى مجاريها بعد انتهائها. وقد يستقيم هذا الطرح لو كانت هذه الجائحة هي الأزمة اليتيمة التي يعانيها النظام الدولي، لكن الجائحة بمنزلة القشة التي قصمت ظهر البعير، موجبة الصراعات وكاشفة عن إخفاقات النظام الدولي بمؤسساته وقيادته.

ينشغل الكتاب، بشكل أساس، بمصالح الولايات المتحدة ومستقبلها؛ لذلك، نجد في ثناياه استفسارات كالتالي طرحها شميدت: ماذا على الأميركيين أن يفعلوا للظفر في مثل هذا العالم؟ ويجب بأن علينا (أي على الأميركيين) "التأكيد على نظامنا الأمريكي، مع الحفاظ على القيم الديمقراطية القابعة في صميمه. وهذا يعني معالجة الانقسامات العميقة وعدم المساواة، وأن نذكر أن المهاجرين يمنحوننا قوتنا؛ إن تحالفاتنا وجمنا وأفكارنا وقدرتنا على الإبداع، لهي مكامن قوتنا. إذا قدنا بهذه الطريقة - الطريقة الأمريكية - فإن حلفاءنا سينضمون إلينا، وفي النهاية سيلتحق بنا باقي العالم"⁽⁴⁹⁾. وفي معمرة ثورة المعلومات؛ يشدّد الباحثون المشاركون في الكتاب على أهمية استثمار الحكومة الأمريكية في مجال التكنولوجيا، معتقدين أن تدعيم

47 Allison, p. 388.

48 Wright, p. 327.

49 Schmidt, p. 417.

إدًا، المصالح الأميركية هي منطلق الكتاب؛ لذا وُصمت الصين بغير الديمقراطية والمعادية للنظام الدولي الليبرالي. فيظهر الكتاب المخاوف الكبرى من بيجين، ليس في إطار التنافس الجيوسياسي فحسب، لكن أيضًا في إطار الصراع الأيديولوجي والقيمي مع الولايات المتحدة. فساق الباحثون صورة نمطية عن الصين بأنها تهدد السلام العالمي، وتحاول إحلال النموذج الاستبدادي محل الديمقراطي ومراجعة المؤسسات الدولية. ويأتي هذا المسوّغ لتبرير السياسة الأميركية لوأد محاولات الهيمنة الصينية. واتخذ المشاركون سياسة الصين الخارجية تجاه أستراليا وهونغ كونغ والهند زمن الجائحة، التي شُيّدت على الإكراه والسيطرة، قرينةً على النهج الذي ستتبعه الصين في سياستها مستقبلاً. وهم ينطلقون من الإيمان بالليبرالية والديمقراطية، ويعتبرونها معيارًا للحكم على الدول الأخرى، وهذا ممّى توجهاتهم تجاه الصين، وكأنها رهاب يلازمهم، ما قد يؤثر في صنع القرار الأميركي، خصوصًا أن قسمًا من الباحثين يعمل في مراكز بحثية مرموقة وغرف تفكير مؤثرة.

تُدرج أهمية الكتاب في إقراره بأن الولايات المتحدة تواجه تحديات داخلية وخارجية، وأن مستقبلها منوطٌ بالإصلاحات الكفيلة بتحييد تلك التحديات. فالمشاركون على يقين من أن الهيمنة الأميركية والنظام الدولي الليبرالي مشروع لا تدوم حياته، إذا دأبت واشنطن على اجتراح أخطاء شبيهة بسياسة ترامب الخارجية، أو في حالة عدم قيامها بإصلاحات داخلية. وهذا يذكرنا بالانحدار النسبي والمطلق الذي تحدث عنه جوزيف ناي في كتابه *هل انتهى القرن الأمريكي؟* معتبرًا أن الدول تنهار إما بسبب مشكلات داخلية، يسميها حالة الانحدار المطلق، وإما نتاج تقدم قوى أخرى، ويسمى حالة الانحدار النسبي⁽⁵⁹⁾. فالولايات المتحدة، بحسب هذا الكتاب، تعاني الحالتين معًا؛ ولذلك، يؤكد الباحثون المشاركون في الكتاب أهمية قيام الولايات المتحدة بإصلاحات، وضرورة دعمها المؤسسات الدولية والدول الديمقراطية وتعزيزها التحالفات والسعي وراء استقطاب أكبر عدد من الدول، ليكون ذلك قاعدةً لها في مواجهتها الصين. ويعتقدون أن على واشنطن أن تستمر في قيادة النظام العالمي، فهي تمتلك الإمكانيات في جميع المجالات، وستكون هي المستفيدة من هذا النظام.

إضافة إلى أن الولايات المتحدة لن تكون آمنة ولا مزدهرة، إذا عملت منفردةً، من دون التعاون مع الدول الديمقراطية الأخرى. وتحتاج إلى الحزم مع الصين إذا اتجهت نحو الهيمنة الإقليمية، حتى لو أدى

فكتب جون إيكبري أن فيروس كورونا تسبب في "نهاية النظام العالمي الليبرالي". بينما أشار آخرون إلى ميل التوازن الأيديولوجي العالمي نحو الاستبداد والتعجيل بصعود الصين؛ وهذا قد يؤدي إلى تراجع العوامة أو نهايتها؛ ما سيدفع واشنطن إلى إعادة ترتيب مقاربتها للأمن القومي على نحوٍ أساسي⁽⁵⁵⁾.

خلافًا لهذا السيناريو، يقول السيناريو المتفائل بانتصار الليبرالية والديمقراطية وتجديد العوامة والنظام الدولي الليبرالي. في ظل هذا السيناريو، ستدفع الحاجة إلى إحياء شبكة العوامة، مع عدم وجود إمكان لحدوث تغيير في نظام التوازن العالمي، فتراجع واشنطن لم ترافقه مع ذلك زيادة في قوة دول أخرى تدفع إلى تغيير النظام. فإضافة إلى أن النظام الدولي الليبرالي ما زال متماسكًا وأعيد تنشيطه، هناك عيوب وتحديات وضعف في المؤسسات الدولية، وهذا ليس جديدًا، لكن بدله لم يولد بعد، لذا ما زالت هناك حاجة إلى هذه المؤسسات⁽⁵⁶⁾.

لم يستبعد المشاركون في الكتاب مستقبلًا يتزواج فيه السيناريوهان المتفائل والمتشائم، ما يعني أن الواقع الجيوسياسي الجديد قد يقع في مكان ما بين هذين النقيضين⁽⁵⁷⁾؛ معتبرين أن الذي سيحسم الغلبة لأحد الاتجاهين يعتمد في الأساس على السياسة الأميركية، وقدرة النظام الأميركي على القيام بدوره وإصلاح الخلل الذي يعتريه. ومن هذا المنطلق، فهم يرون أن القيادة العالمية الأميركية الرشيدة ستساعد في دفع النتيجة نحو أقصى درجات التفاؤل. وانتهوا إلى التشديد على "مدى التغيير الدراماتيكي لأداء الولايات المتحدة في قلب التوازن العالمي من مستقبل مظلم إلى مستقبل أكثر إشراقًا"⁽⁵⁸⁾.

خاتمة

يشدّد الكتاب على فكرة مركزية، هي ضرورة استمرار هيمنة الولايات المتحدة والنظام الدولي الليبرالي والدفاع عنهما، لأنهما النموذج الأنسب لتحقيق مصالح الولايات المتحدة وحماية النظام الديمقراطي. وسخر المشاركون جهودهم لصوغ استراتيجيات لصانع القرار الأميركي من أجل مجابهة القضايا الأمنية الصلبة والناعمة التي واجهها النظام الدولي قبل الجائحة، وتفاقمت مع تفشيها.

55 Ibid., p. 298.

56 Ibid., pp. 305-309.

57 Ibid., p. 309.

58 Ibid., p. 313.

النظام الدولي بعد جائحة كورونا. فإذا أخفق الرئيس الأمريكي الحالي، بايدن، في اقتناص فرصة الجائحة وإصلاح أخطاء ترامب، فستضيع فرصة الإبقاء على الهيمنة الأمريكية وتعزيز النظام الدولي الليبرالي. ويقرّ المشاركون بأن الخيارات البديلة، سواء كانت الانسحاب من القيادة العالمية أم إطلاق العنان للشعبوية، ستكون نتائجها وخيمة على الولايات المتحدة، ومن ثم يعلنون أن "ما من خيار سوى معرفة كيفية جعل النظام العالمي متجاوبًا ديمقراطيًا"⁽⁶³⁾. ويبقى السؤال: هل سيكون النظام الدولي ما بعد جائحة كورونا أفضل للولايات المتحدة؟ وستبقى أبواب الإجابة مفتوحة أمام الباحثين.

ذلك إلى تصاعد التوتر بين الدولتين⁽⁶⁰⁾، مع استبعادهم نشوب حرب دموية. فهم يصفون العلاقات بين الدولتين بالتنافسية، ويعتبرون هذا مسلّمة لا يمكن تغييرها، لكن في الإمكان ضبطها ومنع تصعيدها. ويتحقق ذلك من خلال إيجاد مساحات للتعاون بينهما.

يُحسب للكتاب طرحه التكامل بين القضايا الأمنية الصلبة والناعمة، ونجاحه في توصيف علاقة التأثير والتأثير بين هذه القضايا من جهة، وتأثيرها في النظام الدولي من جهة أخرى. فالقضايا الأمنية الناعمة، مثل المناخ والأوبئة والتكنولوجيا، ما عادت خارج إطار معادلة العلاقات الدولية، بل أصبحت تؤدي، جنبًا إلى جنب مع القضايا الأمنية الصلبة، دورًا مهمًا في رسم معالم النظام الدولي.

يخبرنا خبراء الصحة والمؤرخون أن الأوبئة لن تختفي إلى الأبد، وأن اللقاح لا يعني نهاية الجائحة؛ فهي من الناحية الاجتماعية ليست مرتبطة بدورة الحياة البيولوجية للوباء، لذا ينتهي اجتماعيًا عندما يخبو الاهتمام بموضوعاته، ولا يعود يثير "الخوف كموضوع إخباري جدير بالنشر، مقارنةً بالعناوين الرئيسة الأخرى المحتملة، مثل التدهور البيئي والإرهاب البيولوجي والقنبلة القذرة وعدم الاستقرار في الشرق الأوسط أو تفشي وباء آخر"⁽⁶¹⁾.

لن يختفي الوباء بيولوجيًا، لكن عدد المصابين به سينحسر شيئًا فشيئًا. ومن ثم، فإن دورة حياة الفيروس من ناحية بيولوجية واجتماعية لا تنتهي بالقضاء عليه. فالصراع مع المخاطر الصحية لا ينتهي، وهو معركة مستمرة تشد وتيرتها أو تقل مع انتشار أنواع جديدة من الفيروسات، وبدء دورة حياة فيروس جديد. وهنا يؤكد الباحثون أهمية منظمة الصحة العالمية والتعاون الدولي في حوكمة الصحة العالمية. ويذكرنا هذا الكتاب بأنواع عدة من الحروب التي سيخوضها العالم، ولن تكون الأسلحة التقليدية كافية لمواجهتها، وهذا أسهم في تغيير مفهوم الأمن التقليدي وتوسيعه. في هذا الإطار، حثّ المشاركون الولايات المتحدة على أن تكون قادرة على توقع الأوبئة المستقبلية والاستجابة لها، وذلك للتقليل من أحداث الفوضى في العالم مستقبلاً⁽⁶²⁾.

يصعب التنبؤ بمستقبل النظام الدولي، والبادي منه هو أن مشهد الصدارة فيه سيكون للعلاقات الأمريكية - الصينية، التي ستؤثر فيها مجموعة من القضايا الأمنية الصلبة والناعمة. والسيناريوهات مفتوحة وتراوح بين التنازع والتعاون، فلا قطع بشأن اتجاهات

60 James B. Steinberg, "A 'Good Enough' World Order a Gardener's Manual," in: Brands & Gavin (eds.), pp. 292-293.

61 Greene & Vargha, pp. 32-33.

62 Inglesby, p. 90.

المراجع

العربية

الجدل حول مستقبل القوة الأمريكية. ترجمة وتعليق محمد العربي. سلسلة أوراق 4. الإسكندرية: مكتبة الإسكندرية، وحدة الدراسات المستقبلية، 2012.

ناي، جوزيف. هل انتهى القرن الأمريكي. ترجمة محمد إبراهيم العبد الله. الرياض: العبيكان للنشر، 2016.

هابرماس، يورغن. "الحدثة مشروع ناقص". الفكر العربي المعاصر. العدد 39 (أيار/ مايو-حزيران/ يونيو 1986).

هاس، ريتشارد. عالم في حيص بيص: السياسة الخارجية الأمريكية وأزمة النظام القديم. ترجمة إسماعيل بهاء الدين سليمان. بيروت: دار الكتاب العربي، 2017.

وولفورث، وليم. استقرار عالم القطب الواحد. سلسلة دراسات عالمية 36. أبوظبي: مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، 2001.

الأجنبية

Brands, Hal & Francis J. Gavin (eds.). *COVID-19 and World Order: The Future of Conflict, Competition and Cooperation*. Baltimore: Johns Hopkins University Press, 2020.

Haass, Richard. "The Pandemic Will Accelerate History Rather Than Reshape It: Not Every Crisis Is a Turning Point." *Foreign Affairs*. 7/4/2020. at: <https://fam.ag/3gREvQT>

Ikenberry, John. "Rethinking the Origins of American Hegemon." *Political Science Quarterly*. vol. 104, no. 3 (Autumn 1989).

Kagan, Robert. *The World America Made*. New York: Vintage Books, 2013.



صدر حديثاً

تأليف: بول فاين.

كيف نكتب التاريخ

صدر عن سلسلة "ترجمان" في المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات كتاب **كيف نكتب التاريخ**، وهو ترجمة سعود المولى ويوسف عاصي العربية لكتاب بول فاين بالفرنسية *Comment on écrit l'Histoire*. هذا الكتاب من نوع الإستيمولوجيا التاريخية، أخذ فيه فاين مسافة واضحة من الماركسية كما البنيوية، وهما المقاربتان اللتان كانتا سائدتين في ستينيات القرن العشرين وسبعينياته، ليستند إلى منهج السوسولوجي الألماني ماكس فيبر الذي يعتبره عالمًا بالتاريخ أكثر منه عالم اجتماع.

مجلة سياسات عربية مجلة محكمة تصدر عن المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات. تحمل الرقم الدولي المعياري (1583-ISSN: 2307). وقد صدر عددها الأول في آذار/ مارس 2013. وهي مجلة محكمة تصدر مرة واحدة كل شهرين، ولها هيئة تحرير اختصاصية وهيئة استشارية دولية فاعلة تشرف على عملها. وتستند إلى ميثاق أخلاقي لقواعد النشر فيها والعلاقة بينها وبين الباحثين. وبعد ثلاث سنوات من الخبرة، والتفاعل مع المختصين والمهتمين، صدر خلالها من المجلة ثمانية عشر عددًا، أعادت المجلة هيكلتها نفسها بما يتوافق مع المواصفات الشكلية والموضوعية للمجلات الدولية المحكمة. كما تستند إلى لائحة داخلية تنظم عمل التحكيم، وإلى لائحة معتمدة بالمحكمين في الاختصاصات كافة.

تُعنَى المجلة بالمقالات والدراسات والبحوث والأوراق البحثية عمومًا في مجالات العلوم السياسية والعلاقات الدولية، والسياسات المقارنة، والنظم المؤسسية الوطنية أو الإقليمية والدولية، بما في ذلك دراسات الحالات والسياسات، وعمل النظم السياسية والسلوك السياسي للحكومات والقوى السياسية والاجتماعية والحزبية وسائر الفاعلين الاجتماعيين - السياسيين، واتجاهات المجتمع المدني والمشاركة السياسية والاجتماعية. ويندرج في هذا السياق اهتمامها بالسياسات العمومية وبالدراسات الأمنية والإستراتيجية وقضايا الدبلوماسية والتعاون الدولي، ودراسات الرأي العام وقضايا الهجرة والتهجير والحروب والصراعات الأهلية وقضايا حقوق الإنسان. وتهتم بصورة خاصة بمرحلة الانتقال السياسي العامة الجارية في الوطن العربي، ولا سيما منها مراحل الانتقال الديمقراطي على المستويات السياسية كافة، وما يتعلق بها من جوانب قانونية دستورية ومؤسسية.

إضافةً إلى الهيئتين التحريرية والاستشارية، تستند المجلة في عملها إلى وحدتين نشطتين في المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، هما "وحدة تحليل السياسات" ووحدة "المؤشر العربي" الذي يصدر تقريره كل عام. وتتكامل في عملها مع برنامج العلوم السياسية في معهد الدوحة للدراسات العليا، ومع برنامج "التحول الديمقراطي" في المركز. تعتمد مجلة "سياسات عربية" المواصفات الشكلية والموضوعية للمجلات الدولية المحكمة، وفقًا لما يلي:

- أولًا: أن يكون البحث أصيلًا معدًا خصيصًا للمجلة، وألا يكون قد نشر جزئيًا أو كليًا أو نُشر ما يشبهه في أي وسيلة نشر إلكترونية أو ورقية، أو قُدّم في أحد المؤتمرات العلمية من غير المؤتمرات التي يعقدها المركز، أو إلى أي جهة أخرى.

- ثانيًا: أن يرفق البحث بالسيرة العلمية للباحث باللغتين العربية والإنكليزية.

- ثالثًا: يجب أن يشتمل البحث على العناصر التالية:

• عنوان البحث باللغتين العربية والإنكليزية، وتعريف موجز بالباحث والمؤسسة العلمية التي ينتمي إليها وآخر إصداراته باللغتين العربية والإنكليزية.

• الملخص التنفيذي باللغتين العربية والإنكليزية في نحو (100-125) كلمة لكل لغة، والكلمات المفتاحية (Key Words) بعد الملخص، ويقدم الملخص بجمل قصيرة ودقيقة وواضحة إشكالية البحث الرئيسة، والطرق المستخدمة في بحثها، والنتائج التي توصل إليها البحث.

- تحديد مشكلة البحث، وأهداف الدراسة، وأهميتها، والمراجعة النقدية لما سبق وكتب عن الموضوع، بما في ذلك أحدث ما صدر في مجال البحث، وتحديد مواصفات فرضية البحث أو أطروحته، ووضع التصور المفاهيمي وتحديد مؤشراته الرئيسية، ووصف منهجية البحث، والتحليل والنتائج، والاستنتاجات. على أن يكون البحث مذيلاً بقائمة ببليوغرافية تتضمن أهم المراجع التي استند إليها الباحث إضافةً إلى المراجع الأساسية التي استفاد منها ولم يشر إليها في الهوامش. وتذكر في القائمة بيانات البحوث بلغتها الأصلية (الأجنبية) في حال العودة إلى عدة مصادر بعدة لغات.
- أن يتقيد البحث بمواصفات التوثيق وفقاً لنظام الإحالات المرجعية الذي يعتمده المركز (ملحق 1: أسلوب كتابة الهوامش وعرض المراجع).
- لا تنشر المجلة مستلآت أو فصولاً من رسائل جامعية أقرت إلا بشكل استثنائي، وبعد أن يعدها الباحث من جديد للنشر في المجلة، وفي هذه الحالة على الباحث أن يشير إلى ذلك، ويقدم بيانات وافية عن عنوان الأطروحة وتاريخ مناقشتها والمؤسسة التي جرت فيها المناقشة.
- أن يقع البحث في مجال أهداف المجلة واهتماماتها البحثية.
- تهتم المجلة بنشر مراجعات نقدية للكتب المهمة التي صدرت حديثاً في مجالات اختصاصها بأي لغة من اللغات، شرط ألا يكون قد مضى على صدورها أكثر من ثلاث سنوات. يتراوح حجم المراجعة بين 4500-5000 كلمة، وتخضع لقواعد تحكيم الأبحاث في المركز العربي.
- يراوح عدد كلمات البحث، بما في ذلك المراجع في الإحالات المرجعية والهوامش الإيضاحية، والقائمة ببليوغرافية وكلمات الجداول في حال وجودها، والملحقات في حال وجودها، بين 6000-8000 كلمة، وللمجلة أن تنشر، بحسب تقديراتها وبصورة استثنائية، بعض البحوث والدراسات التي تتجاوز هذا العدد من الكلمات.
- في حال وجود مخططات أو أشكال أو معادلات أو رسوم بيانية أو جداول، ينبغي إرسالها بالطريقة التي استغلت بها في الأصل بحسب برنامجي اكسل (Excel) أو وورد (Word)، ولا تقبل الأشكال والرسوم والجداول التي ترسل صوراً.
- رابعاً: يخضع كل بحث إلى تحكيم سري تام، يقوم به محكمان من المحكّمين المختصين اختصاصاً دقيقاً في موضوع البحث، ومن ذوي الخبرة العلمية بما أنجز في مجاله، ومن المعتمدين في قائمة المحكّمين - القراء في المركز. وفي حال تباين تقارير المحكّمين، يحال البحث إلى محكّم مرجّح ثالث. وتلتزم المجلة موافاة الباحث بقرارها الأخير؛ النشر / النشر بعد إجراء تعديلات محددة/ الاعتذار عن عدم النشر، وذلك في غضون شهرين من استلام البحث.
- خامساً: تلتزم المجلة ميثاقاً أخلاقياً يشتمل على احترام الخصوصية والسرية والموضوعية وعدم إفصاح المحرّرين والمراجعين وأعضاء هيئة التحرير عن أي معلومات بخصوص البحث المحال إليهم إلى أي شخص آخر غير المؤلف والمحكّمين وفريق التحرير (ملحق 2).
- تلتزم المجلة جودة الخدمات التدقيقية والتحريرية التي تقدّمها للبحث... إلخ.
- يخضع ترتيب نشر البحوث إلى مقتضيات فنية لا علاقة لها بمكانة الباحث.
- لا تدفع المجلة مكافآت مالية عن المواد - من البحوث والدراسات والمقالات - التي تنشرها؛ مثلما هو متبع في الدوريات العلمية في العالم. ولا تتقاضى المجلة أي رسوم على النشر فيها.

ملحق 1: أسلوب كتابة الهوامش وعرض المراجع

الكتب

- اسم المؤلف، عنوان الكتاب، اسم المترجم أو المحرر، الطبعة (مكان النشر: الناشر، تاريخ النشر)، رقم الصفحة.
- نبيل علي، الثقافة العربية وعصر المعلومات، سلسلة عالم المعرفة 265 (الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، 2001)، ص 227.
 - كيت ناش، السوسيولوجيا السياسية المعاصرة: العولمة والسياسة والسلطة، ترجمة حيدر حاج إسماعيل (بيروت: المنظمة العربية للترجمة، 2013)، ص 116.
- ويُستشهد بالكتاب في الهامش اللاحق غير الموالي مباشرةً على النحو التالي مثلاً: ناش، ص 117.
- أما إن وُجد أكثر من مرجع واحد للمؤلف نفسه، ففي هذه الحالة يجري استخدام العنوان مختصراً: ناش، السوسيولوجيا، ص 117.
- ويُستشهد بالكتاب في الهامش اللاحق الموالي مباشرةً على النحو التالي: المرجع نفسه، ص 118.
- أما في قائمة المراجع فيرد الكتاب على النحو التالي:
- ناش، كيت. السوسيولوجيا السياسية المعاصرة: العولمة والسياسة والسلطة. ترجمة حيدر حاج إسماعيل. بيروت: المنظمة العربية للترجمة، 2013.
- وبالنسبة إلى الكتاب الذي اشترك في تأليفه أكثر من ثلاثة مؤلفين، فيُكتب اسم المؤلف الرئيس أو المحرر أو المشرف على تجميع المادة مع عبارة "وآخرون". مثال:
- السيد ياسين وآخرون، تحليل مضمون الفكر القومي العربي، ط 4 (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 1991)، ص 109.
- ويُستشهد به في الهامش اللاحق كما يلي: ياسين وآخرون، ص 109.
- أما في قائمة المراجع فيكون كالتالي:
- ياسين، السيد وآخرون. تحليل مضمون الفكر القومي العربي. ط 4. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 1991.

الدوريات

- اسم المؤلف، "عنوان الدراسة أو المقالة"، اسم المجلة، المجلد و/أو رقم العدد (سنة النشر)، رقم الصفحة. مثال:
- محمد حسن، "الأمن القومي العربي"، إستراتيجيات، المجلد 15، العدد 1 (2009)، ص 129.
- أما في قائمة المراجع، فنكتب:
- حسن، محمد. "الأمن القومي العربي". إستراتيجيات. المجلد 15. العدد 1 (2009).

مقالات الجرائد

تكتب بالترتيب التالي (تُذكر في الهوامش فحسب، ومن دون قائمة المراجع). مثال:

- إيان بلاك، "الأسد يحثُّ الولايات المتحدة لإعادة فتح الطُّرق الدبلوماسية مع دمشق"، الغارديان، 2009/2/17.

المنشورات الإلكترونية

عند الاقتباس من مواد منشورة في مواقع إلكترونية، يتعين أن تذكر البيانات جميعها ووفق الترتيب والعبارات التالية نفسها: اسم الكاتب إن وجد، "عنوان المقال أو التقرير"، اسم السلسلة (إن وُجد)، اسم الموقع الإلكتروني، تاريخ النشر (إن وُجد)، شوهد في 2016/8/9، في: <http://www.....>

- ويتعين ذكر الرابط كاملاً، أو يكتب مختصراً بالاعتماد على مُختصر الروابط (Bitly) أو (Google Shortner). مثل: "ارتفاع عجز الموازنة المصرية إلى 4.5%"، الجزيرة نت، 2012/12/24، شوهد في 2012/12/25، في: <http://bit.ly/2bAw2OB>
- "معارك كسر حصار حلب وتدابيرها الميدانية والسياسية"، تقدير موقف، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2016/8/10، شوهد في 2016/8/18، في: <http://bit.ly/2b3FLeD>

ملحق 2

أخلاقيات النشر في مجلات المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات

- تعتمد مجلات المركز قواعد السرية والموضوعية في عملية التحكيم، بالنسبة إلى الباحث والمحكِّمين على حدِّ سواء، وتُحيل كل بحث قابل للتحكيم على محكِّمين معتمدين لديها من ذوي الخبرة والاختصاص الدقيق بموضوع البحث، لتقييمه وفق نقاط محددة. وفي حال تعارض التقييم بين المحكِّمين، تُحيل المجلة البحث على قارئٍ مرجِّحٍ آخر.
- تعتمد مجلات المركز محكِّمين موثوقين ومجربين ومن ذوي الخبرة بالجديد في اختصاصهم.
- تعتمد مجلات المركز تنظيمًا داخليًا دقيقًا واضح الواجبات والمسؤوليات في عمل جهاز التحرير ومراتبه الوظيفية.
- لا يجوز للمحرِّرين والمحكِّمين، باستثناء المسؤول المباشر عن عملية التحرير (رئيس التحرير أو من ينوب عنه) أن يبحث الورقة مع أيِّ شخصٍ آخر، بما في ذلك المؤلف. وينبغي الإبقاء على أيِّ معلومةٍ متميِّزة أو رأيٍ جرى الحصول عليه من خلال التحكيم قيد السرية، ولا يجوز استعمال أيِّ منهما لاستفادةٍ شخصية.
- تقدِّم المجلة في ضوء تقارير المحكِّمين خدمة دعم فني ومنهجي ومعلوماتي للباحثين بحسب ما يستدعي الأمر ذلك ويخدم تجويد البحث.
- تلتزم المجلة إعلام الباحث بالموافقة على نشر البحث من دون تعديل أو وفق تعديلات معينة، بناءً على ما يرد في تقارير التحكيم، أو الاعتذار عن عدم النشر، مع بيان أسبابه.
- تلتزم مجلات المركز جودة الخدمات التدقيقية والتحريرية والطباعة والإلكترونية التي تقدمها للبحث.
- احترام قاعدة عدم التمييز: يقيّم المحرِّرون والمراجعون المادَّة البحثية بحسب محتواها الفكري، مع مراعاة مبدأ عدم التمييز على أساس العرق أو الجنس الاجتماعي أو المعتقد الديني أو الفلسفة السياسية للكاتب.

- قاعدة عدم تضارب المصالح بين المحررين والباحث، سواء كان ذلك نتيجة علاقة تنافسية أو تعاونية أو علاقات أخرى أو روابط مع أي مؤلف من المؤلفين، أو الشركات، أو المؤسسات ذات الصلة بالبحث.
- تقيد المجلات بعدم جواز استخدام أي من أعضاء هيئتها أو المحررين المواد غير المنشورة التي يتضمنها البحث المُحال على المجلة في بحوثهم الخاصة.
- النسخة النهائية للبحث والتعديلات: تعرض المجلة النسخة المحررة شبه النهائية من البحث بصيغة PDF على الباحث قبل النشر. وفي هذه المرحلة، لا تُقبل أيّ تعديلات مهمة أو إضافات على البحث، إلا ما كان من تصحيحاتٍ أو تصويبات أو تعديلات طفيفة؛ وذلك ضمن أمدٍ زمني وجيز جدًا تُحدده رسالة المجلة إلى الباحث.
- حقوق الملكية الفكرية: يملك المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات حقوق الملكية الفكرية بالنسبة إلى المقالات المنشورة في مجلاته العلمية المحكمة، ولا يجوز إعادة نشرها جزئيًا أو كليًا، سواءً باللغة العربية أو ترجمتها إلى لغات أجنبية، من دون إذنٍ خطي صريح من المركز العربي.
- تقيد مجلات المركز في نشرها لمقالات مترجمة تقييدًا كاملًا بالحصول على إذن الدورية الأجنبية الناشرة، وباحترام حقوق الملكية الفكرية.
- المجانية. تلتزم مجلات المركز العربي بمجانية النشر، وتُعفي الباحثين والمؤلفين من جميع رسوم النشر.

9. Conflict of interests: Editors and peer-reviewers should not consider manuscripts in which they have conflict of interests resulting from competitive, collaborative or other relationships or connections with any of the authors, companies, or institutions connected to the papers.
10. Confidentiality: Unpublished data obtained through peer-review must be kept confidential and cannot be used for personal research.
11. Intellectual property and copyright: The ACRPS retains copyright to all articles published in its peer-reviewed journals. The articles may not be published elsewhere fully or partially, in Arabic or in another language, without an explicit written authorization from the ACRPS.
12. Siyasat Arabiya's editorial board fully respects intellectual property when translating and publishing an article published in a foreign journal, and will not proceed before getting the authorization from the journal in question.
13. Siyasat Arabiya does not make payments for manuscripts published in the journal, and all authors and researchers are exempt from publication fees.

John Vidal, "Middle East faces water shortages for the next 25 years, study says," *The Guardian*, 27/8/2015, accessed on 31/10/2015, at: <http://bit.ly/2k97Wxw>

Policy Analysis Unit-ACRPS, "President Trump: An Attempt to Understand the Background," *Assessment Report*, The Arab Center for Research and Policy Studies, accessed on 10/11/2016, at: <http://bit.ly/2j36v5S>

Annex II

Ethical Guidelines for Publication in Siyasat Arabiya

1. Siyasat Arabiya's editorial board maintains confidentiality and adheres to objectivity in the peer-reviewing process. It adopts an anonymized peer review process, where the editorial board selects the appropriate reviewer to assess paper's suitability for publication, according to specific criteria. In case of a conflict between the reviewers regarding the publication assessment, a third peer-reviewer will be selected.
2. Siyasat Arabiya relies on an accredited pool of experienced peer-reviewers who are up to date with the latest developments in their field.
3. Siyasat Arabiya adopts a rigorous internal organization with clear duties and obligations to be fulfilled by the editorial board.
4. Disclosure: With the exception of the editor in charge (editor-in-chief or those standing in for the editor), neither the editors, nor the peer-reviewers, are allowed to discuss the manuscript with third parties, including the author. Information or ideas obtained in the course of the reviewing and editing processes and related to possible benefits must be kept confidential and cannot be used for obtaining personal gain.
5. When needed, based on the reviewer report, the editorial board may offer researchers methodological, technical and other assistance in order to improve the quality of their submissions.
6. Siyasat Arabiya's editors commit to informing authors of the acceptance or otherwise of their manuscripts, based on the reviewers' report, or to notify in case of rejection, specifying the reasons.
7. The journal remains committed to providing quality professional *copy editing, proof reading and online publishing service*.
8. Fairness: The editors and the reviewers evaluate manuscripts for their intellectual and scientific merit, without regard to race, ethnicity, gender, religious beliefs or political views of the authors.

In quotes immediately following the reference: Ibid., p. 32.

The corresponding bibliographical entry:

Pollan, Michael. *The Omnivore's Dilemma: A Natural History of Four Meals*. New York: Penguin, 2006.

For books by three or more authors, in the note, list only the first author, followed by et al.:

Michael Gibbons et al., *The New Production of Knowledge: The Dynamics of Science and Research in Contemporary Societies* (London: Sage, 1994), pp. 220-221.

In later quotes: Gibbons et al., p. 35.

The corresponding bibliographical entry:

Gibbons, Michael et al., *The New Production of Knowledge: The Dynamics of Science and Research in Contemporary Societies*. London: Sage, 1994.

Periodicals

Author's name, "article title," *journal title*, volume number, issue number (Month/season Year), page numbers.

Joshua I. Weinstein, "The Market in Plato's Republic," *Classical Philology*, no. 104 (2009), p. 440.

The corresponding bibliographical entry:

Weinstein, Joshua I. "The Market in Plato's Republic." *Classical Philology*. no. 104 (2009),.

Articles in a Newspaper or Popular Magazine

N. B. Cited only in footnotes, not in the references/bibliography. Example:

Ellen Barry, "Insisting on Assad's Exit Will Cost More Lives, Russian Says," *The New York Times*, 29/12/2012.

Electronic Resources

When quoting electronic resources on websites, please include all the following: Author's name (if available), "The article or report title," series name (if available), website's name, date of publication (if available), accessed on 9/8/2016, at: <http://www...>

The full link to the exact page should be included. Please use an URL Shortener (Bitly) or (Google Shortner). Example:

- i. Book reviews will be considered for submission to the journal provided that the book covers a topic which falls within the scope of the journal and within the reviewer's academic specialization and/or main areas of research. Reviews are accepted for books written in any language, provided they have been published in the previous 3 years. Book reviews are subject to the same standards of rigorous scrutiny which apply to research papers. Book reviews must be between 4,500 and 5,000 words in length.
4. The peer review process for *Siyasat Arabiya* and for all journals published by the ACRPS is conducted in the strictest confidence. Two preliminary reviewers are selected from a short list of approved reader-reviewers. In cases where there is a major discrepancy between the first two reviewers in their assessment of the paper, the paper will be referred to a third reviewer. The editors will notify all authors of a decision either to publish, publish with modifications, or to decline to publish, within two months of the receipt of the first draft.
5. *Siyasat Arabiya's* editorial board adheres to a strict code of ethical conduct, which has the clearest respect for the privacy and the confidentiality of authors. The journal does not make payments for articles published in the journal, nor does it accept payment in exchange for publication. In the final production stages, the order of articles published in specific editions is decided on purely technical grounds.

Annex I

Footnotes and Bibliography

Books

Author's name, *Title of Book*, Edition (Place of publication: Publisher, Year of publication), page number.

Michael Pollan, *The Omnivore's Dilemma: A Natural History of Four Meals* (New York: Penguin, 2006), pp. 99 - 100.

Gabriel García Márquez, *Love in the Time of Cholera*, Edith Grossman (trans.), (London: Cape, 1988), pp. 242 - 55.

In quotes not immediately following the reference: Pollan, p. 31.

Where there are several references by the same author, add a short title: Pollan, *Omnivore's Dilemma*, p. 31.

electronic form, or submitted to a conference other than the conferences held by the ACRPS will be considered for publication.

2. Submissions must be accompanied by a curriculum vitae (CV) of the author, in both Arabic and English.
3. All submissions must include the following elements:
 - a. A title in both Arabic and English together with the author's institutional affiliation.
 - b. An abstract, ranging between 250 and 300 words in length as well as a list of keywords. The abstract must explicitly and clearly spell out the research problematic, the methodologies used, and the main conclusions arrived at. These must be provided in one English, and one Arabic version.
 - c. The research paper must include the following: a specification of the research problematic; an explanation of the significance of the topic; specification of thesis or arguments; review of literature emphasizing gaps or limitations in previous analysis; description of research methodology; hypothesis and conceptual framework; bibliography.
 - d. All research papers submitted for consideration must include a complete bibliography covering all references, regardless of whether or not these appear in the footnotes. References must be cited in the original language in which the source was written. Authors must follow the referencing guidelines adopted by the Arab Center for Research and Policy Studies (See Appendix I for a complete guide to the reference style used across all of our journals).
 - e. Research papers must normally be between 6,000 and 8,000 words in length, inclusive of references, charts and tables, and appendices. The editors reserve the right to publish articles of longer length in exceptional circumstances.
 - f. All diagrams, charts, figures and tables must be provided in a format compatible with either Microsoft Office's spreadsheet software (Excel) or Microsoft Office's word processing suite (Word), alongside high resolution images. Charts will not be accepted without the accompanying data from which they were produced.
 - g. Submitted research must fall within the aims and research interests of the journal.
 - h. Extracts or chapters from doctoral theses and other student projects are only published in exceptional circumstances. In such cases, the researcher should point this out clearly, and provide full information about the thesis, including the title, the awarding institution and date of award.

Siyasat Arabiya is a bi-monthly peer reviewed academic journal published by the Arab Center for Research and Policy Studies (ISSN 2307-1583) dedicated to political science, international relations, strategic affairs and public policy. First published in March 2013, the journal is overseen by an academic editorial board and an actively engaged board of international advisers.

Contributions in *Siyasat Arabiya* are drawn from all fields of political science including international relations, comparative politics, and national, regional, and international institutional systems. The journal publishes critical insights into the operation of political systems, the behavior of governments and political parties as well as the trends in civil society and social and political participation more broadly. This is complemented with publications covering public opinion, issues of migration and forced migration, war, civil war, conflict and human rights issues. Particular attention is paid to the present-day political transition in the Arab world, especially democratization at all political levels and its legal-constitutional and institutional aspects.

In addition to the editorial and advisory boards, the journal relies on two units active within the Arab Center of Research and Policy Studies (ACRPS): the Policy Analysis Unit and the Arab Opinion Index, which produces an annual report on public opinion across the Arab world. The journal's work is also closely linked to the political science program at the Doha Institute for Graduate Studies and the Program for the Study of Arab Democratization within the ACRPS.

Publication in *Siyasat Arabiya* is governed by a strict code of ethics guiding the relationship between the editorial staff and contributors. With three years of experience and interaction with specialists and contributors the journal was recently (Spring, 2016) restructured to bring it in line with international standards of academic publishing. Submission to and publication in *Siyasat Arabiya* must therefore adhere to the following guidelines:

1. Original work which is submitted exclusively for publication within the journal. No work which has been previously published fully or in part will be considered for publication in *Siyasat Arabiya*. Similarly, no work which substantially resembles any other work published in either print or

دعوة للكتابة

”
تدعو دورية "سياسات عربية" الأكاديميين والباحثين وسائر الكتاب المهتمين بشؤون السياسات للكتابة على صفحاتها. تقبل الدورية الأبحاث النظرية والتطبيقية المكتوبة باللغة العربية، كما تفتح صفحاتها أيضاً لمراجعات الكتب، ولحوار الجاد حول ما ينشر فيها من موضوعات. تخضع كل المواد التي تصل إلى "سياسات عربية" للتحكيم من جانب مختصين من الأكاديميين. ولذلك تتوقع هذه الدورية ممن يكتبون إليها الالتزام بمعاييرها، وبما يبيده المحكمون من ملاحظات. فاتباع التقاليد العلمية المؤسسية، على محدوديتها، هو الذي يسمح بتراكم التجربة واحترام المعايير العلمية، وضمان جودة المادة التي تصل إلى القراء. تهدف هذه الدورية إلى أن تكون طيعة الفهم لدى المختصين وغير المختصين من القراء، من دون التضحية برصانة المضمون.

”
ترسل كل الأوراق الموجهة للنشر باسم رئيس التحرير على العنوان الإلكتروني الخاص بالمجلة
siyasat.arabia@dohainstitute.org



قسمة الاشتراك

سياسات عربية
SIYASAT ARABIYA

الاسم

العنوان البريدي

البريد الإلكتروني

عدد النسخ المطلوبة

طريقة الدفع تحويل بنكي شيك لأمر المركز

Invitation to submit papers



The editors of *Siyasat Arabia* invite scholars to submit papers for consideration in future editions of the journal. *Siyasat Arabia*, published bi-monthly in Arabic, covers the range of specialisms within political science and strategic studies, including international relations, geopolitics and geostrategic studies. The journal also carries critical, incisive essays and book reviews as well as primary source materials. All submitted manuscripts will be subject to the same rigorous peer review process. The journal aims to further and deepen debate around these topics for diverse audiences of professional scholars and non-specialists alike while continuing to uphold its high academic standards.



All submissions intended for publication should be sent by email:

siyasat.arabia@dohainstitute.org

Address all correspondence to the Editor-in-Chief



سياسات عربية
SIYASAT ARABIYA

عنوان الاشتراكات:

ARAB CENTER FOR RESEARCH & POLICY STUDIES المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات
جادة الجزائر فؤاد شهاب - بناية الصيفي 174 - مار مارون
ص.ب: 11-4965 رياض الصلح 1107-2180 بيروت - لبنان

عنوان التحويل البنكي:

ARAB CENTER FOR RESEARCH & POLICY STUDIES
Qatar National Bank
Account Number: 3804002-000072- (FOR US DOLLARS)
IBAN number: LB70 0136 0000 000 3804 000072 002 (FOR US DOLLARS)
SWIFT code: QNBA LB BE

الاشتراكات السنوية

(سنة أعداد في السنة بما في ذلك أجور البريد المسجل)

- | | |
|-----|--|
| 35 | دولارًا أمريكيًا للأفراد في لبنان. |
| 55 | دولارًا أمريكيًا للحكومات والمؤسسات في لبنان. |
| 55 | دولارًا أمريكيًا للأفراد في الدول العربية وأفريقيا. |
| 75 | دولارًا أمريكيًا للحكومات والمؤسسات في الدول العربية وأفريقيا. |
| 95 | دولارًا أمريكيًا للأفراد في أوروبا. |
| 120 | دولارًا أمريكيًا للحكومات والمؤسسات في أوروبا. |
| 120 | دولارًا أمريكيًا للأفراد في القارة الأمريكية. |
| 140 | دولارًا أمريكيًا للحكومات والمؤسسات في القارة الأمريكية. |



من إصدارات المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات



- للحصول على منشورات المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، يرجى الاطلاع على قائمة مؤرّعي الكتب والمجلات على موقعنا الإلكتروني: www.dohainstitute.org
- بالنسبة إلى البلاد التي لا يوجد فيها موزعون إلى الآن، يرجى الاتصال مباشرة بقسم التوزيع في مكتب بيروت: هاتف: 009611991837 أو على البريد الإلكتروني: distribution@dohainstitute.org

ملف

العلاقات الدولية والجائحة

محمد حمشي

تقديم: العلاقات الدولية وجائحة كورونا: قصة قصيرة وأربع مقالات

محمد حمشي

نظريات العلاقات الدولية وجائحة كورونا: أنبذة معتقة في قنان جديدة ونبذ لما يُعتق

أحمد قاسم حسين

النظام الدولي وجائحة كورونا:

سجال تأثير الأوبئة في العلاقات الدولية

شهرزاد خير

الاقتصاد السياسي الدولي وجائحة كورونا: تأملات نظرية ومساهمات مبكرة

عبد الكريم أمناكي

شعبوية السلطة وجائحة كورونا بين اعتيادية التدابير وخصوصية الخطاب: حالة الولايات المتحدة تحت إدارة دونالد ترامب

دراسة مترجمة

ديفيد ب. فيدلر

ترجمة سارة إسماعيل

الأمراض والفوضى المعولمة: مقاربات نظرية للصحة العالمية

المؤشر العربي

وحدة استطلاع الرأي العام

الرأي العام العربي والأداء الحكومي في مجال الخدمات الأساسية

التوثيق

محطات التحول الديمقراطي في الوطن العربي في المدة 3/1 - 2021/4/30

مشروع التحول الديمقراطي ومراحل الانتقال في البلدان العربية

وثائق التحول الديمقراطي في الوطن العربي

الوقائع الفلسطينية في المدة 3/1 - 2021/4/30

مراجعات وعروض كتب

لورد حبش

"فيروس كورونا والنظام العالمي: مستقبل الصراع والتنافس والتعاون" تحرير هال براندز وفرانيسيس غافين

سعر النسخة

قطر	18 ريالاً	العراق	3500 دينار	السعودية	18 ريالاً
الإمارات	18 درهماً	تونس	3 دنانير	الإمارات	18 درهماً
البحرين	3 دنانير	سوريا	150 ليرة	البحرين	3 دنانير
الكويت	1,5 دينار	لبنان	6000 ليرة	الكويت	1,5 دينار
عمان	ريالان	الأردن	1,5 دينار	عمان	ريالان
مصر	10 جنيهات	اليمن	300 ريال	مصر	10 جنيهات
		السودان	10 جنيهات		
		الجزائر	150 ديناراً		
		المغرب	18 درهماً		
		موريتانيا	500 أوقية		
		ليبيا	3 دنانير		
		فلسطين	3 دولارات		
		الصومال	2500 شلن		

